الجذور التاريخية والنفسية

للغلو والغلاة

دراسة تحليلية في الهوية والجذور
لواقع الفرق المغالية

تأليف
سامي الغريري

الجذور التاريخية والنفسية للغلو والغلاة

دراسة تحليلية في الهوية والجذور لواقع الفرق المغالية

تأليف
سامي الغريري

▼

الجذور التاريخية و النفسية للغلو و الغلاة

سامي الغريري

الناشر: دليل ما

المطبعة: نگارش

الطبعة: الأولى

سنة النشر: ١٤٢٤هـ . ق

عدد النسخ: ١٥٠٠ نسخة

شابک (ردمک): ISBN ٩٦٤ـ٧٩٩٠ـ١٢ـX

العنوان: ايران، قم، شارع معلم، زقاق ٢٩، رقم الدار ٤٤٨

هاتف وفكس: ٧٧٣٣٤١٣، ٧٧٤٤٩٨٨ (٩٨٢٥١)

صندوق البريد: ٣٧١٣٥ـ١١٥٣

WWW.Dalile-ma.com

info@dalile-ma.com





غريري، سامي

الجذور التاريخية و النفسية للغلو و الغلاة دراسة تحليلية في الهوية و الجذور لواقع الفرق المغالية / سامي الغريري.

ـ قم: دليل ما، ١٣٨٢.

٥١٢ ص.

ISBN 964 - 7990 - 12 - X

فهرستنويسى بر اساس اطلاعات فيپا.

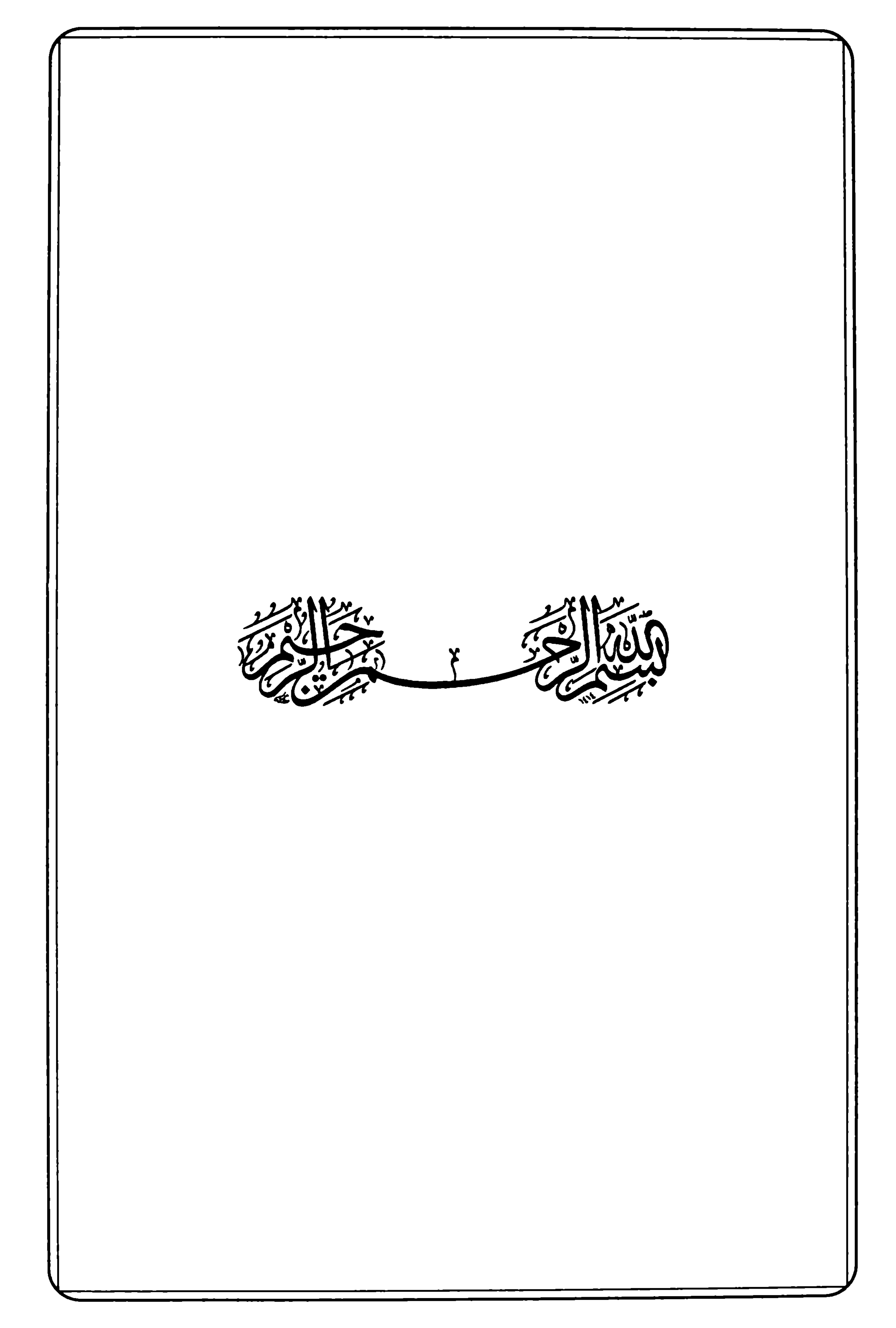
عربى.

كتابنامه: ص. ٤٨١ـ٥١٢.

١. غلو. ٢. غلاة شيعه ٣. شيعه ـ ـ فرقه‌ها. الف. عنوان.

BP ٢٤١ / غ ٤ ج ٤ ٢٩٧

كتابخانه ملى ايران ٨١ـ٤٧١٥٤م


بسم الله الرحمن الرحیم

فهرس الموضوعات

المقدّمة

منذ فترة طويلة وأنا متردد في كتابة هذا الموضوع المهم، والشّائك؛ لأنّه يتعلق بالعقائد من جهة، ودراسة الفرق من جهة أُخرىٰ، ولكن كنت مستشعراً أهمية هذه المادّة المفيدة، لتفهيم أبناء الأُمّة الإسلاميّة ما يُبيّته لهم أعداؤهم، من الإصرار علىٰ تفتيت وحدتهم، والتّشويش المتعمد علىٰ أفكارهم، وهم يعملون هذا تحت ستار الدّفاع عن الإسلام، مما جعل الكثير من أبناء المسلمين يقعون ضحية تلك المؤامرات الخفية منها، والظّاهرة، ومما يدعو إلىٰ التّأمُل زُهد كثير من الكتاب، والمؤرخين، وأصحاب الإختصاص عن البحث في حقيقة هذه المادة، فجهلوا الأخطار الّتي تُبيّت لهم. وهذه الدّراسة المتواضعة ليس إقراراً، أو دفاعاً وإنّما هي دراسة نرجو منها أنْ تحقق أهدافاً طيّبة في خدمة الإسلام، والمسلمين، ولفت أنظارهم إلىٰ مواقع الاختلاف بين الإماميّة، والفرق المُغالِية، والرّجوع إلىٰ الحقّ أوْلىٰ من التّمادي في الباطل، فهي نوع من أنواع العلاج لتلك الأخطاء، والمآسي الّتي لحقت بالإماميّة علىٰ وجه الخصوص، وعلىٰ الإسلام، والمسلمين علىٰ وجه العموم، وهذه الأخطاء الّتي جردت فيها الأقلام تارةً، والسّيوف تارةً أُخرىٰ، لا شك أنّها خلافات سياسية أكثر منها عقدية، وأمّا إذا كانت خلافات

علمية فهذه خاض غمارها العلماء، كلّ فريق يؤيد ما يذهب إليه، وينقض ما ذهب إليه الخصم، بعين الإنصاف طبقاً لقاعدة: «رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري يحتمل الصّواب». والّذين يتربصون بالإماميّة الدّوائر: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾(١)، والّذين يمدونهم بكل ما لديهم من التّشجيع المادي، والمعنوي، فإذا بهم يتحولون إلىٰ وحوش، وسباع ضارية، لا يرقبون في مؤمن إلاً، ولا ذمة. لقد تربىٰ هؤلاء علىٰ موائد الكفرة، ودرسوا في مدارسهم، وأتقنوا مناهجهم، ثمّ أظهروا أنفسهم أبطالاً فاتحين، واتخذوا لأنفسهم شهادات، وشعارات براقة خادعة، وهم مابين مدافع ثوري اشتراكي، أو رأسمالي جشع حقود حسود، أو ماسوني إينما يوجه لا يأتي بخير، فابتُليت الأُمّة الإسلاميّة بهم أشد البلاء، وتوالت عليهم المحن، وظهر الإلحاد، وتفرقت الكلمة، وظهر قرن الشّر، ولكن ونحن علىٰ أعتاب صحوة يتمنىٰ كلّ مؤمن أنْ تتم بخير، مع الخوف الشّديد أنْ توجه هذه الصّحوة في غير مسارها الصّحيح فتنتكس الأُمة انتكاسة ربما لا تقوم لها قائمة ـ لا سمح الله ـ إذا نجح هؤلاء المندسون، والمأجورون، علىٰ كلّ شيء حتىٰ علىٰ دينهم الّذين يعتقدون به. فقد أحاطوهم بصراخ، وعويل، أفقدوهم حتىٰ مجرد التّفكير، وجندوهم لقطع أوصال الأُمة، وإلقاء بذرة الشّقاق، ودربوهم علىٰ طريقة إلصاق التُهم بالآخرين من أهل الحقّ، وتشويه سمعتهم، وذلك من خلال منحهم الشّهادات العالية، والمنح الدّراسية، وكرسي الأُستاذيّة في الجامعة الفلانية، لاستعباد عقولهم بأي ثمن كان.

أيّها المضللّون: أنتم لا تدينون بدين السّماء، وإنّما تدينون بوثنيات، وعصبيات الأرض، لقد ضللّكم مرضىٰ القلوب، فهل ستبقون كذلك علىٰ ضلالكم ؟! ألم يأنْ

(١) الفتح: ٦.

لكم أن تفيقوا؟ وتتبعوا في دراساتكم أُسلوب العالم المدقق ذي اللّسان العفيف، والأُسلوب العلمي النّزيه، بعيداً عن أُسلوب رصّ الجمل لمجرد التّزويق بلا هدفٍ علمي، بل للحصول علىٰ الشّهادة فقط. ولذا لفت نظري وشد انتباهي، بل وأثار غضبي واستيائي، وجود كثير من الدّراسات العقديّة بهذا الخصوص، ولكنها مشحونة من العقائد العجيبة، والأفكار الغريبة، والّتي تُنسب إلىٰ التّشيع، ووقفت أمام هذه الأفكار، وتلك العقائد، مشدوهاً مذهولاً، وأخذت أتساءل: كيف احتوت هذه الدّراسات ـ وهي دراسات إسلامية ـ علىٰ هذه العقائد، وتلك الأفكار، ونسبتها إلىٰ طائفة كبيرة من المسلمين؟ ثمّ لماذا وجدت القبول داخل الجامعات الإسلاميّة؟ ثمّ هل كانت هذه الشّناعات الّتي نسبتموها إلىٰ هذه الطّائفة، جاءت عن دراسة علمية؟ أم دراسة علىٰ قدر من السّذاجة بحيث يجعل القضاء عليها ممكناً؟ أو كانت علىٰ قدر من السّطحية، والمظهريّة؟ وهل ما كان يلتبس بهذه العقائد الزّائفة المتخبطة مختص بهذه الفرقة، أم بالفرق الأُخرىٰ؟ وهل كانت الدّراسات العقديّة فيها شيء من الإخلاص، والخلوص، والقربة لله تعالىٰ، أم أنّها قربة للسلطان، والجامعة، بل الثّاني هو الصّحيح لما فيها من تزويق، ومخاتلة فكريّة. وهل جاءت هذه الدّراسات لتأثير الأديان الأُخرىٰ بهذه الفرقة فقط، أم أصابت الفرق الأُخرىٰ المنتمية للإسلام؟ ثمّ كيف يسوغ لمن يّدعي البحث العلمي أنْ يعتمد في دراسته علىٰ مصادر، وكتب الخصم، دون الرّجوع إلىٰ كتب، ومصادر علماء هذه الفرقة، سواء من المصادر القديمة أم الحديثة! ولذا جاءت دراستنا للغلو، والغُلاة لتزيح السّتار، وتكشف الغطاء عن الأساليب الّتي استخدمها أعداء الإسلام القُدامىٰ، من اليهود، والنّصارىٰ، والمجوس بنفوذهم إلىٰ عقائدكم، فأصبحت العقائد الصّحيحة في نظركم هي عقائد باطلة، ثمّ جاءت الدّراسة لتضع أمام القارىء الكريم، الدّوافع المحركة، والأساليب الحقيقية لأعداء

الإسلام المعاصرين، من صهاينة، ومستشرقين، ومتلبسين بالإسلام، وحاملي الألقاب، الّذين ينفثون سمومهم ومفترياتهم، ويحاولون تغطيتها بأكنة مختلفة، ويقنعونها بأقنعة كثيرة، بعد أنْ يلبسوها أردية العلم، ويرفعوا بها راية الإصلاح، ويظهروا بمسوح العلماء، وثياب الصّالحين، والمصلحين، بحجّة تنقية الفكر الإسلامي ممّا علق به من شوائب ودخن. وهؤلاء تنكروا للإسلام، والمسلمين، بل أذلّوهم بعد عزّهم، وصاروا صعاليك، يستجدون موائد الشّرق، والغرب القذرة، وعملوا ليلاً ونهاراً، سراً وعلانية، بزعمهم هذا.

ودّ بجدع الأنف لو عاد عهدها وعاد له فيها مصيف ومربع

الغلوّ لغةً

الغلوّ هو: مجاوزة الحدّ[1]. قال في اللّسان[2]: «وفي التّهذيب: قال بعضهم: غلوت في الأمر غلواً، وغلانيةً إذا جاوزت فيه الحدّ، وأفرطت فيه»، ثمّ قال ابن منظور: «وغلا في الدّين، والأمر يغلو غُلوّاً: جاوز حدّه».

وجاء في التّنزيل في موضعين: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾[3]، فالآية تنهىٰ عن تجاوز الحدّ في المسيح، وتحذّر من الخروج عن القصد في القول، وجعلت ما ادعته النّصارىٰ فيه غلواً لتعدية الحدّ[4]. وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾[5].

وقال الحرث بن خالد المخزوميّ:

خمصانة قلق موشحها ... رود الشّباب غلا بها عظم

---

(١) أُنظر، مختار الصّحاح للرازيّ «مادة غلوّ» الجوهري، الفيومي الرّاغب.

(٢) لسان العرب لابن منظور ص: ٣٢٩٠، مادة «غلا».

(٣) النّساء: ١٧١، المائدة: ٧٧.

(٤) تفسير الكشاف للزمخشري: ٥٨٤/١، مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي بمصر (١٩٧٢م).

(٥) المائدة: ٧٧.

وفي التّهذيب: قال بعضهم: غلوت في الأمر غلواً، وغلانيةً، وغلانيا إذا جاوزت فيه الحدّ، وأفرطت فيه، قال الأعشىٰ: أنشده ابن بريّ:

أو زد عليه الغلانيا

وفي التّهذيب أيضاً: زادوا فيه النّون، وقال ذو الرّمة:

وذو الشّنء فاشنأه، وذو الود فاجزه
علىٰ وده، وازدد عليه الغلانيا

وفي الحديث: «إيّاكم والغلوّ في الدّين»[1]. قال ابن منظور: «أيّ: التّشدّد فيه، ومجاوزة الحدّ كالحديث الآخر: إنّ هذا الدّين متين، فأوغل فيه برفق»[2]

وقيل: معناه: البحث عن بواطن الأشياء، والكشف عن عللها، وغوامض متعبّداتها قال: ومنه الحديث: «وحامل القرآن غير الغالي فيه، ولا الجافي عنه» إنّما قال ذلك؛ لأنّ من آدابه، وأخلاقه الّتي أمر بها: القصد في الأُمور[3]، وخير الأُمور أوساطها. وقال الشّاعر:

وأوف ولا تستوف حقّك كلّهُ وصافح فلم يستوف قطٌّ كريمُ
ولا تغلُ في شيء من الأمور واقتصد كِلا طرفي قصد الأُمور ذميمُ

وقال آخر:

لك بأوساط الأُمور فإنّها نجاةٌ ولا تركب ذلولاً ولا صعبا

---

(١) سنن النّسائيّ ـ المناسك ص: ٢١٧، المجموع في شرح المهذب للنوويّ: ١٧١/٨، منتهىٰ المطلب للعلاّمة الحليّ: ٧٢٩/٢.

(٢) أُنظر، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث: ٤/ ٥٥٨، لسان العرب مادة غلوّ. ومسند أحمد: ١/ ٢١٥، النّسائيّ في السّنن ص: ٢٤ كتاب الحج ص: ٢١٨، باب ألتقاط الحصىٰ، صحيح مسلم ص: ٤٧، كتاب العلم ح ٧، «هلك المتنطعون قالها ثلاثاً».

(٣) أُنظر، المصدر السّابق.

فالغلوّ: هو الارتفاع، والتّجاوز للحدّ، وهو في كلّ شيء بحسبه، إنْ استعمل في الأثمان، والأسعار كان بمعنىٰ زيادة عن حدّها المتعارف، قال الشّاعر:

نغالي اللّحم للأضياف نيئاً ونُرْخِصُهُ إذا نضج القديرُ

ويقال غاليت صداق المرأة أيّ، أغليته. ومنه قول عمر بن الخطاب: لاتُغالوا في صدقات النّساء[1]. وفي رواية: لاتغالوا في صدق النّساء[2]، وفي رواية صَدُقاتهن أيّ، لا تبالغوا في كثرة الصّداق[3]، وأصل الغلاء الارتفاع، ومجاوزة القَدر في كلّ شيء[4].

فإن استعمل في الماء يكون معنىٰ الغلوّ تجاوزه عن حدّه قبل الغليان حتّىٰ ارتفع وطمىٰ. وفيه وجه آخر: الغلوّ هو الشّيء الممتنع عادةً، وعقلاً، كما قال الشّاعر:

وأخفتَ أهلَ الشّركِ حتّىٰ أنّها لتخافكَ النّطفُ الّتي لم تخلق

فهذا القول من الشّاعر مبالغة وغلوّ؛ لأنّه جعل النّطف الّتي تتكون منها الأجنّة في الأصلاب، والأرحام تخاف سطوة الممدوح. ومثله قول القائل: زيد من النّاس يطير في الجو، ويعود إلىٰ الأرض بدون واسطة ترفعه، أو تضعه وهو صحيح الجسم. والغلوّ ممقوت لا محالة أينما كان، وحيثما كان، في أيّ أمرٍ كان، ولا سيما في الدّين، والإفراط، والتّفريط كلّه سيئة، والحسنة بين السّيئتين ـ كما قال مطرف بن عبد الله[5] ـ سيئة.

---

(١) المجموع في شرح المهذب: ٣٢٧/١٦.

(٢) المغني: ٣٩١/٧، سنن الدّارميّ: ١٤١/٢، سنن ابن ماجة: ٦٠٧/١، سنن أبي داود: ٤٦٧/١.

(٣) سنن ابن ماجة: ٢/باب ٦٣ ح ٣٠٢٩، حاشية السّندي علىٰ النّسائيّ: ح ٣٣٤٠.

(٤) راجع التّحفة السّنية للفيض الكاشانيّ ص: ٣، بُلغة الفقيه للسّيد محمّد آل بحر العلوم: ٢٠٨/٤.

(٥) هو مطرف بن عبد الله بن منصور بن الشخير بن عوف بن كعب الحريشي كان من مشاهير الزهاد مات

وكما قال الرّسول ﷺ: «لاتغالوا في النّساء فإنّما هنّ سقيا الله»[١].

والخلاصة: إنّ الغلوّ في الدّين غلوّان: غلوّ حقّ: وهو أنْ يفحص عن حقّائقه، ويفتش عن أبعاد معانيه، ويجتهد في تحصيل صحيحه.

وغلوّ باطل: وهو أنْ يتجاوز الحدّ، ويتخطّاه، بالإعراض عن الأدلة، واتّباع الشُبَه[٢].

إذاً الغلوّ هو التّعدي، والتّعدي هو الهدف الّذي يسعىٰ إليه الشّيطان، إذ أنّ مجمل مايريده تحقيق أحد الانحرافين: الغلوّ، والتّقصير: «فما أمر الله بأمر إلّا وللشيطان فيه نزغتان: إمّا إلىٰ تفريط وإضاعة، وإمّا إلىٰ إفراط وغلوّ. ودين الله وسط بين الجافي عنه، والغالي فيه، كالوادي بين جبلين، والهدف بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أنّ الجافي عن الأمر مضيّعٌ له، والغالي فيه مضيّعٌ له. هذا بتقصيره عن الحدّ، وهذا بتجاوزه الحد»[٣].

⇔ سَنَة (٨٧أو ٩٥هـ)، أُنظر، وفيات الأعيان: ٢٩٩/٤.

(١) أُنظر، البيان والتّبيين: ٢١/٢، الإعتقادات: ٩٧، بحار الأنوار: ٣٤٤/٢٥.

(٢) الكشاف للزمخشري: ٦٦٦. محاسن التّأويل للقاسمي: ٢١٠/٦.

(٣) راجع مدارج السّالكين لابن قيّم: ٥١٧/٢، معجم الطّبراني: ١٥٧/١٢، كشف الخفاء للعجلوني: ح ١٢٤٧.

الغلوّ إصطلاحاً

قال ابن تيمية: «الغلوّ: مجاوزة الحدّ بأنْ يزاد في الشّيء في حمده، أو ذمّه، علىٰ ما يستحقّ ونحو ذلك»[1].

وقال ابن حجر: «بأنّه المبالغة في الشّيء، والتّشديد فيه بتجاوز الحد»[2]. ومثل ذلك قال الشّاطبي[3].

وقال الحسن البصريّ: «سنّتكم والله الّذي لا إله إلّا هو بينهما؛ بين الغالي والجافي»[4].

ويراد به أيضاً: تجاوز أشخاص البشر عن مقاماتها من حدّ العبوديّة إلىٰ مقام الرّبوبيّة، كما فعل بعض أهل الكتاب بأنبيائهم كما في قوله تعالىٰ: ﴿لَاتَـغْلُواْ فِـى دِينِكُمْ﴾[5]. وهذا وارد بحقّ النّصارىٰ في عيسىٰ عليه السلام، حين رفعوه من مقام النّبوّة إلىٰ

---

(١) اقتضاء الصّراط المستقيم: ٢٨٩/١.

(٢) الفتح المبين: ٢٠٤/٢.

(٣) الأعتصام: ٣٠٤/٣

(٤) سنن الدّارميّ: ٦٣/١.

(٥) المائدة: ٧٧.

مقام الرّبوبيّة والاُلوهيّة..

والغالي في الإسلام: الّذي يقول في محمّد وآل محمّد، وأصحاب محمّد ﷺ والشّخصيات الإسلاميّة، وغير الإسلاميّة، بما لايقولون: كأن يدّعي فيهم النّبوة والاُلوهيّه[١]، ومنه جاء في النّصّ: «إنّ لنا أهل البيت في كلّ خلق عدولاً ينفون عنّا تحريف الغالين»[٢] أيّ: الّذين هم غلوّ في الدّين، كالغُلاة الّذين يقولون بألوهية الإمام عليّ عليه السلام والمبتدعة، وغيرهم في المنحرفين»[٣]؟

ووضّح الشّيخ المفيد رحمه الله الغلوّ في قوله: «والغُلاة من المتظاهرين بالإسلام هم الّذين نسبوا أمير المؤمنين، والأئمّة من ذريّته عليهم السلام إلىٰ الاُلوهية والنّبوّة، ووصفوهم من الفضل في الدّين والدّنيا، إلىٰ ماتجاوزوا فيه الحدّ وخرجوا عن القصد، وهم ضلاّل كفّار حكم فيهم أميرالمؤمنين عليه السلام، بالقتل، والتّحريق بالنّار، وقضت الأئمّة عليهم السلام بالإكفار، والخروج عن الإسلام»[٤].

وقال الأشعريّ: «إنّما سمّوا الغالِية؛ لأنّهم غلوا في عليّ، وقالوا فيه قولاً عظيماً»[٥].

---

(١) راجع مستمسك العروة الوثقىٰ للسّيد الحكيم: ٣٦٨/١، جواهر الكلام للشيخ محمّد حسن النّجفي: ٥٠/٦.

(٢) مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد للهيثمي: ١/ ١٤٠، مستدرك الوسائل: ١٧/ ٢٩٩، مسند زيد بن عليّ ص: ٣٨٣، الكافي: ٣٢/١، وسائل الشّيعة: ٤١٦/٥ و: ٥٣/١٨.

(٣) عقيدة الشّيعة: ١٣٥، روض الجنان للشهيد الثّاني ص: ١٦٣، بُلغة الفقيه للسّيد محمّد آل بحر العلوم: ٢٠٨/٤.

(٤) شرح عقائد الصّدوق، أو تصحيح الإعتقاد ص: ٢١٧. تقديم السّيد هبة الدّين الشّهرستانيّ / مكتبة سروسن بتبريز.

(٥) مقالات الإسلاميين: ١/ ٦٦.

وقال فيهم ابن بابويه القمّي: «اعتقادنا في الغُلاة، والمفوّضة إنّهم كفّار (كفروا) بالله جل اسمه، وإنّهم شرّ من اليهود، والنّصارىٰ، والمجوس»[١].

وقال الشّهرستانيّ: «الغُلاة اسم علىٰ أُولئك الّذين غلّوا في حقّ أئمتهم حتّىٰ أخرجوهم عن حدود الخَليقةَ، وحكموا فيهم بأحكام الإلهيّة، فربّما شبّهوا واحداً من الأئمّة عليهم السلام بالإله، وربّما شبّهوا الإله بالخلق، وهم علىٰ طرفي الغلوّ والتّقصير، وإنّما نشأت شبهاتهم عن مذاهب الحلوليّة، ومذاهب التّناسخيّة، ومذاهب اليهود والنّصارىٰ، إذ اليهود شبّهوا الخالق بالخلق، والنّصارىٰ شبّهت الخلق بالخالق، فسرت هذه الشّبهات في أذهان الشّيعة الغُلاة، حتّىٰ حكمت بأحكام الإلهيّة في حقّ بعض الأئمّة عليهم السلام»[٢].

ويقول ابن خلدون: «ومنه ـ أيّ الشّيعة ـ طوائف يسمّون الغُلاة، تجاوزوا حدّ العقل، والإيمان في القول، بالُوهيّة هؤلاء الأئمّة عليهم السلام إمّا علىٰ أنّهم بشر اتّصفوا بصفات الأُلوهيّة، أو أنّ الإله حلّ في ذاتهم البشريّة، وهو قول بالحلول، يوافق مذهب النّصارىٰ في عيسىٰ صلوات الله عليه»[٣].

ومن هذا وذاك نستنتج: أنّ الغلوّ تارةً: يكون متعلّقاً بفقه النّصوص وتفسيرها تفسيراً متشدداً، يتعارض مع سماحة الشّريعة. وتارةً: يكون متعلقاً في معاني التّنزيل، لما لم يكلف به المسلم. وتارةً ثالثة: يكون متعلقاً بأحكام الشّريعة وإلزام النّفس، أو الآخرين بما لم يوجبه الله علىٰ عباده، كما في قصة زينب، أو الرّجال الثّلاثة، أو قصة أبي إسرائيل، ولكن القضية هنا مناطة بقدرة الإنسان وقابليته،

---

(١) عقائد الإماميّة للشيخ الصّدوق: باب نفي الغلوّ.

(٢) الملل والنّحل: ٢/ ١٠ علىٰ هامش الفصل لابن حزم.

(٣) المقدمة ص: ١٣٢.

فبعض النّاس هذه العبادة ـ مثلاً ـ تُعّد عندهم مشقة، والبعض الآخر يعتبرها لذة، ونشوة، وحيويّة، وطاقة، فالمشقة هنا خارجة عن التّعريف، وهذا يُعّد إلتزاماً للترويض النّفسي، وإلتزاماً بالدِّين، وليس خروجاً عن الأصل، بل هو نابع عن الرّغبة في الإلتزام والحصول علىٰ الأجر والثّواب، ولذا ندعو كلّ من يريد أنْ يطلق كلمة الغلوّ علىٰ عمل، أو فرد، أو جماعة، أنْ يتأنىٰ وينظر بدقّة إلىٰ عملهم حتىٰ يحكم. أمّا الحكم بمجرد النّظر دون الرّوية، فهذا خلط بين الغلوّ السّليم إنْ صحَّ التّعبير الّذي يمكن أنْ يطلق عليه الإلتزام برأيّ إجتهادي متشدد والاجتهاد، وبين الغلوّ الّذي هو تجاوز الحدّ، وأتباع الظّن، والهوىٰ، فيعتقد ما لم يؤمر باعتقاد سائغ عند من بلغ الاجتهاد، ثمّ يطلق عليه بأنّه مُشرك، أو كافر، أو فاسق، أو مبتدع أو... وهذه الأحكام ما أنزل الله بها من سلطان. فالمشرك هو الّذي يُنقل عن الملّة، وهو الشّرك الأكبر، وشرك لا ينقل عن الملّة، وهو الشّرك الأصغر المعبّر عنه بالرياء مثلاً. والغلوّ يطلق علىٰ الأوّل لا علىٰ الثّاني. والغُلاة هم الّذين غالوا في حقّ الأفراد حتىٰ أخرجوهم من حدود الخليقة وحكموا فيهم بأحكام الالُوهية وربما شبّهوا واحداً منهم بالإله، أو شبّهوا الإله سبحانه بالخلق.

مفهوم الغلوّ عند الغربيين

الأُصولية عند النّصارىٰ: يطلق الغـرب كـلمة «fundamentalism» عـلىٰ الحركات المتطرفة، والغالِية، وهذا يرمز إلىٰ حالة معيّنة، أو مـذهب مـعين عـند الغرب، وبمجرد أنْ يسمع الغربي هذه الكلمة، يتبادر إلىٰ ذهنه التّطرف. ولكن عند عامة النّاس يطلقون علىٰ كلّ من يتمسك بالإنجيل التّمسك الحرفي[١].

لكن رأىٰ بعضٌ أنّ هذا غير دقيق، بل هنالك صفات مشـتركة بـين فـئات الأُصوليين، والنّصارىٰ، وقد حدّدوا هذه الصّفات:

منها: عصمة الإنجيل من الخطأ لا في العقيدة. ولا في الأخلاق، ولا حـتىٰ في التّأريخ، والغيب.

ومنها: الأخذ بظاهر معاني الإنجيل بلا تأويل.

ومنها: الإيمان بكل ماورد في الإنجيل، وَيُعدّ أساساً للحياة المسيحية.

ومنها: رفض الآراء والنّظريات الحديثة في علم اللاّهوت، والدّراسات الّـتي

---

(١) ينظر الأُصولية جيمس بار ص: ١.

تتضمن نقداً للإنجيل.

ومنها: رفض الآراء العلمية المناقضة لما في الإنجيل، كنظرية النّشوء والارتقاء.

ومنها: رفض الفصل بين الكنيسة، والدّولة، والطّلب إلىٰ السّياسيين، والأخذ بما أمر الله به.

ومنها: القول بمبدأ الألفية أيّ نهاية ألفٍ من السّنين، ثمّ يبدأ العالم في نهاية المطاف إلىٰ السّلام، ووفرة الخيرات، وتكون بداية هذا العالم الجديد بنزول السّيّد المسيح عليه السلام.

أمّا في الجانب الثّاني وهو الجانب العملي، الّذي يقابل الجانب العقائدي فأعمالهم تتلخص في أُمور منها:

١ـ اهتمامهم بالجانب السّياسي، وذلك بتكثير سواد عامة النّاس، كما يفعل أصحاب الأحزاب السّياسية...[١].

٢ـ السّعي الحثيث لتشريع قوانين، واستنان سُنن رسميه مؤيده لهم، ومقاومة لمخالفيهم.

٣ـ امتناعهم عن بعض المحظورات كالخمور، وألاّ يشربوا الدُّخان، ولا يشاركوا في حفلات الرّقص، أو السّينما، أو المسرح.

وكلمة الأُصولية: كلمة تدل علىٰ الازدراء بالمجتمع الغربي، «إنّ كلمة الأُصولية تعتبر غير محبّبة للنفس... فهي عبارةٌ تقترن عادة بالعداء والازدراء، وتدل علىٰ ضيق الأُفق، والتّعصب الأعمىٰ، وعلىٰ النّزعة المناهضة للتقدم وانتشار العلم، والنّزعة الطّائفية»[٢]. ويؤكد هذا سبب الحساسية المفرطة، وشعور

---

(١) هل هذه النّهضة المعاصرة خاضعة لسطان العلم؟ لعجاج نويهض ص: ٣١١.

(٢) الأُصولية جيمس بار ص: ٣.

الغرب بالحساسية، والنّفور إزاء المسلمين بهذا الاسم. ولهذه الخلفية لمصطلح الأُصولية حَبْذَّ النّصارىٰ تسميتهم إمّا بـ«الإنجيليون»، أو بـ«الإنجيليون المحافظون»[١].

أمّا نشأة الأُصولية عندهم فأنّها نشأت في بداية القرن التّاسع عشر الميلادي[٢]. لكن الكنائس البروتستانتية انشقت في أوائل القرن العشرين فأصبحت فريقين[٣]:

«١» الأُصوليين.

«٢» العصرانيين.

ثمّ مابين «١٩٠١ - ١٩١٥ م»، نشر الأُصوليون كتيبات، ونشرات، بعنوان الأُصولية، أو الأُصوليات، ركزت فيها علىٰ التّمسك بالتعاليم الدّينية التّقليدية والأفكار المأخوذة من الإنجيل، والاعتقاد بألوهية السّيد المسيح عليه السلام، وعُذرية ميلاده[٤].

ثمّ انتقلت الأُصولية إلىٰ بلاد المسلمين، وجاء هذا الانتقال نتيجة إطلاق ونقل المصطلح من قبل الغربيين مصطلح الأُصولية، ووصموا به طائفة من المسلمين وذلك خلال الفترة الزّمنية من (١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م) حيث زخرت هذه الفترة بأحداث كثيرة منسوبة إلىٰ من يُعلنون الإسلام، ويدعون إليه بغض النّظر عن صدق تلك الدّعوىٰ... ولكن نحن نسمي هذه الفترة الزّمنية: تنامي المدّ

---

(١) المصدر السّابق ص:٣، معجم مقارنة الأديان ص:٢٩٢.

(٢) المصدر السّابق، الموسوعة البريطانية: ٧/٧٧٧.

(٣) مختصر معجم اكسفورد لمّا يتعلق بالكنائس النّصرانية ص: ٢٠٤، مادة fundmentatism.

(٤) الأُصولية جميس بار ص: ٢.

الإسلامي، والصّحوة الإسلاميّة، وظهور المظاهر الإسلاميّة كالحجاب، واللّحية، والدّعوة إلىٰ تطبيق الشّريعة الإسلاميّة[١].

أمّا مصطلح التّطرف فأوّل ما استعمل في إسرائيل، وهو في مقابل الأُصولية عندما بدأ المسلمون يعون ذاتيتهم، ويعودون للإسلام مصدراً للعزة وطريقاً للنصر[٢]. وليس هنالك دليل يدل علىٰ ذلك، غير أنّ دراسة وثائقية نشرت عام (١٤٠٦ هـ) بعنوان «عداء اليهود للحركة الإسلاميّة»[٣]، فيها بعض ما نشر في الصُّحف الإسرائيلية، وأذاعتها الإذاعة الإسرائيلية من مقالات، وأخبار تعكس التّخوف الكبير من المتمسكين بالإسلام، ووصفهم جميعاً بالتطرف.

---

(١) الأُصولية لحسن حنفي ص: ٨، الصّحوة الإسلاميّة المعاصرة، الدّكتور سعد الدّين إبراهيم ص: ٣٩٥.

(٢) مقدمة كتاب الصّحوة الإسلاميّة بين الجحود والتّطرف عمر عبيد حسنه ص: ٧.

(٣) دراسة للأُستاذ زياد أبو غنيمة.

المفهوم الغربي للغلوّ عند المسلمين

يعرض الدّكتور هاربرد كميجيان تحت عنوان «مؤشرات الأُصولية الإسلاميّة»، بعضاً من المؤشرات العملية، والمؤشرات اللّفظية.

فمن المؤشرات العملية يفرّق الكاتب بين المؤشرات الأُصولية السّلبية، وبين الأُصولية الحركية. ثمّ يقول: هنالك ثَمَّة اشتراك بين القسمين:

منها: أداء الصّلوات الخمس في المسجد.

ومنها: المحافظة علىٰ أداء الأركان الخمسة.

ومنها: العمل علىٰ الأخذ بحياة مثالية مع اجتناب ما حرّمه القرآن الكريم.

ومنها: التّأمل الدّيني، وقراءة القرآن، والكتابات الإسلاميّة، والأذكار.

ومنها: المشاركة في الأنشطة الجماعية.

ومنها: إطلاق اللّحية، وقص الشّارب.

ومنها: ارتداء الحجاب للنساء، والجلباب للرجال.

أمّا الفَرق بين الأُصولية النّضالية، والسّلبية: فقد تظهر بفوارق يصعب علىٰ

الإنسان تمييزها.

فمنها: النّمط السّلوكي مع درجة في القوة، والمجاهدة للنفس.

ومنها: الميل إلىٰ السّكن في مناطق معينة، وخاصة الأماكن المنعزلة.

ومنها: الترّدد إلىٰ مساجد معينة[١].

أمّا المؤشرات اللّفظية:

يقول المؤلف النّصراني السّوري الأصل، الأمريكي الجنسية، والأُستاذ المساعد للعلوم السّياسية في جامعة نيويورك: «إنّ هنالك طريقة تبيّن فيها مظاهر الأُصولية من خلال التّعرف علىٰ الكلمات الّتي يرفعونها كشعار، فهي الّتي تُعبّر عن آرائهم:

منها: لفظ الجاهلية، والفساد الأخلاقي في المجتمع.

ومنها: التّوحيد، وهو الإيمان بالله الّذي يُقابل الشّرك.

ومنها: تكديس الأموال، وكراهية المؤمن علىٰ السّلوك غير التّقي، والاتهامات الزّائفة... ويطلقون كلمة الكافر علىٰ الحاكم، أو علىٰ النّصارىٰ، اليهود أعداء الله، والإنسان، طاغوت، ضال، زنديق...»[٢].

لكن خبيراً آخر غربياً يتعرض للإطار العقدي لما أسماه بالتنظيمات الإسلاميّة، والّتي بيّن فيها عدة نقاط:

الإسلام حياة شاملة... ضعف المسلمين يعود إلىٰ انحرافهم عن الإسلام...، وعلىٰ المسلمين اتّباع ما جاء به الوحي...، ودعوة النّاس إلىٰ التّوبة، والعودة إلىٰ

---

(١) راجع الأُصولية في العالم العربي ص: ٨٧.

(٢) المصدر السّابق ص: ٩١.

طريق الله ...، والعقلية الصّليبية، والطّموح الاستعماري هما قوة صهيونية، وهما نتاج تآمري يهودي مسيحي ضد العالم الإسلامي ...، والجهاد واجب علىٰ كلّ المسلمين، والإطاحة بكل الأنظمة الفاسدة ...، وضد الكفار، وخاصة اليهود، والمسيحيون كفار حتّىٰ يشمل الأمر كلّ علماء الدّين الرّسميين[1].

ويقول دانييل بايبر تحت عنوان: «أهداف الأُصوليين الإسلاميين».

«يسعىٰ الأُصوليون الإسلاميون في كلّ قطر من هذه الأقطار الإسلاميّة إلىٰ تطبيق برنامج متحمس اشتقوه من فهمهم للشريعة الإسلاميّة، وهم يرون أنّ كتابهم المقدس يحتوي علىٰ تفاصيل هذا التّطبيق الّذي هو مفتاح السّياسة بالنسبة لهم»[2].

ثُمّ قسم هذا الخبير المتخصص بدراسات الشّرق الأوسط، والمستشار للخارجية الأمريكية المسلمين إلىٰ ثلاث فئات:

«١» علمانيون: وهم المحاكون للغرب، ويرون ضرورة انسحاب الدّين من الحياة.

«٢» إصلاحيون: وهم الّذين يدمجون بين الشّريعة، والمدنية الغربية، ويفسرون الشّريعة بطريقة متطابقة مع طُرق الغرب.

«٣» أُصوليون: وهم الّذين يرون أنّ الشّريعة واجبة التّطبيق بالكامل[3].

ثُمّ يُضيف: ويحظىٰ الشّيعة في إيران، ولبنان، وبعض دول المنطقة بالنصيب

---

(١) ندوة الكونغرس / جون اسبوسيتو / ترجمة وعرض الدّكتور. أحمد خضر، نشرتها مجلة المجتمع العدد ٩١٤ص: ٢٧ و ٢٨.

(٢) مجلة المجتمع، الإسلام والكونغرس عدد ٩٤٢ص: ٣٩.

(٣) المصدر السّابق عدد ٩٧٤ص: ٤٩.

الأكبر من حديث المشاركين في النّدوة مما يدل علىٰ أنّهم استأثروا بالرقعة الكبرىٰ في التّفكير الغربي حول ما يسمىٰ بالأُصولية الإسلاميّة مع أنّ الدّكتور نورثون أُستاذ قسم العلوم الإجتماعية بالأكاديميّة العسكريّة في نيويورك، وحاصل علىٰ شهادة الدّكتوراه من جامعة «شيكاغو»، والّذي كان أحد المشاركين في النّدوة يقول: «إنّ التّطرف ليست سِمة دائمة من سِمات الشّيعة، إنّه رد فعل فقط»[١].

يُخطيءُ بعض الخبراء الغربيين الوجهة القائلة بأنّ الأُصولية الإسلاميّة هي الإرهاب ويقول: إنّ الأُصولية أعم من ذلك إذ يقول: «لقد قضيت من عشر إلىٰ خمس عشرة سَنَة في العالم الإسلامي، وقد تعاملت بصورة طيبة مع عدد من الّذين يُعرفهم العالم اليوم بأنّهم نشطون إسلامياً، ووجدت أنّ الغالبية العُظمىٰ منهم ليسوا بالأرهابيين المتطرفين»[٢]. ويقول: «إنّ هذه الظّاهرة الّتي نُسميها بالأُصولية الإسلاميّة يجب ألا تُفهم في حدود الإرهاب، إنّها أبعد من ذلك»[٣].

ومن هذا وذاك يتبيّن لنا: أنّ الغرب يهتم بالظاهرة باعتبارها ظاهرة سياسية أكثر من كونها ظاهرة دينية، وذلك من خلال أكثر النّدوات الّتي عُقدت في الغرب تديرها أيادي سياسية، ومن خلال البحوث الّتي تُقدم في النّدوات أكثرها عن ظاهرة الغلوّ السّياسي.

ومنها: أنّ تطبيق الشّريعة الإسلاميّة يُعتبر من أبرز ملامح الغلوّ سواء كان منها التّطبيق في الجانب الإيجابي، والسّلوكي للأفراد، أو الجماعة، أو المجتمع.

ومنها: عدم الفصل بين الدّين الحقيقي، والغلوّ، والتّطرف. وهذه النّظرة الضّيقة

---

(١) المصدر السّابق العدد ٩٦٤ص: ٤٣، والعدد ٩٤٨ص: ٣١.

(٢) المصدر السّابق، جون اسبوسيتو العدد ٩١٩، ص: ٤٤.

(٣) المصدر السّابق.

هي الّتي أدت إلىٰ أنّ الغرب ، وخاصة النّصرانية تقع في خطأ كبير جداً. فكما أنّ المسيحية تطلب من النّصراني أنْ يرجع إلىٰ الإنجيل ، فكذلك الشّريعة الإسلاميّة تطلب من المسلم الرّجوع إلىٰ أصل القرآن ، وهذا ليس عيباً ولا خطأً ؛ لأنّ القرآن بحرفه ولفظه من الله عزّ وجلّ ، بخلاف بعض الأناجيل المحرّفة ، ولسنا بصدد بيان أحقية القرآن ، وعدم تحريفه ، وتحريف الإنجيل ، بل إنّ النّصارىٰ هم يعترفون بأنّ الإنجيل ليس كلام الله المدون بالحرف ، ويشهد علىٰ ذلك تعدد الأناجيل عندهم :

« ١» إنجيل متىٰ : ومتىٰ هذا هو أحد الحواريين الإثني عشر عند النّصارىٰ ، وهو يهودي الأصل ، كان جابياً للضرائب عند الرّومان تبع عيسىٰ ﷺ ، ثمّ بعد رفعه انصرف للتبشير في بلاد الحبشة ومات هناك[١] .

« ٢» إنجيل مرقس : وهو أحد أتباع عيسىٰ ﷺ ، ولم يكن من الحواريين ، ولد في القدس، وقام برحلات تنصيرية إلىٰ انطاكية، وقبرص ، ومات بالإسكندريّة[٢] .

«٣» إنجيل لوقا : وهو أحد أتباع المسيح ﷺ ، وهو غير يهودي ، ولد بانطاكية رافق بولس في رحلاته ، ومات باليونان[٣] .

« ٤» إنجيل يوحنا : وهو الّذي تبع عيسىٰ ﷺ ، وكان صياداً يهودياً ، ذهب إلىٰ غرب تركيا ، وألّف إنجيله ، ومات هناك[٤]

---

(١) محاضرات في النّصرانية محمّد أبو زهرة ص: ٤٥ .

(٢) المصدر السّابق ص: ٤٩ .

(٣) المصدر السّابق ص: ٥١ .

(٤) المصدر السّابق ص: ٥٣ ، راجع هداية الحيارىٰ في أجوبة النّصارىٰ لابن قيّم الجوزية ص: ٤٨ ، منحة ⇔

ومن خلال التّتبع التّأريخي لم نجد من علماء المسلمين أحداً كفّر هؤلاء النّاس إلّا بدليل أو ببرهان، ثمّ إنّ الغرب مع الأسف الشّديد يساوي بين العُنف والإرهاب، والجهاد. وهنالك فرق كبير بين المصطلحين، ثمّ إنّهم جعلوا القضية قضية سياسية بحتة، والنّظر إليها من زاوية واحدة وهذا خلل في التّفكير، فالغُلو مرفوض في كلّ الأديان.

⇐ القريب المجيب في الرّد على عباد الصّليب لابن المعمر ص: ٧٣، دراسة الأناجيل الأربعة ص: ١٦، الموسوعة البريطانية: ٦٩٧/١، نقلاً عن حمد السّعدي.

الجذور التّأريخيّة للغلوّ

إنّ مبحث الغلوّ مبحث معقّد وشائك، وظاهرة قديمة قِدم الرّسالات السّماوية، بدرجة إنّه يستوجب من أجل استيعاب دراسته إلماماً كبيراً، وثقافة واسعة في كلّ مايتعلّق به من أُمور. وما كان إرسال نوح عليه السلام، إلّا لوقوع قومه في الغلوّ حتىٰ أوصلوا بعض الصّالحين منهم إلىٰ درجة الالُوهية، ثمّ ظهر الغلوّ في بني إسرائيل، ولذا وردت الآيتان الأُولىٰ: ﴿يَـٰأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَاتَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَاتَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَاتَقُولُواْ ثَلَـٰثَةٌ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾[1]. والثّانية: ﴿قُلْ يَـٰأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَاتَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَاتَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[2]. والنّهي في الآيتين هنا موجهاً إلىٰ بني إسرائيل دون غيرهم.

(١) النّساء: ١٧١.

(٢) المائدة: ٧٧.

أمّا في الإسلام فقد اتضح من موقف ذي الخويصرة ـ حرقوص بن زهير ـ الّذي اعترض علىٰ قسمة الرّسول ﷺ، ثمّ بعد ذلك صار مع الخوارج، وقُتل معهم[١]. وقد قال فيه رسول الله ﷺ: «إنّ من ضئضئي هذا قوماً يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان»[٢] هذا أوّلاً.

وثانياً: لأنّ علماء المقابلة بين الأديان يُصنّفون مراحل أطوار العقيدة إلىٰ ثلاثة أطوار:

(آ): دور التّعدّد الّذي تتعدّد فيه الآلهة بتعدّد القبيلة، أو بتعدّد الأُسرة صغيرة كانت أو كبيرة، فكان لكلّ قبيلة إله تعبده، خاصّ بها.

(ب): دور التّميز والتّرجيح الّذي جاء مصاحباً لفترة التّكتل الاجتماعي في وحدات صغيرة، أو كبيرة، يشملها نوع من التّنظيم السّياسي علىٰ ضفاف الأنهار والوديان. وفي هذا الطّور جرىٰ التّعبد للإله الأكبر، وفي نفس الوقت تتعبّد كلّ قبيلة لإلهها الخاص بجوار التّعبد لذلك الإله. ثمّ خضعت التّكتلات الاجتماعيّة والسّياسيّة ـ لإله واحد ـ وهذا هو الطّور الثّالث والّذي يسمّىٰ بدور الوحدانيّة.

وقد نسبت كلّ المفاهيم، والصّفات الوثنية لهذا الإلٰه، الّذي اتّفقت كلمة الشّعب علىٰ التّعبد والتّهجد له. ثمّ تطور الفكر الإنساني فأخذت فكرة الإلٰه تتهذب حتّىٰ عرفت ذات ـ الله ـ بصفاته المثاليّة، ووحدانيّته المطلقة، حيث لايشبهه في ذاته وصفاته كائن... ويجب له الكمال المطلق، ويستحيل عليه أيّ نقص... حيث عرف أنّه السّبب الأوّل في الوجود، وعلّته الغائيّة[٣]. ولذا نحن

---

(١) نيل الأوطار للشوكانيّ: ١٨٥/٧، البداية والنّهاية: ٣٦٢/٤.

(٢) رواه البخاريّ: ٢١/٩، صحيح مسلم: ٧٤١/٢.

(٣) أُنظر، ماكسي موللر (Maxmuller) في مقدمة كتُبه: Sacred books of the East.

عندما ندرس الغلوّ نجده ينقسم إلىٰ قسمين[١].

أوّلاً: غلوّ بسيط ساذج لم يهدف إلىٰ نتائج علميّة وعقديّة، بل هو عواطف آنيّة يزول بزوال العاطفة، والانفعال نتيجة الحبّ أو البغض.

ثانياً: غلوّ واعي، وفكري يهدف إلىٰ نتائج علميّة مؤثرة في حركة المجتمع والتّأريخ، ولم يَزُلْ، بل يبقىٰ مادامت أُسسه الفكريّة، والعلميّة ثابته، وقويّة، وله روافد، وروّاد، وأنصار.

وإذا درسنا الغلوّ من جهة أُخرىٰ، نجده ينقسم إلىٰ قسمين:

١ ـ غلوّ اعتقادي: وهو مايتعلق بكليات الشّريعة، وإماتة مسائلها، وسُمّيَّ بالإعتقادي؛ لأنّه تعلق بالجانب الإعتقادي، والّذي يكون منتجاً للعمل بالجوارح، كتكفير جماعة، وأفراد، واعتزالهم، أو البراءة من المجتمع العاصي، والغلوّ في كلّ أمر، وهذا هو أشد وأخطر من الغلوّ العملي، وهذا ما غلت به الخوارج لخروجهم علىٰ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام. وهم فُرق شتىٰ، وقد كفّروا كلّ صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّ غلوّهم هذا أدىٰ إلىٰ ظهور فُرق، ونشوء جماعات، بينما غلا أشخاص، وأفراد في السّلوك، والعبادات، لكن غلوّهم لم يؤد إلىٰ ظهور فُرق كالصوفية مثلاً فقد نشأ في بداية الأمر من زهدهم في الدّنيا، وانقطاعهم للعبادة، ثمّ أصبح إلحاداً وخروجاً عن الدّين[٢].

٢ ـ غلوّ جزئي: وهو ماكان متعلقاً بجزئية، أو أكثر من جزئيات الشّريعة الإسلاميّة، وهو المتعلق بباب العمليات سواء كان قولاً باللسان، أم عملاً

---

(١) أُنظر، الغلوّ والفرق الغالِية للدكتور عبدالله سلوم السّامرائيّ ص: ٣.

(٢) أُنظر، هل هذه النّهضة المعاصرة خاضعة لسطان العلم؟ لعجاج نويهض ص: ٢٢ ـ ٢٥، إعتقادات المسلمين والمشركين ص: ٨٧ – ١١٥، حاشية الصّواعق المرسلة للشيخ عليّ الدّخيل: ٢/٤١٧.

بالجوارح، وهو ليس نتاج عقيدة فاسدة؛ كالذي يقوم اللّيل في العبادة فيعّد عمله هذا غلواً عملياً.

أمّا الّذي يعتزل المجتمع، ويراهم عُصاة؛ فهذا غلوّه غلوّ كلّي إعتقادي، ولكن الغلوّ العملي الجزئي إذا انتشر بين المسلمين يؤدي بالتالي إلىٰ ضرر المجتمع، ويصبح غلواً كلياً، وقد نهىٰ رسول الله ﷺ عن ذلك كما ورد في بعض الرّوايات.

عن أنس بن مالك قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد فإذا حبل ممدود بين ساريتين فقال: «ما هذا الحبل؟» قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت به، فقال ﷺ: «حلّوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد»[1].

وورد عن ابن عباس قال: بينما كان النّبي ﷺ يخطب، إذا هو برجل قائم، فسأل عنه، فقالوا: أبو إسرائيل[2]، نذر أنْ يقوم في الشّمس، ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم، فقال ﷺ: «مروه فليتكلم، وليستظل، وليقعد، وليتم صومه»[3].

وعندما ندرس التّأريخ نجد أنّ جذور الغلوّ تمتد إلىٰ ما قبل الإسلام؛ لأنّ الإنسان قبل الإسلام كان يعتقد بالزرداشتيّة، والدّيصانيّة، والمانويّة، والمزدكيّة، واليهوديّة، والمسيحيّة، وغير ذلك من الدّيانات، والطّوائف، والفرق، وبعضها كانت في الأصل ديانات سماويّة صحيحة، منزلة من عند الله، لكن بمرور الزّمن حرّفت، وغيّرت، وقد كان أصحابها متمسكين بأهدابها، وصاروا يجتهدون

(١) رواه البخاريّ: ٢/٦٧، كتاب التّهجد، صحيح مسلم: ١/٥٤١، كتاب صلاة المسافرين.

(٢) لم أعثر علىٰ ترجمته، لكن راجع الإصابة: ٨/١٦٠ و: ١١/١٢ قيل: اسمه يسير، وقيل: قشير، وقيل: هو قرشي، وقيل: أنصاري.

(٣) رواه البخاريّ: ٨/١٧٨، كتاب الأيمان والنّذور، سنن أبي داود: ح رقم «٣٣٠٠».

بالزيادة والنّقصان فيها، ولذا اشتهر عن الفرس مثلاً ميلهم إلىٰ عبادة بعض الظّواهر الطّبيعيّة كالسماء، والضّوء، والنّار، والهواء؛ وجلبت هذه الظّواهر أنظارهم فصاروا يعبدونها علىٰ أنّها كائنات إلهيّة(١). وأطلقوا عليها التّسميّات فسمّوا الشّمس ـ عين الله ـ والضّوء ـ ابن الله ـ والظّلمات، والجدب كائنات إلهيّة شريرة ملعونة ـ وقالوا: «إنّ النّور، والظّلمة أزليان قديمان»(٢)، و «إنّ العالم مصنوع ومركب، من أصلين قديمين أحدهما: نور، والآخر: ظلمة، وأنّهما أزليان»(٣).

وظهر الغلوّ عند ما اتجهت الزّرادشتية إلىٰ عبادة الظّواهر الكونيّة، وبروز زرادشت بن أسفيان. وقيل: ابن يورشب، أو يورشسب، من أُسرة سيتمان، نبيّاً للفرس، ودعا إلىٰ تعاليم جديدة(٤). وقد نادىٰ بفكرة التّناسخ، والّتي دخلت في الإسلام بعد الفتح الإسلامي(٥).

والزّرادشتيّة؛ أصلها من الدّيانة الثّنويّة، والّتي أثبتت: أصلين اثنين، مدبِّرين قديمين، يقتسمان الخير، والشّر... ويسمّون أحدهما: النّور، والثّاني: الظّلمة(٦). وقد أثبت ماني بن فتق بن بابك بن أبي برزام(٧)، في ديانته المانويّة فكرة الحلول الّتي أخذها من الهند حين نُفي إليها، وكان ظهوره أيّام الملك سابور ابن أردشير(٨). وقال: إنّ النّفوس لاتموت، وادّعىٰ بأنّه النّبيّ الّذي بشّر به عيسىٰ عليه السلام، وأنّه خاتم

---

(١) فجر الإسلام للدكتور أحمد أمين المصريّ ص: ١٢٢.

(٢) الملل والنّحل للشهرستاني ص: ٦١٨ الطّبعة الأوربية.

(٣) المصدر السّابق ص: ٦٢٠.

(٤) تأريخ الطّبريّ: ١/ ٩٣، الطّبعة الحسينيّة.

(٥) دائرة معارف القرن العشرين: ٨/٤٥٧.

(٦) الملل والنّحل: ٢/ ٧٢، طبعة القاهرة.

(٧) الفهرست لابن النّديم ص: ٤٧٠.

(٨) نظم الجوهر لابن البطريق ص: ١١١، طبعة بيروت، إيران في عهد السّاسانيين ص: ١٦٩.

النّبيين[١]. وقد تأثر ماني بالديصانيّة وذلك؛ لأنّه أخذ من ابن ديصان، لكن خالفه في المعدل[٢]. ولهذا وضع ديناً بين المجوسيّة، والنّصرانيّة.

وذكر المؤرّخون: أنّ هرمز ملك الفرس اعتنق في بداية الأمر دين ومذهب «ماني»، ودخل علىٰ أثره كثير من النّاس في الدّيانة المانويّة، ولكن الحركة اضطهدت أيّام سابور الّذي لم يظفر بماني، ولكن هرمز ظفر به وقتله، وعلّق جسده علىٰ باب مدينة جنديسابور، الّتي تُعرف الآن ببوابة ماني[٣]. ورغم الاضطهاد والتّنكيل استمرت الحركة المانويّة بعدما تحولت إلىٰ حركة سرية.

ومن الدّيانات الثّنويّة أيضاً: الدّيانة الدّيصانيّة الّتي تُنسب إلىٰ ديصان[٤]. وسُمّي بذلك؛ لأنّه ولد علىٰ نهر يقال له «ديصان»، وإليه أُضيفت الدّيصانيّة، وادّعىٰ مؤسسها: «أنّ النّور خالق الخير، والظُّلمة خالقة الشّر... وإنّ النّور حيّ حساس، والظُّلمات موت»[٥].

وذهب ابن ديصان إلىٰ ماذهب إليه «مرقيون»، من وجود عالم ثالث، ألا وهو «المعدل». والمرقونيّة هي الّتي أثبتت أصلاً ثالثاً، ألا وهو المعدل الجامع وهو سبب المزاج، بالإضافه إلىٰ الأصلين الثّابتين النّور والظُّلمة؛ لأنّها متأثرة بالزرادشتيّة،

---

(١) الغلوّ والفرق الغالِية ص: ٢٣، نظم الجوهر ص: ١١١، الآثار الباقيّة للبيروني ص: ٢٠٧، وراجع الملل والنّحل: ٢/١٢، الفصل لابن حزم: ٥/١٣٧، دراسات العقائد الإسلاميّة ص: ٣٥، مقالات الإسلاميين: ١/٦٦، الزّينة للرازيّ ص: ٣٠٣، البرهان في معرفة أهل الأديان ص: ٦٧، التّبصير في الدّين ص: ١٢٣، الفَرق بين الفِرق ص: ١٧٧، إعتقادات فرق المسلمين ص: ٧٠.

(٢) الملل والنّحل: ١/ ١٩٥.

(٣) أُنظر، الآثار الباقيّة ص: ٢٠٧، الغلوّ والفرق الغالِية ص: ٢٤.

(٤) الغلوّ والفرق الغالِية ص: ٢٤، الملل والنّحل: ١/ ١٩٥، الفهرست لابن النّديم ص: ٤٨٨، مروج الذّهب: ١/ ٢٠٠، التّنبيه والإشراف ص: ٨٩.

(٥) البدء والتّأريخ للمقدسي: ١/١٤٢، طبعة باريس.

والمسيحيّة وذلك؛ لأنّ مؤسسها «مرقيون، وابن ديصان» قد سمعا كلام «عيسىٰ عليه السلام»، وأخذا منه إلىٰ جانب أخذهما من الزّرادشتيّة[١].

أمّا أديان الهند والّتي آمنت بالتناسخ، فجاز عندهم أنْ يكون الحيوان جَدّاً قديماً، أو صديقاً عائداً للحياة[٢].

وللهنود تثليث أوجدوه من آلاف السّنين، وهو مكوّن من «براهما، فيشنو، سيفا»، ويتمثل أصحاب هذه الدّيانة هؤلاء الثّلاثة علىٰ شكل إله واحد، ويعتبرون هذه الأسماء صفات مختلفة له.

«آ» براهما: يطلق عليه اسم «سانج هيانج»، واسمه بالسانسكريتية: (utpeti)، هو الإلاه الخالق حسب معتقدهم، لذلك نسجوا حوله أُسطورة تدور حول عملية الخلق.

إنّه الخالق مانح الحياة، سيِّد الآلهة، وهو القوي القادر الّذي تصدر عنه جميع الأفعال وهو يمثِّل إله الخير، وهو الّذي يرجو رحمته، وكرمه، وعطفه جميع الأحياء، وينسبون إليه الشّمس الّتي يكون بها الدّفء، وانتعاش الأجسام، وتجري بسببها الحياة في النّبات، والحيوان، ويعتقد أنّه خالق الكون علىٰ طريقته.

«ب» فيشنو: ويسمونه الحفاظ، وبلغتهم يسمونه (sthiti). فيشنو إله ممتلىء بالحبّ، والرّحمة، وكثيراً ما يصورونه علىٰ هيئة إنسان جاء ليقدم الخير، والعون للبشر. كلّ صور الخير، والجمال، والحبّ، والعطاء تنسب عندهم لفيشنو، ويساعده في مهمته آلهه آخرون، وفق معتقدهم ومنهم: راما ـ وكرشنا.

---

(١) أُنظر، مروج الذّهب: ١/ ٢٠٠، التّنبيه والإشراف ص: ٨٩، الملل والنّحل: ١/ ١٩٥، الآثار الباقيّة ص: ٢٠٧.

(٢) أديان الهند الكبرىٰ ص: ٢٩.

«وفي التّصور الهندوسي للثالوث الإلهي، حيث براهما يخلق، وشيفا يُدمِّر، فإنّ وظيفة فيشنو هي الحفاظ علىٰ العالم، ولما كانت التّجربة الإنسانية الشّاملة علىٰ وجه التّقريب إنّ الحبّ يُغذي الحياة، ويُبقي عليها فمن الطّبيعي أنْ يتمَّ النّظر إلىٰ فيشنو بوصفه المحافظ علىٰ الوجود علىٰ أنّه التّجسيد للحبّ، وهو تجسيد يبدو واضحاً، كأقصىٰ ما يكون الوضوح في تجليه باعتباره كرشنا، لكن كرشنا ليس إلّا تجلياً واحداً من تجليات فيشنو، ووظيفته الخاصة بالحفاظ علىٰ الوجود تظهر بطرق عديدة مختلفة.

«ج» شيفا: يُنسب إليه الفناء، والدّمار، وهو المُهلك للعالم، ومهمته نقيض مهمة «فيشنو»، ويسمونه بلغتهم (sang kan par an).

شيفا المدمر ينسبون إليه كلّ الأعمال البشعة مثل الشّر، والحروب، والقسوة وجفاف المياه، واصفرار الأوراق...ولكن لفظة «شيفا» أُريد بها التّخفيف حيث معناها الحرفي: العطوف. لكن أين العطوف من الهلاك، والدّمار.

والهندوس، الّذين يشكل شيفا موقعاً في عقيدتهم، وشعائرهم، حاولوا أنْ يفسروا ما يصدر عنه بأنّه بحد ذاته رحمة، وفي الحديث عن شيفا قالوا: «إنّه يُقدم النّعمة الإلهية الّتي بمقتضاها يمكن إزالة ضروب الافتقار الّتي تلوث، والّتي تتجلىٰ في صورة نواقض وعيوب في النّفس المقيدة. ويحمل شيفا في راحة يده اليُسرىٰ العليا لساناً من لهب، يمثل القوىٰ المدمرة الّتي ارتبطت طويلاً بهذا الإله مما يبيِّن بأنّ عبادة شيفا عبادة قديمة في تأريخ الهند، وتراثه.

الثّالوث الإلهي عندهم: خالق هو براهما، وحافظ هو فيشنو، ومُدمر مُهلك هو شيفا. ولهذا الثّالوث تجليات في آلهة أُخرىٰ مثل كرشنا، وراما، وبودا،

وكاليكي. هذه الآلهة يحددون لها مهمات، ووظائف. فهي موجودة من أجل إحلال صفة الرّبانية الطّاهرة في النّفوس، ومحاربة الشّراهة، والنّهم، والنّفس الخبيثة، والكبرياء، والتّفاخر، وذلك بواسطة تعاليمهم الّتي تحث علىٰ السّلام والأمن، والمُثل الرّفيعة للحياة.

أمّا بالنسبة لمصير الإنسان بعد الموت، فإنّ الهندوسية لا تؤمن بحياة آخرة فيها جنة ونار، وثواب وعقاب، وإنّما تربط معتقدها في مصير النّفس بموضوع التّناسخ. فالأنفس تنتقل من بدن إلىٰ آخر، وأعمال الإنسان هي الّتي تحدد مصير النّفس، فإذا سلك سبيل الخير، واتبع الفضائل، انعتقت نفسه من دورة الحياة في الأبدان، واتحدت بالروح الكلية، وإلّا تبقىٰ في هذه الدّورة متنقلة من بدن إلىٰ آخر. ولهذا قالوا بحرق البدن عند الموت، والموت عندهم نهاية لا تجدد لها.

عقيدتهم في النّفس، أو الرّوح المقدس كما يسمونها آتما (atma)، تتلخص علىٰ الوجه التّالي: «لقد أودع الإله في كلّ امرىء نفساً تسمىٰ آتما (atma) وهذه النّفس في البدن بمنزلة السّائق من العَربة»[١].

إنّ عقيدة التّناسخ من أهم، وأخص عقائد «البرهميّة»[٢].

أمّا الدّيانة «الجينيّة» الّتي انبثقت في القرن السّادس قبل الميلاد، كان ظهور «مهاويرا، وبوذا» بالهند، وينحدر مهاويرا من أُسرة من طبقة الكاشتريا الّتي تسيطر علىٰ أُمور السّياسة والحرب، وكان أبوه «سدهارتها»، عضواً في المجلس

(١) موسوعة الأديان في العالم / الدّيانات القديمة ص: ٩٤.

(٢) دائرة معارف القرن العشرين: ٢/ ١٦١، موسوعة الأديان في العالم / الدّيانات القديمة ص: ٩٢ نشر دار كريبس انترناشيونال /ترجمة واشراف الدّكتور جمال بن مذكور.

الّــذي يحكـم المـدينة، أو قـطاع المحـاربين فـيها، وتـزوج «سـدهارتها» مـن بنت رئيس هذا المجلس واسمها«ترىٰ سالا».

وكان مولد مهاويرا سَنَة (٥٩٩ ق.م). وفي اليوم الثّاني عشر لولادته اجـتمع أعضاء الأُسرة في حفل كبير، ودعيت عمة الطّفل لتختار له اسماً كالعادة، غير أنّ والدّيه ذكرا أنّ الأُسره نعمت بالرخاء، والخير منذ حملت به أُمّه، واقترحـا لذلك أنْ يُسمىٰ «وردهاماتا» أيّ الزّيادة، ولكن أتباعه يدعونه «مهاويرا» مدعين أنّـه الاسم الّذي اختارته له الآلهة، ومعناه: البطل العظيم. ويدعىٰ كذلك «جـينا» أيّ القاهر والمتغلب، وبهذا سميت به الدّيـانة الجـينيّة؛ لأنّ مـؤسسيها عـرفوا بـقهر شهواتهم، والتّغلب علىٰ رغباتهم المادية.

وعقائد الجينيّة كما يقول أحد الفلاسفة الهنود: هي حركة عقلية متحررة من سلطان الويدات، مطبوعة بطابع الذّهن الهندوسي العام، أُسِّسَ بنيانها علىٰ الخوف من تكرار المولد والهرب من الحياة اتقاء شائماتها، ومنشؤها الزُّهد في خير الحياة فزعاً من أضرارها، عمادها الرّياضة الشّاقة، والمراقبات المتعبة، ومعوِّلها الجـمود للملذات، والمؤلمات، وسببها التّقشف، والتّشدد في العيش، وطريقها الرّهـبانية، ولكن غير رهبانية البرهمية[١].

فهي تقول بـ«الكارما، والتّناسخ»، والكارما: هي كائن مادي يخالط الرّوح، ولا سبيل لتحرير الرّوح من ربقة هذا الكائن، إلّا بشدة التّقشف، والحرمان مـن الملذات، في كلّ مرحلة من مراحل الحياة، ولتخليص الرّوح من «الكارما» يـظلّ الإنسان يولد ويموت، حتّىٰ تظهر نفسه، وتنتهي رغباته، وإذ ذاك تقف دائرة عمله

---

(١) موسوعة الأديان في العالم / الدّيانات القديمة ص: ١٦٢.

ومعها حياته الماديّة، فيبقىٰ روحاً خالداً في نعيم خالد.

ويطلق بعض الباحثين علىٰ عقيدة التّناسخ تعبيراً آخر هو: «تجوال الرّوح»، والتّناسخ: رجوع الرّوح بعد خروجها من جسم إلىٰ العالم الأرضي في جسم آخر.

وسبب التّناسخ هو (أوّلاً): أنّ الرّوح خرجت من الجسم، ولا تزال لها أهواء وشهوات مرتبطة بالعلم لم تتحقق بعد.

و(ثانياً): أنّها خرجت من الجسم وعليها ديون كثيرة في علاقاتها بالآخرين لا بد من أدائها. فلا مناص إذاً من أنْ تستوفي شهواتها في حيوات أُخرىٰ، وأنْ تتذوق الرّوح ثمار أعمالها الّتي قامت بها في حياتها السّابقة.

فالميل يستلزم الإرادة، والإرادة تستلزم الفعل في هذا الجسد، وإنْ لم يصلح هذا في جسد غيره، فقد خلقت الميول لتُستَوْفَىٰ، وإذا لم تستوف لم ينج الإنسان من تكرار المولد، وإذا اكتملت الميول، ولم يبق للإنسان شهوة ما، وأزيلت الدّيون فلم يرتكب الإنسان إثماً، ولم يقم بحسنة تستوجب الثّواب، نجت روحه، وتخلصت من تكرار المولد، وامتزجت بالبراهما، سواء كان الاكتمال في جسد واحد، أو أجساد متعددة.

فجسد الإنسان المادي هو الّذي يولد من جسدي الوالدّين، وأمّا الّذي يحركه وينشطه ويسيطر عليه فجسد لطيف يتركب من القوىٰ الأساسية والحواس، والقوىٰ الآلية المحركة، والعناصر اللّطيفة، والعقل. فإذا حدّث ما نسميه الموت، مات الجسد المادي وتوقف وبلىٰ، أمّا الجسد اللّطيف فلا يموت، بل يخرج ويعمل مدة من الزّمن في آفاق الكون اللّطيفة الّتي تشبه حالة أحلامنا، فيجرب هنالك الجنة والنّار الّتي تكلمت عنها الكتب الدّينية، ثمّ يعود ـ مسوقاً بالميول والأعمال الماضية ـ كرّةً أُخرىٰ إلىٰ هذه الحياة متقمصاً جسداً جديداً، وتبدأ بذلك دورة

جديدة لهذه الرّوح.

ومن الشّروط اللازمة لتجوال الرّوح، أنّ الرّوح في عالمها الجديد لا تذكر شيئاً عن عالمها السّابق، فكل دورة منقطعة تماماً بالنسبة للروح عن سواها من الدّورات.

وهنا تلتقي الدّيانة الهندوسية مع الأديان السّماويّة في جانب؛ ولكنها سرعان ما تبتعد عنها، فنقطة الالتقاء هي خلود الرّوح وحسابها علىٰ ما قدَّمتْ، ولكن الأديان السّماويّة ترىٰ الرّوح كائناً مستقلاً بجسم، فهو يحاسب علىٰ ما ارتكب مع هذا الجسم، ويتم الحساب بعد أنْ يعترف الإنسان بأخطائه ويذكِّره بها لسانه الّذي نطق، ويده الّتي امتدت، ورجله الّتي سارت.

وقد تسرب القول بالتناسخ إلىٰ قلة من المسلمين، يقول ابن حزم افترق القائلون بتناسخ الأرواح علىٰ فرقتين، فذهبت الفرقة الأُولىٰ إلىٰ أنّ الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد إلىٰ أجسام أُخرىٰ، وإنْ لم تكن من نوع الأجساد الّتي فارقت، وهذا قول أحمد بن حافظ، وأحمد بن ناموس تلميذه، وأبي مسلم الخراسانيّ، ومحمّد بن زكريا الطّبيب الّذي صرح بذلك في كتابه الموسوم «العلم الإلهي». وهو قول: القرامطة، وقال الرّازيّ في بعض كتبه: لولا أنّه لا سبيل إلىٰ تخليص الأرواح من الأجساد المتصورة بالصورة البهيمية إلىٰ الأجساد المتصورة بصورة الإنسان، إلّا بالقتل والذّبح، لما جاز قتل شيء من الحيوان، أو ذبحه البتة [١].

أمّا الدّيانة البوذيّة فهي تؤمن بـ«التّأمّل الباطني»، والرّحمة، وإنكار الذّات وهي إحدىٰ الدّيانات الكبرىٰ في الشّرق[٢]. وادعت أنّه ينبغي أنْ نتجرد من

---

(١) موسوعة الأديان في العالم / الدّيانات القديمة ص: ١٢٦.

(٢) الإسلام الصّراط المستقيم: ٢ / ١٨٧.

الوعي، ومن لباس الجسد حتىٰ ندخل في النّرفانا... والنّرفانا: هي حالة يتجرد فيها الإنسان من الآلام، ويشعر بسعادة عُلْيا... ثمّ زعموا أنّها ـ النّرفانا ـ هي الإله ... وهو ليس ذاتاً، وإنّما هو حالة يمكن للإنسان أنْ يصل إليها، إذا تجرد من وعيه وإحساسه، أو إذا أنكر جسده، وتخلص عنه كليّة... بالموت، أو بالانتحار، وبدون ذلك لايمكن أنْ يعرف الإنسان شيئاً عن هذا الإله...[1].

والكارما والتّناسخ: أساس لأديان الهند، والطّريق واحد تقريباً في هذه الأديان للتخلص من تكرار المولد، وهذا التّخلص هو أسمىٰ ما يتطلع له الهنود، وذلك الطّريق يتمثل بوجه خاص في قتل الشّهوات، والرّغبات، والتّوقف عن عمل الخير والشّر، وإذا استطاع الإنسان أنْ يجتاز هذا الطّريق، وصل إلىٰ الانطلاق، أو النّجاة، أو النّرفانا، الّتي لا تختلف مدلولاتها اختلافاً ذا بال.

ويمكن أنْ نصنف البوذية اليوم في نوعين هما:

«١» هينايانا (hinaiana)، أو العجلة الصّغيرة...ويرتدي كهنتها ثوباً أصفر اللّون ويحلقون رووسهم، وعليهم الإلتزام بعدد من القواعد الكهنوتية شديدة التّعقيد، مثلاً: لا يسمح لهم تناول أي طعام بعد منتصف النّهار، ولا يسمح لهم بحمل أي نقود أو ملكية، وهي أصغر أشكال البوذية. وأتباعها يعتبرون أنّ بوذا ليس إلّا مجرد رجل وضع بعض القواعد للسلوك، وهو ليس إلهاً يُعبد. ولا تزال توجد في سريلانكا أشهر آثار بوذا وهي إحدىٰ أسنانه.

«٢» ماهايانا (mahiana)، أو العجلة الكبيرة...وهي شكل منحرف

---

(١) أُنظر.

What The Great Religians Believe Byjosehgaer

The new American library newyork

للبوذية، وأتباعها يعتبرون بوذا إلهاً، ويعبدون الرّوح الّتي ألهمت بوذا، وهم يؤمنون بالملائكة والشّياطين، وتؤمن بعض طوائفهم بوجود الجنة والجحيم، وأنّه لا بد من مرور الرّوح بهما قبل أنْ تصل مرتبة النّيرڤانا.

وقد توزعت «المهايانا» الّتي انتشرت في الشّمال مذاهب، منها مذهب «زن» في اليابان الّذي يهتم بالتأمل، والتّركيز، والتّجربة الرّوحية، ومذهب اللامية في منغوليا، ومناطق التّيبت، وهو مذهب مفتوح للجميع ويركز علىٰ الفضائل كالرحمة والإحسان، والصّدق والإعتدال، ويحذر من الخطايا[1].

---

(١) موسوعة الأديان في العالم / الدّيانات القديمة ص: ٢٠٦.

الجذور النّفسية للغلوّ

إنّ الغلوّ ناتج : أمّا من عوج في نفسية المُغالي، ومتأصل فـيه تأصـل الآفـات النّفسية الأُخرىٰ [1]. ودراسات علم النّفس التّربوي والطّب النّفسي دلت بوضوح علىٰ أن شخصية المتطرف شخصية مريضة، وأنّ هنالك خصائص عديدة مشتركة بين المتطرفين، وبين مرضىٰ العقل [2].

وتوجد أسباب كثيرة لهذا المنحىٰ والاتجاه، نذكر منها بعضاً علىٰ سبيل المثال لا الحصر:

«١» العزلة. «٢» الاكتمال قبل الأوان. «٣» الدّونـية. «٤» الاسـتعلاء. «٥» الحركية. «٦» العدوانية الفاشية. «٧» عدم التّسامح. «٨» الارتيابية ـ الإسقاط ـ «٩» نظرة تآمرية. «١٠» المثالية ـ الإحساس بالواجب ـ «١١» القسوة ـ الجرأة ـ «١٢» الطّاعة ـ الإلتزام [3].

---

(١) كتاب حذار من التّدين المغشوش لمحمّد الغزاليّ ص: ٤٢.

(٢) راجع محددات التّطرف الدّيني في مصر لسمير أحمد نقلاً عن مجلة المستقبل ص: ١١٢.

(٣) راجع الأُصولية في العالم العربي، هارير دكميجان ص: ٥٨ - ٦٣.

هذه الملامح مأخوذة من مقياس الفاشية في علم النّفس، تأليف اللّجنة اليهودية الأمريكية، وهي محاولة لفهم أسباب الاتجاهات المُعادية للسامية، إطاعة الألمان المطلقة لـ«هتلر»، ويخلص هؤلاء إلىٰ نتيجة وهي أنّ التّعصب: «هو اضطراب في الشّخصية يمثل المخاوف المرضية النّفسية الأُخرىٰ»[١].

وأمّا ناتج عن البيئة الّتي يعيش فيها كما يقول أحد المتخصصين في الدّراسات النّفسية: «إذا وجد الإنسان واقعاً لا يقبله فإنّه يلجأ لا شعورياً إلىٰ ردّ فعل معاكس لهذا الواقع، وكلما كان الدّافع قوياً كلما كان رد الفعل قوياً، بل وقد يؤدي إلىٰ التّطرف، والعنف»[٢].

ويقول الدّكتور فؤاد زكريا: «ومجمل القول: أنّ ما يُسمىٰ بالإرهاب في عصرنا الحاضر هو في كثير من الحالات شخص لا يحمل تكويناً نفسياً يوجهه إلىٰ الإرهاب، وإنّما هو شخص يعتنق قضية ما تؤثر علىٰ سلوكه وعلىٰ اختياراته إلىٰ حدّ قد يتعارض أحياناً مع تكوينه النّفسي[٣].

وقد مال إلىٰ هذا الرّأيّ بعض الباحثين الغربيين حيث قال أحدهم: «إنّ سلاح التّكفير أصبح واقعاً تحت التّأثير الشّديد للضغط الثّقافي، والاجتماعي، والسّياسي، الّذي تعرض له بعض الجماعات من خلال المجتمع المصريّ»[٤].

ويمكن استنتاج النّقاط التّالية حول جذور الغلوّ النّفسية:

---

(١) الاتجاهات التّعصبية لمعتز عبد الله ص: ١٨ و ١٣٠.

(٢) لقاء في جريدة الأخبار مع الدّكتور محمّد شعلان أُستاذ، ورئيس قسم الأمراض العصبية / جامعة القاهرة في ١٩٨٩/١/٧م.

(٣) مقدمة سيكلوجيا الأرهاب وجرائم العنف ص: ١٠.

(٤) النّبي والفرعون لجيلز كيبل ص: ٦٦.

«١» وجود خلل في التّركيبة النّفسية للغالي في الجملة، وهذا شأن فردي يظهر دائماً في النّفسية غير السّوية ولكن هذه القاعدة غير مطردة.

«٢» وجود ضغوط نفسية قوية تؤدي إلىٰ اختلال الشّخصية النّفسية، وهذا لا يعني أنّه يُولد معوج النّفس، بل نرىٰ البعض يستجيب لهذه الضّغوط فتولد عنده ردة فعل قوية جداً، وخاصة عند الشّباب الّذي يفقد التّربية، والظّروف البيئية غير الصّالحة. ومع الأسف الشّديد نرىٰ أنّ أكثر الكتابات عن الغلوّ تنظر إلىٰ هذا نظرة جماعية لا نظرة فردية، وبالتالي يصبح المجتمع كلّه مُغالياً نتيجة هذه النّظرة، والضّغوط الاجتماعية، والدّولية، وهذا بخلاف العلل النّفسية الّتي تكون قصيرة الضّرر.

«٣» الغلوّ قد ينشأ من الظّروف السّياسية، والثّقافية، والاجتماعية، فيولد انعكاساً سلبياً من خلال قاعدة الفعل ورد الفعل، أو لكل فعل رد فعل، وهو تعبير عن ظواهر وأنماط فكرية عملية تعبّر عن عدم الرّضا بهذه الظّواهر.

ونتيجة التّراكم الكمي للمشاكلّ النّفسية، والتّوتر النّاجم من الظّواهر السّلبية فتكون الشّرارة الأُولىٰ لتفجير الموقف لمّا لاقوه هؤلاء من ضغوط شديدة في السّجن مثلاً من تعذيب، وقتل، وتشريد، ولذا نشأت فكرة محاربة الأنظمة ورد الاعتداء بالقوة[1]، أو غُربة الإسلام وتعاليمه في أكثر ديار المسلمين، وهذه الغُربة تعمل عملها في نفسية المسلم وخصوصاً الشّباب[2]، أو الاتهام، والاستهزاء، كما يرد في الصّحافة، والإعلام، ولكثرة التّهويل والتّضخيم، بلا أدلة في أُصول الدّين[3]، أو التّضييق علىٰ الإسلام، وفتح المجال للاتجاه العلماني، ومصادرة

---

(١) لماذا أعدموني سيد قطب ص: ٩٥.

(٢) الصّحوة الإسلاميّة بين الجحود والتّطرف للقرضاوي ص: ١٠٨.

(٣) التّدين المنقوص لفهمي هويدي ص: ٢١٦.

الحرية، وانتشار الفساد، والتّحلل الأخلاقي. ولذا دفع بعض إلىٰ القول بجاهلية المجتمعات وكفرها، وكذلك أنحراف بعض من علماء احتراف العلم، حيث اتخذوه مهنة، ولم يتخذوه رسالة، وكذلك الهزائم العسكريّة، والسّياسية، والاقتصادية والتّبعية في السّلوك والأخلاق، والتّعليم والتّغريب، والعلمنة، وغياب دور العلماء والتّخلي عن مهامهم، والتّآمر علىٰ الدّين، وغلبة الحياة المادية، وسقوط الخلافة.

إنّ الغلوّ يقع في إطار أيّ تيار عقدي أو ديني، سواء أكان تيار شريحة وصفوة، أم تيار أُمّة في الأديان وغير الأديان، من المذاهب والعقائد، ووجوده في التّيار الإسلامي الّذي هو تيار أُمّة ليس وصفاً نشازاً، بل هو متسق مع واقع الحياة الفكرية للبشر[١].

والسّؤال الّذي يطرح نفسه: هل أنّ أصل الغلوّ استجابة لمشكلة سلوكية وانعكاس لعوامل داخلية متعلقة بحياة الفرد، أو لتأثيرات بيئية مضطربة، أو رد فعل لفعل خاطيء كاعتلال فكري، أو انحراف عن الحقّ.

يقول أحد المتخصصين في الدّراسات النّفسية: «إذا وجد الإنسان...»[٢]، أو هو مؤشر، أو انعكاس لتعثر النّظام السّياسي، والاجتماعي، في مواجهة الأزمات الدّاخلية، والخارجية»[٣]، أو هو أنّ مرضىٰ الغُلاة لديهم ـ القابلية للغلو ـ[٤].

وقال أحد الأساتذة: «أنّ تحليلي لموقف هذا الشّباب المتشدد، أوصلني إلىٰ أنّ

---

(١) راجع جريدة الوطن، مقال للدكتور محمّد عمارة في ٢٤/١٠/١٩٨٨م.

(٢) سبقت الإشارة إليه.

(٣) مصر تراجع نفسها الدّكتور، سعد الدّين إبراهيم ص: ٢٢.

(٤) التّطرف، وأبعاده السّلبية لفهمي هويدي ص: ١٤، التّطرف الدّيني، وأبعاده السّلبية رجاء العربي ص: ٢ و٣.

تطرفه نتيجة لتطرف مضاد، أو أنّه رد فعل، وليس فعلاً»[١].

وقال محمّد عمارة هو: «رد فعل لعنف مضاد»[٢].

ومع الأسف الشّديد أنّ بعضهم لا يفرّق بين غلوّ الأفراد، وغلوّ الأُمّة.

بالنسبة للأفراد مشكلة مرحلية، بينما للأُمّة مشكلة دائمية.

وهنالك أحاديث تدل علىٰ الغلوّ في الأفراد مرحلية تنتهي بمرور الزّمن بانتهاء الفرد. فمثلاً أنّ لكل عامل شرة ـ النّشاط والرّغبة ـ وفترة ـ ليناً بعد شدة ـ فقال ﷺ: «لكل عمل شرة، ولكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلىٰ سنتي فقد اهتدىٰ، ومن كانت فترته إلىٰ غير ذلك فقد هلك»[٣].

وفي رواية أُخرىٰ: «ذكر لرسول الله ﷺ رجال يجتهدون في العبادة اجتهاداً شديداً، فقال: تلك ضراوة الإسلام، وشرته، لكل ضراوة شرة، ولكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلىٰ اقتصاد وسُنَّة، فلإمٍّ ما هو ـ أيّ قصد الطّريق، أو علىٰ الطّريق ـ ومن كانت فترته إلىٰ المعاصي فقد هلك»[٤].

ففي هذا الحديث وغيره، يصل الإنسان إلىٰ درجة معيّنة من الاجتهاد في الدّين، ثمّ يقوده هذا إلىٰ الشّدة، والتّمسك، ولكن بعد فترة يهدأ، فإذا انتهت إلىٰ سَنَة فهذا ليس بغلو. أمّا إذا تجاوز الحدّ، فهو غلوّ كما قال ﷺ: «لن يشادّ الدّين أحد إلّا غلبه»[٥]. والمعنىٰ هو: أنّ لا يتعمق في الدّين، ويترك الرّفق الّذي جاءت به

(١) جريدة عكاظ السّعودية مقال الدّكتور، عبد الصّبور شاهين: ١٩٨٨/٦/١٥م.

(٢) مقال في جريدة الوطن الكويتية الدّكتور، محمّد عمارة في: ١٩٨٨/١٠/٢٨م.

(٣) راجع مسند أحمد بن حنبل: ١٨٨/٢، وشرح المسند لأحمد شاكر: ١٩٢/٩.

(٤) رواه أحمد: ١٦٥/٢، وشرح المسند: ٥٠/١٠.

(٥) رواه البخاريّ: ١٦/١، صحيح النّسائيّ: ٢١/٨.

الشّريعة، كما قال ﷺ: «جئتكم بالشريعة السّهلة السّمحاء»، أو كما قال ﷺ: «أحب الدّين إلىٰ الله الحنيفية السّمحة»[١]، وربما بعد ذلك يتبين خطأ هذا الفرد ويرجع إلىٰ الحقّ والصّواب، كما وقع لزينب زوج رسول الله ﷺ، ولأبي إسرائيل، والنّفر الثّلاثة.

أمّا في الأُمّة فهذه المشكلة ليست محلية، بل هي عالمية، سواء في العالم الإسلامي أو في العالم الغربي، ولكنها تتفاوت في الحدة واللّين ـ الضّعف ـ تبعاً للعوامل والظّروف، وليس كما يدّعي بأنّ التّطرف والغلوّ هو جاء من المريخ، بل العكس، كما اطلق علماء الاجتماع استغاثة تقول: «المتطرفون ليسوا من المريخ»[٢].

إذاً تحديد مفهوم الغلوّ، يجب أنْ يكون قائماً علىٰ الكتاب والسُّنَّة، ولا قيمة لأي تحديد قائم علىٰ خلافها، كما يقول القرضاوي: «لا قيمة لأي بيان أو حكم هنا، ما لم يكن مستنداً إلىٰ المفاهيم الإسلاميّة الأصيلة، وإلىٰ النّصوص والقواعد الشّرعية الثّابتة، لا إلىٰ الآراء المجردة»[٣].

ويقول النّدوي: «لا شك أنّ هنالك تطرفاً، ومغالاة، وتزمتاً، وجموداً، هذه كلها حقائق واقعية، ولكن تطبيقها علىٰ الأشخاص، وتطبيقها علىٰ حوادث خاصة، وعلىٰ مدارس فكرية خاصة، يحتاج إلىٰ عدل، يحتاج إلىٰ وزن دقيق»[٤].

وقال أيضاً: «إنّ الوصف بالغلو، أو رفع هذا الوصف عن فرد، أو فئة، يختلف

---

(١) صحيح البخاريّ: ١/١٦، الأدب المفرد ص: ١٠٩، ح ٢٨٨.
(٢) مصر تراجع نفسها لسعد الدّين إبراهيم ص: ١٣.
(٣) الصّحوة الإسلاميّة بين الجحود والتّطرف ص: ٢٤، وما بعدها.
(٤) علماء ومفكرون عرفتهم: ١/١٢٥.

باختلاف الأحوال والبيئات، فإنّ الخروج علىٰ الأحكام الجائرة الّتي تحارب الإسلام، يمكن أنْ يكون جهاداً، وذلك عند كفر المحاربين كفراً بواحاً قام عليه البرهان، ويمكن أنْ يكون غلواً، إذا لم يكن المحارَبُون كفرة، ولم يقم البرهان علىٰ كفرهم، وذلك بحسب اختلاف الحال»[١].

وقال القرضاوي أيضاً متسائلاً عن التّطرف ودلائله؟ ثمّ أجاب بست دلائل عن الغلوّ، نكتفي بذكرها فقط:

«١» التّعصب للرأيّ، وعدم النّظر للرأيّ المخالف.

«٢» إلزام جمهور النّاس بما لم يلزمهم به الله.

«٣» التّشديد في غير محله.

«٤» الغلظة والخشونة.

«٥» سوء الظّن بالناس.

«٦» السّقوط في هاوية التّكفير.

(١) فقه الدّعوة ملامح وافاق «مجموعة لقاءات» ص: ٢٥.

كيفية دخول الغلوّ في الإسلام

من المعلوم والثّابت تأريخيّاً أنّ رسالة الإسلام قد نَسَخَتْ جميع الرّسالات قبلها، لقول الله عزّوجلّ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[1] ودعوة نبيّ الإسلام ﷺ، إلىٰ النّاس كافة، فلايجوز بعد مجيء الإسلام أنْ يكون للبشر عدة أديان يدينون بها، بل دين واحد، وربّ واحد، ونبيّ واحد، ومن لا يدين بدين الإسلام يُعد كافراً.

وبعد ظهور الإسلام حدث تصادم شديد بين الإسلام، والدّيانات الأُخرىٰ، كما يذكر النّشّار[2]: «قابلت اليهوديّة، الإسلام أوّل نشأته علىٰ حدود يثرب واشتبكت معه اشتباكات عنيفة... وبدأ الجدال بين الإسلام، والمسيحيّة في هضبة الحبشة في حقيقة المسيح وفي الكلمة... ثمّ أتىٰ وفد نصراني من نصارىٰ نجران إلىٰ المدينة وجادل النّبيّ ﷺ، ثمّ وصل الإسلام إلىٰ الشّام، والعراق، ومصر، فبدأت المسيحيّة تنازعه فكريّاً، ومن هنا بدأ التّفكير الفلسفيّ الحقيقي في الإسلام. أمّا

---

(١) آل عمران: ٨٥.

(٢) نشأة الفكر الفلسفيّ في الإسلام للدكتور سامي النّشّار ص: ١٣.

المذاهب الغنوصيّة[١]؛ فقد قابلها الإسلام بحزم وشدّة، في جميع البلاد الّتي دخلها بلا استثناء، قابلها بين النّهرين، وفي العجم، وقابلها في مصر، في شكل يوناني، وفي شكل الأفلاطونيّة المحدّثة، وقد بدأ معول تلك المذاهب الهدامة الّتي جالدت الإسلام، وحاربته، بالسيف، والقلم.

وكانت عبادة الأوثان، والعقائد الباطنيّة منتشرة أيضاً، فاليهوديّة منتشرة في حمير، وبني كنانة، وكندة، والنّصرانيّة في ربيعة، وغسان، وبعض قضاعة، والمجوسيّة في تميم... والزّندقه في قريش، أخذوها من الحيرة[٢].

وبعد هذا وذاك دخل في الإسلام يهود، ونصارىٰ، وصابئة، ومجوس، ثمّ كان فيهم مشركون[٣]. وقد ثبتت هذه العقائد في نفوس أصحابها، وانتقلت معهم بعد دخولهم الإسلام نتيجة التّلقين كما يقول أبو العلاء المعريّ: «... ويلقن الطّفل النّاشيء ما سمعه من الأكابر، فيثبت معه في الدّهر الغابر، والّذين يسكنون الصّوامع، والمتعبدون في الجوامع، يأخذون ما هم عليه كنقل الخبر عن المخبر، لايميزون الصّدق من الكذب لدىٰ المعبّر، فلو أنّ بعضهم ألفىٰ الأُسرة من المجوس لخرج مجوسيّاً، ومن الصّابئة لأصبح لهم ديناً سيّا»[٤].

---

(١) الغنوصيّة: مذهب تلفيقي يجمع بين الفلسفة، والدّين، ويتوصل بنوع من الكشف إلىٰ المعارف العُليا، ويقوم علىٰ أساس فكرة الصّدور، ومزج المعارف الإنسانيّة بعضها ببعض، ويشتمل علىٰ طوائف من الآراء المضنون بها علىٰ غير أهلها، وفيه تلتقي الأفكار القباليّة بالافلاطونيّة الحديثة وبعض التّعاليم الشّرقيّة، وكان له أثره في التّفكير الفلسفيّ في المسيحيّة والإسلام ويقصد بالغنوصيّة الآن المذاهب الشّرقيّة، كالزرادشتيه، والمانويّة، والمزدكيّة.

(٢) أُنظر، الحور العين لنشوان الحميريّ ص: ١٣٦.

(٣) تأريخ الفلسفة الإسلاميّة لمصطفى عبد الرّازق ص: ١٠١.

(٤) رسالة الغفران للدكتورة بنت الشّاطيء ص: ١٨٢.

ويقول الدّكتور حسن ظاظا: «الظّاهر أنّ الغنوصيّة اليهوديّة، مع مرور الزّمن تلونت ألواناً، وتجزأت طوائف ربّما كان منها طائفة البهائيّة، والصّابئة، في بدايتها وهم الّذين يسمون كذلك «المندائيين»[١].

ويقول الدّكتور نعيم بدوي: «إنّ في الأدبيات المندائيّة، شاهداً مُهماً علىٰ عقيدة الغنوصيين في أزمانها القديمة، الّتي قد تعود إلىٰ ما قبل المسيح، وإنّ هناك آراء ودراسات تفترض إرجاع أصلهم إلىٰ بدء نشوء المسيحيّة، وتنعتهم بأنّهم أتباع، وتلاميذ «يوحنّا المعمدان»، معاصر للمسيح[٢].

إذاً كلّ فرقة وديانة غالت في أصحابها، وتجاوزت الحدّ في الإطراء في نبيّها فمثلاً:

النّصارىٰ تجاوزوا الحدّ في عيسىٰ عليه السلام، حتّى ألّهوه فنقلوه من منزلة النّبوّة إلىٰ منزلة الأُلوهيّة ـ إلهاً دون الله ـ فقال بولس إلياس في معرض الرّدّ علىٰ أُلوهيّة المسيح: «أمّا المسيح فلم يفصل بين تعاليمه وشخصيته، ولا نَسب إلىٰ سواه ما أتاه من معجزات بخلاف بقيّة الأنبياء، لكنه جعل نفسه موضوع تعليمه؛ لأنّه إله وابن الله.

وفي ردٍّ علىٰ سؤال آخر: «نعم إنّ المسيح إله وقد أعلن أُلوهيته بتصرفاته وتصريحاته».

وقد ظهرت عقيدة التّثليث قبل القول بأُلوهيّة عيسىٰ عليه السلام، ويعتبر التّثليث أحد أهمّ أسرار النّصرانيّة، ويحددّ أنّه إله واحد في ثلاثة أشياء «أب، ابن، روح القدس»، ثلاثة أقانيم، أو أُصول، كما يسمونها. ويزعمون أنّها سرّ الأسرار

---

(١) الفكر الدّيني الإسرائيلي ص: ٢٨٩.

(٢) مجلة آفاق عربية: ٤/ ٥٠ عام ١٩٧٥م.

لايستطيع العقل البشري إدراكه، إنّما الله أوحىٰ بها فأصبح التّسليم بها واجباً ولو بشكل أعمىٰ.

أمّا الُوهيّة روح القدس فقالوا: «روح القدس عندنا غير روح الله، وليس روح الله شيئاً غير حياته، فإذا قلنا: روح القدس مخلوق فقد قلنا: أنّ روح الله مخلوقة، وإذا قلنا: أنّ روح الله مخلوقة؛ زعمنا أنّه غير حيّ فقد كفرنا، ومن كفر؛ فقد وجب عليه اللّعن»(١).

وأردف ابن البطريق أحد مؤرخيهم بقوله: «أثبتوا إنّ الأب، والابن، وروح القدس، ثلاثة أقانيم، وثلاثة وجوه، وثلاث خواص، وحديّة في تثليث، وتثليث في وحديّة، كيان واحد في ثلاثة أقانيم، إله واحد، جوهر واحد، طبيعة واحدة» تعالىٰ الله عما يشركون: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾(٢)، بل غلوّ حتّىٰ في أتباعه، وأشياعه، ممن زعم أنّه علىٰ دينه، فادعوا فيهم العصمة؛ لأنّهم ناصروه واتبعوه، وحملوا دعوته، وكانوا في الأصل اثني عشر رجلاً، يقال لهم: الحواريون، والرُّسل، وهم كما في إنجيل متىٰ(٣):

١ ـ سمعان المعروف باسم بطرس.

---

(١) أنظر، دراسة الأديان ص: ١، نقلاً عن المسيحيّة ص: ١٣٣.

(٢) الإخلاص: ١ ـ ٤.

(٣) الكتب المقدسة عند النّصارىٰ في الأصل: هو كتاب واحد ألا وهو الإنجيل كتاب الله المُنزل علىٰ المسيح، ورسالته لأُمته؛ لكن تولّىٰ تلاميذ المسيح نشر الدّعوة فتعددت المدارس، وبعد تعدد المدارس، واشتداد لهجة الخلاف بدأت الأناجيل الأربعة في الظّهور علىٰ يد واصفيها: متىٰ، ومرقس، ولوقا، ويوحنّا. وهناك إنجيل غير معترف به وهو إنجيل برنابا علىٰ الرّغم من حذف أشياء مهمة فيه تتعلق بالإسلام، وبالنبيّ محمّد ﷺ.

٢ ـ انداروس أخو سمعان.

٣ ـ يعقوب بن زبدي.

٤ ـ يوحنا أخو يعقوب.

٥ ـ فيلبيس.

٦ ـ برمثمو لماوس.

٧ ـ توما.

٨ ـ متى العشار.

٩ ـ يعقوب بن حلفي.

١٠ ـ بتاوس الملقّب تدّاوس.

١١ ـ سمعان القانوني (الغيور).

١٢ ـ يهوذا الأسخربوطي (الخائن) الّذي أُختير مكان متياس.

كثر الأتباع، وكثرت المجامع، واشتد العداء بين أتباع موسىٰ، وعيسىٰ عليهما السلام فكان ردّ الفعل عنيفاً بينهما، حيث أنّ عداوة اليهود البغيضه لعيسىٰ عليه السلام وأتباعه، المسفهة لآرائهم، ودعوتهم ولّدت الغلوّ والانحراف، والزّيغ، من جانب النّصارىٰ لعيسىٰ عليه السلام ! فابتكروا أُمميّة الدّعوة، وعموم الرّسالة، وخرجوا بها إلىٰ أماكن متعدده.

ونتيجة لهذا فاليهود أيضاً غالوا في تحقير عيسىٰ عليه السلام، وإهانته، وكفروا به، حتّىٰ قذفوا أُمّه العذراء مريم عليها السلام، ثمّ قالوا: إنّا قتلنا المسيح عيسىٰ عليه السلام، وما قتلوه يقيناً بل شُبّه لهم، وقد اعتادوا قتل أنبياء الله فقتلوا من قبل يحيىٰ، وزكريا عليهما السلام.

وعقيدة النّصارىٰ الّذين آمنوا بعيسىٰ عليه السلام، هي الإيمان بالله الواحد القهّار، لكن بمرور الزّمن تناول الأتباع الإنجيل بالتحريف، والزّيادة، حتّىٰ أصبح أربعة أناجيل

يناقض بعضها بعضاً . وصارت الكنيسة هي المهيمنة المتسلّطة فقالوا : إنّ المسيح الاله انقلب فأصبح إنساناً ، وعاش مع النّاس كواحد منهم ، وقُتل بيد اليهود ، ودفْن ؛ ثمّ خرج من قبره وصعد للسماء ، وقد احتمل ـ تحمل ـ هذه الآلام لينقذ المؤمنين به من الخطيئة الّتي ارتكبها أبوهم آدمعليه السلام ؛ لأنّ المسيح حسب اعتقادهم له شخصيّتان : اللاهوت ، والنّاسوت ـ إلهيّة ، وإنسانيّة[1] .

وقد اختلف النّصارىٰ إلىٰ طوائف وملل شتىٰ ، لكن من أهمّ الفرق عندهم هي :

١ ـ فرقة مقدونيوس : وهؤلاء أبعدوا التّوحيد رسميّاً عن الدّيانة المسيحيّة .

٢ ـ النّسطوريّون : وهؤلاء يعتقدون أنّ مريم العذراءعليها السلام لم تلد الإله ، بل ولدت فقط الإنسان الّذي اتّحد بعد ولادته بالأقنوم الثّاني ، وليس ذلك بالإتحاد المزجي وجعله شيئاً واحداً ، بل هو إتحاد مجازي[2] .

أمّا اليهود فعقيدتهم بوجود الله ووحدانيّته ، فهم يعتقدون بذلك ، وأنّه خالق السّموات والأرض ، وهؤلاءهم الأسباط أولاد يعقوبعليه السلام ، الإثنا عشر الّذين انحدرت منهم القبائل الإسرائيليّة ، والّذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَانُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ

(١) أُنظر ، قصة محاكمة المسيحعليه السلام ، وصلبه في إنجيل متىٰ ، الأصحاح ص: ٢٧ ، مختصر التّحفة الإثني عشرية ص: ١٠ .

(٢) أُنظر ، مقارنة الأديان ـ المسيحيّة ـ للدكتور عبد السّلام الحلوانيّ ص: ٢٤ ، مقارنة الأديان للدكتور أحمد شلبيّ ص: ٨٧ ، محاضرات في النّصرانيّة للشيخ محمّد أبي زهرة ص: ١٥٤ .

مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[1].

والأسباط هم:

١ ـ رأوبين.

٢ ـ شمعون.

٣ ـ لاوي.

٤ ـ يهوذا.

٥ ـ دان.

٦ ـ نفتالي.

٧ ـ جاد.

٨ ـ أشير.

٩ ـ يساكر.

١٠ ـ زبلون.

١١ ـ يوسف.

١٢ ـ بنيامين.

لكن اليهود الّذين جاءوا من بعدهم لم يستطيعوا أنْ يستقروا علىٰ هذه الحالة التّوحيديّة، بل اتجهوا إلىٰ التّجسيم، والتّعدد، والنّفعيّة، حيث صوّروا الله في صور مجسّمة تشبه البشر، ووصفوه بكثير من صفات النّقص، والضّعف، والكذب والجهل، والغفلة ـ والعياذ بالله ـ ولم يتخلّوا قط عن عبادة العجل، والكبش،

(١) آل عمران: ٨٤.

والحمل[١].

وتقرر التّوراة قصة العجل الّذي عمله لهم السّامري، فعبدوه بعد أنْ تأخر عنهم موسىٰ عليه السلام، في العودة إليهم حينما ذهب لمناجاة الله سبحانه وتعالىٰ.

ولدىٰ اليهود فرق كثيرة يختلف بعضها عن بعض في النّظرة إلىٰ التّوحيد ومن أهم الفرق هي:

١ ـ الفريسيون: ويطلق عليهم اليهود المنعزلون، وهم أكثر معاداة للمسيح والنّصارىٰ.

٢ ـ القراؤون: وهؤلاء لايعترفون إلّا بالعهد القديم، ولا يعترفون بالتلمود.

٣ ـ الصّدوقيون: وهؤلاء ينكرون الجنّة، والنّار، والحساب، والعقاب، والملائكة، والشّياطين.

٤ ـ المتعصّبون: وهؤلاء يعتقدون بالمسيح المنتظر.

٥ ـ السّامريّون: يقول هؤلاء: إنّ توراتهم هي الصّحيحة دون غيرها، وهم يؤمنون أيضاً بالمسيح المنتظر؛ ويعتقدون أنّ يهوة هو الله ويصوّرونه أنّه يشرب ويأكلّ، ويفتك بأعدائه، ويتمشىٰ في الجنّة، ويخشىٰ مركبات الجبال[٢].

وكثير من الطّوائف المسيحيّة يقولون بتجسيم الذّات الإلهيّة، وأنّ له وجهاً وعيوناً، وجفوناً، وآذاناً، وأنفاً، وفماً، وذراعاً، وقدمين، وغير ذلك، ويقولون: إنّه سكن الجبال. وقد اعتبروا الله كائناً بشريّاً، فكلّ الصّفات الّتي يقولون بها تتماشىٰ مع صفات بني البشر، حتّىٰ قالوا ـ والعياذ بالله ـ إنّه ينسىٰ، ويندم، ويشجّع علىٰ السّرقة، وكثير من هذه الألفاظ الّتي تنطلي علىٰ السّذج.

ولذا نرىٰ في دعائهم له: «يا أبانا! انتبه في رقدتك كم تنام؟» وأنّه تعالىٰ يندم،

---

(١) أنظر، قصة الحضارة: ٢/ ٣٣٨.

(٢) أنظر، دراسة الأديان: ١/ ٦٧.

وقد ندم فعلاً ـ والعياذ بالله ـ وبكىٰ علىٰ الطّوفان الّذي أغرق بـه النّـاس قـديماً، وعضّ أنامله آسفاً، وحزناً»[١].

وقالوا: إنّ قلم التّقدير، والقضاء، حينما جرىٰ علىٰ الأشياء في الأزل، استحال أنْ تتعلق المشيئة بخلافه، ومن أجل ذلك قالوا: يدّ الله مغلولة عن القبض والبسط، والأخذ والعطاء، فقد جرىٰ فيها قلم التّقدير، ولايمكن فيها التّغيير. ومن الغريب أنّهم ـ قاتلهم الله ـ التّزموا بسلب القدرة عن الله، ولم يلتزموا بسلب القـدرة عـن العبد، مع أنّ الملاك في كليهما واحد، فقد تـعلّق العـلم الأزلي بأفـعال الله تـعالىٰ، وبأفعال العبيد علىٰ حدّ سواء[٢].

فالإفراط والتّفريط، كلاهما سيّئة وكفر، ولذا ورد في صحيح البـخاريّ عـن الرّسـول ﷺ: «لا تـطروني كـما طـرت النّـصارىٰ عـيسىٰ، وقـولوا: عـبد الله ورسوله»[٣].

فالإطراء: هو مجاوزة الحدّ في المدح، والكذب فيه. قال أبو السّعادات: أيّ لا تمدحوني بالباطل، ولا تجاوزوا الحدّ في مدحي.

وقوله: «إنّما أنا عبد، فقولوا: عبد الله»، أيّ لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غلت النّصارىٰ في عيسىٰ عليه السلام فادّعوا فيه الإلهـيّة، وإنّـما أنـا عـبد الله، ورسـوله، فصفوني بذلك كما وصفني ربّي، فقولوا: عـبد الله، ورسـوله فأبىٰ المـشركون إلّا مخالفة أمره، وارتكاب نهيه، وعظّموه بما نهاهم عنه، وحذّرهم مـنه، ونـاقضوه أعظم مناقضة، وضاهوا النّـصارىٰ في غـلوّهم وشركـهم، ووقـعوا في المحـذور،

---

(١) أُنظر، موقف الإسلام من الوثنيّة ص: ٢٦٦.

(٢) أُنظر، البيان في تفسير القرآن الكريم للسيّد الخوئيّ: ١/٣٨٦.

(٣) صحيح البخاريّ: ٤/١٤١ و ١٤٢، الدّر المنثور للسيوطيّ: ٢/٢٤٩، الموطأ: ١/١١ و١٢.

وجرىٰ منهم من الغلوّ والشّرك شعراً ونثراً، وصنّفوا فيه المصنّفات.

يحصل تعظيم الرّسول بتعظيم أمره ونهيه، والاهتداء بهـدية واتـباع سـنّته، والدّعوة إلىٰ دينه الّذي دعا إليه ونصرته، وموالاة من عمل به ومعاداة من خالفه.

فعكس أولئك المشركون ما أراد الله ورسوله علماً وعملاً، وارتكبوا مـا نهـىٰ الله ورسوله.

معنىٰ الكفر، وخطورة التّكفير باسم الغلوّ

الكفر لغة: الكاف، والفاء، والرّاء، أصل صحيح يدل علىٰ معنىٰ واحد، وهو السّتر والتّغطية، يقال لمن غطىٰ درعه بثوبه قد كفَرَ درعه، والمكفر الرّجل المتغطي بسلاحه [1].

والكفر هو ضد الإيمان وسمّي ذلك؛ لأنّه تغطية للحقّ، وكفران النّعمة جحودها، وسترها[2].

الكفر اصطلاحاً: فتارةً يرد في النّصوص: هو المخرج عن الملة، وتارةً يراد بها غير المخرج عن الملة. وأنّ للكفر شُعباً كما أنّ للإيمان شُعباً، منها ما يوجب الكفر، ومنها ما هي خصال الكفار.

قال ابن سلاّم: «وأمّا الآثار المرويات بذكر الكفر، والشّرك، ووجوبها بالمعاصي، فإنّ معناها عندنا ليست تثبت علىٰ أهلها كفراً، ولا شركاً، يزيلان الإيمان عن صاحبه، وإنّما وجوهها: أنّها من الأخلاق، والسّنن الّتي عليها الكفار

(١) معجم مقاييس اللّغه: مادة «كفر».

(٢) راجع معاجم اللّغة: مادة «كفر».

والمشركون»[١].

وقال ابن قيّم الجوزية: «... إذاً الكفر كفران: كفر أصغر، وهو الموجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود، وكفر أكبر وهو الموجب للخلود في النّار»[٢].

وقد وردت النّصوص القرآنية في الكفر الموجب للخلود في النّار: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾[٣].

فالكفر في سورة «الأنعام»: هو كفر تكذيب الرُّسل، وكذلك في سورة «النّمل». أمّا الكفر في سورة «إبراهيم»: فهو كفر الإباء، والاستكبار، مثل كفر إبليس. وأمّا في سورة «البقرة»[٤]، هو كفر نفاق، وهناك كفر الشّك والعراض. فهذه هي الّتي تخرج الفرد عن الملة.

أمّا الكفر الأصغر: يتناول جميع المعاصي؛ لأنّها من خصال الكفار، كما في سورة «الإنسان»: ﴿إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[٥]. وفي سورة «النّمل»: ﴿قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾[٦]. وكذلك يراد بها المعاصي كما ورد في صحيح البخاريّ[٧]، كتاب الفرائض باب من ادّعىٰ إلىٰ غير أبيه.

---

(١) الإيمان ص: ٩٣.

(٢) مدارج السّالكين: ٣٣٧/١، ومن كتاب الصّلاة ص: ٥٣ و ٥٥.

(٣) البقرة: ٢٥٣. وأُنظر، البقرة: ٢٥٧، وآل عمران: ٨٦، والنّمل: ١٤، والأنعام: ٣٣، إبراهيم، ١٠.

(٤) الآية: ٨.

(٥) الإنسان: ٣.

(٦) النّمل: ٤٠.

(٧) جزء: ١٩٤/٨.

وصحيح مسلم[1]. كتاب الايمان «لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن ابيه فهو كفر».

وجاء «ليس منا من رجل ادّعىٰ لغير أبيه، وهو يعلمه إلّا كفرَ»[2].

والحكم علىٰ الإنسان بالكفر مزلق خطير، وتترتب عليه آثار عظيمة، فلا يجوز لمسلم أنْ يُكفر أخيه، إلّا بدليل، أو برهان.

فقد روي عن رسول الله ﷺ: «إذا قال الرّجل لأخيه ياكافر فقد باء به أحدهما»[3].

ومن الأُصول المقررة في الشّريعة الإسلاميّة عدم تكفير مرتكب المعصية مالم يستحلها قال الطّحاوي: «ولا تكفّر أحداً من أهل القبلة بذنب مالم يستحله، ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله»[4].

وقال النّووي: «اعلم أنّ مذهب أهل الحقّ: أنّه لا يكفّر أحدٌ من أهل القبلة بذنب، ولا يكفّر أهل الأهواء والبدع، وأنّ مَن جحد ما يعلم من دين الإسلام ضرورة حُكم بردته وكفّره، إلّا أنْ يكون قريب عهد بالإسلام...»[5].

وقال ابن حجر: «..علىٰ أنّ المؤمن إذا ارتكب معصية لا يكفر، بأنّ الله تعالىٰ

---

(١) جزء: ٨٠/١.

(٢) صحيح البخاريّ: ٢١٩/٤، كتاب المناقب باب ٥ و: ١٨/٨، كتاب الأدب باب ما ينهىٰ عن السّباب واللّعن، صحيح مسلم: ٧٩/١، كتاب الإيمان، وهذا مايسمىٰ كفر النّعمة.

(٣) البخاريّ: ٣٢/١، صحيح مسلم: ٧٩/١، مسند أحمد: ٤٧/٢، وراجع أحاديث آخر في البخاريّ: ٣٢/٨، سنن أبي داود: ح ٤٦٨٧، مسند أحمد: ٣٣/٢ و: ١٦٦/٥، وصحيح مسلم: ٧٩/١.

(٤) العقيدة الطّحاوية مع شرحها ص: ٣٥٥.

(٥) شرح النّووي علىٰ صحيح مسلم: ١٥٠/١.

أبقىٰ عليه اسم المؤمن»[١].

وقال البخاريّ: «... المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفّر صاحبها بارتكابها إلّا الشّرك، وكلّ هذا لا يخرجه عن الملة، ولا يجوز تكفيره»[٢].

ولكن مع الأسف الشّديد وصل الأمر، أنّ بعض الجماعات كفّرت كلّ من خرج منهم، لا من خرج عليهم، ولذا قال بعضٍ لا يجوز تعدد الجماعات المسلمة، بل يجب أنْ تكون جماعة واحدة هي جماعة المسلمين، والخروج علىٰ هذه الجماعة يعد كفّراً.

ورب سائل يسأل ما موقفكم من الأحاديث الواردة بخروج المفارق للجماعة؟

والجواب هو: أنّ هذه الأحاديث لا تعني إلّا فراق الجماعة بالردة عن دين الإسلام؛ لأنّ الإسلام دين العدل والوسطية، لذا نهىٰ عن الانحرافين: «الغلوّ والتّقصير»، و«الأفراط والتّفريط»، والإسلام دين اليسر لا العسر، والتّسامح لا الغدر والاعتداء، ولذا نجد أنّ كثيراً من الكتابات حول مشكلة الغلوّ تنبع من اتهام الغُلاة بالعمالة، أو الخيانة، أو بأنّهم خوارج، أو روافض، أو بأنّهم كفار، أو نحو ذلك؛ فإنّ هذه الألفاظ هي ألفاظ شرعية لا تطلق جزافاً، بل بناءً علىٰ ضوابط وقواعد شرعية؛ ونحذر أيضاً من الأزدواجية الّتي أدت إلىٰ إضرام النّار في قلوب المعتدلين فضلاً عن الغُلاة، فمن الواجب علىٰ المسلمين قادة، علماء، عامة، خاصة، مثقفون، كتاب، فقهاء، متخصصون، أنْ يحذروا من الخلط بين الصّحوة الإسلاميّة، وبين الغلوّ، وكذلك بين من يرفع عقيرته بحجّة الحرية الشّخصية ويدعو للعري في الشّوارع، وعلىٰ الشّواطىء، ولا يرفع له صوت في المقابل.

---

(١) الفتح المبين: ١/٨٥.

(٢) صحيح البخاري: باب المعاصي.

وقفة، وتأمل

من المغالطات الّتي تدور علىٰ ألسن وأقلام المؤرخين، والمستشرقين والإسلاميين معاً، في القديم والحديث، زعمهم أنّ التّشيع هو مصدر الغلوّ، والشّيعة هم الغُلاة الّذين نشروا الغلوّ في الإسلام، وذلك في وصفهم للإمام عليّ عليه السلام وموقفهم منه. ونحن لانريد أنْ ننكر بأنّ هذا الغلوّ وبالمعنىٰ الّذي نقصده وهو الحبّ، والموالاة، غير موجود بالمرة، بل هو موجود فعلاً، أمّا غيره فهو منحصر في دائرة معينة من النّاس، وهي دائرة البسطاء، والجهلة، من الشّيعة وعند بعض الفرق المنسوبة إلىٰ الشّيعة زوراً. وأنّ موقف الإماميّة منه واضح جدّاً وسيتضح من خلال البحث. وليت شعري فإنّ ذلك ليس مما تختصّ به الشّيعة فحسب، بل شأنهم شأن الآخرين ممن يغالون، فقد غالىٰ غيرهم في الخليفة الأوّل، والثّاني، وحتّىٰ في معاوية، الّذي زعم بعضهم بأنّه كان نبيّاً، وها هي الفرقة اليزيديّة في شمال العراق، لازالت تعتقد بأنّ يزيد بن معاوية كان ملكاً من الملائكة.

إنّ التّحدّي الصّارخ، والتّهمة الموجّهة للشيعة الإماميّة، والتّشنيع بهم بهتان

ودعوىٰ بلا دليل، فالإماميّة تنكر الغلوّ بمختلف أشكاله. ولكن بعض الفرق والإتجاهات الباطنيّة، والّتي نضجت وصارت مذاهب ينتحيها ذوو الغايات والأغراض الخاصّة، فتعددت مقالاتهم، وفرقهم، كما نجدها في بطون الكتب من أمثال السّبأية، والخطابيّة، والمُغيريّة... إلخ، علماً بأنّ هذه الحركات، والفرق لا صلة، ولا علاقة لها بالتشيع أصلاً، كما سيتضح في الفصل القادم.

وقد افتعل العباسيّون مذاهب شتىٰ، فالتصوّر السّائد عن هذه المذاهب بأنّها شيعيّة تصور خاطيء وباطل، بل هو محض إفتراء وكذب.

إنّ قليلاً من البحث والتّتبّع، يقود الباحث والمؤرّخ المنصف، إلىٰ حيث صدور، ومصدر الغلوّ ويقف علىٰ حقيقته. أمّا الّذي لايبحث عن التّأريخ، ويتعمق فيه، ويغور في أوساطه، ويكتب حول الغلوّ بجهل وعصبيّة، فهو من أشد الحاقدين علىٰ الإسلام، وعلىٰ الشّيعة الإماميّة، فلايهمّه معرفة الحقّ والدّفاع عنه بقدر مايهمّه تزوير الحقيقة، وتحقيق مآربه الشّيطانيّة، مردداً دائماً المقالات المفتعلة الّتي يرددها خصوم الشّيعة من أمثال: ابن تيمية، وابن كثير، والقصيميّ، وموسىٰ جار الله، وأحمد أمين الكاتب المصريّ، والدّكتور الشّيبيّ، والدّكتور عميد الأدب العربيّ طه حسين. وقد ساروا بذلك علىٰ خُطىٰ من أظهر الإسلام واستبطن الكفر من أمثال معاوية بن أبي سفيان، الّذي نصب هو ورهطه المشؤوم، العداوة والبغضاء، لآل البيت الطّاهر بفرضه سبّ الإمام عليّ عليه السلام علىٰ منابر المسلمين، وبعد كلّ فريضة. وقد وصف الدّكتور النّشّار ـ معاوية ـ بالغنوصي[1]. وهو الوثني المجوسي الّذي لم يؤمن أبداً[2]، وسرعان ما أُطلق عليه الطّليق ابن الطّليق، والوثني ابن الوثني، فمهما قيل فيه، ومهما حاول علماء المذهب السّلفي المتأخّر، وبعض أهل

---

(١) نشأة الفكر الفلسفيّ في الإسلام للدكتور سامي النّشّار: ٢/ ١٩.

(٢) أُنظر، بقايا الوثنية العربية، طبعة برلين الأُولىٰ سَنَة ١٨٨٧، والطّبعة الثّانية سَنَة ١٨٩٧.

السُّنَّة من وصفه، ووضعه في نسق صحابة رسول الله ﷺ؛ فإنّ الرّجل لم يؤمن بالإسلام أبداً، كما ثبتت غنوصيّة أبي سفيان، وغنوصيّة مسيلمة الكذّاب، فقد دعا النّواصب معاوية «خال المؤمنين»، وذلك؛ لأنّ أُخته أُم حبيبة بنت أبي سفيان كانت زوجة الرّسول ﷺ.

ومات الطّليق ـ معاوية ـ آخر الأمر بعد أنْ قتل جماعة من كُبّار الصّحابة صبراً ـ كحجر بن عدي ـ وأصحابه.

مات بعد أنْ اَجبر النّاس بالبيعة، لإبنه يزيد وانتهىٰ الأمر إلىٰ ملك غاشم جاهلي.

ومن هذا وذاك رُبط تأريخ التّشيّع بتأريخ الغُلاة، وحصل الخلط الشّنيع في الأُمور العقائديّة، ولو أنّ هؤلاء استعملوا العقل، والانصاف، والحياد في الدّراسة الموضوعيّة؛ لوجدوا أنفسهم مبتعدين عن الواقع، وظهر لهم الخلاف، والبون الواسع بين الشّيعة، والغُلاة، رغم أنّ عصر الإمام الصّادق عليه السلام مثلاً كان عاجّاً بالحركات السّياسيّة، والفلسفيّة، وعلم الكلام، وكانت الحلقات يربو رجالها علىٰ الألف، كلّ منهم يقول: حدّثني جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام. بالإضافة إلىٰ ما وفد إلىٰ الكوفة من رعايا يحملون معهم مخلفات الدّيانات القديمة كالزرادشتيّة، والمانويّة، والّذين عرفوا بحمراء الدّيلم[1]. وكان نشاطهم واضحاً ومحسوساً حتّىٰ أنّ البعض منهم ادّعىٰ مدعيّات كاذبة، وباطلة علىٰ الإمام الصّادق عليه السلام.

فهذا سُوسن النّصراني أوّل من نطق بالقدر، بعد أنْ أظهر الإسلام، وأخذ عنه معبد الجهنّي وعن معبد أخذ غيلان[2]. ولكن بعد أنْ عاد سُوسن إلىٰ نصرانيّته؛

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص: ٢٨٩.

(٢) الفرق للبغداديّ ص: ٧٠.

ترك وراءه الأفكار الوثنيّة تعجّ بها أوساط المسلمين.

وهذا ابن كلاب من بابيّة الحشويّة، قال عنه عباد بن سليمان: أنّه نصراني. وقال أبو العباس البغوي عنه أيضاً: دخلنا علىٰ فيثون النّصراني وكان في دار الرّوم في الجانب الغربي فجرىٰ الحديث... إلىٰ أنْ سألته عن ابن كلاب فقال فيثون: «رحم الله عبد الله - اسم ابن كلاب - كان يجيئني فيجلس إلىٰ تلك الزّاوية وأشار إلىٰ ناحية من البيعة، وعنّي أخذ هذا القول. ولو عاش لنصرنّا المسلمين»[1] أيّ لجعلناهم نصارىٰ.

ومن أمثال سوسن، وابن كلاب كثير، متفرقون في أهل الحديث، والفقه وأصحاب التّأريخ، وأهل الكلام والفلسفة، فقد يلبس اليهوديّ ثوب الإسلام ويدّعي لنفسه ما يدّعي للمسلم المحدّث الفقيه، ويندس في الوسط الإسلامي ويأخذ علىٰ عاتقه هدم المبادىء الإسلاميّة، والتّشكيك، فهم يدّعون الإسلام من جهة، ويعملون علىٰ هدمه من جهة أُخرىٰ.

وممّا تقدم يظهر لنا أنّ حركة الغلوّ كانت بعيدة كلّ البُعد عن أهل بيت النّبوّةعليهم‌السلام بصورة خاصّة، وعن الإسلام بصورة عامّة. وهل يعقل إنّ مثل بيان بن سمعان[2]، الّذي تجرّأ علىٰ الإمام الصّادقعليه‌السلام وخاطبه بقوله: «أسلم تسلم، وتنج تغنم فإنّك لاتدري أين يجعل الله النّبوّة، والرّسالة، وقد أعذر من أنذر»[3] ويريد من الإمام الصّادقعليه‌السلام أنْ يكون أحد أتباعه.

---

(١) الفهرست لابن النّديم ص: ٢٥٦.

(٢) الملل والنّحل: ١/١٥٢، الفصل لابن حزم: ٤/١٨٥، الفرق بين الفرق ص: ١٤٥، مقالات الإسلاميين ص: ١/٦٦، خطط المقريزي: ٣/٢٩٦، شرح المواقف: ٨/٣٨٥.

(٣) فرق الشّيعة ص: ٣٠، الملل والنّحل: ١/١٥٣، بحار الأنوار: ٢٥/٢٧١.

فماذا يفعل الإمام عليه السلام، أمام هذه الجرأة، وإزاء هذا الإدعاء الخطير الّذي لم يكن خطراً فقط علىٰ التّشيع، وإنّما كان خطراً علىٰ رسالة الإسلام؟ فكيف يُعد هذا الرّجل من أصحاب الإمام عليه السلام وينسب إليه وعلىٰ الشّيعة؟ فهل هذا هو المنطق السّليم الّذي يجعل هذه الحركات، والفرق الشّاذة من الشّيعة، ويسجلها في سجلهم؟

فالّذي يسجل هذه الفرق والحركات، ما هو إلّا مغرض ومبغض، ولأجل غرض سياسي محض ربط كلّ هذا بالشيعة، كما ربط غيره حركة الزّنادقة بالشيعة كما يذكر عبد الرّحمن بدوي: «وأنّه كانت هناك رابطة بين الزّندقة والشّيعة، إذ رأينا كيف كان الانتساب إلىٰ الشّيعة الرّافضة دليلاً علىٰ الزّندقة، وداعياً إلىٰ الإتهام بها»[1]. فلم يكن كلّ الّذين اتهموا بالزندقة هم فعلاً زنادقة، وإنّما كان بعضهم يُتهم لأسباب سياسيّة، كما اتّهموا بعض الهاشميين الّذين يريدون القضاءَ عليهم، فقد اُتّهم أحد أبناء داود بن عليّ العباسي، ويعقوب بن المفضّل، واُوتي بهما إلىٰ الخليفة المهديّ وحكم عليهما بالزندقة[2].

إنّ عقيدة الإماميّة الّتي غرسها المصطفىٰ صلى الله عليه وآله، في حقل الإسلام الخصيب وتعهدها في حياته حتّىٰ نمت علىٰ يده، ويد رهط كبير من أجلّ الصّحابة، ومن الموالاة لأخيه عليّ عليه السلام، والتّمسك بالثقلين ـ الكتاب والعترة ـ وبقيت علىٰ صفتها وحدّها لاتتعداه، ولاتتجاوزه، إلىٰ أن تولّىٰ الإمام عليه السلام منصب الإمامة. فظهر في أثناء حياته قوم أرادوا إخراجه عليه السلام من حدّ العبوديّة إلىٰ حدّ الاُلوهيّة، ولكن لمّا بلغه ذلك أنكره أشدّ الإنكار، وحرقهم بالنّار. لكن الشّيبيّ عدّ عمر بن الخطاب

(١) أنظر، تأريخ الإلحاد في الإسلام لعبد الرّحمن بدوي ص: ٣٩.
(٢) أنظر، تأريخ الطّبريّ: ٢/ ٤٩٠، الجهشياريّ ص: ٨٩.

مغالياً في النّبيّ ﷺ، حيث أنكر علىٰ المسلمين نبأ وفاته، وبقي مصرّاً علىٰ أنّه ليس كغيره ممن يصبه الموت، وأخذ يتهدد ويتوعد كلّ من يقول، أو ينسب إليه موت الرّسول ﷺ وقال: لا أسمع رجلاً يقول: مات رسول الله. إلّا ضربته بسيفي.

وقال أيضاً: من قال: إنّه مات، علوت رأسه بسيفي، وإنّما ارتفع إلىٰ السّماء[1].

ولذا قال حافظ إبراهيم شاعر النّيل في قصيدته العُمرية:

يصيح: مَن قال نفس المصطفىٰ قبضت ... علوت هامته بالسيف أبريها

لكن الخليفة الأوّل نبّه عمر بن الخطاب إلىٰ الآية الكريمة: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾[2] الّتي تَعِده بالموت، كما مات من قبله الأنبياء، والرُّسل.

ويذكر الشّيبيّ أنّ الغلوّ السُّني ظهر قبل الغلوّ الشّيعيّ في عليّ والأئمّة عليهم السلام في صور صارخة كما رُفع حيوان ـ الجمل ـ الّذي كانت عائشة تمتطيه إلىٰ مصاف الرّوحانية، حين طافت به قبيلتا ضبّة، والأزد، يحمونها من سيف عليّ عليه السلام، وقد أخذوا من بعره يشمونه ويقولون: «بعر جمل أُمّنا عائشة ريحه طيّب، أطيّب من ريح المسك». وأردف الدّكتور الشّيبيّ قائلاً: وإذا بلغ من تسلط العاطفة علىٰ أصحاب الجمل أنْ يغلوا في جمل عائشة؛ لم يكن غريباً علىٰ شيعة عليّ عليه السلام أنْ

(١) أنظر، تأريخ الطّبريّ: ٣/ ١٩٨، الشّرح لابن أبي الحديد: ١/ ١٢٨، تأريخ ابن كثير ٥: ٤٢ تأريخ أبي الفداء: ١/ ١٥٦، المواهب اللّدنيّة للقسطلانيّ، روضة المناظر لابن شحنة، هامش الكامل: ٧/ ١٦٤، شرح المواهب للزرقانيّ: ٨/ ٢٨٠، السّيرة النّبويّة لدحلان، هامش الحلبيّة: ٣/ ٣٧١، ذكرىٰ حافظ للدمياطيّ: ٣٦ نقلاً عن الغزاليّ.

(٢) آل عمران: ١٤٤.

يرفعوا من زعيمهم بما كان عليه من مناقب لا تحتمل الجدل، إلىٰ مصاف الإنسانيّة الكاملة؛ لأنّ الإمام عليّاً عليه السلام خليق بكل محبّة وإجلال، وبكل صورة للهيام، والعشق في قلوب المسلمين، وهو انشودة الإسلام الكُبرىٰ حتّىٰ مصرعه العنيف في الكوفة في عام نَحْسٍ أغبر، في عام ظلام حالك مدلهم، كتب السّواد والفرقة علىٰ المسلمين لأحقاب طوال تعاقبت بعده[1].

والخلاصة: لا نقول إلّا كما قال الإمام زين العابدين ـ عليّ بن الحسين ـ عليه السلام: «لعن الله من كذب علينا، إنّي ذكرت عبد الله بن سبأ فقامت كلّ شعرة في جسدي، لقد ادّعىٰ أمراً عظيماً ماله لعنة الله، كان عليّ عليه السلام والله عبداً لله، صالحاً، أخا رسول الله»[2].

---

(١) نشأة الفكر الفلسفيّ في الإسلام: ٢/١٨.

(٢) الشّيعة والسُّنّة ص: ٣٠، رجال الكشيّ ص: ١٠٠.

الغلوّ في التّفسير

أمّا المفسّرون فقد تابعوا الوضع اللّغوي في معنىٰ الكلمة، ولم يتجاوزوه إلىٰ معنىٰ زائد عليه، وقال البغوي في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَاتَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾[1] أيّ، لاتتجاوزوا الحدّ.

والغلوّ، والتّقصير كلّ واحد منهما مذموم في الدّين[2].

والزّمخشري في تفسيره[3] جعل الغلوّ غلوّين:

١ ـ غلوّ حقّ: وهو أنْ يفحص عن حقائقه، ويفتش عن أباعد معانيه، ويجتهد في تحصيل حُجّجه، كما يفعل المتكلّمون مع أهل العدل، والتّوحيد ـ رضوان الله عليهم.

٢ ـ وغلوّ باطل: وهو أنْ يتجاوز الحقّ ويتخطاه؛ بالإعراض عن الأدلة، وأتباع الشُّبه، كما يفعل أهل الأهواء والبدع[4]. وكلا المعنيين ناظر إلىٰ الأصل

---

(١) النّساء: ١٧١.

(٢) تفسير البغوي ص: ٥٥.

(٣) الكشاف للزمخشري: ١/٥٨٤.

(٤) الكشاف: ١/ ٦٣٥.

اللّغوي.

وقال القرطبيّ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿لَاتَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ﴾[١] فنهىٰ عن الغلوّ الّذي هو التّجاوز عن الحدّ[٢].

والشّوكانيّ تابع الزّمخشري في تقسيم الغلوّ إلىٰ حقّ، وباطل، فغلوّ الحقّ: هو إبلاغ كلية الجهد في البحث عنه، واستخراج حقائقه فليس بمذموم. والباطل: هو مجاوزة الحدّ[٣].

وفي تبيان شيخ الطّائفة قال في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿لَاتَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ﴾[٤] معناه لا تتجاوزوا الحدّ.

وفي روح المعاني للآلوسي، الغلوّ: مجاوزة الحدّ، والإفراط المنهي عنه[٥].

وذكر في تفسير ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾[٦] قيل: تكذيب وردّ علىٰ عَبَدَةِ عيسىٰ عليه السلام وقيل: إنّ أبا رافع القرظي، والسّيد النّجراني قالا: يا محمّد! أتريد أنْ نعبدك ونتخذك ربّاً؟ فقال صلى الله عليه وآله: «معاذ الله أنْ نعبد غير الله، وأنْ نأمر بغير عبادة الله، فما بذلك بعثني، ولا بذلك أمرني». فنزلت هذه الآية.

وقيل: قال رجل: يا رسول الله! نسلّم عليك كما يسلّم بعضنا علىٰ بعض؟ أفلا نسجد لك؟ قال: لاينبغي أنْ يسجد لأحدٍ من دون الله، ولكن أكرموا نبيكم

---

(١) النّساء: ١٧١.

(٢) الجامع الأحكام القرآن للقرطبيّ، تفسير سورة النّساء: ١٧١.

(٣) فتح القدير: ٦٥.

(٤) النّساء: ١٧١.

(٥) الجزء: ٣/ ٥٩٣.

(٦) آل عمران: ٧٩.

واعرفوا الحقّ لأهله.

يتبيّن من هذا وذاك أنّ الاستعمال في اللّغة، والتّفسير واحد. وهو الارتفاع ومجاوزة الحدّ. وبهذا تستوي جميع المذاهب، فليس مذهب إلّا وفيه غلوّ وارتفاع، وإلىٰ هذا أشار ابن حزم في فصله فقال: قال أبو محمّد: وقد تسمىٰ باسم الإسلام من أجمع جميع فرق الإسلام علىٰ أنّه ليس مسلماً، مثل طوائف من الخوارج غلواً فقالوا: إنّ الصّلاة ركعة بالغداة، وركعة بالعشي فقط.

وآخرون استحلّوا نكاح بنات البنين، وبنات البنات، وبنات بني الإخوة، وبنات بني الأخوات، وقالوا: إنّ سورة يوسف ليست من القرآن. وقال آخرون بحدّ الزّاني والسّارق، ثمّ يستتابون من الكفر فإنْ تابوا وإلّا قتلوا.

وقالت المرجئة: إنّ إبليس لم يسأل الله قط النّظرة. ولا أقرّ بأنْ خلقه من نار، وخلق آدم من تراب.

وقال آخرون: إنّ النّبوة تكتسب بالعمل الصّالح.

وقال آخرون: قد يكون في الصّالحين من هو أفضل من الأنبياء، ومن الملائكة عليهم السلام وأنّ من عرف الله حقّ معرفته فقد سقطت عنه الأعمال والشّرائع[1].

ومن عجائب الدّهر أنْ يرمىٰ الشّيعة بهذا القول الأخير وهو لبعض أهل السُّنَّة كما نصّ عليه ابن حزم الظّاهريّ.

وقد كان قدماء الشّيعة يردّون إلىٰ الغلوّ القول بترك العبادة، اعتماداً علىٰ ولايتهم للأئمّة عليهم السلام، فقد روىٰ أحمد بن الحسين الغضائري عن الحسن بن محمّد بن بندار القمّي: قال: سمعت مشايخي يقولون: إنّ محمّد بن أوْرَمَة لمّا طعن عليه بالغلوّ؛ بعث إليه الأشعريون، ليقتلوه، فوجدوه يصلي اللّيل من أوّله إلىٰ آخره

(١) الفصل بين الأهواء والنّحل: ٢/ ١١٤.

ليالي عدّة فتوقفوا عنْ اعتقادهم(١).

وقد ذهب تلميذه ابن تيميه إلىٰ هذا الرّأيّ وقال:

فإنْ قيل: ما وصفت به الرّافضة من الغلوّ، والشّرك، والبدع موجود كثير منه عند كثير من المنتسبين إلىٰ السُّنَّة، فإنّ في كثير منهم غلوا في مشايخهم، وأشركوا بهم، ابتداعاً لعبادات غير مشروعة، وكثير منهم يقصد قبر من يُحسن الظّن به: إمّا ليسأله حاجاته، وإمّا ليسأل الله تعالىٰ به حاجة، وإمّا لظنّه أنّ الدّعاء عند قبره أجوب منه في المساجد، وفيهم من يفضل زيارة قبور شيوخهم علىٰ الحجّ، ومنهم من يجد عند قبر من يعظّمه من الرّقة، والخشوع، مالا يجده في المساجد والبيوت، وغير ذلك مما يوجد في الشّيعة، ويروي أحاديث مكذوبة من جنس أحاديث الرّافضة، مثل قولهم: لو أحسن أحدكم ظنّه بحجر نفعه الله به، وقولهم: إذا أعيتكم الأُمور، فعليكم بأصحاب القبور، وقولهم: قبر فلان هو التّرياق المجرب.

قيل: هذا كلّه مما نهىٰ الله عنه ورسوله، وكلّ ما نهىٰ الله عنه ورسوله، فهو مذموم؛ نهىٰ عنه سواء كان فاعله منتسباً إلىٰ السُّنَّة، أو إلىٰ الشّيعة، ولكن الأُمور المذمومة المخالفة للكتاب والسُّنَّة، في هذا وغيره، هي في الرّافضة أكثر منها في أهل السُّنَّة(٢).

ولكن نقول: لماذا كفّر ابن تيمية الشّيعة هنا، ولم يكفّر أهل السُّنَّة؟ ومقتضىٰ العدل والإنصاف، أنْ يكون الإثنان بسبب هذا الغلوّ المدعىٰ إمّا كافرين، أو مسلمين كليهما.

---

(١) كليات في علم الرّجال للشيخ جعفر سبحاني ص: ٩٤.

(٢) التّفسير الكبير لابن تيمية: ٤/ ٢٩٣.

وعلىٰ الرّغم من ذلك فإنّ ابن حزم أُستاذ ابن تيمية قـال: بأنّ هـناك بـعض الفرق الغالِية خرجت من نطاق التّشيع. «ومن وافق الشّـيعة في أنّ عـليّاً ـ رضي الله عنه ـ أفضل النّاس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحقهم بالإمامة، وولده من بعده، شيعي وإنْ خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون، وإنْ خـالفهم فـيما ذكـرنا فـليس شيعياً»[1].

والإماميّة لاتقول في أميرالمؤمنين عليه السلام، وأولاده أكثر من هذا، أمّا الغلوّ فيهم ورفعهم إلىٰ درجة النّبوّة، أو الالُوهية، أو غير ذلك فإنّه يعدّ كفراً عند الإمـاميّة، ولايجردون الغالي من إطلاق لفظ «التّشيع» فقط، بل لايسمونه مسلماً ويصرون علىٰ طرده من ساحة الإسلام. أمّا ما نسب إلىٰ اتجاهات الشّيخيّة فـقد نسب إلىٰ كاشف الغطاء رحمه الله قوله: «أمّا كلماتهم الّتي يظهر منها كفرهم، وضلالهم، مثل الرّكن الرّابع، والحقيقة المحمّديّة، والإمام النّاطق، وأمثالها فهم جميعاً يؤولّونها عـلىٰ مـا ينافي العقائد الصّحيحة».

أمّا الشّيخ المفيد قدس سره فقد حصر الأُصول الّتي تؤمن بهـا الشّيعة في أُمور ثـلاثة هي: ١ ـ وجوب الإمامة ٢ ـ العصمة ٣ ـ وجوب النّص.

فقال قدس سره: الإماميّة هـم القـائلون بـوجوب الإمـامة، والعـصمة، ووجـوب النّص[2].

لكن الطّريحي من الإماميّة يرىٰ الغلوّ، والغُلاة، من فـرق الشّـيعة خـاصّة. حيث قال: «والغُلاة: هم الّـذين يـغالون في عـليّ، ويجـعلونه ربّـاً، والتّـخميس عندهم ـ لعنهم الله ـ، وهو أنّ سلمان الفارسيّ، والمقداد، وأبا ذر، وعماراً، وعـمر

---

(١) الفصل في الأهواء والنّحل: ٢/ ١١٣.

(٢) العيون والمحاسن: ٢/ ٨١.

ابن أُمية الضّمرّي، هم الموكلون بمصالح العالم عن عليّ عليه السلام وهو ربّ[١].

ومن هذا المعنىٰ فهم فريد وجدي في دائرته مفهوم الغُلاة وعدّه من مختصات الإماميّة وحدهم حيث قال: «إنّ الغُلاة هم الّذين غلوا في حقّ أئمتهم حتّىٰ أخرجوهم من حدود الإنسانيّة ووصفوهم بأوصاف الإلهيّة»[٢].

ويبقىٰ السّؤال أيضاً يتردد في الذّهن لماذا يكون الغلوّ من مختصات الإماميّة وحدهم؟ علماً بأنّ البخاريّ روى عن ابن عباس روايات كثيرة: «بأنّ أهل السُّنَّة قد غالوا في الصّالحين»، وجعلهُ من الشّرك بالله في الالوهيّة، الّذي هو أعظم ذنب عُصي الله به، وهو ينافي التّوحيد الّذي دلت عليه كلمة الإخلاص؟

وقالت طائفة: «صارت الأوثان الّتي في قوم نوح في العرب بعدُ. أمّا وَدّ: فكانت لكلب بَدوْمَة الجندل. وأمّا سُواع: فكانت لهذيل، وأمّا يغوث: فكانت لمراد، ثمّ لبنيّ غُطيف بالجرف عند سبأ. وأمّا يعوق: فكان لهمدان، وأمّا نسر: فكانت لِحِمْيَرَ لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين في قوم نوح.

وقوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَاتَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ﴾[٣] أيّ، لاترفعوا المخلوق عن منزلته الّتي أنزله الله؛ فالخطاب عام يتناول جميع الأُمّة. وتحذيراً لهم أنْ يغلوا بنبيّهم صلى الله عليه وآله كما فعلت النّصارىٰ، في عيسىٰ عليه السلام، واليهود، في العزير.

إذاً: كلّ من اتخذ نبيّاً، أو وليّاً، من دون الله فقد غلا. ويشمله النّهي الوارد في

---

(١) مجمع البحرين مادة: «غلا».

(٢) دائرة المعارف: مادة «غلا».

(٣) النّساء: ١٧١، راجع تفسير القرطبيّ: ٢١/٦، البغوي في التّنزيل: ٣١٢/٢، تفسير ابن كثير: ٥٨٩/١، البحر المحيط لابن حيان: ٤٠٠/٢، الكشاف للزمخشري: ٣١٥/١، فتح الرّحمن: ٧٧٥/٢، فتح القدير: ٥٤٠/١، زاد المسير لابن الجوزيّ: ٢٦٠/٢.

الآية وضاها اليهود، والنّصارىٰ، في تركهم وتفريطهم؛ وها هو الإمام عليّ عليه السلام أمر بحفر أخاديد خدّت للغلاة عند باب كندة، وقذفهم فيها واتفق أصحابه عليه السلام علىٰ قتلهم.

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَاتَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَاتَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا...﴾[1]، فقال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير ذلك: «إنّ هذه أسماء رجال صالحين في قوم نوح، فلمّا هلكوا أوحىٰ الشّيطان إلىٰ قومهم: أنْ انصبوا إلىٰ مجالسهم الّتي كانوا يقيمون فيها أنصاباً وسمّوها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد حتّى إذا هلك أُولئك، ونُسي العلم عبدت»[2]. وروىٰ عكرمة، والضّحاك، وابن إسحاق نحو هذا.

وقال ابن جرير: حدّثنا ابن حميد قال: حدّثنا مهران، عن سفيان، عن موسىٰ، عن محمّد بن قيس: «أنّ يغوث، ويعوق، ونسراً، كانوا قوماً صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم: لو صوّرناهم كان أشوق لنا إلىٰ العبادة، فصوّروهم. فلمّا ماتوا وجاء آخرون دبّ إليهم إبليس فقال: إنّما كانوا يعبدونهم، وبهم يسقون المطر، فعبدوهم»[3].

وقال القرطبيّ: وإنّما صوّر أوائلهم الصّور ليتأسوا بهم، ويتذكروا أفعالهم الصّالحة، فيجتهدوا كاجتهادهم، ويعبدوا الله عند قبورهم، ثمّ خلّفوا قوماً جهلوا مرادهم، فوسوس لهم الشّيطان أنّ أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصّور ويعظّمونها.

وقال صلى الله عليه وآله: «ايّاكم والغلوّ، فانّما أهلك من كان قبلكم الغلوّ»[4].

---

(١) نوح: ٢٣، وراجع البخاريّ /كتاب التّفسير لهذه الآية.

(٢) صحيح البخاريّ: ٧٣/٦، الدّر المنثور: ٢٦٩/٦.

(٣) أُنظر، تفسير الطّبريّ.

(٤) تذكرة الفقهاء للعلاّمة الحليّ: ٣٧٥/١، منتهىٰ المطلب: ٧٢٩/٢، سنن ابن ماجة: ١٠٠٨/٢، السّنن

وجاء في لفظ رواية أحمد بن محمّد عن ابن عباس قال: قال رسـول الله ﷺ غداة جَمْعٍ: «هَلُمّ الْقُطْ لي الحصىٰ، فلقطتُ له حَصياتٍ هُنَّ حَـصىٰ الخَـذْف فـلمّا وضعهن في يده قال: نعم بامثال هؤلاء فارموا. وإيّاكم والغلوّ في الدّين، فإنّما أهلك من كان قبلكم غلوا في الدّين»(١).

النّهي هنا وإنْ كان سببه خاصاً فهو نهي عن كلّ غلوّ، أيّ عام في جميع أنواع الغلوّ في الاعتقادات، والأعمال، وسبب هذا اللّفظ العام في الجمار هو داخل فـيه، مثل الرّمي بالحجارة الكبار بناء علىٰ أنّه أبلغ من الصّغار.

وقال ﷺ في رواية مسلم عن ابن مسعود: أنّ رسـول الله ﷺ قـال: «هـلك المتنطعون، قالها ثلاثاً»(٢).

والمتنطع: هو المتعمّق في الشّيء، المتكلف بالبحث عـنه عـلىٰ مـذهب أهـل الكلام الدّاخلين فيما لا يعنيهم، الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم.

ومن المتنطع: الامتناع عن المباح مطلقاً، كالّذي يمتنع عن أكلّ اللّحم والخبز، ومن لبس الكتان والقطن، ولا يلبس إلّا الصّوف، ويمتنع عن نكاح النّساء، ويظنّ أنّ هذا من الزُّهد المستحب فهذا جاهل ضال.

⇐ الكبرىٰ: ١٢٧/٥، كنز العمّال: ٣٥/٣، الدّر المنثور: ١/ ٢٣٥.

(١) رواه أحمد: ٢١٥/١ و٢٤٧، ابن خزيمة: ٢٨٦٧/٤، سنن النّسائيّ: ٢٨٦/٥، كتاب الحجّ باب ألتقاط الحصىٰ، سنن ابن ماجة: ح ٣٠٢٩ كتاب المناسك، الحاكم في المستدرك: ٤٤٦/١، الخلاف للشيخ الطّوسيّ: ٤١٠/١، المبسوط للسرخي: ٦٩/٤، بدائع الصّنائع للكاشاني: ١٥٧/٢، مسـند أحـمد: ٢١٥/١، مستدرك الحاكم: ٤٦٦/١، السّلسبيل في معرفة الدّليل للشيخ صالح البليهي: ٣٦٧/١.

(٢) سنن أبي داود: ٣٩٣/٢، صحيح مسلم: ٥٨/٨، مجمع الزّوائد٠: ٢٥١/١، كنز العمّال: ٤٥٥/٣.

قال أبو السّعادات: المتنطعون: هم المتعمقون المغالون في الكلام، المتكلّمون بأقصىٰ حلوقهم، وهو مأخوذ من النّطع، وهو الغار الأعلىٰ من الفمّ، ثمّ استعمل في كلّ متعمّق قولاً، وفعلاً.

وقال النّووي فيه: كراهة التّقعر في الكلام بالتشدق، وتكلّف الفصاحة، واستعمال وحشي اللّغة، ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام.

وفسر الإمام عليّ عليه السلام قوله تعالىٰ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[1] حيث قال: أمر الله عزّ وجلّ عباده أنْ يسألوه طريق المنعم عليهم، وهم النّبيّون والصّديقون، والشُّهداء، والصّالحون، وأنْ يستعيذوا من طريق المغضوب عليهم وهم اليهود الّذين قال الله فيهم: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾[2]، وأنْ يستعيذوا من طريق الضّالّين، وهم الّذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ...﴾[3]، وهم النّصارىٰ.

ثمّ قال الإمام عليّ عليه السلام: «كلّ من كفر بالله فهو مغضوب عليه، وضالّ عن سبيل الله»[4].

وقال الإمام الرّضا عليه السلام في تفسير ذلك وزاد فيه فقال: ومن تجاوز بأمير المؤمنين عليه السلام العبوديّة فهو من المغضوب عليهم، ومن الضّالّين، ولا تتجاوزوا بنا العبوديّة، ثمّ قولوا ما شئتم، ولن تبلغوا. وإيّاكم والغلوّ كغلوّ النّصارىٰ، فانّي بريء

(1) الفاتحه: 7.

(2) المائدة: 60.

(3) المائدة: 77.

(4) أُنظر، كتاب الإحتجاج للطبرسيّ ص: 242، تفسير الإمام العسكريّ ص: 18 ـ 21.

من الغالين. فقام إليه رجل فقال له: يابن رسول الله صف لنا ربك! فإنّ مَنْ قبلنا قد اختلفوا علينا؟ فقال الإمام الرّضاعليه السلام: إنّه من يصف ربّه بالقياس، فإنّه لا يزال الدّهرَ في الإلتباس، مائلاً عن المنهاج، طاعناً في الإعوجاج، ضالاً عن السّبيل، قائلاً غير الجميل. ثمّ قال: أُعرِّفه بما عرّف به نفسه، أَعرفه من غير رؤية...)

فقال الرّجل: بأبي أنت وأُمّي يابن رسول الله! فإنّ معي من ينتحل موالاتكم ويزعم أنّ هذه كلها صفات عليّعليه السلام وأنّه هو الله رب العالمين.

قال: فلمّا سمعها الإمام الرّضاعليه السلام ارتعدت فرائصه، وتصبّب عرقاً، وقال: سبحان الله، سبحان الله عما يقول الظّالمون، والكافرون علواً كبيراً، أوليس كان عليّعليه السلام آكلاً في الآكلين، وشارباً في الشّاربين، وناكحاً في النّاكحين، ومحدّثاً في المحدّثين؟ وكان مع ذلك مصليّاً، خاضعاً بين يدي الله ذليلاً، وإليه أوّاهاً منيباً، أفمن كان هذه صفته، يكون إلهاً؟ فإنْ كان هذا إلهاً، فليس منكم أحد إلّا وهو إليه لمشاركته له في هذه الصّفات الدّالات علىٰ حدّث كلّ موصوف بها.

فقال الرّجل: يابن رسول الله إنّهم يزعمون أنّ عليّاًعليه السلام لمّا أظهر من نفسه المعجزات الّتي لا يقدر عليها غيرالله، دلّ علىٰ أنّه إله، ولمّا ظهر لهم بصفات المحدّثين العاجزين، ليس ذلك عليهم، وامتحنهم ليعرفوه، وليكون إيمانهم به اختياراً من أنفسهم.

فقال الإمام الرّضاعليه السلام: أوّل ما ههنا أنّهم لاينفصلون ممن قلّب هذا عليهم فقال: لمّا ظهر منه الفقر والفاقة؛ دلّ علىٰ أنّ مَن هذه صفاته، وشاركه فيها الضّعفاء المحتاجون، لا تكون المعجزات فعله؛ فعلم بهذا أنّ الّذي ظهر منه من المعجزات إنّما كانت فعل القادر، الّذي لا يشبه المخلوقين، لا فعل المحدث المحتاج المشارك للضعفاء في صفات الضّعف.

ثمّ قال الإمام الرّضاعليه السلام : إنّ هؤلاء الضّلال الكفرة ، ما أُتوا إلّا من قبل جهلهم بمقدار أنفسهم ، حتّىٰ اشتد اعجابهم بها ، وكثر تعظيمهم لمّا يكون منها فاستبدوا بآرائهم الفاسدة ، واقتصروا علىٰ عقولهم المسلوك بها غير سبيل الواجب ، حتّىٰ استصغروا قدر الله ، واحتقروا أمره ، وتهاونوا بعظيم شأنه ، إذ لم يعلموا أنّه القادر بنفسه ، الغنيّ بذاته ، الّتي ليست قدرته مستعارة ، ولا غناء مستفاداً ، والّذي مَن شاء أفقره ، ومَن شاء أغناه ، ومَن شاء أعجزه بعد القدرة ، وأفقره بعد الغنىٰ . . . إلىٰ أنْ قالعليه السلام : يا هؤلاء إنّ عليّاً ، وولده ، عباد مكرمون ، مخلوقون ، مدبَّرون ، لايقدرون إلّا علىٰ ما أقدرهم عليه الله ربّ العالمين ، ولا يملكون إلّا ماملّكهم ، لايملكون موتاً ، ولا حياة ، ولا نشوراً ولا قبضاً ، ولا بسطاً ولا حركة ، ولا سكوناً ، إلّا ما أقدرهم عليه ، وطوقهم ، وأنّ ربّهم وخالقهم يجل عن صفات المحدثين ، ويتعالىٰ عن نعوت المحدودين ، فإنّ مَن اتخذهم ، أو واحداً منهم أرباباً من دون الله ؛ فهو من الكافرين وقد ضلّ سواء السّبيل . . .)[١] .

أُنظر ، أيّها القارىء الكريم إلىٰ قولهعليه السلام : إنا لا نملك موتاً ، ولا حياةً ، ولا نشوراً ، ولا بسطاً ، ولا حركة ، ولا سكوناً ، بل هم مسددون باذن الله ، فهل يوجد أصرح من هذا القول ؟

وعن محمّد بن زيد الطّبريّ قال : كنت قائماً علىٰ رأس الإمام الرّضاعليه السلام بخراسان وعنده جماعة من بني هاشم ، ومنهم إسحاق بن العباس بن موسىٰ فقال له : «يا إسحاق ! بلغني أنّكم تقولون : إنّ النّاس عبيد لنا ، لا ، وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله ماقلته قط ، ولاسمعته من أحدٍ من آبائي ، ولا بلغني عن أحدٍ منهم قاله»[٢] .

---

(١) الإحتجاج للطبرسيّ ص: ٢٤٢ ، تفسير الإمام العسكريّ ص: ٢١ ، البحار : ٢٧٤/٢٥ .

(٢) أمالي الشّيخ المفيد ص: ١٤٨ ، أمالي ابن الشّيخ ص: ١٤ .

الغلوّ في الشّعر

كان الشّعر وما زال منذ القرن الأوّل كالسيف المسلول بيد الشّاعر، مدحاً وهجاءاً، ورثاءاً، وللشعر المذهبي مآرب كثيرة، منها:

الحِجاج والدّعوة إلىٰ الحقّ، ونشر فضائل آل الله وفضح أعدائهم، وقد فتح رسول الله صلى الله عليه وآله الباب علىٰ مصراعيه أمام الشّعراء وذلك من خلال قوله صلى الله عليه وآله لحسان بن ثابت ودعائه له: «لا تزال يا حسّان مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك»[1] وقال صلى الله عليه وآله: «اهجوا بالشعر، إنّ المؤمن يجاهد بنفسه وماله، والّذي نفس محمّد بيده كانّما تنضحونهم بالنبل فيما تقولون لهم من الشّعر»[2].

وقوله صلى الله عليه وآله: «اهج المشركين فإنّ روح القدس معك ما هاجيتهم»[3]. وقوله صلى الله عليه وآله: «إنّ من الشّعر لحكمة، وإنّ من البيان لسحرا»[4].

---

(١) مستدرك الحاكم: ٣/ ٤٧٧، الإرشاد للشيخ المفيد: ١٦٧/١، الكافي: ١٠٢/٨.

(٢) مسند أحمد: ٣/ ٤٦٠، و: ٦/ ٣٨٧.

(٣) مسند أحمد: ٤/ ٢٩٨.

(٤) مسند أحمد: ٢٩٦/١، سنن الدّارميّ: ٢/ ٢٩٦، التّحفة السّنية للفيض الكاشانيّ ص: ٣٢٣، وسائل

وليس في الآيــة : ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ... إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾[1] حطٌّ لمقام الشّعر بما هو شعر، وإنّما الحطّ علىٰ الباطل منه، والزّور كما قال الإمام الصّادق عليه السلام: «إنّهم القصّاصون. وقوله عليه السلام إنّهـا نزلت في الّذين غـيّروا دين الله، وخالفوا أمره تعالىٰ، وذلك بدليل قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾[2]. يعني يناظرون بالأباطيل.

وجاء عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «هم قوم تعلّموا وتفقهوا، بغير علم، فـضلوا وأضلّوا»[3].

ويكسب الشّعر أهميّة كبرىٰ عند أهل البيت عليهم السلام؛ لأنّهم يغضّون الطّرف مـن شخصيّات الشّاعر المذهبي وأفعاله، إنْ كان عمل غير صالح يسوؤهم مهما وجدوه وراء مصالح الأُمّة، وكانوا يستغفرون له ربّه في سوء صنعه، ولذا اقتفىٰ اثرهم فقهاء الأُمّة وزعـماء المـذهب، ولذا تجـد كـلاً مـن الكـليني، والعـياشي، والصّـدوق، والجلودي، والشّمشاطي، والشّيخ المفيد، والسّيّد المرتضىٰ، له ديوان وتأليف في فنون الشّعر المتعلّقة بمدح الرّسول وآله عليهم السلام ولذا قال الشّاعر:

ولم يغل فيك المسـلمون جـهالةً ... ولكـن لِسرّ في عـلاك مُـغَيّبُ

ولم ينكر أحد من المؤرخين قول الشّاعر الحافظ البرسي:

أيُّهـا اللائم دَعــني ... واستمع من وصف حالي

⇐ الشّيعه: ٨٤/٥، صحيح البخاريّ: ٣٠/٧، سنن أبي داود: ٤٧٨/٢، مستدرك الحاكم: ١١٣/٣، السّنن الكبرىٰ: ٢٠٨/٣، مجمع الزّوائد: ١١٧/٨.

(١) الشّعراء: ٢٢٤.

(٢) الشّعراء: ٢٢٥.

(٣) اُنظر، تفسير عليّ بن إبراهيم ص: ٤٧٤.

أنـا عـبدٌ لعـليّ المـر تـضىٰ مـولىٰ المـوالي
كـلما ازددت مـديحاً فـيه، قـالوا: لاتـغالِ
وإذا أبـصرت بـالحقّ يـقيناً، لا أُبـالي

وقال في موضع آخر:

أنت الولي الّـذي مـناقبه مـا لعـلاها في الخـلق أشباه
يـا آيـة الله في العـباد ويـا سر الّـذي لا إله إلّا هـو
فـقال قـوم بأنّـه بـشر وقـال قـوم لا، بـل هـوالله
لايخـتشي النّـار عـبد حـيدرة إذ ليس في النـار مـن تـولاه

وعلىٰ هذا الأساس فهل يسري حكم أميرالمؤمنين عليه السلام بالقتل، والتّحريق علىٰ هذا الشّاعر الّذي يعتصم بولايته من النّار، وهل يشمل قضاء الأئمّة عليهم السلام بالإكفار بعد هذا التّفضيل، وهذا الإيثار؟

ومن يا ترىٰ: هذا الشّاعر الّذي أشار رمزاً إلىٰ اسم أمير المؤمنين عليه السلام في أحرفه الثّلاثة باسم أنبياء ثلاثة فقال:

ياعين عيسىٰ، ويالام الخليل ويـا ياء الكليم، ويا موحي إلىٰ الرُّسل

وماذا تعني كلمة (موحي إلىٰ الرُّسل) عند هذا الشّاعر؟ ومَن هو الّذي يوحي إلىٰ الرُّسل؟ لا نعتقد أنّ الشّاعر يقصد بأنّ الإمام هو الّذي يوحي إلىٰ الرُّسل، بل يقصد معنىً آخر؟!

وهل صاحب هذا القول يسري عليه حكم أمير المؤمنين عليه السلام، وقضاء الأئمّة عليهم السلام؟ وكيف وقع الشّافعيّ، وهو صاحب المذهب المعروف؟ حين قال[1]:

---

(١) ديوان الشّافعيّ ص: ٥٨، طبعة بيروت.

لو أنّ المرتضىٰ أبدىٰ محلّه لبات الخلق طراً سجّداً لَـهُ
يموت الشّافعيّ وليس يدري عـلـيٌّ ربُّه أم ربّـهُ الله

وإذا كان المفهوم المعمّق في الرّوحانيّة الإسلاميّة دفعتهم إلىٰ هـذا الجنون في حُبّ عليّ عليه‌السلام كما قال الشّاعر:

هَاتُوا جنوني، وهاتوا مَن جُننتُ به إن كان يشفي جنوني لاتلوموني

فهل يستحقون هؤلاء أنْ يُعاملوا بالفُسق، والتّكفير، بدلاً من أنْ نقول عنهم: دفعهم حبهم إلىٰ هذا القول؟ أهذا يخالف الكتاب، والسُّنَّة! أم الّذي يكذّبه العقل والمنطق هو الّذي يخالف الكتاب، والسُّنَّة؟

وهل كفر، وفسق الشّاعر المتنبي حين قال قصيدته وهو يحث العرب بوادي الشّام من اللاذقيّة إلىٰ بعلبك، ويحسُّ في أهل «نخلة» بالقرب من بعلبك تواكلاً وتخاذلاً، وأنّهم لايسارعون معه إلىٰ الثّأر لكرامتهم المهدورة، فيستثيرهم بقوله:

ما مُقامي بأرض نَخْلَةَ إلّا كمُقام المسيح بين اليهود
عش عزيزاً أوْ مُت وأنت كريمٌ بين طَعْنِ القنا وخَفْق البنودِ
واطلب العِزّ في لَظىً ودَع الذُ لّ ولو كان في جنان الخلودِ
أنا في أُمّةٍ تداركها اللّـ ـه غريبٌ، كصالح في ثَمُودِ[١]

وكان تشبيهه لنفسه في القصيدة بالمسيح، وبالنبيّ صالح سبباً في أنْ يتهمه بعض معاصريه بادعائه النّبوة، وبالغوا فزعموا أنّه ادّعىٰ لنفسه قرآناً، ذكروا بعض فِقَرٍ منه، وكلّ ذلك غير صحيح.

وهل كفر البوصيري في قصيدته الميمية في مدح خير البرية:

إن لم تكن في معادي آخذاً بيدي فضلاً وإلّا فقل يازلة القدم

---

(١) ديوان المتنبي بشرح العكبري: ٢/١٧٥.

إلىٰ قوله.

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

ولن يضيق رسول الله جاهك بي ... إذا الكريم تحلىٰ باسم منتقم

فإنْ من جودك الدّنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللّوح والقلم

ولا ندري أيضاً هل يعد عبد العزيز عليّ الشّبل، البوصيري من خلال قصيدته هذه بأنّه كافر، ومُغالي، لأننا لمسنا من خلال محاضراته، وكتاباته الّتي يتهجم بها علىٰ الشّيعة الإماميّة بصورة عامة، وعلىٰ شعرائهم الّذين يمدحون أهل البيت عليهم السلام خاصة، بأقذع الكلمات، وأبشع الأساليب، والّتي لا يمكن أنْ تصدر من رجل يدّعي أنّه صاحب دعوة وتبليغ، وحامل درجة دكتوراه، في كتابه «تأريخ، ونشأة الغلوّ»، بل لا يمكن أنْ تصدر من رجل مستشرق حاقد علىٰ الإسلام وأهله، فضلاً عن كونه مسلماً، موحّداً. وهل يكفر، ويسبّ، ويشتم، شعراءه المغرمين بحب أصحابه، الّذين هم ليسو من الطّبقة أو الطّبقات الأُولىٰ، وليسوا من الصّحابة، ولا التّابعين، ولا تابعي التّابعين، بل هم رجال أصحاب طريقة، كعبد القادر الجيلانيّ(٥٦١ هـ)، وعدي بن مسافر الأُموي (٥٥٥ هـ)، والحسن بن منصور الحلاّج (٣٠٩ هـ)، وعبد الحقّ بن سبعين (٦٦٩هـ) ؟

وهل كفر عز الدّين عبد الحميد بن هبة الله المعروف بابن أبي الحديد حين قال في مدح عليّ بن أبي طالب عليه السلام وبيان فضله:

والله لولا حيدرٌ ما كانت الدُّ ... نيا ولا جمع البرية مجمعُ

من أجله خُلق الزّمانُ وضوّئتْ ... شُهُبٌ كنسنَ وجن ليلٌ ادْرَعُ

عِلْمُ الغيوب إليه غير مدافعٍ والصُّبْحُ أبْيضُ مُسفِرٌ لا يُدْفَعُ

وإليه في يوم المعاد حسابُنا وهو الملاذ لنا غداً والمفزَعُ[١]

ويعلم كلّ من قرأ علويات عبد الحميد، أنّه رسم بها طريق الغلوّ علانيّة، وجعل من الغلوّ نشيداً يتغنىٰ به المتغنُّون، فهو لم يقل بربوبيّة الإمام عليّ عليه السلام، ولكنه أعطاه أفعال ـ الرّبوبيّة ـ ورفعه عن رتبة المربوبيّة وعذر من شك بهذه الرّتبة بقوله:

تقيَّلتَ أفعالَ الرّبوبيّة الّتي عذرتُ بها من شك أنّكَ مربوب

وكما أعطاهُ أفعال الرّبوبيّة في البيت السّابق، فهو يخلع عليه صفه من صفات الله في البيت الآتي:

عَلاّمُ أسرارِ الغيوب ومَنْ لَهُ خُلِق الزَّمانُ وَدَارَتِ الأفلاكُ

إنّ عبد الحميد الّذي أعطىٰ هذه الصّفة لعليّ عليه السلام، لايمكن أنْ يكون لايعلم أَنّ الله وصف بها نفسه في كثير من آياته قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ... قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ... إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[٥].

---

(١) القصائد السبع العلويات مع شرحها ص: ١٠١، ط صيدا.

(٢) المائدة: ١٠٩.

(٣) المائدة: ١١٦.

(٤) التّوبه: ٧٨.

(٥) سبأ: ٤٨.

والجواب: أنّ عبد الحميد الّذي رافق نهج البلاغة في كلّ خطبهِ، وعباراته؛ أدرك أنّ صاحب عبارة «سلوني» يعرف ماذا يعني؛ والّذي قال في خطبة: «أنا» يعرف من هو علىٰ وجه الحقيقة. ولا غرابة إذا جلجلت في نفسه صرخة الحقّ، ولذا نراه ينتقل من التّلويح إلىٰ التّصريح بجرأة عارمة في وصف أمير المؤمنين عليه السلام.

هو الآية العُظمىٰ، ومستنبط الهدىٰ وحيرة أرباب النُّهىٰ، والبَصائر

وعرّف صفات أمير المؤمنين تعريفاً دقيقاً فقال:

صفاتُكَ أسماءٌ، وذاتُكَ جَوْهَرٌ بريء المَعاني، من صِفَاتِ الجواهِرِ

يجلُّ عن الأعراض، والأين، والمتىٰ ويكبر عن تشبيهه بالعناصر

ولا ندري ربّما من وُجد من يُفتي بتكفيره، وتكفير الكميت، والسّيد الحميريّ، ومهيار الدّيلمي، ودعبل الخزاعي، والإمام الشّافعيّ؛ لأنّهم يقولون بسموّ شمائل الإمام عليّ عليه السلام علىٰ شمائل البشر.

وعلىٰ ذكر الإمام الشّافعيّ فقد نسب إليه من الشّعر ما يتفجر منه إيماناً، حيث قال:

قيل لي: قُلْ في عليّ مدحاً ذكره يُخمد ناراً موقَدهْ

قلتُ: لا أقدمُ في مدْحِ امرءٍ ضَلّ ذو اللّبِّ إلىٰ أنْ عَبَده[1]

وهو في هذا الرّأيّ الصّريح رجع الىٰ لبّه ـ وهو من أُولي الألباب ـ فصدع قلمه بهذه الحقيقة الصّارخة. فهل حبّ أهل البيت الطّاهرين المطهرين من الغلوّ أم الإرباك الّذي وقع فيه أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار النّظّام المعتزليّ فأطلق عبارته المشهورة في أمير المؤمنين عليه السلام «إنّ عليّ بن أبي طالب، محنة علىٰ المتكلّم، إنْ وفاهُ حقّه، غلا، وإنْ بخسه حقّه أساء، والمنزلة الوسطىٰ دقيقة الوزن، حادةُ الشّأن

---

(١) ديوان الشّافعيّ ص: ٥٥ بيروت، الصّواعق المحرقة ص: ١٤٦ ط الحجر.

صعبة المرتقىٰ...».

هذا المعتزليّ الّذي يقول عنه المؤرخون: إنّه أنكر حتّىٰ المعاجز النّبويّة والإعجاز القرآني، وكان جريئاً في نقد الصّحابة، والّذي بلغ من جرأته؛ أنّه طعن في تصرف عمر بن الخطاب، وعاب أُموراً شتىٰ علىٰ عثمان.

هذا المعتزليّ يقف حائراً أمام عظمة الإمام عليّ عليه السلام، ويعتبره محنة علىٰ المتكلم من ناحيتين:

الأُولىٰ: الإفراط الّذي يؤدّي به إلىٰ الغلوّ.

والثّانيّة: التّفريط الّذي يؤدّي به إلىٰ الإساءة بحقّه، وهو يدرك أنّ هناك حالة ومنزلة وسطىٰ وهي حادة الشّأن صعبة المرتقىٰ، ولذا يقف عاجزاً عن إدراك حقيقتها فهذا حال النّظّام، فما هو حال من لم يرتفع به المستوىٰ العقلي إلىٰ ما وصل إليه النّظّام الّذي لايرىٰ بأساً في إمامة المفضول علىٰ الأفضل؟

ولا ندري لماذا لم يكفر عبد العزيز الشّبل اليافعي عند قوله في الحضرمي[1].

هو الحضرمي نجل الوليِّ محمّد إمام الهدىٰ نجل الإمام الممجَّدِ

ومن جاهه أومىٰ إلىٰ الشّمس أنْ قفي فلم تمشِ حتىٰ أنزلوه بمقصدِ

ومن بعض قصائد اليافعي قوله في الحضرمي:

هو الحضرمي المشهور من وقفت له بقول قفي شمسٌ لأبلغ منزلي

---

(١) مرآة الجنان: ٤ / ١٧٨، شذرات الذّهب لابن العماد: ٧ / ٦٣٠، الفتاوىٰ الحديثيّة لابن حجر ص: ٣١٦.

تصحيح رأيّ

تميل النّفس إلىٰ العلوّ الّذي يصل إلىٰ حدّ الغلوّ في بعض الأحيان، وتميل إلىٰ الهبوط أيضاً، نتيجة القصور، أو التّقصير فهماً، أو اعتقاداً، أو موقفاً. وبالتالي تعلن بعض النّفوس نتيجة التّقصير أنّ ما تقوله هو الإسلام، وماتنادي به هو الحقّ وما وراءه إلّا الباطل، ومن ثمّ تَضِلّ، وتُضلّ، وتخدع بعد أنْ تنخدع.

والفكر بحد ذاته نعمة أسبغها الله تعالىٰ علىٰ بني آدم، ولهذا فضّله علىٰ كثير ممن خلق، وهو مناط التّكليف فمن فقده؛ فقد الأهلية للتكليف.

وأوّل هذه الفكره ـ فكرة الغلوّ ـ نادىٰ بها أنصار حجر بن عديّ الّذين قُتلوا صبراً بسبب تكفيرهم للخليفة عثمان، وامتناعهم عن البراءة من الإمام عليّ عليه السلام كما يدّعي الدّكتور الشّيبيّ[1].

لا نريد أنْ نقف مع الدّكتور الشّيبي، ورسالة الماجستير الّتي حصل عليها، بل نريد منه أنْ يراجع حياة هذا الشّهيد من خلال الكتب الّتي تحت يده، فقد روىٰ ابن الأثير في الكامل في مقتل حجر بن عدي عن الحسن البصري كان يقول: (أربع

---

(١) سنقف مع الدّكتور الشّيبيّ في حياة الصّحابي الجليل حجر؛ واصحابه.

خصال كنّ في معاوية. ولو لم تكن فيه إلاّ واحدة لكانت موبقة ـ ابتزازه علىٰ الأُمّة بالسفهاء حتّىٰ ابتزها امرها بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصّحابة وذوي الفضيلة ـ واستخلافه ابنه يزيد سكيراً، خميراً، يلبس الحرير، ويضرب بالطنابير، ـ وادعاءه زياد وقد قال رسول الله ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر ـ وقتله حجر واصحاب حجر، ويله من حجر، ومن اصحاب حجر، ويله من حجر واصحاب حجر.

إنّ حجراً لم يكن مُغالياً، ولم يكن مُنحرفاً حتّىٰ يتخذ من المغالين، والمنحرفين صحابة إلاّ إذا كان إنحرافه، وانحراف أصحابه عن سُنَّة معاوية يعتبر في نظر الدّكتور انحرافاً عن الدين، ولذا يجب قتله!! ومع الأسف الشّديد كأنّ الدّكتور لم يراجع حياة حجر في الاستيعاب مثلاً فقد روىٰ عن السّيدة عائشة قولها: (أما والله لو علم معاوية أنّ عند أهل الكوفة منعة لما تجرأ علىٰ أنْ يأخذ حجراً، وأصحابه من بينهم حتّىٰ يقتلهم بالشّام، ولكن ابن آكلة الأكباد علم أنّه قد ذهب النّاس، أما والله إنْ كانوا لجمجمة العرب عزاً، ومنعةً، وفقهاً، لله در لبيد حيث يقول:

ذهب الّذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب
لا ينفعون ولا يرتجىٰ خيرهم ويعاب قاتلهم وإنْ لم يشعب

ويروي ابن الأثير في الكامل ـ في حوادث سَنَة (٥١ هـ)

(في ذكر مقتل حجر بن عدي، وعمر بن الحمق، وأصحابهما ـ يقول لما بلغ خبر حجر عائشة أرسلت عبد الرّحمن بن الحرث إلىٰ معاوية فيه، وفي أصحابه، فقدم عليه وقد قتلهم، فقال له عبد الرّحمن: اين مضىٰ عنك حلم أبي سفيان؟ قال: حين غاب عني مثلك من حلماء قومي، وحملني ابن سمية فاحتملت، وقالت عائشة: لولا إنّا لم نغير شيئاً إلاّ صارت الأُمور إلىٰ ما هو أشد منه لغيرنا قتل حجر،

أما والله إنْ كان ما علمت لمسلماً حجاجاً معتمراً.

وفي الإصابة: في ترجمة حجر عن أبي الأسود قال: دخل معاوية علىٰ عائشة فعاتبته في قتل حجر، وقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يقتل بعدي أُناس يغضب لهم أهل السّماء.

هذا هو الشّهيد الخالد، وأصحابه، والّذي أعتبرتهم عائشة جماجم العرب عزةً، ومنعةً، وفقهاً.

ثمّ أردف الشّيبي قائلاً: «وكان موقف المختار مشجّعاً لأفكار السّبئية، وزاد علىٰ ذلك من اندفاع الكوفيين إلىٰ إضافة الامتياز الرّوحي، والعلم اللّدني، والصّفات الإلهيّة إلىٰ الأئمّة عليهم السلام، وجاء أبو هاشم بعد أبيه ـ محمّد بن الحنفية ـ فسار سيرة الإمام عليّ عليه السلام في تنبّئه، وتعلّقه بالعلم السّري، وقوله بأنّ لكل ظاهر باطناً.

ولا ندري بأي من القولين نصدق الدّكتور الشّيبي بقوله الأوّل الّذي يقول فية من أنّ بداية الغلوّ كان من السّبئية أنصار حجر بن عدي الّذي قتل، وأصحابه سَنَة (٥١ هـ)، ولكن زعم في قوله الثّاني أنّ حركة بيان كانت أوّل الحركات الغالية، فإنْ صحّ ما يقوله عن بيان، ومن أنّ حركته مستندة إلىٰ آراء أبي هاشم في انقضاء النّبوة بعد قرن من الزّمان تكون حركة محمّد بن عليّ بن عليّ أسبق من حركة بيان ـ لأنّ رأي أبي هاشم إنْ صحّ علىٰ فرض المحال، والجدل فهو قد ورد في وصية أبي هاشم لمحمّد بن عليّ، ولم يذكر له مثل هذا الرّأي قبل الوصية المزعومة، مع العلم أنّ بيان لم يعرف له حركة، وكل ما كان من أمره أنّه كانت له مقالة مستندة من الوصية[1].

وذهب «برنارد لويس» ـ وهو أحد المستشرقين ـ إلىٰ أنّ فرق الغلوّ الرّئيسيّة

(١) أُنظر، الصّلة بين التّشيع والتّصوف: ١٢٧ ـ ١٢٩.

انطلقت في ثلاثة مسارات، أو تركت عمل ثلاث مجموعات:

١ ـ المجموعة الأُولىٰ: كانوا أصحاب الأئمّة عليهم السلام من سلالة عليّ، وفاطمة والحسنيين عليهما السلام.

٢ ـ المجموعة الثّانيّة: أتباع محمّد بن الحنفيّة، ومن جاء من ذريّته.

٣ ـ المجموعة الثّالثة: أتباع الفاطميّة في عصرها المبكر، وهم مجموعة الوسط[1].

ويبدو أنّ «برنارد» قد أهمل الغلوّ الحقيقي، والإلحاد الّذي بدأ علىٰ يد عبد الله ابن سبأ، ولم يفرق بين المحبين، والمواليين، والأتباع الّذين تربطهم روابط الدّين، والأُخوة الإنسانيّة، والمبدأ، وبين المُغالين الّذين يرفعون البشر إلىٰ مصاف الرّبوبيّة، والقول بحلول اللاهوت، في النّاسوت.

ويمكن لنا أنْ نلخّص معنىٰ الحلول، والتّناسخ، في الدّيانات الّتي سبقت الإسلام، وأنواعه قبل الولوج إلىٰ أفكار السّبئيّة.

(١) أُصول الإسماعيلية: ٨٩.

الحلول

إنّ مبدأ الحلول مبدأ قديم، يعود تأريخه إلىٰ أصل فرعوني كما يقول المعرّي: «وهذه المذاهب ـ الحلوليّة ـ قديمة تنتقل في عصر بعد عصر ويقال: إنّ فرعون كان علىٰ مذهب الحلوليّة، فلذلك ادّعىٰ أنّه ربّ العزة[1].

ولذا أخطأ بعض المستشرقين في تحديد فكرة الحلول، عندما ربطوه بأصل فارسيّ كما يزعم دوزي حيث قال: «إنّ الشّيعة أخذت الفكرة من الفرس الّذين اعتادوا أنْ يروا في ملوكهم أحفاداً منحدرين من أصلاب الآلهة الدّنيا، فنقلوا هذا التّوقير الوثني إلىٰ عليٍّ، وذريّته... وإنّ الإمام عندهم هو الله، قد صار بشراً»[2].

وعلىٰ نحو مماثل تكلّم «اوجست ملّر» حيث قال: «إنّ الفرس كانوا تحت تأثير الأفكار الهنديّة قبل الإسلام، بعهد طويل يميلون في القول: بأنّ الشّاهنشاه هو تجسيد لروح الله «pahlavi bagh» الّتي تنتقل في أصلاب الملوك من الآباء إلىٰ

---

(١) رسالة الغفران ص: ٣٩٥.

(٢) مقالة عن تأريخ الإسلام ترجمة الدّكتور عبدالله جودت باللغة التّركيّة تحت عنوان (تأريخ إسلاميّت) ص: ٢١٨.

الأبناء»[١].

ويرىٰ «دار مستتر»: بأنّ العناصر الفارسيّة الّتي اعتنقت الإسـلام ظـاهريّاً أدخلت في الإسلام الفكرة الهنديّة الآريّة، الّتي تقول بالعائلة الإلهيّة المختارة الّـتي ينتقل في أصلابها النّور الإلهـي «ferry yazdan»، جـيلاً بـعد جـيل، مـنتهية بـ «السّاوشاء نيّت»[٢].

لكن ردّ هذا الرّبط «كَولد زيهر» حيث قال: «بأنّ أوّل الواصفين لجـزء مـن مبادىء التّجسيد بالحلول، قوم لا شك أنّهم من الجنس العربي الصّميم»[٣].

ويرى كلّ من «آدم متز، وفريد لندر»: «أنّ الفكرة مسيحية، ويجب أنْ تربط بها. فهي من تأثير الغنوصيّة المسيحيّة في الفكر الإسلامي»[٤].

وقد أشار الغزاليّ، وابن خـلدون، إلىٰ أنّ أصـل فكـرة الحـلول هـو الفكـر المسيحيّ، حيث قال ابن خلدون: «ومنهم ـ أيّ الشّيعة ـ طوائف يسمون بالغلاة ... وهو قول بالحلول، يوافق مذهب النّصارىٰ في عيسىٰ»[٥].

ويذهب نشوان الحميريّ: أنّ جذور هذا المذهب تعود وتمـتد إلىٰ الدّيـانات الثّنويّة الإيرانيّة فيقول: «وقال أصحاب التّناسخ، ومنهم: «بزرجمـهر الفـارسيّ» ومن قال بقوله، بإثبات الصّانع، ونفي التّشبيه، ودوام الدّنيا إلىٰ الأبد»[٦].

---

(١) أحزاب المعارضة في صدر الإسلام ترجمة الدّكتور عبد الرّحمن بدوي ص: ٢٤١.

(٢) أُنظر، lowis .B. The origins of Ismaitism .P.15

(٣) العقيدة والشّريعة في الإسلام التّرجمة العربيّة ص: ٢٤٩.

(٤) أُنظر، Fried Laender / L. The The Hetrerodoxies , P. 2 - 13

(٥) مقدمة ابن خلدون ص: ٣٥١، فضائح الباطنيّة للغزاليّ ص: ١١٠، تحقيق الدّكـتور بـدوي، العـقد الفريد: ١/٣٥٠.

(٦) الحور العين ص: ١٤٦.

أمّا الشّهرستانيّ يربط الفكرة بمذاهب اليهود، والنّصارىٰ فقال: «إنّما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلوليّة، ومذاهب التّناسخيّة، ومذاهب اليهود، والنّصارىٰ»[١].

ومن المشبّهة من قال بالحلول: يعني يجوز أنْ يظهر الباريّ عزّ وجلّ بصورة شخص، كما كان جبريل عليه السلام، ينزل بصورة أعرابي، وقد تمثل لمريم عليها السلام بشراً سويّاً؛ وعليه حمل قول النّبيّ صلى الله عليه وآله رأيت ربّي في أحسن صورة.

وللأسف لم يقل صاحب الملل: إنّ هؤلاء من الغُلاة فقط، بل أضاف كلمة الشّيعة حيث قال: والغُلاة من الشّيعة مذهبهم الحلول[٢].

وليعلم الشّهرستانيّ أنّ هؤلاء حنابلة، كما ذكر الزمخشري[٣]

فإن حنبلياً قلت قالوا بأنني ثقيل حلولي بغيض مجسم

وليعلم أنّ هؤلاء أشاعرة، وليسوا بشيعة، ويدل علىٰ ذلك زعمهم أنّ الله تعالىٰ يُرىٰ للبشر، فخالفوا بذلك العقل، فإنّ الضّرورة قاضيّة بأنّ ماليس بجسم، ولا حالّ في الجسم، ولا في الجهة، ولا في مكان، ولا في حيز، ولا يكون مقابلاً، ولا في حكم المقابل، فأنّه لايمكن رؤيته حيث قال تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَـٰرُ﴾[٤].

وروىٰ البخاريّ عن عائشة ـ رض ـ أنّها قالت: «من زعم أنّ محمّداً رأىٰ ربّه فقد أعظم، ولكن قد رأى جبريل في صورته وخلقه سادّاً مابين الأُفق»[٥].

فالحلول إذن من أخطر وأهم المبادىء الّتي تمسك بها أصحاب الغلوّ ومعناه: «حلول الله: ذاته، أو روحه، في البشر. وقال هؤلاء: «يكون الحلول بجزء، وقد

---

(١) الملل والنّحل: ١/ ٣٦٣.

(٢) الملل والنّحل: ١/ ١٠٧.

(٣) أُنظر، الكشاف للزمخشري: ٢/ ٣٧٥، طبعة مصر سَنَة ١٣٠٨ هـ.

(٤) نهج الحقّ ص: ٤٧. والآية: ١٠٣، من سورة الأنعام.

(٥) صحيح البخاريّ: ٤/ ٨٣.

يكـون بكـل ، أمّـا الحـلول بجـزء فـهو كـإشراق الشّـمس في كـوّة ، أو كاشراقها علىٰ البلّور ، أمّا الحلول بكل فهو كظهور مـلك بشـخص ، أو شـيطان بحيوان»[١].

وقد استعمل الشّهرستانيّ كلمة الحلول ، والتّناسخ ، بمعنىٰ واحد ؛ لأنّ معناهما متقارب فقال : «وروح الله تناسخت حتّىٰ وصلت إليه وحلّت فيه ، وادّعىٰ النّبوة والالوهيّة معاً»[٢]. ويقصد بذلك عبدالله بن سبأ .

وقال المعرّي أيضاً : «والحلوليّة قريبة من مذهب التّناسخ»[٣]. لكن الغـالب والأظهر من الحلول أنّه يستعمل في الأعمّ عـند الحـديث في انـتقال روح الله إلىٰ غيره ، وخاصّة إلىٰ البشر ، وكلمة التّناسخ تستعمل في الأعمّ عند الحـديث عـن انتقال روح الإنسان إلىٰ غيره إلىٰ إنسان آخر ، أو إلىٰ حيوان»[٤].

واستعملت الفرق الغالِية فكرة الحلول في أشخاص أنبياء ، لذا قالت السّبئيّة : «إنّ روح الله حلّت في نبي ؛ وإنّها تنتقل فيهم الواحد بعد الآخر»[٥].

وبعد نقل الإلوهيّة إلىٰ الأنبياء ؛ انتقلت الفرق الغالِية بها إلىٰ زعمائها ، فقالت : «وكان روح الله في آدم ، ثمّ في شيث ، ثمّ الأنبياء والأئمّة عليهم السلام ، حتّىٰ انتهت إلىٰ عليٍّ ، وأولاده»[٦].

---

(١) الملل والنّحل : ١ / ٢٠٢.

(٢) المصدر السّابق.

(٣) رسالة الغفران ص: ٤٠٩.

(٤) أُنظر ، الغلوّ والفرق الغالِية للسامرائي ص: ١٢٦.

(٥) عقيدة الشّيعة رونلدسن ص: ٥٨.

(٦) الأعتصام للشاطبي : ٣ / ٦٦.

والقول بحلول الذّات الإلهيّة في عليٍّ عليه السلام، قول مرفوض تماماً، ونختلف مع قائله، وربّما يصلح بأنْ يكون مكاناً لتجلّي القوىٰ الإلهيّة بالنسبة إلىٰ ما وصف به وما ظهر منه، وصدر عنه من خوارق. ونحن لا نجد في غيره ماعدا الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله مَنْ، ولا، مايصلح لذلك غيره. خلافاً لابن العربي الّذي يقول: إنّ الله يتجلّىٰ في الحجر، والشّجر، والحيوان، حتّىٰ الكلاب، وخلافاً للنابلسي الّذي يرىٰ أنّه يحل في أحقر الحشرات، وخلافاً للبيطار الّذي يقول: «وما الكلب، والخنزير إلّا إلهنا وما الله إلّا راهب في كنيسة». وربّما يقصد البيطار بالتجلّي معناه الحلول.

أمّا التّجلّي فنحن نراه غير الحلول، فالتجلّي بالشيء غير الحلول به، وربّما كان ابن الفارض يقصد ذلك؛ لأنّه أعطىٰ صفة التّجلّي بالموصوفات ذات الجمال دون الموصوفات ذات القبح، وسمّىٰ ذلك ظهوراً، ومظاهر تلبيسية فقال:

وتظهر للعشاق في كلّ مظهرٍ ... من اللّبس في أشكال حسن بديعة

ففي مرّة (لبنىٰ) وأُخرىٰ (بثينة) ... وأونة تدعىٰ (بعزَّةَ) عَزّت

ولسن سواها، لأولاكنَّ غيرها ... وما إنّ لها في حُسنها من شريكة[1]

ونقول أيضاً: متىٰ كان لـ(لبنىٰ)، (وبثينة)، (وعزة) مظاهر شريفة صالحة لتجلّي الذّات الإلهيّة، أكثر من عليّ عليه السلام؟ فلماذا يكون حبُّ عليّ عليه السلام معصيّة، لاينفع معها إيمان، ومتىٰ كان الكلب، والخنزير آلهة؟ فلماذا هذا الطّعن، والعداء، التّنافر، والكيل، والتّهم، والشّتائم، بموازين مختلة؟

وهل هذا إلّا ما حبلت به عبقرية البغداديّ، والشّهرستانيّ، وأحمد أمين المصريّ، وماتمخضت به معرفة ابن تيميّة، وابن حزم، وأمثالهم المريضة.

---

(١) أُنظر، تائية ابن الفارض.

وفكـرة الحـلول في الحـقيقة تهـدم فكـرة التّـوحيد، والإلوهـيّة، والنّـبوة، والإمامة، في آنٍ واحد. ومن هنا ذهبت فرقة الحلاجيّة إلىٰ حلول الباريّ تعالىٰ في أجسام خلقه، كالحلاّج، وغيره[1].

وابن تيميّة يؤكد ذلك ويقول: «وهؤلاء يقولون: بالحلول المطلق، والوحدة المطلقة، والإتحاد المطلق، حتّىٰ أنّ أحدهم إذا أمر بقتال العدو يقول أقاويل كثيرة منها: ءأقاتل الله؟ ما أقدر أنْ أُقاتل الله!»[2].

ومن أشهر الفرق الّتي قالت بفكرة الحلول الجزئي، أو الكلّي هـي: السّـبئيّة والبيانيّة، الجناحيّة، الخطابيّة، النّميريّة، المقنعيّة، الرّزاميّة، البركوكيّة، الحلمانيّة، الحلاجيّة[3]. وسنقف مع هذه الفرق في الفصل القادم إنْ شاء الله تعالىٰ.

---

(١) الفصل في الأهواء: ٢/١١٤.

(٢) مجموعة الرّسائل، والمسائل ص: ٩٨.

(٣) أُنظر، الفرق بين الفرق للبغداديّ ص: ٤١، خطط المقريزي: ٣/٢٩٧، مقالات الإسلاميين: ١/٦٧، الملل والنّحل: ١/١٩١.

التّناسخ

هو ردّ الرّوح إلىٰ بدن غير البدن الأوّل[1]، أو أنّ الأرواح تتناسخ من شخص إلىٰ أشخاص... أمّا أشخاص بني آدم، وأمّا أشخاص الحيوان[2].

والتّناسخ فرع الحلول وبهذا يقول المعرّي: «وتؤدي هذه النّحلة «الحلول» إلىٰ التّناسخ، وهو مذهب عتيق يقول به أهل الهند»[3].

ويؤكّد الخوارزمي هذا المعنىٰ: «السّمنيّة... عبدة أوثان، يقولون بقدم الدّهر وبتناسخ الأرواح»[4]. وتمتد جذور هذه الفكرة إلىٰ ثنوية، ويونانيّة[5].

وابن الجوزيّ يرجعها إلىٰ أساس فرعوني: «وهـذا المـذهب ظـهر في زمـان فرعون موسىٰ»[6].

---

(١) رسالة اضحويّة في أمر المعاد لابن سينا ص: ٥٨.

(٢) الملل والنّحل ص: ٢٠٣.

(٣) رسالة الغفران ص: ٣٩٧.

(٤) مفاتيح العلوم ص: ٢٥.

(٥) نشأة الفكر الفلسفيّ ص: ٢٠٧.

(٦) تلبيس إبليس ص: ٨٥.

إذاً وعلىٰ هذا يكون التّناسخ فكرة قديمة جداًكما يقول «هيردودتس» في كتابه المُترجَم إلىٰ اللّغة العربيّة كما يذكر الدّكتور عبد الحميد عرفان: «إنّ المصريين القدماء هم أوّل من اعتنقوا الفكرة ونشروها، واعتقدوا بأنّ النّفس خالدة عند الموت، تنتقل إلىٰ هيكل حيوان يخلق في الحال، وتبقىٰ تنتقل في الهياكلّ المختلفة إلىٰ أنْ تدور في أبدان كلّ المخلوقات الّتي تسكن الأرض، والماء، والسّماء، ومن ثمّ تدخل في هيكل بشري جديد، وتولد ولادة جديدة»[1]. ثمّ يستطرد ويقول: «إنّ بعض مفكري اليونان ـ القدامىٰ والمحدّثين ـ استمدوا هذه الفكرة من المصريين ونسبوها إلىٰ أنفسهم». إلّا أنّ هذه النّظريّة ردّها مؤرخو الفكر الفلسفيّ لسببين:

١ ـ إنّ أكثر الباحثين ممن يعتد بآرائهم يشكّون في أمر ما إذا كان المصريّون القدماء قد اعتنقوا هذه الفكرة أصلاً.

٢ ـ إنّ الدّلائل المستقاة من المصادر اليونانيّة تشير إلىٰ أنّ هذه الفكرة ـ إنْ لم تكن أصليّة غير مستوردة ـ فإنّها قديمة جداً في أُصولها.

ويرىٰ آخرون أنّها ظهرت في الفكر الهندي؛ لأنّها تشكل دعامة أصليّة في الفكر البوذي، ودين البراهمة، ومنها ـ الهند ـ غزت العالم الإسلامي، والعربي، والأفريقي، والأقطار المجاورة، وملأت الزّمان، والمكان، ولا زال لها أنصار وخصوم، لذا قال الشّاعر:

أُنظر إلىٰ الأرواح يوماً كيف حلّت في إهابك
فلعلّها ولك البقا كانت لكلب من كلابك

أمّا من فلاسفة الإغريق «فري سايدس» المولود سَنَة (٦٦٠ ق م) أُستاذ

(١) أُنظر، دراسات في الفرق والعقائد الإسلاميّة هامش: ١٩٠ ص ٧٤.

فيثاغورس، هو أوّل من أعتنق هذه الفكرة وبشّر بها، وروىٰ عنه «اكسنافون» أنّه مرّ بشخص يضرب كلباً فأمسك علىٰ يده وقاله له: «إمسك عن ضربه، إنّ روحه هي روح صديقي، وقد علمت ذلك من عوائه»[١].

أمّا الفكر اليوناني المتأخّر، فإنّ كلاً من أفلاطون، وأُستاذه سقراط، قد شايعوا هذه الفكرة واعتنقوها، حيث قال سقراط لمستمعيه: «أعتقد أنّ أرواح أُولئك الّذين نهجوا سبل الشّراهة، والطّيش، وادمان الخمر... ولم تحدّثهم أنفسهم بالاقلاع منها؛ سوف تنقل بعد فناء البدن إلىٰ هيكل الخمر، ومايشبهها، ويماثلها، من الجنس... وإنّ أُولئك الّذين اقترفوا المظالم، والطّغيان، والقسوة، سيمسخون إلىٰ ذئب، أو صقر، أو حداءة».

ويقول أفلاطون: «إنّ أُولئك الّذين عاشوا حياتهم للمطالب الحسيّة سيمسخون إلىٰ حيوانات، تناسب في جنسها لنوع الحياة الّتي عاشوها... حيوانات شرسة، حيث كانت الحياة مزيجاً من الاستجابة للمطالب الحسيّة والرّوحية، وحيوانات شرهة، حيث كانت الحياة، حياة شهوة وتخمة»[٢].

أمّا في الفكر اليهوديّ: فإنّ عقيدة التّناسخ اعتنقها بعض أفراد الفرق المنشقّه مثل القرائين.

أمّا في المسيحيّة: فإنّ «اريجون» اقترب من هذه الفكرة، والدّعوة إليها كنتيجة لإعتقاده الآخر الخاصّ بالوجود السّابق للروح علىٰ البدن.

وبهذا يكون التّناسخ كذلك من أهمّ مبادىء الغلوّ. ولذا يقول الخوارزمي: «أصحاب التّناسخ الّذين يقولون بتناسخ الأرواح في الأجساد كما ينسخ الكتاب

(١) أُنظر، دراسات في الفرق والعقائد الإسلاميّة هامش: ١٩٠ ص ٧٤.

(٢) دراسات في الفرق والعقائد الإسلاميّة ص: ٧٤.

من واحد إلىٰ آخر»[١].

ويقول الأشعريّ: «ويقولون ليس قيامة، ولا آخرة، وإنّما هي أرواح تتناسخ بالصور، فمن كان محسناً جوزي بأنّ ينقل روحه إلىٰ جسد لا يلحقه فيه الضّرر، والألم»[٢].

ويؤكّد الشّهرستانيّ ذلك: «وكفروا بالقيامة، لاعتقادهم أنّ التّناسخ يكون في الدّنيا، والثّواب والعقاب، في هذه الأشخاص»[٣].

أمّا في الإسلام فقد اعتنق هذه الفكرة بعض المعتزلة، أمثال أحمد بن حائط وفضل الحدثي[٤].

لكن ابن سينا ردّ هذه الفكرة رداً فلسفيّاً[٥]. ومن هنا جاء تأكيد الشّهرستانيّ بقوله: «كان التّناسخ مقالة في كلّ ملّة من المجوس، والمزدكيّة، والهند، والبرهميّة، من الفلاسفة، والصّابئة»[٦].

وقد صنف البغداديّ القائلين بفكرة التّناسخ إلىٰ أصناف: صنف من الفلاسفة، وصنف من السّمنيّة. وهذان الصّنفان كانا قبل الإسلام. وصنفان آخران ظهرا في دولة الإسلام أحدهما: من جملة القدريّة، والآخر: من جملة الرّافضة الغالية. فأصحاب التّناسخ من السّمنيّة قالوا: «بتناسخ الأرواح في الصّور المختلفة،

---

(١) مفاتيح العلوم ص: ٢٥.

(٢) المقالات ص: ١١٤.

(٣) الملل والنّحل: ٢٠٣/١.

(٤) أُنظر، الانتصار للخياط ص: ١٤٩، الفرق للبغداديّ ص: ١٦٣.

(٥) النّجاة ص: ١٨٣، المضنون الصّغير للغزاليّ ص: ٣٥٥، ومعارج القدس ص: ١١١، معالم الأُصول علىٰ هامش المحصّل للرازيّ ص: ١٢١.

(٦) الملل والنّحل: ١٢/٢.

وأجازوا أنْ ينقل روح الإنسان إلىٰ كلب، وروح الكلب إلىٰ إنسان.

وأمّا أهل التّناسخ من القدريّة، فجماعة منهم: أحمد بن حايط، وكان معتزليّاً منتسباً إلىٰ النّظّام»[1].

أمّا رأيّ الإماميّة فنقوله باختصار: إنّهم حكموا بكفر القائل به، ولذا عندما قال الشّيخ الصّدوق: إنّ الأرواح خلقت للبقاء. فناظره الشّيخ المفيد وقال: «والّذي صرّح به أبو جعفر ﷺ في معنىٰ الرّوح، والنّفس، هو قول التّناسخيّة بعينه، من غير أنْ يصرّح أنّه قولهم، فالجناية بذلك علىٰ نفسه، وعلىٰ غيره عظيمة[2].

وأمّا ما ذكره: من أنّ النّفس باقيّة فعبارة مذمومة، ولفظ يضادّ ألفاظ القرآن قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[3] والّذي حكاه وتوّهمه هو مذهب كثير من الفلاسفة الملحدين، الّذين زعموا أنّ النّفس لايلحقها الكون، والفساد، وأنّها باقيّة، وإنّما تفنىٰ، وتفسد الأجسام المركّبة، وإلىٰ هذا ذهب بعض أصحاب التّناسخ، وزعموا أنّ النّفس لم تزل تتكرر في الصّورة، والهياكلّ لم تحدث، ولم تفنَ ولن تعدم؛ وأنّها باقيّة غير فانيّة»[4].

ويشير الشّيخ ﷺ بالتناسخيّة إلىٰ الإسماعيليّة.

---

(١) الفرق بين الفرق ص: ١٦٢.

(٢) تصحيح الإعتقاد ص: ٦٨.

(٣) الرّحمن: ٢٦.

(٤) المصدر السّابق ص: ٦٣.

أنواع التّناسخ

يقول أبو المعالي الحسيني بخصوص التّناسخ: إنّ أهل هذا المذهب يقولون: إنّ الأرواح واحدة، والتّناسخ أربعة أنواع: النّسخ، والمسخ، والفسخ، والرّسخ:

فالنسخ: هو خروج الرّوح من جسم آدمي إلىٰ جسم آدمي آخر.

والمسخ: هو خروج الرّوح من جسم آدمي إلىٰ جسم حيوان.

والفسخ: هو خروج الرّوح من جسم آدمي إلىٰ جسم حشرة من الحشرات وهوامِها.

والرّسخ: هو خروج الرّوح من جسم آدمي إلىٰ الشّجر والنّبات[1].

إذاً المراتب للتناسخ أربع.

أمّا درجات التّناسخ فقد اختلفوا فيها:

١ ـ فرقة: تجوّز تكرار النّفس في جميع الأجساد النّاميّة، نباتيّة كانت أم

---

(١) بيان الأديان ص: ٢٩، الآثار الباقيّة للبيروني ص: ٣٢.

حيوانيّة.

٢ ـ وفرقة: تجوّز ذلك في الأبدان الحيوانيّة فقط.

٣ ـ وفرقة: لاتجوّز دخول نفس إنسانيّة في نوع غير الإنسان أصلاً وهم فرقتان:

«آ» فرقة: توجب التّناسخ للنفس الشّقيّة وحدها حتّىٰ تستكمل وتستعد فتتخلص عن المادة.

«ب» فرقة: توجب ذلك للنفسين كليهما، الشّقيّة، والسّعيدة.

فالشقيّة في أبدان تعبة، وتعيسة.

والسّعيدة في أبدان ذوات نعمة، وراحة[١].

والتّناسخ الّذي عمل به الغُلاة هو النّسخ، والمسخ.

ويعلّق الشّيخ المفيد على خطورة مبدأ التّناسخ قائلاً «... فأمّا ما ذكره من الأنفس باقيّة، فعبارة مذمومة، ولفظ يضاد ألفاظ القرآن قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[٢].

ويلخّص الشّيخ المجلسي الأهداف المرجوة من التّناسخ عند الغُلاة فيقول: «إن أصحاب التّناسخ قد خلّفوا وراءهم مناهج الدّين، وزيّنوا لأنفسهم الضّلالات، وأخرجوا أنفسهم من الشّهوات، وزعموا أنّ السّماء خاوية ما فيها شيء مما يوصف، وأنّ مدبرها ـ مدبّر ـ هذا العالم في صورة المخلوقين بحجّة من روىٰ أنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم علىٰ صورته[٣]، وأنّه لا جنّةً ولا ناراً، ولابعثاً

---

(١) أُنظر، الملل والنّحل ص: ٣٧، رسالة اضحوية في أمر المعاد لابن سينا ص: ٤١.

(٢) الرّحمن: ٢٦، أُنظر، شرح عقائد الصّدوق للشيخ المفيد ص: ٣٦.

(٣) صحيح مسلم: ٣٢/٨.

ولانشوراً. والقيامة عندهم خروج الرّوح من قالبه، وولوجه في قالب آخـر، إنْ كان محسناً في القالب الأوّل عيد في قالب أفضل منه حسناً في أعلىٰ درجـته، وإنْ كان مسيئاً، أو غير عارف صار في بعض الدّواب المتعبة في الدّنيا، أو هوام مشوّهة الخلقة، وليس عليهم صوم، ولا صلاة، ولا شيء من العبادة»[1].

(١) أُنظر، بحار الأنوار: ٢/ ٢٣٥.

فكرة التّأويل

هو إخراج دلالة اللّفظ من الدّلالة الحقيقيّة، إلىٰ الدّلالة المجـازيّة، مـن غـير أنّ يخل ذلك بعبارة لسان العرب في التّجوّز، ومن تسميّة الشّيء بشبيهه، أو بسببه، أو لاحقه، أو مقارنه، أو غير ذلك من الأشياء الّتي عـددت في تـعريف أصـناف الكلام المجازي[1].

ولا يقتصر وجود هذه الفكرة علىٰ الأديان السّاميّة، بل هي فكرة تكاد توجد في كلّ الأديان، وخاصّة البدائيّة[2]. وذلك لأنّ للشعوب البدائيّة ميلاً فطرياً لتشبيه الخالق بالكائن المخلوق، وظهرَ نتيجة عوامل داخليّة في نفس المجتمع.

ولشديد الأسف حتّىٰ هذه الفكرة القديمة جداً، يقول الشّهرستانيّ وأمـثاله: بأنّ الشّيعة اقتبسوها من اليهود؛ لأنّ اليهود قالوا: اشتكت عيناه فعادته الملائكة، وكذلك بكىٰ علىٰ طوفان نوح حتّىٰ رمدت عيناه، وأنّ العـرش ليـئط مـن تحـته

---

(١) أُنظر، ابن رشد فصل المقال ص: ٥٨، أساس التّقديس للرازيّ ص: ١٨٢، كشف إصطلاحات الفنون التّهانوي: ٨٩/١.

(٢) دراسات في الفرق والعقائد الإسلاميّة ص: ٢٠٧.

كأطيط الرَّحْلِ الجديد[١].

لكن الدّكتور عبد الحميد عرفان خطّأ هذا الرّأيّ من خلال ماتوصل إليه في بحثه العلمي ـ دراسات في الفرق والعقائد الإسلاميّة ـ حيث قال: «إنّني أرىٰ خلافاً لما ذهب إليه كتّاب الفرق، بأنّ لظهور التّشبيه سبباً داخليّاً، يتمثل ويتحدّد في التّمسك بالتفسير الحرفي للآيات، والأحاديث، الّتي تُضفي علىٰ الله صفات خبريّة كاليد، والسّاق، والعين، والوجه... إلخ. فإذا ما فُسّرت هذه الصّفات تفسيراً حقيقيّاً؛ انتهىٰ الأمر بتشبيه الله تعالىٰ ـ تنزه عن ذلك ـ بالبُعد، فإذاً لا حاجة لإفتراض مؤثر أجنبي، بل السّبب كما نرىٰ هو التّمسك بالحرفيّة، وحمل هذه الألفاظ علىٰ الحقيقة دون المجاز كما ينقل ابن خلدون[٢]. وهذا السّبب نفسه هو الّذي أدّىٰ ـ كما يقول الفيلسوف اليهوديّ الأندلسيّ «موسىٰ بن ميمون» ـ إلىٰ ظهور التّشبيه بين فئة من اليهود، وهم القراؤون، لا كلهم حينما تمسّكوا بحرفيّة النّص للتوراة الّتي توهم بتصورات جسمانيّة لله تعالىٰ فوقعوا في التّجسيم والتّشبيه».

أمّا فكرة التّشبيه: أوّل ما ظهرت في عهد عمر بن الخطاب، عندما فوجئت عائشة كغيرها بهذا الكلام. ثمّ أعلنت أنّ هذه الأحاديث مكذوبة، بل هي فرية عظيمة.

فقد روىٰ البخاريّ: «عن مسروق قال: قلت لعائشة: ياأُماه هل رأىٰ محمّد ﷺ ربه؟ فقالت: لقد قفّ شعري مما قلت! أين أنت من ثلاث من حدّثكهن

---

(١) الملل والنّحل: ١/ ١٤١، الإعتقادات في فرق المسلمين والمشركين للرازيّ ص: ٦٤، الفرق بين الفرق للبغداديّ ص: ٢١٤، الإنتصار للخيّاط ص: ١٤٤، ضحىٰ الإسلام: ١/ ٣٣٧.

(٢) المقدمة ص: ٤١٣.

فـقد كـذب: مـن حـدّثك أنّ محـمّداً رأىٰ ربـه فـقد كـذب، ثمّ قـرأت: ﴿لَّاتُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾[1].... ومن حدّثك أنّه يعلم ما في غدٍ فقد كذب، ثمّ قـرأت: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾[2]. ومن حدّثك أنّه كتم فقد كـذب ثمّ قـرأت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ...﴾[3]، ولذا قال ابـن خـزيمة في كـتابه التّوحيد بحقّ عائشة بعد أنْ أساء الأدب معها: «هذه لفظة أحسب عائشة تكلمت بها في وقت غضب، ولو كانت لفظة أحسن منها يكون فيها درك لبغيتها كان أجمل بها»[4].

إذاً ليست الفكرة ظهرت في صفوف الشّيعة كما يتوهّم البعض، فهذا أمر يخالف الحقيقة أيضاً. فالتشبيه في رأيّ الدّكتور عبد الحميد عرفان كما هـو واضـح مـن مقارنة الأديان، وتأريخ وفيات رؤساء المشبّهة، من مختلف الفرق فكرة ظـهرت أوّلاً في صفوف فئة من أهل الحديث، الّذين يعرفون بالحشويّة، ثمّ سرت منهم إلىٰ الجماعات الأُخر من شيعة، وسنّة، كما يقول الشّهرستانيّ: «فقد أسرفت جمـاعة من متأخري السّلف في إثبات الصّفات، وقالوا بوجوب إجرائها عـلىٰ ظـاهرها، والقول بتفسيرها كما وردت من غير تعرّض للتأويل، ولا توقف في الظّاهر فوقعوا

---

(١) الأنعام: ١٠٣.

(٢) لقمان: ٣٤.

(٣) صحيح البخاريّ: ٦/٥٠، و: ١٨/١٦٦و: ٢/٥٠، و: ٤/٨٣، صحيح مسلم: ١٠/١١٠، النّسائيّ في تفسيره: ٢/٣٣٩، إرشاد السّاريّ: ٥/٢٧٦، نهاية الإرب للنويريّ: ٨/٢٩٥، المصابيح للبغوي: ٤/٣٠، المطالب العالية للرازيّ: ١/٨٧، التّسهيل لابن جزيّ: ٢/٣٨١، التّرمذيّ في سننه: ٤/٣٢٨، الرّوص الأُنف: ٢/١٥٦، تفسير الطّبريّ: ٢٧/٣٠، الجواهر الحسان للثعالبيّ: ٣/٢٥٢، مسند أحمد: ٦/٤٩ و٢٤١، الذّهبيّ في السّيرة: ٢/١٦٦، والآية ٦٧، من سورة المائدة.

(٤) التّوحيد لابن خزيمة ص: ٢٥٥ـ٢٣٠.

في التّشبيه الصّرف، وذلك علىٰ خلاف ما اعتقده السّلف»[١].

وممّا يؤيّد ذلك هو أنّه في الوقت الّذي اختفىٰ فيه تيار التّشبيه الفكري بين الشّيعة، بعد القرن الرّابع الهجري عندما هضموا وتمثّلوا المنهج الاعتزالي في التّأويل؛ استمر تيار التّشبيه بين فئه أهل الحديث المتزمتين في التّمسك بظواهر النّصوص، ممن ربطوا أنفسهم تأريخيّاً باسم الإمام أحمد بن حنبل، حتّىٰ العصور المتأخرة، وفي ذلك يقول ابن الجوزيّ: «اعلم أنّ عموم المحدّثين حملوا ظاهر ماتعلّق من صفات الباريّ عزّ وجلّ علىٰ مقتضىٰ الحسن فشبّهوا؛ لأنّهم لم يخالطوا الفقهاء، فيعرفوا حمل المتشابه علىٰ مقتضىٰ الحكم. وقد رأينا في زماننا من يجمع الكتب منهم، ويكثر السّماع، ولا يفهم ماحصل»[٢].

وقد صارت هذه الفئة في العصور المتأخرة تناصب الأشاعرة الماتريدية العداء، لانتهاجهم أُسلوب التّأويل، ولذا قال العزّ عبد السّلام: «والحشوية والمشبّهة، الّذين يشبّهون الله بخلقه، أحدهما: لايتحاشىٰ إظهار الحشو، ويحسبون أنّهم علىٰ شيء إلّا أنّهم هم الكاذبون. والآخر: يتستر بمذهب السّلف، لسحت يأكله، أو حطام يأخذه... ومذهب السّلف إنّما هو التّوحيد، والتّنزيه، دون التّجسيم والتّشبيه»[٣].

ويؤكّد الصّفدي ذلك ويعلن: «الغالب في الحنابلة حشوية»[٤].

إنّ علم التّأويل يحتل المركز الأساسي في الفلسفة عند بعض الفرق، وخاصّة

---

(١) الملل والنّحل: ١/ ١١٨.

(٢) تلبيس إبليس ص: ١١٦.

(٣) طبقات الشّافعيّة للسُّبكي: ٨/ ٨٨.

(٤) الغيث المسجم: ٢/ ٧٢، موسوعة الأديان في العالم / الفرق الإسلاميّة ص: ١٨٧.

الباطنيّة الّتي ترتكز عليها معتقداتها؛ ولأنّ التّأويل عندهم هو علم باطن القرآن، وهو الاستدلال بالمحسوسات علىٰ المعقولات، وقد جاء عنهم: «أنّ للقرآن تأويلاً باطنياً، لايمكن أنْ يصل إلىٰ معرفته، أو ينهل من نبعه، إلّا من وصل إلىٰ معرفة ماهيّة الأشياء، ووقف علىٰ علم الحقيقة الّتي أتىٰ بها النّبيّ محمّد ﷺ وذلك بدليل الآية: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾[1].

وجاء عنهم أيضاً: أنّ الظّاهر: هو المثل، والباطن: هو الممثول، أنّ الإنسان مثل، والنّفس ممثول، والدّنيا مثل، والآخرة ممثول[2].

واستدل الكرماني علىٰ صحة التّأويل بالباطن، ببراهين منها: الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ...﴾[3] فقال: إنّ ما جاء به محمّد ﷺ من القرآن، والشّريعة مخالفاً ظاهره لأحكام العقل، كما في هذه الآية. وإستحالة إخراج الذّراري مثل الذّر، علىٰ ما جاء في التّفسير من أهل الظّاهر، واخذ إقرارها بأنّ الله تعالىٰ ربّهم مع الموجود في حكمه تعالىٰ، أنْ لا يقبل قول الصّبيان، فضلاً عن الأطفال، وقول الأطفال فضلاً عن الذّرّ، لكونهم غير مكلّفين ولا مُآخذَين.

وقد ردّ الشّيخ المفيد رحمه الله علىٰ الكرماني وأهل التّناسخ في التّمثيل، بهذه الآية فقال: «إنّ هذه الآية من المجاز في اللّغة كنظائرها، مما هو مجاز، واستعارة، والمعنىٰ فيها: أنّ الله تبارك وتعالىٰ أخذ من كلّ مكلّف يخرج من صلب آدم وظهور ذريّته العهد علىٰ ربوبيّته، من حيث أكمل عقله، ودلّه بآثار الصّنعة فيه علىٰ حدوثه، وأنّ

(١) آل عمران: ٧.

(٢) أُنظر، جامعة الجامعة: ٤٧، نقلاً عن رسائل إخوان الصّفا: ٣/ ١٩٨.

(٣) الأعراف: ١٧٢.

له محدِّثاً أحدثه لا يشبهه أحد، يستحّق العبادة منه بنعمته عليه، فذلك هو أخذ العهد منهم، وآثار الصّنعة فيهم، والإشهاد لهم علىٰ أنفسهم: بأنّ الله تعالىٰ ربهم».

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾[١] يريد أنّه لم يمتنعوا من لزوم آثار الصّنعة فيهم، ودلائل حدوثهم اللازمة لهم، وحجّة العقل عليهم في إثبات صانعهم، فكأنّه سبحانه كما ألزمهم الحجّة بعقولهم علىٰ حدوثهم، ووجود محدّثهم؛ قال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾؟[٢] فلمّا لم يقدروا علىٰ الامتناع من لزوم دلائل الحدوث لهم، كأنّهم قائلون: ﴿بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾[٣] وقوله تعالىٰ: ﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ * أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾؟[٤]

ألا ترىٰ أنّه احتج عليهم بما لا يقدرون يوم القيامة أنْ يتأوّلوا في إنكاره ولا يستطيعون؟ وقد قال سبحانه: ﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾[٥]، ولم يروا أنّ المذكور لا يسجد سجود البشر في الصّلاة، وإنّما أراد أنّه غير ممتنع من فعل الله. فهو كالمطيع لله، وهو يعبر عنه بالساجد قال الشّاعر:

بجمع تظلّ البلق في حجراته ترىٰ الأكم فيه سُجّداً للحوافر

---

(١) الأعراف: ٧٢.
(٢) الأعراف: ١٧٢.
(٣) الأعراف: ١٧٢.
(٤) الأعراف: ١٧٢.
(٥) الحجّ: ١٨.

يريد أنّ الحوافر تذل الأكم بوطيها عليها. وقال شاعر آخر:

سجود له نوعان يرجون فضله وترك ورهط الأعجمين وكابل

يريد أنّهم مطيعون له، وعبّر عن طاعتهم بالسجود[١].

وعلىٰ أية حال فإنّ التّأويل ليس محظوراً علىٰ المسلم، شريطة أنْ يملك أداته، ويحيط إحاطة واسعة بعلوم القرآن، وأسباب نزوله، وتمييز محكمه من متشابهه، ومتقدمه ومتأخّره، وخاصّه وعامّه، ومطلقه ومقيّده، وناسخه ومنسوخه، إلىٰ غير ذلك من القرائن الخفيّة.

ولهذا قال السّيّد الرّضيّ رحمه الله: «لو كان العلماء لايعلمون شيئاً من تأويل المتشابه بتّة؛ ما كان لمّا روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله علّم أمير المؤمنين عليه السلام، التّفسير معنىً، لأنّ معنىٰ التّفسير، والتّأويل إنّما يكون لمّا غمض ودقّ، ولم يعلم بظاهره وهذه صفة المتشابه، وأمّا المحكم الّذي يعلم بظاهره فلا حاجة بأحد إلىٰ تعليمه، لأنّ أهل اللّسان فيه سواء».

ولولا أنّ الأمر علىٰ ذلك؛ لمّا كان لدعاء النّبيّ صلى الله عليه وآله لابن عباس ـ بأنْ يعلّمه التّأويل ـ معنىٰ، لأنّا نعلم أنّه لم يرد صلى الله عليه وآله تعليمه الظّاهر الواضح، فلم يبق إلّا الغامض الباطن[٢].

إنّ فكرة التّأويل، لم يسلم منها أحد حتّىٰ الغزاليّ، وابن عربي في فصوص الحكم. وهل كان عمر بن الفارض يريد الإساءه إلىٰ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام عندما وصفه بالتأويل حين قال:

وأوضَحَ بالتّأويل ما كان مُشْكَلاً عليٌّ بعلمٍ نالَهُ بالوصيَّةِ ؟

---

(١) راجع رسائل الشّيخ المفيد ص: ٤٧.

(٢) الشّريف الرّضيّ حقائق التّأويل: ٥/ ٨٠٧.

فإذا كان عليّ عليه السلام مارس علم التّأويل بوصيّة من رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ فأي حرج علىٰ العارفين إذا مارسوه بشروطه ؟[١]

قال القاضي عياض : «لا خلاف بين المسلمين قاطبة ، فقيههم ، ومحدثهم ، أنّ الظّواهر الواردة بذكر الله تعالىٰ في السّماء ليست علىٰ ظاهرها ، بل متأولة عند جميعهم»[٢].

وقال أيضاً : «قال المازني : معنىٰ يدنو أيّ : تدنو رحمته ، وكرامته ، لا دنو مسافة ، ومماسة»[٣].

وقال صاحب جامع الأحاديث القدسية من الصّحاح مثل ذلك.[٤]

وقال أيضاً : «إنّ أوّل ما يجب علىٰ المؤمن أنْ يعتقد تنزيه الله تعالىٰ عن مشابهة خلقه ، واعتقاد غير ذلك مخل بالإيمان»[٥].

وقال أيضاً : «قال : قال المازني في شرح الأحاديث : هذا ما يجب تأويله لأنّها تتضمن إثبات الشّمال فتقتضي التّحديد ، والتّجسيم» [٦].

ومثل ذلك قال الذّهبيّ.[٧] وابن خزيمة في كتاب التّوحيد[٨]. والقسطلانيّ في

---

(١) أُنظر ، إحياء علوم الدّين م ٤ الجزء ١١ (كتاب ذمّ الغرور) ، بحث الغرور عند الصّوفية ، فقد قال إنّ المراد بالكوكب ، والشّمس ، والقمر ، اللّواتي رآهن إبراهيم أنواراً هي حجب الله عزّ وجلّ ولذا اتّهمه صاحب تلبيس إبليس ـ ابن الجوزيّ ـ أنّ هذا من قول الباطنيّة.

(٢) صحيح مسلم بشرح النّووي : ٥/٣ و ٢٤.

(٣) صحيح مسلم بشرح النّووي : ٥ و : ١١٧/٩.

(٤) جامع الأحاديث القدسية من الصحاح : ٧٤/١.

(٥) المصدر السّابق : ١٦٠/١.

(٦) المصدر السّابق : ١٦٧/١.

(٧) السّيرة : ٢٤٣/٨ ، وشرح مسلم بهامش السّاريّ : ١١٦/٢ و : ١٢/٣ و : ٢٤٩/١٠.

إرشاد السّاريّ.[٩] وابن جزيّ في التّسهيل.[١٠] والسُّهيليّ في الرّوض الأُنف.[١١] والرّازيّ في المطالب العالية.[١٢] وابن حزم الظّاهريّ في الفصل[١٣].

(٨) كتاب التوحيد ص: ٣٧، ط مكتبة الكليات الأزهرية.

(٩) إرشاد السّاريّ ٤: ٢٣٥ و٥: ٣١٩ و٧: ٣٦ و٩: ١٨٧ و١٠: ٢٥٠.

(١٠) التّسهيل: ٢٨٣/٣.

(١١) الرّوض الأُنف: ١٥/٣ و٢٤.

(١٢) المطالب العالية: ٤٨/٣.

(١٣) الفصل: ١٦٧/١.

فكرة الموت الظّاهريّ

والّتي تعني: المتوهّمة، أيّ أنّ المظاهر البشريّة للـمسيح، وآلامـه في الأرض أمر توهّمه النّاس، وشبّه لهم فيه، فليس ذلك حقيقة حين نشاهدها، وقد تمسكت بها فرق الغنوصيّة، وأشهر من اتّهم بها «سير پيوم» (serepion) أسقف انطاكية آنذاك.

وقد ربط المستشرق الألماني «فريد لندر»، فكرة الموت الظّاهريّ ببعض فرق الهرطقة المسيحية ويقول: ولكنها دخلت في الفكر الإسلامي بتأثير المانوية الّـتي اعتنقت هذه الهرطقة وطوّرتها. ومن هنا أخذ ابن سبأ هذه الفكرة حيث قال: «إنّ المقتول لم يكن عليّاً، وإنّما كان شيطاناً، تصور للنّاس في صورة عليّ، وإنّ عليّاً صعد إلىٰ السّماء كما صعد إليها عيسىٰ بن مريم عليه السلام»[1].

وأخذت هذه الفكرة بعض الفرق المُغالية كالرزامية، حين غالت في أبي مسلم الخراسانيّ، ورفعته إلىٰ مرتبة الألُوهيّة[2]، وهم «الأبامسلمية» وقالوا: «المنصور

(١) أُنظر، الفرق بين الفرق ص: ١٤٣، التّبصير في الدّين ص: ١٠٨.

(٢) مختصر التّحفة الإثني عشرية ص: ١٤.

كان شيطاناً، تصور بصورة أبي مسلم»[١].

وأخذت بهذه الفكرة أيضاً، الخطابية، والّتي كانت تقول لمعارضيها: «إنّ الّذين ترونهما جعفراً، وأبا الخطاب، شيطانان تمثلا في صورة جعفر، وأبي الخطاب، يصدان النّاس عن الحقّ. وجعفر، وأبو الخطاب، ملكان عظيمان عند الإله الأعظم إله السّماء»[٢].

وقالوا: «إن أبا الخطاب، لم يقتل، ولا قتل أحداً من أصحابه، وإنّما لبّس علىٰ القوم، وشبّه لهم»[٣].

وقد ردّ الشّيعة الإماميّة هذه الأكذوبة، علىٰ الرّغم من أنّها من صفات الغُلاة الّذين كفّروهم، فهذا ابن بابويه القمّي رحمه الله يقول: «اعتقادنا في موت الأئمّة عليهم السلام أنّه أُجري ذلك عليهم علىٰ الحقيقة، وأنّه ما اشتبه للنّاس أمرهم، كما يزعم من يتجاوزون الحدّ فيهم، بل شاهدوا قتلهم علىٰ الحقيقة، لا علىٰ الحسبان، والخيلولة، ولا علىٰ الشّك والشّبهة. فمن زعم أنّه شبّهوا أو واحد منهم، فليس من ديننا علىٰ شيء ونحن منه براء»[٤]. وسنبحث هذه الفكرة مفصّلاً في الفصل القادم إنْ شاء الله تعالىٰ.

---

(١) أُنظر، الفرق بين الفرق ص: ١١٤، التّبصير في الدّين ص: ١١٥.

(٢) النّوبختيّ: ٤٠ و ٦٠، الفصل في الملل والنّحل: ٤/ ١٨٧.

(٣) المصدر السّابق.

(٤) أُنظر، عقائد الشّيعة الإماميّة ـ باب نفي الغلوّ والتّفويض ـ.

وجه الشّبه، والاختلاف في الأديان الوضعية

من خلال التّتبع والدّراسة لعلم الأديان، قد ينتهي القارىء الكريم إلىٰ نقطة مهمّة، أمام الدّارسين، والباحثين، وهي نقطة أوجه الشّبه والاختلاف بين الأديان الوضعيّة، فمن يراجع سفر «دانيال» في الكتاب المفهرس ـ العهد القديم ـ ليرىٰ فيه الزّعم الموهوم، بحلول النّاسوت في اللاهوت، والّتي تقول بعض فقراته: «أنا نبوخذ نصر، قد كنت في بيتي وناضراً في قصري، رأيت حلماً فروّعني والأفكار علىٰ فراشي، ورؤىٰ رأسي أفزعتني، فصدر مني أمر بإحضار جميع حكماء بابل قدّامي، ليعرّفوني بتعبير الحلم، حينئذ حضر المجوس، والسّحرة، والكلدانيون والمنجمون، وقصصت الحلم عليهم، فلم يعرّفوني بتعبيره. أخيراً دخل قدّامي دانيال الّذي اسمه «بلطشاصر» كاسم إلهي، والّذي فيه روح الآلهة القدوسين فقصصت الحلم قدّامه: يابلطشاصر كبير المجوس، من حيث أنّي أعلم أنّ فيك روح الآلهة القدوسين، ولايعسر عليك سر»[1]. ولذا يصبح من السّهل جداً، أنْ تشير أصابع الإتهام إلىٰ ابن سبأ دون غيره، بحكم عقيدته اليهودية بأنّه أوّل من

---

(١) سفر دانيال، الإصحاح الرّابع: الفقرات ٤ ـ ٨.

طرح في مجال الغلوّ القول باللاهوت، والنّاسوت في عليّ عليه السلام[١].

وها هي صفة المسيح اليهوديّ، الّذي ذكره العهد القديم، بأنّه سيأتي من السّماء لينتقم. وقد أصبحت صفات المهديّ تساعد القائم علىٰ الانتقام. واستغلت هذه الصّفات من قبل السّبئيّة الغالِية، في أنّه ستنبع لعليّ عليه السلام عينان في مسجد الكوفة تفيض إحداهما عسلاً، والأُخرىٰ سمناً، يغترف من السّمن والعسل مايشاء بعدما ينتقم من الكل[٢].

إنّ مصدر هذا اللّون من الغلوّ والإعتقاد، هو ما ورد عن «يوئيل» من أنّه «يكون في ذلك اليوم، أنّ الجبال تقطر عصيراً، والتّلال تفيض لبناً، وجميع ينابيع يهوذا تفيض ماءً، ومن بيت الرّبّ يخرج ينبوع»[٣].

وجاء في سفر «أشعيا» معتقد يهودي قديم، يتضح تأثيره في الفكر عند الغُلاة: «يجلب الرّبّ عليك، وعلىٰ شعبك ، وعلىٰ بيت أبيك أيّاماً، لم تأت منذ اعتزال افرائيم عن يهوذا الملك آشور، ويكون في ذلك اليوم إنّ الإنسان يربّي عجلة بقر، وشاتين، ويكون أنّه من كثر صنعها اللّبن يأكلّ زبداً، فإنّ كلّ من أبقىٰ من الأرض يأكلّ زبداً وعسلاً[٤].

إذاً ابن سبأ قد افترىٰ، افتراءات فاحشة بحقّ الإمام عليّ عليه السلام بحيث أصبح في مصادر الشّيعة أنفسهم يلقىٰ من اللّعنات مايستحقه، حيث نسب إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «إنّه سيدخل دمشق، ويهدم مسجدها حجراً حجراً، ويظهر علىٰ أهل

---

(١) مختصر التّحفة الإثني عشرية ص: ١٠.

(٢) العقيده والشّريعه في الإسلام ص: ٢١٥، التّبصير في الدّين ص: ٨٥.

(٣) سفر يوئيل، الإصحاح الثّالث: فقرة ١٨.

(٤) سفر أشعيا، الإصحاح السّابع: فقرة ١٧.

الأرض، ويكشف لهم أسرارها، ويعرّفهم أنّه ربّهم»[١].

ويعبّر «ابن سبأ» عن حنينه اليهوديّ حيث يقول: «ويمحي دمشق هوذا، دمشق تزال من بين المدن، وتكون رجمة ردم»[٢].

ونراه يقول أيضاً: «يقول ربّ الجنود: واشعل ناراً في سور دمشق، فتأكلّ كلّ قصور بنهرد»[٣].

---

(١) تثبيت دلائل النّبوّة للقاضي عبدالجبار ص: ٥٤٧.

(٢) سفر أشعيا الإصحاح السّابع عشر: فقرة ١.

(٣) سفر أروميا الإصحاح: ٤٩/ فقرة ٢٧.

ربّاني هذه الأُمّة ؟

لقد تنازع في الإمام عليّ عليه السلام ، أهل السُّنَّة ، والجماعة ، كما تنازعته الشّيعة كلّ يدعيه لنفسه . فأهل السُّنَّة يقولون وَيُعلنون : أنّ أسلافهم قد رأوا في الإمام عليّ عليه السلام أوّل غلام آمن ، وعاش في حجر النّبوّة ، كما رعته خديجة الكبرىٰ ، ووقف بكلّ صغيرة وكبيرة ، مع صاحب الرّسالة في فراشه ليلة الهجرة تحرسه الملائكة ، وهو يواجه قريشاً الطّاغية ، ثمّ هاجر مع الفواطم ، ويحمل بسيفه المنايا ، ويُعلن أهل السُّنَّة أيضاً : أنّ عليّاً عليه السلام عالم المسلمين ، وفقيههم ، ومصداقاً للحديث الشّريف «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»[1] . هو فقه القرآن ، كما هو فقه السُّنَّة ، وكان فقيه أبي بكر فيما بعده ، كما كان فقيه عمر بن الخطاب .

ويذهب أهل الجماعة إلىٰ أنّه عليه السلام ، أفقه من الشّيخين ، بل من الصّحابة جميعاً . وهو الوحيد الّذي احتفظ بكلمة الإمام في كتب أهل السُّنَّة .

---

(١) تأريخ دمشق / ترجمة الإمام عليّ : ٤٦٧/٣ ، المناقب لابن المغازلي ص : ٨١ ، صحيح التّرمذيّ : ٢٩٩/٢ ، شرح الأخبار القاضي النّعمان : ٨٩/١ ، كشف الغطاء ص : ١١ ، وسائل الشّيعة : ٥٢/١/٨ .

ودعاه الحسن البصريّ «ربّاني هذه الأُمّة»[١].

إذاً ظهر الغلوّ بهذه الصّورة، ثمّ انتشر في الكوفة الّتي أصبحت عاصمة الدّولة في زمن الإمام عليّ عليه السلام، ومنها انتشر إلىٰ شرق العراق وغربه، وجنوبه.

ويفسر لنا ابن أبي الحديد انتشار الغلوّ في العراق، وفارس: «مما يتضح لي في الفرق بين هؤلاء القوم، وبين العرب الّذين عاصروا رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ هؤلاء من العراق، وسكان الكوفة، وطينة العراق مازالت تنبت أرباب الأهوال وأصحاب النّحل البديعة، وأهل هذا الإقليم أهل بصر، وتدقيق، ونظر، وبحث عن الآراء والعقائد، وشبه معترضه في المذاهب، وقدكان منهم في أيّام الأكاسرة مثل ماني، وديصان، ومزدك. والغالب علىٰ أهل الحجاز الجفاء والعجرفة ـ وليست طينتهم ـ هذه الطّينة، ولا أذهان أهل الحجاز هذه الأذهان، بل خشونة الطّبع، وحتّىٰ من سكن المدن منهم كأهل مكّة، والمدينة، والطّائف، فطباعهم قريبة من طباع أهل البادية بالمجاورة، ولم يكن فيهم من قبل حكيم، ولا فيلسوف، ولا صاحب نظر وجدل، وموقع شبهة، ولا مبتدع نحلة، ولهذا نجد مقالة الغُلاة طارئة وناشئة، من حيث سكن عليّ عليه السلام بالعراق، والكوفة، لا في أيّام مقامه بالمدينة، وهي أكثر عمره عليه السلام. ونحن نعلم أنّه قد وفد علىٰ الكوفة الفرس، والموالي وأسلموا، وكانت عالقة في أذهانهم، بعض بقايا ورواسب من عقائدهم القديمة[٢].

إذاً كانت الغنوصيّة، قبل الإسلام، وقبل ظهور الغلوّ، فقد دخل بعضهم في دين النّصرانيّة، وتزندق منهم قوم، فقالوا بالثنويّة[٣].

والثّنويّة كانت موجودة في الجزيرة العربيّة، وخاصّة في قبيلة كندة، الّتي

(١) كتاب الزّيدية، الدّكتور أحمد محمود صبحي ص: ٣٠.

(٢) شرح النّهج لابن أبي الحديد: ٧/ ١٧٦.

(٣) تأريخ اليعقوبيّ: ١/ ٢١٤.

سكنت فيما بعد الكوفة، وأنّ مسيلمة الكذّاب، قد تأثر بالثنويّة، كما يذكر الدّكتور محمّد جابر عبد العال، نقلاً عن الجاحظ في «الحيوان»: «إنّ مسيلمة طاف قبل التّنبؤ في الأسواق، الّتي كانت بين دور العجم، والعرب، يلتقون للتسويق والبيعات، كنحو سوق الأبلة، وسوق مكّة، وسوق الأنبار، وسوق الحيرة، يلتمس الحيل والنّيرنجات، واختيار المنجمين والمتنبئين»(١).

ولكن ـ للأسف الشّديد ـ نرىٰ بعض ممن ينتسب إلىٰ قائمة المؤرخين والمؤلفين، لايميز الفرق الواضح عن غيره في الغلوّ العقدي، والغلوّ في الحبّ ـ إنْ صح التّعبير ـ فالحبّ مطلوب وخاصّة حبّ آل الرّسول عليهم السلام وها هو الإمام الشّافعيّ ـ وهو أبعد النّاس عن التّشيع يردّد:

لَوْ كـانَ رَفْـضاً حبُّ آلِ محـمّدٍ   فَلْيَعْلَمِ الثـقَلانِ أنّي رافِـضُي(٢)

فالحبّ والمحبّة لا ضير فيه، بل حث الإسلام علىٰ الموالاة والإخاء والمحبّة.

أمّا الغلوّ الّذي يهدم العقيدة، وينسب إلىٰ الشّيعة، ويكوّن فِرقاً خطيرة علنية وسريّة، لتقويض الكيان الإسلامي، وتفتيت المجتمع؛ فهذا مايرفضه الإمام عليّ عليه السلام والأئمّة عليهم السلام من بعده، وأصحابهم المخلصون من المهاجرين والأنصار، من أمثال عمار بن ياسر، وسلمان المحمدي، والمقداد، وأبي الأسود الدّؤلي، وأبي ذر. كلّ هؤلاء عرفوا الأئمة عليهم السلام حقّ المعرفة، وأحلّوهم من الفضل محله. بيد أنّ منهم من قاتل مع الإمام عليّ عليه السلام، علىٰ تأويل القرآن، كما قاتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله علىٰ

(١) حركات الشّيعه المتطرفين ص: ١٧، كتاب الحيوان: ٤/ ٣٧٠.

(٢) ديوان الشّافعيّ ص: ٥٥ ط بيروت، الصّواعق المحرقة ص: ١٤٦، نور الأبصار ص: ١٠٥، نظم درر السّمطين ص: ١١٠، اسعاف الرّاغبين ص: ١١٨، مختصر التّحفة الأثني عشرية ص: ٧.

تنزيله. فقد كان معه عليه السلام في حرب صفين من أصحاب بيعة الرّضوان ثمانمئة صحابي، وقد استشهد منهم تحت رايته هنالك ثلاثمئة [١]، وكذلك كبار الفقهاء، والمراجع، ومفكروا الإماميّة. وهذا ماسيتضح من خلال الفصول القادمة. علماً بأنّ هذه الفرق الغالِية انقرضت، وليس أحد اليوم يعرف بهذا الاسم، والقول، كما يذكر السّامرائيّ [٢].

(١) مختصر التّحفة الأثني عشرية، عبد العزيز غلام الدّهلويّ ص: ٣.

(٢) كتاب الزّينة للرازيّ القسم الثّالث ص: ٣٠٣ ـ تحقيق الدّكتور السّامرائيّ.

أصناف الغُلاة

بالرغم من تحديد الشّيخ المفيد رحمه الله معنىٰ الغلوّ علىٰ من ينفي عن الأئمّة عليهم السلام سمات الحدوث، أو يحكم لهم بالإلهيّة، والقدم، ومايقتضي ذلك من خلق أعيان الأجسام واختراع الجواهر، وماليس بمقدور العباد من الإعراض [1]. إلّا أنّ بعض الفرق المنسوبه للشيعة زوراً وبهتاناً، قالت: بحلول اللاهوت في النّاسوت [2]، وظهرت هذه المقولات علىٰ يد ابن سبأ [3] الّذي زعم أنّ عليّاً حيّ لم يمت، ففيه حلّ الجزء الإلهي [4]. وغير ذلك من المقولات الخطّابية، والرّزامية، والّتي سنتطرق إليها من خلال بحث أصناف الغُلاة وهم كالتالي:

---

(١) أُنظر، أوائل المقالات وشرح عقائد الصّدوق ص: ٢٤١.

(٢) مختصر التّحفة الإثني عشرية ص: ١٠.

(٣) أثبت العلاّمة والمحقق الكبير السّيّد مرتضى العسكريّ أُسطورة عبدالله بن سبأ.

(٤) الملل والنّحل: ١/ ١٠١، ط ١٩٧٤م.

السّبئيّة

وهم أوّل فرقة من الغُلاة، نشأت بين صفوف الشّيعة، وانحرفت عن الطّريق الصّحيح، والّتي أنشأها عبدالله بن سبأ اليهوديّ الأصل [١] - إنْ قلنا بوجوده، وقد أثبت العلاّمّة السّيد مرتضىٰ العسكري بأنّه أُسطورة[٢] - الّذي أسلم، واندس بين شيعة الإمام عليّ عليه السلام، وأخذ يتطرف كثيراً، ويختلق بعض الأفكار الغالِية، وينسبها إلىٰ أهل البيت عليهم السلام، وهم منها براء.

وعبدالله بن سبأ هو أوّل من أظهر الطّعن علىٰ أبي بكر، وعمر، وعثمان،[٣] والصّحابة، وتبرأ منهم، وادّعىٰ أنّ عليّاً أمره بذلك.

كما زعم بأنّ عليّاً عليه السلام في السّحاب، وأنّ الرّعد صوته، والبرق سوطه، أو تبسمه، قد بدأ يشاع ويتردد علىٰ الألسنة[٤]، بل أكثر من ذلك فقد شاعت مقولات من الغالين السّبئين عن عليٍّ عليه السلام، أنّه ربّ العالمين[٥]. حيث قال قائلهم له: «أنت أنت، أو أنت هو»[٦].

---

(١) تجمع المصادر السُنيَّة، والشّيعية علىٰ أنّه كان يهودياً، راجع نشأة الفكر الفلسفيّ: ٢٥/٢، وتأريخ الطّبريّ، والشّهرستانيّ، والبغداديّ، وابن حزم، والنّوبختيّ، والقمّي.

(٢) لقد فند وجود ابن سبأ، وأثبت وضع حكايتة من قبل سيف بن عمر (ت ١٧٠ هـ)، الّذي اتفق علماء الرّجال علىٰ كذبه ووضعه للروايات، راجع كتابه (عبد الله بن سبأ).

(٣) تأريخ الطبري: ٣٤٠/٤، بلفظ: أنّ عثمان أخذها ـ الخلافة ـ بغير حقّ.

(٤) أنظر، شرح النّهج لابن أبي الحديد: ٣٠٩/٢، الأشعريّ ص: ١٩ الشّيعة في التّأريخ محمّد حسين الزّين ص: ١٧٢.

(٥) المعارف ص: ٦٢٢.

(٦) المقالات: ٨٦/١، وفسر الشّهرستانيّ هذا القول بأنّه يعني أنت الإله، كما جاء في الملل: ١٧٤/٢، ⟺

والظّاهر أنّ عبدالله بن سبأ، لم يكن علىٰ هذه المقولة الغالِية، ولم يشمله الإحراق، بل يقول ابن أبي الحديد: «استترت هذه المقولة سَنَة، أو نحوها، ثمّ ظهر ابن سبأ بعد وفاة ـ إستشهاد ـ الإمام عليّ عليه السلام، فاظهرها واتبعه قوم فسمّوا السّبأية»[1].

وقال الشّهرستانيّ: «وإنّما أظهر ابن سبأ هذه المقولة بعد انتقال عليّ عليه السلام»[2].

ولكن الأسترابادي يخالفهما، بما رواه من: «أنّ عبدالله بن سبأ كان يدّعي النّبوة، ويزعم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام، هو الله تعالىٰ، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فدعاه وسأله، فأقرّ وقال: نعم أنت هو، فقال له أمير المؤمنين: قد سخر منك الشّيطان، فارجع عن هذا وتب ثكلتك أُمّك، فأبىٰ فحبسه ثلاثة أيّام، فلم يتب فأحرقه بالنّار»[3].

ولكن لايبعد أنْ يكون الأرجح، هو رأيّ ابن أبي الحديد: من أنّ ابن سبأ لم يشمله الإحراق. ولكن يمكن الجمع بين الرّأيين بأنّ ابن سبأ، أظهر ذلك في حياة الإمام عليّ عليه السلام وقال له: (أنت، أنت)، لكنّه أخفاه أيّام نفيه إلىٰ المدائن، وبعد أنْ صاح النّاس من كلّ ناحيّة: «يا أمير المؤمنين... أتقتل رجلاً يدعو إلىٰ حبّكم أهل البيت، وإلىٰ ولايتك، والبراءة من أعدائك، فعدل الإمام عليه السلام عن قتله، وسيرّه إلىٰ المدائن فقام بها إلىٰ أنْ قتل الإمام عليه السلام، ولمّا بلغه استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام قال

⇔ ويقول ذلك البغداديّ، في الفرق بين الفرق ص: ١٤٤، والمقريزي، في الخطط: ٣٠٣/٣، والإيجي في شرح المواقف: ٣٨٥/٨.

(١) نهج المقال ص: ٢٠٣.

(٢) الملل والنّحل: ١/ ١٠١.

(٣) نهج المقال ص: ٢٠٣.

للذي نعاه: «كذبت ياعدو الله، لو جئتنا ـ والله ـ بدماغه في سبعين صرة، وأقمت علىٰ قتله سبعين عدلاً ما صدّقناك، ولعلمنا أنّه لم يمت، ولم يقتل، وأنّه لايموت حتّىٰ يسوق العرب بعصاه ويملك الأرض»[١]. ثمّ بعدها بسَنَة، أو أقل، أظهر مقولته.

لقد تشعبت مقولات الغُلاة، حين زعموا، أنّ علياً لم يمت، ولم يُقْتَلْ، وفيه حلّ الجزء الإلهي، وهو الّذي يأتي في السّحاب، وإنّه سينزل بعد ذلك إلىٰ الأرض.

ومن الجدير ذكره ما قاله محمّد بن أحمد بن عبد الرّحمن الملطي الشّافعيّ المتوفىٰ سَنَة (٣٧٧ هـ): «إنّ قول الرّوافض: عليٌّ في السّحاب، فإنّما ذلك قول النّبيّ ﷺ، لعليّ عليه السلام، عندما أقبل وهو معتمٌّ بعمامة للنبيّ ﷺ كانت تدعىٰ «السّحاب» فقال ﷺ: «قد أقبل عليٌّ في السّحاب»، يعني في تلك العمامة الّتي تسمىٰ السّحاب، فتأوّلوه هؤلاء علىٰ غير تأويله»[٢]. وهذا ما جاء أيضاً في البحر الزّخار[٣]. وجاء مثله في السّيرة الحلبية[٤].

والشّيعة الإماميّة تقول هذا أيضاً ـ إنّ علياً في السّحاب ـ ولم يأوّله أحد منهم قط، لكن الّذي أوّله هو الملطي نفسه، وأمثاله، علىٰ هذا التّأويل، ونسبه إلىٰ الشّيعة، وها هي كتب الشّيعة الإماميّة في القرون الماضيّة، والحاضرة، مشحونة بالبراءة من هذه النّسب المختلقة بأقلام المناوئين، والمأجورين، رجال الفرية والبذاءة. ولذا قال قسم من السّبئيّة أنّ علياً لم يمت، وأنّه مستقر في السّحاب، وقال

---

(١) أُنظر، المقالات للأشعري ص: ١٩، الشّيعة في التّأريخ ص: ١٧٢.

(٢) التّنبيه والرّد ص: ٢٦.

(٣) البحر الزّخّار: ١/ ٢١٥.

(٤) السّيرة الحلبية: ٣/ ٣٦٩.

قسم آخر منهم: إنّ عليّاً مات، ولكنه سيبعث يوم القيامة، ليقاتل الدّجال، وينشر العدل. ثمّ طوّرت السّبئيّة عقيدتها في الإمام عليّ عليه السلام، بالقول بأُلوهيّته، وقالوا: إنّه إله العالمين، وإنّه توارىٰ عن خلقه سخطاً منه عليهم.

فلماذا هذا الخلط بين الشّيعة الإماميّة، وفرقة السّبئيّة الكافرة. والّتي دفعت الإمام عليّاً عليه السلام، بعد مقولتهم: «أنت الخالق الباريّ» إلىٰ استتابتهم أوّلاً، فلمّا لم يرجعوا أوقد لهم ناراً وأحرقهم، أو دخن عليهم دخاناً حتّىٰ ماتوا؟

وهؤلاء هم الّذين قالوا: إنّ الأئمّة عليهم السلام آلهة، وملائكة، وأنبياء، ورسل، وتكلّموا في الأظلة، والتّناسخ في الأرواح، والدّور، والكور، في هذه الدّار، وإبطال القيامة، والبعث، والحساب، والجنّة، والنّار، وغير ذلك من الهذيان. وزعموا أنّ لا دار إلّا الدّنيا، وأنّ القيامة إنّما هي خروج الرّوح من بدن، ودخوله في بدن آخر، إنْ خيراً فخير، وإنْ شراً فشر مسرورون في هذه الأبدان، أو معذّبون فيها. من كان معذّباً فالأبدان هي الجنات، وهي النّيران، منقولون في الأجسام الإنسيّة المنعّمة في حياتهم، ومنقولون في الرّديّة المشوّهة، من كلاب، وقردة، وخنازير، وحيات، وعقارب، وخنافس، وجعلان، وغير ذلك من الدّواب، والأنعام، علىٰ قدر أعمالهم، محولون من بدن إلىٰ بدن، معذبون فيها، هكذا فهي جهنمهم، ونارهم. وذلك علىٰ مايكون منهم من عظيم الذّنوب، وكبائرها في إنكارهم لأئمّتهم، ومعصيتهم لهم، إنّما يسقط الأبدان ويخرب إذا هي مساكنهم فتتلاشىٰ الأبدان، وتفنىٰ، وترجع الرّوح في قالب آخر منعّم، أو معذّب.

ومن عقائدهم أيضاً: إنّما الأبدان قوالب، ومساكن بمنزلة الثّياب الّتي يلبسها النّاس، فتبلىٰ، وتتمزق، وتطرح، ويلبس غيرها، وبمنزلة البيوت يعمرها النّاس، فإذا تركوا وعمروا غيرها خربت، والثّواب، والعقاب علىٰ الأرواح دون الأبدان،

وتأوّلوا قوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[١]. ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾[٢]. فجميع الطّير، والسّباع، والدّواب، كانوا أُمماً أُناساً، خلت فيهم نذر من الله، واتّخذ عليهم ربّهم الحجّة ...[٣].

ونحن لانريد هنا مناقشة هذه الآراء، وإنّما نكتفي بجواب الشّيخ المفيد رحمه الله عندما أجاب عن سؤال ورده من شخص. والسّؤال هو: ما هو الإنسان؟ هل هو هذا الشّخص المرئيّ المدرك، أو هو جزء حالّ في القلب، حساسّ دراك؟

فأجاب الشّيخ رحمه الله بقوله: «هو قائم بنفسه، لا حجم له، ولاحيّز، ولايصحّ عليه التّركيب، ولا الحركة، ولا السّكون، والإجماع، والافتراق، وهو الشّيء الّذي كانت تسميّه الحكماء الأوائل: «الجوهر البسيط»، وكذلك كلّ حيّ فعّال، محدث، فهو جوهر بسيط... يحتمل العلم، والقدرة، والحياة، والإرادة، والكراهة، والبغض، والحبّ، قائم بنفسه، محتاج في أفعاله إلىٰ الآلة الّتي هي الجسد، والوصف، بأنّه حيّ، يصح عليه القول بأنّه عالم، قادر... إلىٰ أنْ يقول؛ «وقد يعبّر عنه بـ(الرّوح)، وعلىٰ هذا المعنىٰ جاءت الأخبار: أنّ الرّوح، إذا فارقت الجسد نُعمّت، وعُذّبت. والمراد أنّ الإنسان الّذي هو الجوهر البسيط، يسمي (الرّوح)، وعليه الثّواب والعقاب، وإليه توجّه الأمر، والنّهي، والوعد، والوعيد، وقد دل القرآن علىٰ ذلك بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۞ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۞ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[٤]، فأخبر تعالىٰ أنّه غير

---

(١) الأنفطار: ٨.

(٢) الأنعام: ٣٨.

(٣) أُنظر، المقالات للأشعري ص: ٤٦، التّنبيه والرّد علىٰ أهل الأهواء والبدع للملطي ص: ١٨.

(٤) الأنفطار: ٧.

الصّورة، وأنّه مركّب فيها، ولو كان الإنسان هو الصّورة لم يكن لقوله: ﴿فِىٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[١] معنىً، لأنّ المركب في الشّيء غير الشّيء المركب فيه، ولامجال أنْ تكون الصّورة مركّبة في نفسها، عينها لِما ذكرناه[٢].

وتعاظم أمر السّبئيّة بعد ابن سبأ، فهذا المغيرة بن سعيد، أراد أنْ يحدث لنفسه مقالة يستهوي بها قوماً، وينال بها مايريد فقال: «لو شاء عليّ عليه السلام لأحيا عاداً، وثمود قروناً بين ذلك، وتعاظم أمرهم، فادعوا حلول الذّات الإلهيّة المقدسة في قوم من ذريّة أمير المؤمنين، ثمّ قالوا بالتناسخ، وجحدوا البعث، والنّشور، وأسقطوا الثّواب والعقاب، وبالتالي جعلوا لابن سبأ، وغيره قوة في البيان السّاحر فوق كلّ قوة»[٣].

ثمّ تطوّرت فكرة ابن سبأ، وتجاوزت عن القول بإلهيّة فرد من المخلوقين إلىٰ القول بإلٰهيّة مجموعة من الأفراد: فالراوندية ألّهوا المنصور العباسي، والبنانيّة ألّهوا بنان بن سمعان، والرّزامية ألّهوا أبا مسلم الخراسانيّ، بل تعدت الخطابيّة بزعمها أنّهم كلّهم أنبياء، وحكم المقريزي: «بأنّ الغالِية ليسوا بمسلمين، ولكنّهم أهل ردّة، وشرك»[٤]. ومع ذلك كلّه ومع الأسف الشّديد عدّهم من الشّيعة.

وهكذا فعل الشّهرستانيّ، وابن خلدون، رغم قوله: «وكفانا مؤنة هؤلاء

(١) الأنفطار: ٨.

(٢) أنظر، رسائل الشّيخ المفيد ص: ٥٢.

(٣) أنظر، تأريخ ابن خلدون: : ١٧٦/٢، محاضرات الخضري المصريّ، وأحمد أمين في فجر الإسلام، وخطط المقريزي الجزء ٤.

(٤) أنظر، الخطط: ١٦٤/٤، الفرق بين الفرق ص: ٢٢٣، و ١٥، التّبصير في الدّين ص: ٧١، الفصل في الأهواء: ١٤٦/٤، ٣٦٥، البدء والتّأريخ: ١٢٩/٥.

الغُلاة أئمّة الشّيعة، فإنّهم لايقولون بها، ويبطلون احتجاجاتهم عليها»[١].

وبالرغم من هذا، وذاك، فإنّ المصادر السُّنيَّة، والشّيعيّة، تجمع علىٰ أنّ ابن سبأ كان يهوديّاً، ومن أهل اليمن، أظهر إسلامه في السَنَة السّابعة من خلافة عثمان ابن عفان[٢]. وأخذ ينتقل بين الأمصار من صنعاء إلىٰ الحجاز، ومن ثمّ إلىٰ البصرة، والكوفة، وبالتالي استقر في مصر يقول ابن كثير: «إنّ سبب تألب الأحزاب علىٰ عثمان: أنّ رجلاً يقال له عبدالله كان يهوديّاً، فأظهر الإسلام وصار إلىٰ مصر فأوحىٰ إلىٰ طائفة من النّاس كلاماً اخترعه من نفسه، مضمونه: أنّه يقول للرجل: أليس قد ثبت أنّ عيسىٰ بن مريم سيعود إلىٰ الدّنيا؟ فيقول الرّجل: بلىٰ فيقول له: فرسول الله ﷺ أفضل منه، فما تنكر أنْ يعود إلىٰ الدّنيا، وهو أشرف من عيسىٰ بن مريم؟ ثمّ يقول: وقد كان أوصىٰ إلىٰ عليّ بن أبي طالب عليه السلام محمّد خاتم الأنبياء، وعليّ خاتم الأوصياء، ثمّ يقول: فهو الأحقّ بالإمرة من عثمان، وعثمان مقيّد في ولايته ماليس له، فأنكروا عليه، وأظهروا الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر»[٣].

إذاً ابن سبأ يظهر في كتب السُّنَّة، والجماعة، كما يظهر في كتب الشّيعة كشخصيّة تأريخيّة حقيقيّة تارةً، ووهمية تارةً أُخرىٰ، فيذهب أبو خلف الأشعريّ القمّي، إلىٰ أنّ أوّل من أظهر الغلوّ في عليّ عليه السلام هو ابن سبأ، واسمه «عبدالله بن وهب الرّاسي الهمداني، وأنّ ممّا ساعده علىٰ نشر آرائه، عبدالله بن حرس، وابن أسود. ويذكر أبو خلف: أنّ ابن سبأ كان أوّل من أظهر الطّعن علىٰ أبي بكر، وعمر، وعثمان،

(١) المقدمة ص: ١٣٩.

(٢) تأريخ الطّبريّ: ٢٨٥٩/١ ط الحجر، فرق الشّيعة للنوبختيّ ص: ٢٢، مقالات الإسلاميين ص: ٢.

(٣) البداية والنّهاية: ١٦٧/٧.

والصّحابة، وأعلن التّبرأ منهم»[١].

أمّا الأُستاذ الدّكتور عليّ الوردي، فينكر وجود هذه الشّخصيّة إطلاقاً كما أنكرها من قبله العلاّمة السّيّد مرتضىٰ العسكريّ في كتابه «عبدالله بن سبأ».

وحاول الوردي ببراعة فائقة، أنْ يثبت أنّ ابن سبأ هو عمار بن ياسر. ثمّ حمّل النّواصب من أعداء أهل البيت العلوي، ابن سبأ تلك الشّخصيّة الوهميّة، تلك العقائد النّاشزه المنتشرة، في كتب العقائد، والّتي لعنها أهل السُّنَّة، والجماعة معاً، كما لعنها الشّيعة الإماميّة[٢].

وكذلك أبرز الدّكتور الشّيبيّ، وثائق جديدة، تبين التّطابق التّام بين شخصيّتي ابن سبأ، وعمّار بن ياسر[٣]. ثمّ نسب أعداء الشّيعة الإماميّة من الأُمويين إلىٰ ابن سبأ، أو بمعنىٰ أدق شخصيّة ابن ياسر، تلك الآراء الغالِية، الّتي لم ينطق بها أبداً. وإنّ الأُمويين أخفوا اسم عمّار بن ياسر الصّحابي الجليل تحت اسم ابن سبأ حتّىٰ لاتثور ثائرة أهل الشّام حين يعلمون أنّ ابن ياسر، والملتفين حوله، هم أتباع الإمام عليّ عليه السلام.

ويقول طه حسين في معرض حديثه عن صفين:

(أقل ما يدل عليه اعراض المؤرخين عن السّبئية، وعن ابن السّوداء في حرب صفين أنّ أمر السّبئية، وصاحبهم ابن السّوداء إنّما كان متكلفاً منحولاً، وقد اُخترع أخيراً حين كان الجدل بين الشّيعة وغيرهم من الفرق الإسلاميّة، أراد خصوم

(١) المقالات والفرق، نشر الدّكتور محمّد جواد مشكور ص: ٢٠، طبع (١٩٦٣م).

(٢) وعاظ السّلاطين ص: ٢٧٤ ـ ٢٧٨.

(٣) الصّلة بين التّصوف والتّشيع: ١/٢٦ ـ ٣٩.

الشّيعة أنْ يدخلوا في أُصول هذا المذهب عنصراً يهودياً إمعاناً في الكيد لهم، والنّيل منهم، ولو قد كان أمر ابن السّوداء مستنداً إلىٰ اساس من الحقّ، والتّأريخ الصّحيح، لكان من الطّبيعي أنْ يظهر اثره، وكيده في هذه الحرب المعقدة المعضلة الّتي كانت بصفين، ولكان من الطّبيعي أنْ يظهر اثره في تكوين هذا الحزب الجديد، الّذي كان يكره الصّلح، وينفر منه، ويكفر من مال إليه أو شارك فيه)[١]. والخلاصة هي لا وجود لابن السّوداء أصلاً، بل لم يكن إلا وهماً، وإنْ وجد بالفعل فلم يكن ذا خطر كالذي صوره المؤرخون، وصوروا نشاطه أيام عثمان بن عفان.

إذاً الفرقة الأُولىٰ هي السّبئيّة ويقولون: «إنّ يوشع بن نون وصي موسىٰ كذلك هم أوّل من شهد بالقول بفرض إمامة عليّ عليه السلام، وأظهر البراءة من أعدائه. ويبدو أنّ الرّفض هنا بمعنىٰ رفض الشّيخين»[٢]، كما يذهب إلىٰ هذا الرّأيّ النّوبختيّ[٣].

وقال الشّهرستانيّ: «إنّ السّبئيّة أوّل فرقة قالت: بالغيبة، والرّجعة، وبالتناسخ الرّوحي الإلهي في الأئمّة عليهم السلام إلىٰ أنْ قال: وهذا المعنىٰ مما كان يعرفه الصّحابة، وإنْ كانوا علىٰ خلاف مراده، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان يقول في عليّ عليه السلام حين فقأ عين واحد في الحرم: «ماذا أقول في يد الله فقأت عيناً، في حرم الله؟ فأطلق عمر بن الخطاب اسم الإلهيّة عليه لمّا عرف عنه ذلك»[٤].

وكان السّيّد الحميريّ يقول: برجعة الأموات، وفي ذلك يقول:

إلىٰ يومٍ يؤوبُ النّاس فيه　　　إلىٰ دنياهُم قبل الحساب

(١) أُنظر، كتاب الدّكتور طه حسين «عليّ وبنوه»: ٩٨ـ ٩٩.

(٢) نشأة الفكر الفلسفيّ في الإسلام: ٢/ ٣٨.

(٣) فرق الشّيعة ص: ٢٣.

(٤) الملل والنّحل: ١/ ١٠٠.

ومن المعلوم والثّابت تأريخيّاً، أنّ أوّل من قال بحلول الجزء الإلهي في الأشخاص هم النّصارىٰ، إذ قالوا بالُوهيّة المسيح، كما وصفها بولس الرّسول[١].

واعتقد بعضهم أنّ عيسىٰ (ابن الله) المقدّس.

وقالت الحائطية: إنّ المسيح تدرّع بالجسد الجسماني، وهو الكلمة القديمة المتحدة. وكان قبل التّدرع عقلاً، وهو الّذي يأتي يوم القيامة في ظلل من الغمام، وأنّ للخلق ربّين ـ والعياذ بالله ـ أحدهما قديم: هو الله. والآخر مخلوق: هو عيسىٰ[٢].

ومن الظّريف ذكره أنّ بعضهم قال شعراً عندما وضعهم الإمام عليّ عليه السلام في الحفرة، ومما ينسب إليه من الشّعر:

ولمّا رأيت الأمر أمراً منكراً أجّجت ناراً ودعوت قنبرا[٣]

فلمّا سمع الإمام عليّ عليه السلام يردّد هذا الشّعر قال بعضهم:

لترم بي المنيّة حيث شاءت إذا لم ترم بي في الحفرتين

إذا ما حُشّتا حطباً بنار فذاك الموت نقداً غير دين

وقال بعضهم فيه عليه السلام:

ومَن أهلك عاداً وثمو داً بدواهيه

ومن كلّم موسىٰ فو ق طور إذ يناديه

ومَن قال علىٰ المنـ بر يوماً وهو راقيه

---

(١) المسيحيّة ص: ١٢٤.

(٢) تأريخ الإسلام السّياسي: ٢١٥/٣.

(٣) التّنبيه والرّد ص: ١٩ و ٢٥، معرفة الرّجال ص: ٣٠٨، مختصر سيرة الرّسول ٩ للشيخ عبد الله بن محمّد ص: ٤٣٤، دعائم الإسلام: ٤٩/١، الفصل لابن حزم: ١٨٦/٤.

سـلوني أيّهـا النّـاسُ ... فـحاروا في مـعانيه

وقال آخر:

إنّمـا خـالق الخـلائق مـن زَعـْ ... زع أَركان حـصنِ خَـيبر جَـذْبا

قـد رضينا بـه إمـاماً ومـولىً ... وسـجدنا له إلهـاً وربّـا

وقال إسحاق بن سويد العدوي:

بـرئت مـن الخـوارج لست مـنهم ... مـن الغـزّال مـنهم، وابـن بـاب

ومـن قـوم إذا ذكـروا عـليّاً ... يـردون السّـلام علىٰ السّحاب

ولكـني أُحب بكـل قـلبي ... وأعـلم أنّ ذاك مـن الصّـواب

رسـول الله والصّـديق حـبّاً ... به أرجـو غـداً حسـن الثّـواب[١].

هذه هي أفكار السّبئيّة، والّتي لاتمثّل آراء الإمـاميّة إطـلاقاً، وإنّمـا هـي أفكـار «فوكلورية»، محملة بالحشو الغنوصيّ اليهوديّ، وقد وقع الخليفة الثّاني عمر بن الخطاب في نفس الأمر، حين علم بانتقال الرّسول صلى الله عليه وآله إلىٰ الرّفيق الأعلىٰ فأعلن: أنّ محمّداً لم يمت، وأنّه لم يمت، بل إنّما ارتفع ـ رفع ـ إلىٰ السّماء وأنّه سيعود مرة ثانيّة، وتغيّب كما تغيّب موسىٰ بن عمران أربعين ليلة ثمّ يعود، لكن أبـابكر أسكـته[٢]. وعلىٰ أيّ قد تبرّأ أهل البيت عليهم السلام مـن هـذه الأفكـار، وكـذلك عـلماء، وفـقهاء الإماميّة[٣].

ولانريد أنّ نناقش فكرة الرّجعة، والتُّهم الموجهة ضد الشّيعة بشأنهـا؛ بـل

---

(١) أُنظر، الملل والنّحل: ١/ ٢٩٣.

(٢) تأريخ اليعقوبيّ: ٢/٦٥، الملل والنّحل: ١/ ١٥، تأريخ الطّبريّ: ٣/ ٢٠٠ صحيح البخاريّ: ٦/ ١٧.

(٣) مقالات القمّي ص: ٢٠.

نقل كلام الشّيخ المفيد؇ للإختصار، وموضع الحاجة:

هذا مذهب مختص به آل محمّد، وقد أخبر الله عزّ وجلّ في قوله تعالىٰ: ﴿وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[١]. وقال سبحانه في حشر الرّجعة: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[٢]، فأخبر أنّ الحشر حشران: حشر عام، وحشر خاص.

وقال سبحانه يخبر عمّن يحشر من الظّالمين أنّه يقول: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾[٣].

ثمّ أورد تفسير أهل السُّنَّة للآية واجاب عنه موضحاً وجه اللّبس في فهم الآية حيث قال: «والرّجعة عندنا تختص بمَن يمحض الإيمان، ويمحض الكفر، دون ماسوىٰ هذين الفريقين... والرّجعة إنّما هي للممحضي الإيمان من أهل الملّة، ولممحض النّفاق منهم، دون من سلف من الأُمم الخاليّة»[٤].

علىٰ أنّ الشّيعة الإماميّة لم يجمعوا علىٰ الرّجعة، بل ردّها قوم منهم، وأوّلوا الأخبار الوارده فيها. ولذا قال الشّيخ المفيد؇: «واتفقت الإماميّة علىٰ وجوب رجوع كثير من الأموات إلىٰ الدّنيا قبل يوم القيامة، وإنْ كان بينهم في معنىٰ الرّجعة إختلاف»[٥].

إنّ إنكار الرّجعة في واقع الأمر إنكار لقدرة الله علىٰ إحياء الموتىٰ قبل يوم

(١) الكهف: ٤٧.

(٢) النّمل: ٨٣.

(٣) غافر: ١١.

(٤) رسائل الشّيخ المفيد ص: ٤٣.

(٥) أوائل المقالات ص: ٥.

القيامة فقد قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾[1] وقال تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[2]. وقول الشّيعة بالرجعة مأخوذ من كتاب الله، وليس هنا مناقشتها.

ولانعتقد أنّ الشّهرستانيّ، وأمثاله، لم يعرف رأيّ الإماميّة في الرّجعة، بل الّذي عرفه وبنىٰ أحكامه عليه، هو رأيّ غير الإماميّة الّذين فسرو الرّجعة بالتناسخ، ولذا قال النّوبختيّ عنهم: «وهذا معنىٰ الرّجعة عندهم»[3]. ويقصد بذلك الخُرمدينية، وهم ليسوا من الشّيعة، إنّما هم أصحاب أبي مسلم الخراسانيّ، وسمّوا بذلك نسبة إلىٰ «خُرّم آباد»، قرية من قرىٰ الرّيّ. فهل من المعقول أنّ مثل الشّهرستانيّ لايميز بين الرّجعتين؟

إذاً الحديث عن السّبئية ـ هو حديث الوضع، والوضاعين، حديث الافتعال والمفتعلين، الّذين وضعوا الحديث كذباً، وزوراً، ونسبوه إلىٰ رسول الله ﷺ، وأهل بيته الكرام البررة عليهم السلام، وافتعلوا من السّير، والأخبار، والحوادث إرضاءً للحاكمين، ما شاءوا، وشاءت مصالحهم.

---

(١) البقرة: ٢٣٤.

(٢) القيامة: ٤٠.

(٣) فرق الشّيعة ص: ٣٧.

الكيسانيّة

فرقة نشأت في النّصف الثّاني من القرن الأوّل الهجري، أتباع المختار بن أبي عبيدة الثّقفي الّذي كان لقبه (كيسان) فنسبت إليه[١]، ولقّب بلقبه هذا صاحب شرطته (أبو عمرة، كيسان بن عمر)[٢]. وقد ادّعىٰ المختار أنّ محمّداً بن الحنفيّة قد أمره بالثأر، وقتل قتلة الحسين عليه السلام[٣]، وأنّه الإمام بعد أبيه. وادّعت الكيسانيّة: أنّ الإمامة بعد الإمام عليّ عليه السلام لمحمّد بن الحنفيه، لأنّ الإمام عليّاً عليه السلام دفع إليه الرّاية يوم الجمل دون أخويه. وقال قسم آخر منهم أنّ الحسين عليه السلام أوصىٰ له[٤].

ونقل الأشعريّ: أنّ المختار لم يكن يُكفّر من تقدم عليّاً من الخلفاء الثّلاثة، ولكنّه كان يُكفّر أهل صفين، وأهل الجمل[٥].

ويذكر البغداديّ: أنّ السّبئيّة قد خدعت المختار، وقالوا له: أنت حجّة هذا الزّمان، وحملوه بعد ذلك علىٰ دعوىٰ النّبوّة، فادعاها عند خواصّه، ثمّ زعم أنّ الوحي كان ينزل عليه، ونظم في ذلك قولاً مسجوعاً[٦].

لكن الأشعريّ القمّي يقول: إنّ المختار ادّعىٰ أنّه وصي محمّد بن الحنفيّة وعامله، وكفّر من تقدم عليّاً، كما كفّر أهل صفين، والجمل، وقال: إنّه يوحىٰ إليه

---

(١) فرق الشّيعة ص: ٢٠.

(٢) أنظر، المقالات والفرق للأشعري ص: ٢١، الملل والنّحل: ١/١٩٦، ٢٢٣ التّبصير ص: ٢٠، الفرق بين الفرق ص: ٣٨، البدء والتّأريخ ص: ٥/١٣٠.

(٣) فرق الشّيعة ص: ٢٤.

(٤) أنظر، المصادر السّابقة.

(٥) المقالات والفرق ص: ٢٢.

(٦) الفرق بين الفرق ص: ٤٠.

وإنّ جبريل، وميكائيل، ينزلان عليه بالوحي[١].

وافترقت الكيسانيّة إلىٰ فرق شتىٰ، بسبب تفضيل محمّد بن الحنفيّة، لأنّ بعضهم قد غالىٰ فيه، كما فعلت الكربية أصحاب أبي كرب الضّرير، وقال: إنّه ـ أيّ محمّد بن الحنفيّة ـ حيّ يرزق بجبل رضوىٰ، وأسد عن يمينه، وآخر عن شماله[٢]، يحفظانه، ويأتيه رزقه، غدوة وعشيّة، وعنده عينان نضّاختان تجريان بالماء والعسل. وأضافوا أنّ الأروىٰ تغدو عليه وتروح فيشرب من ألبانها، ويأكلّ من لحومها[٣] إلىٰ وقت خروجه، وهو المغيّب عن الخلق.

بينما تقول فرقة أُخرىٰ: إنّما جعل في جبل رضوىٰ عقوبة لركونه إلىٰ عبد الملك ابن مروان، وبيعته إيّاه.

وقد أوكلّ الله أمر حراسته إلىٰ السّباع، إلىٰ آوان خروجه، ولذا قال فيه إسماعيل الحميريّ[٤]:

يا شعب رضوىٰ ما لمن بك لا يرىٰ حتّىٰ متىٰ تخفي وأنت قريب

يا ابن الوصي ويا سمّي محمّد وكنيه نفس عليك تذوب

---

(١) المقالات والفرق ص: ٢٢، أنساب الأشراف: ٢٤٦/٥، تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص: ٥٠، نشر دار الكتاب العربي بيروت / لبنان، التّنبيه والرّد ص: ٢٣.

(٢) فرق الشّيعة ص: ٢٩، ولكن بلفظ ونمر عن يساره.

(٣) راجع، الملل والنّحل: ١٥٠/١، فرق الشّيعة ص: ٢٦، والأروىٰ: جمع أُروية وهي تقع علىٰ الذّكر والأُنثىٰ من الوعل، والوعل هو تيس الجبل، وهو جنس من المعز الجبلية. (راجع المعجم الوسيط: ١٥/١، و: ١٠٤٤/٢، مجمع اللّغة العربية، ١٩٧٢م).

(٤) هو السّيد إسماعيل بن محمّد بن يزيد بن ربيعة الحميريّ، ويكنىٰ أبا هاشم، وكان علىٰ مذهب الكيسانية، (ت ١٧٣هـ). الأغاني: ٢٦٦٩/٧، الكيسانية في التّأريخ والأدب ص: ٣١٥، الفرق بين الفرق ص: ٢٩، الملل والنّحل: ١٥٠/١.

لو غـاب عـنا عُـمْرَ نـوح أيـقنت ـــ مـنا النّـفوس بأنّـه سيؤوب[١]

وينسب إليه أيضاً:

ماذاق ابـن خـولة طـعم مـوت ـــ ولا ضـمّت له أرض عـظاما[٢]

وإن له بـه لمـقيل صـدق ـــ وأنـدية تحـدّثه كـراما[٣]

ونحن نشك في أصل وجود هذه الفرقة، لانّ محمّداً بن الحنفيّة، كان أتقىٰ وأبر من أنْ يدّعي الإمامة لنفسه، أو يسمح لأحد يدين بإمامته، وقد سمع من أبيه النّص علىٰ الأئمّة عليهم‌السلام بأسمائهم وأوصافهم. وذات مرّة سمع شيئاً ما فانزعج وبعث برسالة إلىٰ شيعته هذا نصها: «من محمّد بن عليّ إلىٰ من بالكوفة من شيعتنا: أمّا بعد فاخرجوا إلىٰ المجالس، والمساجد، فاذكروا الله علانية وسرّاً، ولا تتخذوا من دون المؤمنين بطانة، فإنْ خشيتم علىٰ أنفسكم؛ فاحذروا علىٰ دينكم الكذابين. وأكثروا الصّلاة، والصّيام، والدّعاء، فإنّه ليس أحد من الخلق يملك لأحد ضراً ولانفعاً إلّا ماشاء الله، كلّ نفس بما كسبت رهينة، ولا تزر وازرة وزر أُخرىٰ، والله قائم علىٰ كلّ نفس بما كسبت فاعملوا صالحاً، وقدموا لأنفسكم حسناً، ولا تكونوا من الغافلين والسّلام عليكم»[٤].

يستنتج من هذه الرّسالة أنّ محمّداً بن الحنفية قد تخوّف من هذا الغلوّ فأراد أنْ يحارب السّريّة الّتي اتّبعها بعض المغفلين، ويقضي علىٰ بعض الاجتماعات المغلقة،

(١) فرق الشّيعة ص: ٢٦.

(٢) فرق الشّيعة ص: ٢٧.

(٣) الأغاني: ٣١٣٤/٩.

(٤) تأريخ الطّبريّ: ١٠٣/٦.

بخروج الشّيعة إلىٰ المجالس، والمساجد، ويثيروا الشّبهات من الّذين يندسون بين صفوفهم، وهم غير مؤمنين بهم.

ونسب بعض المؤرخين إلىٰ المختار القول: بالبداء وعلّلوا ذلك بأنّه كان يخبر أصحابه، بأمور يدّعي أنّها من الوحي، فإذا لم تقع يقول لهم: (لقد بدا لربّكم وعدل عمّا أخبرني به)، ثمّ يتلو عليهم قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾[١]، وكذلك نسب إليه القول بالتناسخ، والحلول. وخلال المعارك مع مصعب بن الزّبير، اسر جماعة من جند مصعب منهم سراقة بن مرداس البارقي، فلمّا أُدخل علىٰ المختار قال له: لم تهزمنا بجندك ولا أَسَرَنا قومك، ولكن الملائكة الّذين جاءوا لنصرك ونصر جندك، هم الّذين أسرونا وهزمونا، ثمّ طلب منه العفو، وأقسم عليه بالملائكة الّذين كانوا في جنده فعفا عنه، وأطلق سراحه، ولمّا رجع إلىٰ مصعب بن الزّبير أرسل إليه هذه الأبيات:

ألا أبلغ أبا إسحاق إنّي ... رأيت البلق دهماً مصمتات

أرىٰ عيني مالم ترایاه ... كلانا عالم بالترهات

كفرت بوحيكم وجعلت نذراً ... علي قتالكم حتّىٰ الممات[٢]

لكن نقل الأُستاذ «نكلسن» الأبيات التّالية، عن كُثير[٣] كما ذكرها الشّهرستانيّ في وصف الكيسانية:

ألا أنّ الأئمّة من قريش ... ولاة الحقّ أربعة سواء

(١) الرّعد: ٣٩.

(٢) أنساب الأشراف: ٥/٢٣٤.

(٣) هو أبو صخر، كثير بن عبد الرّحمن بن عامر، (ت ١٠٥هـ)، وهو من فحول شعراء الإسلام، راجع ترجمته في (الأغاني: ٩/٣١٢٣).

عـــليّ والثّـــلاثة مـــن بـنيه هم الأسباط ليس بهم خـفاء

فســبط ســبط ايمــان وبـر وســـــبط غـــيبته كــربلاء

وسـبط لا تـراه العـين حـتّىٰ يـقود الخـيل يـتبعها اللّـواء

يغيب فـلايرىٰ فـيهم زمـاناً برضوىٰ عنده عسل وماء(١)

وقالوا أيضاً:

هـــــو المـــهديّ خـــبرناه كـــعب أخو الأخبار في الحـقب الخـوالي(٢)

وقال أيضاً:

بـــرئت إلىٰ الإله مـن ابـن أروىٰ ومـــن ديـــن الخـــوارج أجـمعينا

ومـــن عـمر بـرئت ومـن عـتيق غـــداة دعـــا أمـــير المـؤمنينا(٣)

ونحن لانريد أنْ نناقش فكرة البداء، ولكن نقول: إنّ البداء الّذي تـقول بـه الشّيعة الإماميّة، إنّما يقع في القضاء غير المحتوم، أمّـا المحـتوم مـنه، فـلا يـتخلف ولابد أنْ تتعلق المشيئة بما تعلق به القضاء.

والبداء معناه: بدا الله في كذا، أيّ ظهر له فيه، ومعنىٰ ظهر فيه أي ظـهر مـنه. وليس المراد منه تعقب الرّأيّ، ووضوح أمر كان قد خفي عنه، وجميع أفعاله تعالىٰ: «الظّاهرة في خلقه بعد أنْ لم تكن. فهي معلومة فيما لم يزل، وإنّما يوصف منه بالبداء مالم يكن في الاحتساب ظهوره، ولا في غالب الظّن وقوعه، فأما ما علم كـونه،

(١) أنظر، الملل والنّحل ص: ١٣٢، المقالات ص: ٣٨، ديوان كثير: ٢/١٨٤، الأغاني: ٨/٣١.

Literary History of the Arabs . p. 216.

(٢) الأغاني: ٨/٣٢.

(٣) المصدر السّابق، العقد الفريد: ١/٣٥٠، الفرق بين الفرق للبغداديّ ص: ٤٢.

وغلب في الظّن حصوله؛ فلا يستعمل فيه لفظ (البداء)، وهو طريقه السّمع دون العقل، وقد جاءت به الأخبار عن أئمّة الهدىٰ».

وقد قال بعض أصحابنا: إنّ لفظ البداء أُطلق في أصل اللّغة علىٰ تعقب الرّأيّ، والانتقال من عزيمة إلىٰ عزيمة، وإنّما أُطلق علىٰ الله تعالىٰ علىٰ وجه الاستعارة، كما يطلق عليه الغضب، والرّضا غير حقيقة، وإنّ هذا القول لم يضر بالمذهب، إذ المجاز من القول يطلق علىٰ الله تعالىٰ فيما ورد به السّمع، وقد ورد السّمع بالبداء علىٰ مابيّنا...[١].

ويقول الشّيخ المفيد؀ أيضاً في معنىٰ البداء، مايقوله المسلمون بأجمعهم في النّسخ، وأمثاله، من الإفقار بعد الإغناء، والإمراض بعد الإعفاء، والإماته بعد الإحياء، وما يذهب إليه أهل العدل خاصة، من الزّيادة في الآجال، والأرزاق والنّقصان، منها بالأعمال[٢].

وقسم السّيّد الخوئيّ؀ القضاء إلىٰ ثلاثة أقسام:

١ ـ قضاء الله الّذي لم يُطلع عليه أحداً من خلقه. والعلم المخزون استأثر به لنفسه، والبداء لايقع في هذا القسم.

٢ ـ قضاء الله الّذي أخبر نبيّه، وملائكته، بأنّه سيقع حتّماً، ولاريب في أنّ هذا القسم أيضاً لايقع فيه البداء.

٣ ـ قضاء الله الّذي أخبر نبيّه، وملائكته بوقوعه في الخارج، إلّا أنّه موقوف علىٰ أنْ لاتتعلق مشيئة الله بخلافه، وهذا القسم هو الّذي يقع فيه البداء[٣].

---

(١) أُنظر، تصحيح الاعتقاد ص: ٥١.

(٢) أُنظر، أوائل المقالات ص: ٥٣.

(٣) أُنظر، البيان في تفسير القرآن ص: ٣٨٧.

إذاً مسألة البداء من المسائل الصّعبة الّتي تتجاذبها آراء العلماء قبل الإسلام وبعده.

فاليهود مثلاً يعتقدون: أنّ الله سبحانه قد فرغ من الأمر فلا يحدث شيئاً غير ما قدّره في التّقدير الأوّل، ولذا لا يقولون بنسخ الشّرائع.

أمّا فلاسفة اليونان: أصرّوا علىٰ أنّ الواحد لا يصدر منه إلّا الواحد، وأنّ واجب الوجود خلق العقل الأوّل فقط، والعقل الأوّل بسبب كونه ذا جهتين، خلق العقل الثّاني، والفلك الأوّل، وهكذا حتّىٰ وصلوا إلىٰ العقل التّاسع، الّذي بدوره خلق العقل العاشر، والعاشر خلق باقي الموجودات.

فالله سبحانه وتعالىٰ: عندهم معطّل الآن ـ والعياذ بالله ـ وسار علىٰ ذلك أصحاب الكُمون والظّهور، وكذلك النّظّام من المعتزلة[١].

أمّا البداء الّذي يذكره القصيميّ: أنّه تعالىٰ يعلم مالم يكن يعلم، ويبدو له من الأمر مالم يكن بادياً....

فلا ريب ولا شك في كفر القائل به، بل كفره أعظم كفر يقع في العالم لاستلزامه التّناقض، وهو كون الله واجباً غير واجب[٢].

والنّزاع في الحقيقة بين الشّيعة والسُّنَّة، في صحة إطلاق لفظ البداء بعد الاتفاق علىٰ صحة المعنىٰ. لأنّ الشّيعة لم تطلق البداء علىٰ الباريّ عزّ وجلّ إلّا مجازاً، كما يطلق عليه الغضب والرّضا، وهذا ما صرح به الشّيخ المفيد.

---

(١) أنظر، تصحيح الاعتقاد ص: ٥٣، الإعتقادات للشيخ الصّدوق باب البداء، المسائل العكبريّة للشيخ المفيد: ٢/٣٣٧، الفصول المختاره ص: ٢٥١.

(٢) أنظر، الدّعوة الإسلاميّة للإمام أبي الحسن الخفيزي: ١/٣٦.

لكن السّيّد المرتضىٰ، يرىٰ جواز إطلاقه علىٰ الله بنحو الحقيقة فقال: «يمكن حمل ذلك علىٰ معناه حقيقة، بأنْ يقال: بدا الله، بمعنىٰ أنّه ظهر له من الأمر، مالم يكن ظاهراً له، وبدا له من النّهي مالم يكن ظاهراً له، لأنّ قبل وجود الأمر والنّهي لايكونان ظاهرين، وإنّما يعلم أنّه يأمر وينهىٰ في المستقبل، وأمّا كونه آمراً، أو ناهيّاً، فلا يصح أنْ يعلمه إلّا إذا وجد الأمر والنّهي. وجرىٰ ذلك مجرىٰ أحد الوجهين في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[١]، بأنْ نحمله علىٰ أنّ المراد به: حتّىٰ نعلم جهادكم موجوداً؛ لأنّ قبل وجود الجهاد، لا يعلم الجهاد موجوداً، وإنّما يعلم كذلك بعد حصوله. فكذا يكون البداء، وهذا وجه حسن جدّاً»[٢].

وهناك من يذهب إلىٰ أنّ البداء، نسب إلىٰ عمر، وابن مسعود، حين ذهبا في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾[٣] وقالا: إنّ الله يمحو من الرّزق، ويزيد فيه، وكذا القول في الأجل، والسّعادة، والشّقاوة، والإيمان، والكفر.

وقال الفخر الرّازيّ ـ وهو مذهب عمر، وابن مسعود ـ وإنّهم كانوا يدعون ويتضرّعون، إلىٰ الله في أنْ يجعلهم سعداء، لا أشقياء. وهذا ما رواه جابر عن رسول الله ﷺ[٤].

إذاً الشّيعة، والسُّنّة، يقولون بالبداء بهذه المعاني السّابقة.

---

(١) محمّد: ٣١.

(٢) تذكره طرائف الحقّ الفصل الخامس ص: ١٠٦.

(٣) الرّعد: ٣٩.

(٤) أُنظر، التّفسير الكبير للرازيّ: ٦٥/١٩، تأريخ بغداد: ٣٨٦/١.

وبعد هذا وذاك، يفسّر السّيّد علم الهدىٰ دعوىٰ الكيسانيّة، بمهدويّة ابن الحنفيّة بالحيرة الّتي ألجأتهم إلىٰ القول بها[١].

وهم فرقة مغالية. والشّاهد علىٰ ذلك قول السّيّد الحميريّ بعد رجوعه عنهم إلىٰ مذهب الحقّ:

تجعفرت باسم الله، والله أكبر ... وأيقنت أنّ الله يعفو ويغفر

ودنت بدين غير ما كنت دائناً ... به ونهاني سيّد النّاس جعفر

فقلت: هب أنّي قد تهوّدت برهة ... وإلّا فديني دين من يتنصر

فلست بغال ما حييت وراجع ... إلىٰ ما عليه كنت أُخفي وأُضمر

ولا قائلٍ قولاً لكيسان بعدها ... وإنْ عاب جهّال مقالي وأكثروا

ولكنّه من قد مضىٰ لسبيله ... علىٰ أحسن الحالات يقضي ويؤثر[٢]

---

(١) أنظر، الشّافي ص: ١٨٤.

(٢) أنظر، العيون والمحاسن ص: ٨٤.

المنصوريّة

أصحاب أبي منصور العجليّ، المقتول سَنَة (١٢١ هـ)(١)، من أهل الكوفة من بني عبد القيس(٢). وهو عربي من بني عجل، وليس بمولىٰ.

نشأ في حضانة الميلاء صاحبة ليلىٰ النّاعطية، وهي الّتي غذته بالغلوّ(٣).

وكانت له دار في الكوفة، ومنشؤه الباديّة، وكان أُميّاً لايقرأ كما يذكر النّوبختيّ(٤). ولكن النّشّار لايقول بأُميّته، ويستند إلىٰ التّفسيرات المتعددة الّتي قدّمها أبو منصور العجليّ الّتي تدل علىٰ سعة إطلاعه بالتراث الإسلامي، والفلسفيّ الغنوصيّ، المسيحيّ، واليهوديّ، بالإضافة إلىٰ ذلك، أنّه كان يتقن اللّغة الفارسيّة(٥).

ومن مزاعم العجليّ: أنّ الإمام الباقر عليه السلام فوّض أمره إليه، وجعله وصيّه من بعده(٦). والمنصوريّة حالفوا الحمراء، وكانوا يرون أحقيّة الإمام عليّ عليه السلام(٧). ومن ثمّ قال بمهديّة الإمام الباقر عليه السلام(٨)، وبذلك سار أبو منصور علىٰ نهج الغُلاة من

---

(١) مقالات الإسلاميين: ٧٥/١، الملل والنّحل: ١٧٩/١، والصّلة بين التّصوف والتّشيع ص: ١٣١.

(٢) فرق الشّيعة ص: ٦٣، الفرق بين الفرق ص: ٢٣٤، المقالات والفرق ص: ٤٧.

(٣) نشأة الفكر الفلسفيّ: ٨٧/٢، ويروي الطّبريّ في: ١٠٣/٦، عن أبي مخنف أنّ هنداً بنت المتكفلة النّاعطية، كان يجتمع إليها كلّ غال من الشّيعة فيتحدث في بيتها، وفي بيت ليلىٰ بنت قمامة المزنية، وقد ادعت هند النّبوة وسماها الهمذاني «هند الأفّاكة» كما جاء في كتاب مختصر البلدان ص: ١٨٥، نسخة مطبوعة بدار الكتب المصرية.

(٤) فرق الشّيعة ص: ٣٨.

(٥) نشأة الفكر الفلسفيّ في الإسلام: ٢/ ٨٧، الحور العين للحميريّ ص: ١٦٨.

(٦) فرق الشّيعة ص: ٣٨.

(٧) شخصيّات قلقه في الإسلام ترجمة بدوي ص: ٢٩، نقلاً عن تأريخ بغداد: ٥٣/٧.

(٨) تلبيس إبليس ص: ١٠٣.

التّعلق بمهديّة إمام يستطيعون به أنْ يجمعوا حولهم الأنصار من جهة، ويتصر فواكها يحلو لهم دون خوف، من رقابه من جهة ثانيّة. ولكن يبدو أنّه اختلف مع الإمام الصّادق عليه السلام بعد وفاة الإمام الباقر عليه السلام، ثمّ إنّ الإمام جعفراً الصّادق عليه السلام قد لعنه ثلاثاً[١]. وأدّاه اختلافه مع الإمام عليه السلام إلىٰ إعلان إمامته هو.

ألغىٰ أبو منصور إصطلاح الإمامة وجعلها نبوة، وقال: «كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام نبيّاً، ورسولاً، وكذا الحسن، والحسين، وعليّ بن الحسين، ومحمّد بن عليّ»[٢].

وإنّ خمسة[٣] في رأيّ أبي منصور ـ وقد سبقهم محمّد صلى الله عليه وآله ووليهم أبو منصور نفسه وهو القائل: «وأنا نبي. والنّبوة في ستة من ولدي، ويكونون بعدي أنبياء آخرهم القائم»[٤].

وقد سلك أبو منصور سلوكاً آخر، وذلك أنّه عرج إلىٰ السّماء، وجاء بالنبوّة من الله، وزعم أنّ الله مسح بيده علىٰ رأسه، وقال له بالفارسية: «يا پسر» أيّ «يا بُنيّ بلغ عنّي»[٥]، ثمّ أنزله الله إلىٰ الأرض. وهو الكسف السّاقط من السّماء: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾[٦]، وقال لأصحابه: «فيّ نزلت، وفي ذلك لقّب بالكسف فعلاً»[٧].

---

(١) رجال الكشيّ ص: ١٩٦، فرق الشّيعة ص: ٨.

(٢) فرق الشّيعة ص: ٣٨.

(٣) مختصر التّحفة الإثني عشرية ص: ١٠.

(٤) مختصر الفرق ص: ١٥٢، ١٣٤، الملل والنّحل: ٢٤٦/١.

(٥) فرق الشّيعة ص: ٣٨، المقالات ص: ٤٧.

(٦) خطط المقريزي: ٢٥٣/٢، مختصر الفرق: ١٥٢ الآية (٤٤) من سورة الطّور.

(٧) الأعلاق النّفسيّة ص: ٢١٨، المقالات ص: ٤٧.

وذكر أبو منصور العجليّ معنىٰ النّبوّة، وأنّ جبرئيل يأتيه بالوحي من عند الله، وأنّ الله بعث محمّداً بالتنزيل، وبعثه هو بالتأويل»[١]، وقال: «الجنّة رجل، أمرنا بموالاته، وهو إمام الوقت، وأنّ النّار رجل، أمرنا بمعاداته، وهو خصم الإمام. وتأوّل المحرّمات كلّها علىٰ أسماء رجال، أمرنا الله تعالىٰ بمعاداتهم. وتأوّل الفرائض كلّها علىٰ أسماء رجال، أمرنا الله تعالىٰ بموالاتهم».

ويرىٰ الشّهرستانيّ: «أنّما مقصودهم: هو حمل الفرائض، والمحرّمات علىٰ أسماء رجال. وإن ظفر بذلك الرّجل وعرفه؛ فقد سقط عنه التّكليف، إذ وصل إلىٰ الجنّة وبلغ إلىٰ الكمال»[٢].

ومن عقائد المنصوريّه: «أنّ أوّل خلق خلقه الله عيسىٰ، ثمّ عليّ بن أبي طالب، الموضع نفسه بدلالة الآية: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾[٣]، وأنّه روح الله.

وأمّا عليّ، فشبهه التّأويلي بالمسيح آت من لقبه: أبي تراب الّذي يعني هنا أنّه من تراب كالمسيح، وذلك رأيّ سيقول به الحروفية وهم من غلاة المؤولة»[٤].

وأخيراً: أعلن أبو منصور العجليّ الجهاد الخفي. وهو: خنق، واغتيال، من يخالفه في مذهبه فيقول: «من خالفكم فهو كافر، مشرك، فاقتلوه. فإنّ هذا جهاد خفي» وقد اتخذت حركة الخنق، مظهراً عنيفاً.

---

(١) فرق الشّيعه ص: ٣٨.

(٢) الملل والنّحل: ٢٩٩/١، مقالات الإسلاميين للأشعري: ٩/١، الفرق بين الفرق ص: ١٤٩، فرق الشّيعة ص: ٣٨، التّبصير في الدّين ص: ٧٣، منهاج السُّنّه ص: ٣٣٨.

(٣) آل عمران: ٥٩.

(٤) الفكر الشّيعيّ، والنّزعات الصّوفية ص: ٢٢٠.

ونادىٰ أبو منصور العجليّ بنفسه علىٰ نفسه مسيحاً ثانياً. فقد ادّعىٰ بأنّه عرج به إلىٰ السّماء ومسح الله علىٰ رأسه. ولكن عند ما ظفر به يوسف بن عمر الثّقفي والي الكوفة من لدن هشام بن عبد الملك؛ قتله، وقتل من أصحابه عدداً كبيراً.

وانقسم أصحابه إلىٰ فريقين: الحسينيّة: وقد نقلوا الوصاية إلىٰ ابنه الحسين ابن أبي منصور العجليّ، واعتبروه الإمام بعده[١]. وقد قام الحسين بن أبي منصور بقيادة الخنّاقين قيادة عنيفة، ناشراً الذّعر في العالم الإسلامي. وأعلن هو نبوّته واستجاب له بشر كثير، حتّىٰ تمكن منه عمر الخنّاق، أحد رجال الخليفة المهديّ، وأرسله للخليفة المهديّ، وقد استتابه ولكنه أبىٰ، بل أقرّ بعقيدته، وبمهديّته، فعذّبه المهديّ وصلبه، بعد أنْ استولىٰ علىٰ أموال كثيرة تابعة له. ثمّ تتبع الكثيرين من أتباعه فقتلهم[٢].

أمّا الفرقة الثّانية، من أتباع العجليّ، يقال لها المحمّدية. فقالت بإمامة محمّد ابن عبد الله بن الحسن وقالوا: «إنّما أوصىٰ أبو جعفر إلىٰ أبي منصور دون بني هاشم، كما أوصىٰ موسىٰ إلىٰ يوشع بن نون، دون ولده ودون ولد هارون. ثمّ الإمامة بعد أبي منصور، راجعه إلىٰ ولد عليّ مرة أُخرىٰ، كما رجع الأمر بعد يوشع بن نون إلىٰ ولد هارون. وإنّما أوصىٰ موسىٰ إلىٰ يوشع دون ولد هارون؛ لئلا يكون بين البطنيين اختلاف، فيكون يوشع هو الّذي يدل علىٰ صاحب الأمر. فكذلك أبوجعفر أوصىٰ إلىٰ أبي منصور. ونقلوا عن أبي منصور أنّه قال: إنّما أنا مستودع وليس لي أنْ أضعها في غيري، ولكن القائم هو محمّد بن عبد الله»[٣].

---

(١) مقالات الإسلاميين: ٣٤/١.

(٢) فرق الشّيعة ص: ٣٨.

(٣) مقالات الإسلاميين ص: ٢٥/١.

وفي زمن المنصوريّه ظهرت فرقة الكاملية: نسبة إلىٰ أبي كميل تجادله جدالاً عنيفاً، ولكنّها لا تجيز الوكالة في الإمامة، وتقول: «بأنّه لا بدّ من إمام صامت وناطق، ولابدّ من علم يمد النّاس أعناقهم إليه»[1] وقد أنكر أبو منصور هذا القول وصوّر لنا النّزاع أبو السّرىٰ معدان الشّميطي فيقول[2]:

إنّ ذا الكسف ضد آل كميل وكميل رذل من الأرذال

تركا بالعراق داءً دوياً ضلّ منه تلطف المحتال

منهم جاعل العسيب إماماً وفريق يرضىٰ زند الشّمال

وفريق يقول إنّا براء من عليّ وجندب بلال

وبراء من الّذي سلم الأمر علىٰ قدره بغير قتال

وفريق يدين بالنص حتماً وفريق يدين بالإهمال

ومن مجموع ذلك كانت الصّلة بين التّأويل والتّنزيل عند أبي منصور العجليّ أحد المشعوذين المتظاهرين بالغلوّ في مقابل الظّاهر والباطن، عند الصّوفية .

وقد وصف ابن قضيب البان المتوفى سَنَة (١٠٣٠ هـ) وصف الله بأنّه علىٰ صورة محـمّد، ولكنّه من مادة باردة. ويقابله معراج الغُلاة وهو، وإنْ كان للنبيّ ﷺ لكن الغُلاة تجرأوا عليه وادعوه، كما جاء عن أبي منصور. وزعم أنّ الجنّة رجل... والنّار رجل... واستحلّ أصحابه قَتْلَ المخالفين هم، وأَخْذَ أموالهم... وهؤلاء هم الخرميّة[3].

---

(١) بصائر الدّرجات ص: ٤٨٦.

(٢) كتاب الحيوان: ٢/٢٦٩.

(٣) الحور العين ص: ١٦٩، الخطط: ٤/ ١٣٦، الملل والنّحل: ٢/١٠٣.

اشتهرت قبيلة بجيلة، وعجل، وكندة، بخنق مخالفيهم. ولذا يقول سفيان بن عيينه:

إذا ماسرك العيش فلا تمرر علىٰ كندة

ومن أشهر رجال كندة في الخنق هو: أبو قطنة، أو قطبة، من المنصوريّة. وبالتالي قُتل، وصُلب، وقد شبّه باليربوع وقال فيه الشّاعر[1]:

انزل أبا عمرو علىٰ حدّ قربة تزيغ إلىٰ سهل كثير الخلائق

وقد نفق اليربوع واسلك سبيله ودعني أنّي ناطق وابن ناطق

وكن كأبي قطن علىٰ كلّ زائغ له منزل في ضيق العرض شاهق

(١) الحيوان للجاحظ: ٣٨٨/٦، عيون الأخبار لابن قتيبة: ١٤٧/٢.

الخطابيّة

هي من أبرز الفرق في عهد الإمام الصّادق عليه السلام، وتنتسب إلىٰ محمّد بن مقلاص ابن أبي زينب الأسديّ، الكوفيّ، الأجدع، الزّراد، البزاز، البراء، عبد بني أسد[١]. يكنىٰ تارة أبا الخطاب، وأُخرىٰ بأبي الظّبيان، وثالثه بأبي إسماعيل. وكان من أبرز زعماء الشّيعة في الكوفة[٢].

ويذكر الشّيبيّ أنّ الإمام الصّادق عليه السلام، خاطبه بقوله: «إنّي أُخاطبك بما خاطب به جدي رسول الله، سلمان الفارسيّ، وكان قد دخل عليه، وهو في بيت أُمّ أيمن فرحّب به، وقرّبه، وقال: أصبحت يا سلمان عيبة علمنا، ومعدن سرنا، ومجمع أمرنا ونهينا، ومؤدّب المؤمنين بآدابنا، وفيك نبأ علم التّأويل والتّنزيل، وباطن السّرّ وسرّ السّر، فبوركت أوّلاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، وحيّاً وميّتاً. لقد قال ذلك رسول الله لسلمان وقلته أنا لك يا محمّد»[٣].

ولانريد أنْ نقف مع الشّيبيّ في إضافاته علىٰ الأحاديث المروية عن الرّسول صلى الله عليه وآله، في حقّ سلمان رضي الله عنه، ولكن نُذكره بأنّ المؤرخ التّأريخي، والعلمي، لابد له من التّتبع حتّىٰ يتبيّن له: أنّ محمّداً بن مقلاص هو من أصحاب الإمام جعفر ابن محمّد الصّادق عليه السلام أوّلاً. ثمّ كفر وادّعىٰ النّبوة. ولو سلّمنا أنّه من أصحاب الإمام الصّادق عليه السلام، فلماذا لم يدرس الشّيبيّ مواقف الإمام الصّادق عليه السلام منه، عندما وصله خبره، بأنّه يدّعي أنّ محمّداً الصّادق عليه السلام إله[٤]. وأنّ الصّادق عليه السلام، قد أوصىٰ إليه

---

(١) أُنظر، الملل والنّحل: ٣٨٠، دائرة المعارف الإسلاميّة: ٣٦٩/٨، فرق الشّيعة ص: ٣٧، نشأة الفكر الفلسفيّ: ٣٠٧/٢، خطط المقريزي: ٢٩٤/٣.

(٢) المقالات والفرق ص: ٥١.

(٣) الصّلة بين التّصوّف والتّشيّع: ٢/ ١٢٩، شخصيّات قلقة في الإسلام ص: ٤٨.

(٤) دعائم الإسلام للقاضي النّعمان المغربيّ: ٤٨/١ تحقيق آصف فيض.

وجعله قيّمه، وأنّه علّمه اسم الله الأعظم، ثمّ تراقىٰ فادّعىٰ النّبوة، ثمّ ادّعىٰ الرّسالة، ثمّ ادّعىٰ أنّه من الملائكة، وأنّه رسول الله إلىٰ الأرض والحجّة عليهم[١].

ولذا يذكر الكشيّ أنّ الأخبار الّتي رواها أبو الخطاب، عن الإمام الصّادق عليه السلام، قد عرضت علىٰ الإمام فكذّبها وأنكرها، بل إنّ الإمام عليه السلام قال: «ما مسَّ شيء من جسدي جسده إلّا يده»[٢]. وفي رواية أُخرىٰ قال: «لا والله ما مسَّ شيء من جسدي جسده. وأمّا قوله إنّي قلت: «إنّي أعلم الغيب، فوالله الّذي لا إله إلّا هو ما أعلم الغيب، ولا آجرني الله في أمواتي، ولابارك الله لي في أحيائي، إن كنت قلت له. أمّا قوله إنّي قلت: هو عيبة علمنا... فلا آجرني الله في أمواتي، ولابارك لي في أحيائي إنْ كنت قلت له، من هذا شيء[٣]. قال هذا عندما وصله خبره، وهناك روايات يذكرها «ماسينيون» منها:

قال عنبسة: قال لي الصّادق عليه السلام: «أيّ شيء سمعت من أبي الخطاب؟ قال سمعته يقول: إنّك وضعت يدك علىٰ صدره، وقلت له: «عنه، ولاتنس» وأنّك تعلم الغيب، وأنّك قلت له: هو عيبة علمنا، وموضع سرنا، وأمين علىٰ أحيائنا وأمواتنا»[٤].

تبنىٰ أبو الخطاب الفكرة الّتي نادىٰ بها علماء ومفسّرو، فلاسفة الإسلام من أنّ عيسىٰ عليه السلام لم يُقْتَلْ، ولم يُصْلَبْ، وإنمّا شبّه للناس، فأخذها أبو الخطاب وطبّقها علىٰ الإمام جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام، بعد أنْ تبرأ منه فقال: «إنّ جعفراً هو الله في

---

(١) المقالات والفرق ص: ٥١.

(٢) أُنظر، معرفة الرّجال للكشيّ ص: ١٨٨.

(٣) أُنظر، معرفة الرّجال للكشيّ ص: ١.٨٨

(٤) الصّلة بين التّصوّف والتّشيّع: ١٢٥/٢، شخصيّات قلقة في الإسلام ص: ٤٣.

زمانه، وليس المحسوس الّذي يرونه، ولكنّه لمّا نـزل إلىٰ هـذا العـالم؛ ليس تـلك الصّورة فرآه النّاس فيها»[١]. وبهذا القول التقىٰ مع الفلاسفة الباطنيّون من أمـثال الحلاّج، وابن سينا، وابن رُشد، أصحاب نظرية العقل الفعّال، والعـقل المـنفعل، والعقل النّقّاد، والنّبوّة المكينة بمقومات صفاء الذّهن، وقوة البدن، وقوة المخيلة كما يقول الدّكتور صابر طعيمة[٢]. وقد قال الحلاّج هذا المعنىٰ:

سبحان من أظهر ناسوته سر ... سـنا لاهـوته الثّـاقب

ثمّ بـدا لخـلقه ظـاهراً ... في صورة الآكـلّ والشّـارب

حـتّىٰ تـعد عـاينه خـلقه ... كلحظة الحاجب بـالحاجب

وقال أيضاً:

وأيّ الأرض تخـلو مـنك ... حتّىٰ تـعالوا يـطلبونك في السّماء؟

نـراهـم يـنظرون إليك جـهـ ... راً وهم لايـبصرون مـن العـماء[٣]

ولهذا نرىٰ الشّيخ المفيد﵀ لم يتردد في إضافة الحلاّج، إلىٰ هذه الفرقة الغـالِية ولذا قال: «الحلاجيّة ضرب من أصـحاب التّـصوف، وهـم أصـحاب الإبـاحة والقول بالحلول»[٤]. وأضاف: «وكان الحلاّج يتخصّص بإظهار التّشيّع، وإنْ كان ظاهر أمرهم التّصوّف، وهم قوم ملاحدة، وزنادقة، يموّهون بمظاهرة كـلّ فـرقة بدينهم»[٥].

---

(١) الملل والنحل: ١/٣٠٠.

(٢) العقائد الباطنيّة وحكم الإسلام فيها ص: ٤٦.

(٣) ديوان الحلاّج تحقيق ماسينيون ص: ٤١، ط باريس (١٩٥٥م).

(٤) تصحيح الإعتقاد ص: ٢١٨.

(٥) المصدر السّابق ص: ٢١٩.

وممّا يذكر أنّ الخطابية إباحيون بقولهم: من عرف الرّسول، النّبيّ، الإمام؛ فموضوع عنه الواجبات، وليصنع ما أحبّ[١]. وكذلك عندما بدأوا يلبون: «يا جعفر ابن محمّد لبيك»[٢].

وقد حارب عيسىٰ بن موسىٰ الخطابية، في مسجد الكوفة، لأنّها مركز نشأتهم، ثمّ انتشرت دعوتهم في الأقطار المجاورة. فقاتلهم عيسىٰ، حتّىٰ قضىٰ عليهم، وأُسر أبو الخطاب، فقتله، وصلبه مع جماعة، وبعث برؤوسهم إلىٰ المنصور، فصلبها علىٰ باب مدينة بغداد ثلاثة أيّام، ثمّ أحرقها، ولكن بعض أصحاب أبي الخطاب قال: إنّه لم يُقتل، ولا قُتل أحد من أصحابه. وإنّما لُبّس علىٰ القوم وشبّه عليهم، وإنّما حاربوا بأمر أبي عبد الله جعفر بن محمّد، وخرجوا من المسجد، ولم يرهم أحد، ولم يجرح منهم أحد، وقالوا: إنّ أبا الخطاب كان نبيّاً مرسلاً، أرسله جعفر ثمّ أنّه صيّره بعد ذلك، حين حدث هذا الأمر، من الملائكة[٣].

وبعد أنْ قضىٰ عليهم الخليفة أبو المهديّ في الكوفة بواسطة عيسىٰ بن موسىٰ؛ امتدّت الحركة الخطابيّة إلىٰ المدينة. حتّىٰ أنّ بعض سودان المدينة هتف وراء الإمام الصّادق عليه السلام: «لبّيك يا جعفر بن محمّد لبّيك» ممّا سببوا له فزعاً وخوفاً، حتّىٰ عاد مذعوراً غاضباً إلىٰ بيته[٤].

وامتدّت الحركة الخطابية أيضاً، إلىٰ سواد البحرين، وعُمان[٥]، ولم تمت

---

(١) المقالات والفرق ص: ٥١.

(٢) إثبات الهداة للحرّ العاملي ص: ٧٥٩.

(٣) فرق الشّيعة ص: ٧٠.

(٤) روضة الكافي للشيخ الكليني ص: ١٨٩.

(٥) حركات الشّيعة المتطرفين ص: ٨٩.

الخطابية، وإنمّا انتقلت إلىٰ أماكن أُخرىٰ، كما يذكر محمّد بن عبد الله بن مهران، من أعلام القرن الثّالث[١]. والّذي ذكره الطّوسيّ ﷺ من أنصار الإمام العسكريّ[٢].

ومن هذا وذاك يلاحظ التّناقض الموجود في عقائد هذه الفرق، ويشكّك سامي النّشّار في بعض ما أُحيط بمحمّد بن مقلاص، من أساطير غالية، تكاد تجمع عليها السُّنّة والشّيعة معاً. ويذكر علىٰ ذلك شواهد ثلاثة، ولذا يقول: لقد أخطأ المقريزي عندما عدّد فرق الخطابيّة، بأنّها خمسون بدلاً من خمس[٣].

اتّخذت هذه الفرقة السّريّة، التّأويل الباطني في حركتها، وبنت عليه نحلتها وجوهر ديانتها، حتّىٰ عطلوا جميع العبادات، فالوضوء عندهم: عبارة عن قبول الدّعوة من الإمام. والتّيمّم: قبولها ممّن هو دونه في حال الغيبّة. والصّلاة: ما هي إلّا رسول، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[٤]. والزّكاة: تزكيّة النّفس بالمعرفة. والصّوم: إشارة إلىٰ حفظ أسرار الأنام. والزّنا: عبارة عن كشف الأسرار الدّينيّة. والخمس: إعطاء خمس الأموال للإمام المعصوم. والكعبة: هي النّبي والباب: عليّ، والصّفا: النّبيّ، والمروة: الوصي، والميقات: هم الأنبياء. والتّلبيّة: إجابتهم، والأشواط: عبارة عن الأئمّة السّبعة، والجنّة: هي راحة الأبدان. وسقر: هي ثقل التّكاليف علىٰ البدن.

ثمّ قالوا: لكلّ ظاهر باطن، والباطن مصدر الظّاهر، كما أن الظّاهر مظهر الباطن... والإمام حاكم علىٰ الباطن. كما أنّ النّبيّ حاكم علىٰ الظّاهر، وهي

---

(١) مناقب أبي طالب ص: ١٨٦.

(٢) الفهرست ص: ١٠، ط كلاكته.

(٣) أُنظر، نشأة الفكر الفلسفيّ في الإسلام: ٢/٢٤٢، الخطط: ٢/٣٥٣.

(٤) العنكبوت: ٤٥.

الشّريعة وتسمىٰ تنزيلاً، كما أنّ باطنها وهو ممّا يخص الإمام يسمىٰ تأويلاً. ولايخلو زمان من هذين...»[١]، ولذا ورد عن بشير الدّهان، عن أبي عبد الله قال: كتب أبو عبد الله عليه‌السلام إلىٰ أبي الخطاب: (بلغني أنّك تزعم أنّ الزّنا رجل، وأنّ الخمر رجل، وأنّ الصّلاة رجل، والصّيّام رجل، والفواحش رجل. وليس هو كما تقول: إنّا أصل الحقّ، وفروع الحقّ طاعة الله، وعدونّا أصل الشّر، وفروعهم الفواحش. وكيف يطاع من لا يعرف، وكيف يعرف من لايطاع؟»[٢]

فهذه النّصوص وغيرها تثبّت بصورة قاطعة، ماكان يقوم به الأئمّة عليهم‌السلام من كبح جماح الغلوّ، والرّد علىٰ أصحابه، وإفساد مقالاتهم، لأنّهم اتخذوا التّشيّع ستاراً لهم. ولذا يذكر المؤرخون: إنّ واحداً من هؤلاء الغُلاة، واسمه إسماعيل بن عبد العزيز، جاء إلىٰ الإمام الصّادق عليه‌السلام زائراً فطلب منه الإمام، أنْ يضع له ماءً في المتوضأ، فقام فوضع له الماء، ولكنه استغرب واندهش، كيف يتطهر الإمام بعد الذّهاب لبيت الخلاء، وهو يقول فيه مايقول[٣].

لم تكن عقائد الغُلاة علىٰ وتيرة واحدة، بل علىٰ وتائر متعددة.

فمنهم من غُرّر به، وطرأ عليه اللُّبس، فإذا أبصر الطّريق عاد ورجع، وآمن إيماناً صحيحاً.

ومنهم من غلب عليه طابع الفلسفة، وأراد أنْ يبث أفكاره، ويجمع حوله أنصاراً لتثبيت دعوته، فغلّفها بغلاف ديني، كإخوان الصّفا مثلاً، فقد غلّفوا عقائدهم العلميّة، والفلسفيّة، والدّينيّة، في رسائل تزيد علىٰ الخمسين. وهو

---

(١) أنظر، داستان مذاهب: ١/ ٢٥٥.

(٢) أُنظر، معجم رجال الحديث للسيّد الخوئيّ قدس‌سره: ١٤/ ١٤٤.

(٣) إثبات الهداة للحر العاملي ص: ٧٥٩.

مذهب تلفيق أخذوه من كلّ علم، واعتقدوا أنّ الشّريعة دُنّست بالجهالات واختلطت بالضلالات، ولا سبيل لتطهيرها إلّا بالفلسفة، ففيها الحكمة، والمصلحة، ومتىٰ انتظمت الفلسفة، والحكمة، والشّريعة؛ فقد حصل الكمال[١].

وهؤلاء اتّخذوا التّشيّع ستاراً لهم خوفاً من الحاكم، علىٰ الرّغم من عدائهم السّافر للتشيّع، ولذا قال الإمام الصّادق عليه السلام: «لقد امسينا وما أحد أعدىٰ لنا ممن ينتحل مودتنا»[٢].

ومن هؤلاء المغالين أيضاً، السّياسيون الّذين ألبسوا أغراضهم السّياسية بلباس المذهب، حتّىٰ تصان أعناقهم من مشانق الحكّام. وهؤلاء أظهروا التّشيّع، ولكنّهم ثبتوا علىٰ عقائدهم الّتي ورثوها عن أسلافهم: أصحاب الدّيانات الوثنية القديمة. وما الخلاف الّذي وقع بين الإمام الصّادق عليه السلام، وأبي الخطاب إلّا بسبب قعود الإمام الصّادق عليه السلام عن قتال بني العباس، كما يدّعي.

---

(١) الموسوعة العربيّة الميسرة ص: ٦٦.

(٢) إختيار معرفة الرّجال للشيخ الطّوسيّ: ٥٩٦/٢، معجم رجال الحديث: ٢٦٧/١٥ ط جديد.

المعمريّة

هم أتباع معمّر بن خيثم قالوا: إنّ الإمام بعد أبي الخطاب، هو معمّر حتّىٰ عبدوه، كما عبدوا أبا الخطاب من قبل. وزعموا أنّ الدّنيا لاتفنىٰ، وأنّ الجنّة هي الّتي تصيب النّاس من خيرات ونعماء وعافية. وأنّ النّار هي الّتي تصيب النّاس من شر وبلاء ومشقة. وقالوا: هذه هي الحقيقة. ثمّ قالوا بالتناسخ، وأنّهم لا يموتون، ولكن ترفع أبدانهم إلىٰ الملكوت، وتوضع للنّاس أجساد شبه أجسادهم، وهؤلاء استحلّوا الخمر، والزّنا، ودانوا بترك الفرائض[1].

ومذهب هذه الفرقة ـ الّتي هي في الأصل من الخطابية ـ مزيج من عقائد مانوية، ومسيحية، ولذا قالوا بالتناسخ، وقالوا حسب رواية النّوبختيّ، ونشوان الحميريّ[2]: إن النّور الّذي هو الله دخل في عبد المطلب، ثمّ انتقل إلىٰ أبي طالب ثمّ انتقل إلىٰ محمّد، ثمّ إلىٰ عليّ، ثمّ تناسخ في الأئمّة، حتّىٰ وصل إلىٰ جعفر بن محمّد الّذي هو الله، ثمّ خرج فدخل في أبي الخطاب، وصار جعفر من الملائكة، ثمّ خرج من أبي الخطاب، وصار في معمّر بن الأحمر، فصار أبو الخطاب من الملائكة، فمعمّر هو الله. وعندما قال لهم الشّيعة: إنّ الّذين زعمتم أنّهما صارا من الملائكة، يبرآن من معمّر، ويلعناه، قالوا: إنّ الّذين زعمتم أنّهما عندكم جعفر، وأبو الخطاب، يصدان النّاس عن الحقّ. وجعفر وأبو الخطاب ملكان عظيمان عند الإله الأعظم: إله السّماء، ومعمّر إله الأرض، وهو مطيع لإله السّماء، وقد أخذ معمّر هذا من أتباعه السّجود له من دون الله[3].

---

(١) المقالات والفرق ص: ٥٣.

(٢) الفرق بين الفرق ص: ١٥٠، الحور العين ص: ٣٨٢.

(٣) المقالات والفرق ص: ٥٤.

وكثير من هذه الرّوايات الخرافية. وسنقف مع هؤلاء في الفصل القادم، لبيان موقف الإمامين محمّد الباقر، وجعفر الصّادق عليهما السلام، من الغلوّ والغُلاة[1].

---

(١) أُنظر، المقالات والفرق ص: ٥٤، المقالات للأشعري: ١/١١ شخصيّات قلقه في الإسلام ترجمة بدوي ص: ٣١.

البزيغيّة

وهي الفرقة الثّانيّة الّتي انشقت عن الخطابيّة بعد المعمريّة، وهم أصحاب بزيغ ابن موسىٰ[١]، أو يونس، وكان حائكاً من حاكة الكوفة[٢]، وتلميذاً لأبي الخطاب وقيل: هو من أتباع أبي الرّبيع[٣]، وادّعىٰ أنّه نبي، رسول، مثل أبي الخطاب وشريكه. أرسله جعفر بن محمّد، وجعله شريك أبي الخطاب في النّبوّة، والرّسالة، كما أشرك الله بين موسىٰ، وهارون[٤].

وادّعت هذه الفرقة، كما ادّعت المعمريّة من قبلها، بأنّ جعفراً كان إلهاً، ولم يكن جعفر ذلك الّذي يراه النّاس، بل كان يظهر للنّاس بتلك الصّورة. وزعموا أنّ كلّ مؤمن يوحىٰ إليه، وقالوا بالتأويل، وتأوّلوا في هذا آيات كثيرة:

منها: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[٥].

ومنها: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾[٦].

ومنها: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّينَ﴾[٧].

ومن آرائهم أيضاً: أنّهم أعلنوا بأنّه يوجد من هو خير من جبريل، وميكائيل ومحمّد، وأنّهم خالدون، وإذا بلغت عبادة أحدهم مبلغاً؛ رفع إلىٰ الملكوت، ثمّ

---

(١) مقالات الإسلاميين: ٧٨/١.

(٢) البدء والتّأريخ للمقدسي: ١٣١/٥.

(٣) أُنظر، التّبصير في الدّين ص: ٧٤، مقالات الإسلامين ص: ٧٧.

(٤) أُنظر، المقالات والفرق ص: ٥٤.

(٥) آل عمران: ١٤٥.

(٦) النّحل: ٦٨.

(٧) المائدة: ١١١.

ادّعوا مشاهدة ومعاينة أمواتهم، ويرونهم بكرة وعشيّاً[١].

وزعم يزيع: أنّ الإنسان إذا بلغ الكمال؛ لايقال له أنّه مات. ولكن الواحد منهم إذا بلغ النّهاية؛ قيل رجع إلىٰ الملكوت. وسنقف مع هذه الفرقة، وبراءة[٢] الإمام الصّادقﷺ منها، في الفصل القادم إن شاء الله.

العميريّة

وهي الفرقة الثّالثة، الّتي نبعت من الخطابية، أصحاب عمرو بن بيان العجليّ[٣]. وقد أنكرت هذه الفرقة، فكرة التّناسخ، كما أنكرت الخلود. وقالوا: إنا نموت، ولكن لايزال خَلَفٌ منا في الأرض، أئمّة، أنبياء[٤]. وهؤلاء ضربوا خيمة في المحلة الّتي صلب فيها زيد بن عليّﷺ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالبﷺ، علىٰ يد يوسف بن عمر الثّقفي في كناسة الكوفة، ثمّ اجتمعوا فيها، ودعوا إلىٰ عبادة جعفر ابن محمّد الصّادقﷺ، وقد تبرأ منهم الإمامﷺ بعد أنْ سمع بذلك كما سنذكره في موقف الإمامﷺ من الغلوّ والغُلاة.

وعندما اشتد أمرهم أرسل إليهم يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاريّ جيشاً فقتلهم، بعد أنْ سجنهم مدة معينة، ثمّ صلبهم وعلّقهم في الكناسة، عام(١٢٨ هـ).

أصحاب السّرّي

وهي الفرقة الرّابعة، الّتي ظهرت من الخطابية، وعرف أصحابها بـ«السّريّة» نسبة إلىٰ السّرّي بن منصور الأقصم، الّذي ظهر في عهد المأمون، والّذي قتل عام

---

(١) المقالات: ١٢/١، الملل والنّحل: ٣٠١/١.

(٢) الفرق بين الفرق ص: ٤٣.

(٣) التّبصير في الدّين ص: ٧٤، الحور العين ص: ١٦٧، الملل والنّحل ص: ٣٨٤.

(٤) المقالات للأشعري: ٢١/١، الملل والنّحل: ٣٠٣/١.

(٢٠٠هـ)، بيد الحسن بن سهل، ولكن أصحاب الطّبقات، ومنتهىٰ المقال، ومنهج المـقال، ذكروا أنّ الإمام جعفراً الصّادقعليه السلام قد لعنه فيمن لعن من الغُلاة، وأنّهعليه السلام قال: إن بناناً، والسّرّي، وبزيغاً، لعنهم الله، تراءىٰ لهم الشّيطان في أحسن مايكون صورة آدمي، من قرنه إلىٰ سرّته. وهذا مما يبعد ظهورها في عهد المأمون العباسي.

وادعت هذه الفرقة، بأن السّرّي نبي، رسول، مثل أبي الخطاب، أرسله جعفر ابن محمّد فهو رسوله، وقالوا: إنّه قويّ أمين، وزعموا أنّ جعفراً هو الإسلام، والإسلام هو السّلم، والسّلم هو الله، ونحن بنو الإسلام، كما قالت اليهود: نحن أبناء الله، وأحباؤه، فدعوا النّاس إلىٰ نبوة السّرّي، ورسالته، وصلّوا، وصاموا، وحجّوا الجعفر، وأبوابه[١].

وقالوا: إن جعفراً أرسل السّري القويّ الأمين، كقوة موسىٰ وأمانته، وحلّت فيه تلك الرّوح، حيث أولّوا الآية الكريمة: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾[٢] وكذلك قالوا: نحن أبناء الله كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «سلمان ابن الإسلام»[٣].

المفضليّة

وهي الفرقة الخامسة، من فرق الخطابية، وهم أصحاب المفضّل بن عمر الجعفي كما يدّعي النّشّار[٤]، ويدّعي الأشعريّ أيضاً. إنّ المفضّل من المغالين في

---

(١) أُنظر، المقالات والفرق ص: ٥٣، الفرق للنوبختيّ ص: ٤٣.

(٢) القصص: ٢٦.

(٣) فرق الشّيعة ص: ٤٤، نشأة الفكر الفلسفيّ: ٢٤٤/٢، وقد ورد الحديث بلفظ: «ياسلمان! أنت منا أهل البيت...» مستدرك الحاكم: ٥٩٨/٣، منتهىٰ المطلب: ١٦٦/١، مصباح المتهجد للشيخ الطّوسيّ ص: ٨١٧.

(٤) نشأة الفكر الفلسفيّ: ٢٤٤/٢، التّبصير ص: ٧٤، المقالات والفرق: ٧٨/١، الملل والنّحل: ١/ ١٨١.

الإمام الصّادقعليه السلام، حتّىٰ عبده، وألّهه. وعندما توفي؛ تولىٰ ابنه محمّد الدّعوة من بعده. ولهذا أشار الشّاعر أبو الغمر الثُّمالي الدّيكي رامزاً لهما بقوله:

أنا أبصرت ربّي قاعداً في حي جعفي أنا أبصرت ديك العرش في صورة انس

وعند «ماسينبون»: «أنّ الباب ـ السّين ـ ديك العرش، أيّ المؤذن، لأنّه أوّل من سلّم علىٰ الإمام بالتهليل: أنت، أنت[1]. وامتد نشاط هذه الحركة، حتّىٰ القرن الرّابع الهجري، حيث أشار الأشعريّ إلىٰ نشاطهم في حياته بقوله: «وقد قال في عصرنا هذا قائلون بإلاهية، سلمان الفارسيّ، ومن النّساك من الصّوفيّة من يقول: بالحلول. وأنّ الباريّ يحلّ في الأشخاص، وأنّه جائز أنْ يحلّ في إنسان، وسبع، وغير ذلك في الأشخاص»[2].

وهذه الفرقة وغيرها، هي حركات سياسية، عقائديّة، تعلّمت الشّعوذة والنّيرنجات، والنّجوم، والكيمياء، ونشرت دعوتها بكل الوسائل المتاحة لها، حتّىٰ أخذت تتلون بكل لون، وتتظاهر بالزهد للعوام، كما يذكر ابن الأثير. وكأنّه ـ ابن الأثير ـ يريد من ذلك أنْ يربط الغلوّ بالتصوف[3].

وقال الحرّ العاملي: كان المفضّل بن عمر، من أتباع أبي الخطاب، ولكن قد شك في أُلوهيّة الإمام الصّادق[4]. ولكنّه انشقّ عنه، وتراجع عن القول بأُلوهيّة الإمام جعفر الصّادق، وأخذ يروي عن الصّادق ويقول. إنّه قال: «انزلونا عن

↔ وسنقف مع النّشّار حول هذه الشّخصية العظيمة في الفصل القادم.

(١) شخصيّات قلقة في الإسلام ترجمة الدّكتور بدوي ص: ٤١.

(٢) المقالات والفرق ص: ٧٩.

(٣) الكامل في التّأريخ: ٢١/٨.

(٤) أُنظر، إثبات الهداة ص: ٧٦٦.

الأُلوهيّة، وقولوا فينا ما شئتم» ويقول أيضاً: «ماجاءكم عنا مما يجوز أنْ يكون في المخلوقين، ولم تعلموه ولم تفهموه فلاتجحدوه، وردوه إلينا. وما جاءكم عنا ولايكون في المخلوقين فاجحدوه ولاتردوه إلينا»[١].

ويقول السّيّد الخوئيّ رحمه الله: تحتوي أحاديث المفضّل الكثيرة الّتي ينسبها إلىٰ الإمام الصّادق، والإمام الكاظم عليهما السلام علىٰ درجة كبيرة من الغلوّ عليهما السلام وللإمام الصّادق عليه السلام أحاديث عديده بذمّه، ولكن أتباعه يروون في مقابل ذلك أحاديث بمدحه، ممّا أوقعت المحدّثين، وعلماء الرّجال، في حيرة واضطراب[٢].

المخمسة

وهي الفرقة السّادسة من فرق الخطابية، وسمّوا بذلك الاسم؛ لأنّهم زعموا: أنّ الله عزّوجلّ هو (محمّد)، وأنّه ظهر في خمسة أشباح، وخمس صور مختلفة، ظهر في صورة محمّد، وعليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين.

وزعموا أيضاً: أنّ أربعة من هذه الأشباح الخمسة تلتبس لا حقيقة لها. والمعنىٰ شخص محمّد وصورته؛ لأنّه أوّل شخص ظهر، وأوّل ناطق نطق. لم يزل بين خلقه موجوداً بذاته. يتكون في أيّ صورة شاء، ويظهر نفسه لخلقه في صور شتىٰ، في صور الذّكران، والإناث، والشّيوخ، والشّباب، والكهول والأطفال. يظهر مرة والداً، ومرة ولداً، وماهو بوالدّ ولا بمولود. ويظهر في الزّوج والزّوجة. وإنّما أظهر نفسه بالإنسانيّة، والبشرانيّة. لكن يكون لخلقه به أنس، ولايستوحشون ربّهم.

---

(١) المصدر السّابق ص: ٧٦١، بحار الأنوار: ٣٦٤/٢٥.

(٢) أنظر، معجم رجال الحديث ـ ترجمة المفضل.

وزعموا: أنّ محمّداً كان يظهر نفسه لخلقه في كلّ الأدوار والدّهور. وأنّه تراءى لهم بالنورانيّة، فدعاهم إلىٰ الإقرار بوحدانيّته، فأنكروه. فتراءىٰ لهم من باب النّبوة، والرّسالة، فأنكروه. فتراءىٰ لهم من باب الإمامة فقبلوه.

فظاهر الله عندهم الإمامة، وباطن الله الّذي معناه محمّد. يدركه من كان من صفوته بالنورانيّة. ومن لم يكن من صفوته بدرجةٍ بالبشرانيّة اللّحمانيّة الدّموية وهو الإمام، وإنّما هو بغير جسم وتبديل اسم(١).

وفسّروا ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾(٢) أنّها: واحدية مهدية، و﴿لَمْ يَلِدْ﴾ الحسن، و ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ الحسين، و ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾.

وقالوا: إنّ كلّ من كان مثل أبي الخطاب، وبيان، وصائد، والمغيرة، وحمزة ابن عمارة، وبزيع، والسّري، هم أنبياء، أبواب، بتغيير الجسم، وتبديل الاسم. وإن المعنىٰ واحد، وهو سلمان، وهو الباب، الرّسول، يظهر مع محمّد، في كلّ صورة ظهر.

وزعموا: أنّ من عرف هؤلاء؛ فهو ممتحن، موضوع عنه جميع الشّرائع. والاستعباد حلال، مباح له جميع ما حرّم الله في كتابه، وعلىٰ لسان نبيّه، وأنّ هذه المحرّمات، رجال ونساء، من أهل الجحود والإنكار(٣).

وقالوا: بالتناسخ، وذلك أنّهم زعموا: أنّ أرواح من جحد أمرهم يجري في كلّ الأشياء. وتأوّلوا قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۞ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ

---

(١) أنظر، المقالات والفرق ص: ٥٨، التّبصير في الدّين ص: ٧٥.

(٢) الإخلاص: ١ ـ٣.

(٣) أنظر، المقالات والفرق ص: ٥٨.

فِى صُدُورِكُمْ﴾[١]، وزعموا: أنّ المؤمن العارف منهم لا ينتقل روحه في شيء من الأشياء[٢].

وتفرّعت من المخمسة، فرقة تعرف بـ«الشّريعية»، أتباع محمّد بن موسىٰ الشّريعي، أو السّريعي، أو الشّريفي، أو الشّريقي، والّذي زعم أنّ روح القدس حلّ في خمسة أشخاص هم: النّبي، وعليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين.

ثمّ زعم أصحابه. أنّ هؤلاء آلهة، ولهم أضداد خمسة، لكنّهم اختلفوا في أضدادهم.

فمنهم من زعم أنّ الأضداد محمودة؛ لأنّه لايعرف فضل الأشخاص الّتي فيها الإله إلّا بأضدادها.

ومنهم من قال: إنّها مذمومة.

وبالتالي ادّعىٰ الشّريعي: أنّ روح القدس قد حلّ فيه[٣].

---

(١) الإسراء: ٥٠.

(٢) المصدر السّابق.

(٣) أُنظر، المقالات والفرق ص: ٦٠، التّبصير في الدّين ص: ٧٤.

المغيريّة

أصحاب المغيرة بن سعيد البجلي ـ أبو عبد الله الكوفيّ ـ مولىٰ بجيلة[١] فارسيّ الأصل نشأ في الكوفة، وقيل: إنّه مولىٰ لخالد بن عبد الله القسريّ[٢]. ولكن هذا بعيد جدّاً؛ لأنّ قبيلة بجيلة من المواليين والمحبّين لآل البيت عليهم السلام. وقد سأله الأعمش: مافعل حبّ عليّ عليه السلام؟ قال: في العظم، والعصب، والعروق[٣].

وأدخل المغيرة الغلوّ بمظهر جديد، وهو الاعتراف بإمامة الإمام الباقر عليه السلام مع تبرىء الإمام منه[٤]. ويقول المغيرة: سألت أبا جعفر كيف أصبحت؟ قال: أصبحت برسول الله خائفاً، وأصبح النّاس كلهم برسول الله آمنين[٥].

ثمّ بدأت مرحلة الغلوّ والابتعاد عن الإمام الباقر عليه السلام، شيئاً فشيئاً.

يقول الأعمش: «وأوّل من سمعته ينتقص من أبي بكر، وعمر: المغيرة المصلوب ـ»[٦] فكأنّه أوّل من استن البراءة من الشّيخين، وأعلن لعنهما.

أخذ المغيرة يفسّر القرآن علىٰ طريقة خاصة، فمثلاً قال في تفسير الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾[٧] أيّ فاطمة عليها السلام، وايتاء ذي القربىٰ: «الحسن

---

(١) الفصل: ١٨٥/٤، ميزان الأعتدال: ١٦١/٤، لسان الميزان: ٧٥/٦، وهو المرجح.

(٢) كتاب الحيوان للجاحظ: ٦١/٢، الملل والنّحل: ٢٩٥/١، الملل والنّحل: ١٧٦/١، ومن المصادر الّتي تكتفي بذكر اسمه: تأريخ الطّبريّ: ١٢٨/٧، ابن الأثير في الكامل: ٢٣٠/٤، نهاية الإرب للنويريّ: ٤٤٥/٢١.

(٣) ميزان الإعتدال: ١٦١/٤، لسان الميزان: ٧٦/٦، نشأة الفكر الفلسفيّ: ٢/ ٨٢.

(٤) لسان الميزان: ٦/ ٧٥.

(٥) ميزان الإعتدال للذهبيّ: ١٦١/٤، لسان الميزان لابن حجر: ٧٥/٦.

(٦) المصدران السّابقان، وتأريخ الطّبريّ: ١٥٠/٣.

(٧) النّحل: ٩٠.

والحسين»، وينهىٰ عن الفحشاء «أبي بكر»، والمنكر «عمربن الخطاب»[١].

ثمّ قال: إن الإمام عليّاًعليه السلام يحيي ويميت... لوشاء أحيا عاداً، وثمود، قروناً[٢].

ولكن بعد وفاة الإمام الباقرعليه السلام، دعا المغيرة إلىٰ إمامة محمّد بن عبد الله بن الحسن، وأعطاه لقب المهديّ. ثمّ ادّعىٰ لنفسه الإمامة المؤقتة، إلىٰ حين ظهور المهديّ المنتظر. وتلك ظاهرة خطيرة. وقد ظهر المهديّ المدعو محمّد بن عبد الله، وقتل. غير أنّ أنصار المغيرة لم يعترفوا بقتله، وزعموا: أنّ الّذي قُتل في صورة محمّد؛ إنّما كان شيطاناً[٣].

ويزعمون أنّه ادّعىٰ النّبوة[٤]، وأنّه قُتل علىٰ ادّعائها[٥]. وأنّه يعلم اسم الله الأعظم. وأن معبودهم رَجُلٌ من نور علىٰ رأسه تاج، وله من الأعضاء، والخلق ما للرجل، وله جوف، وقلب تنبع منه الحكمة[٦]، وأنّ حروف أبي جاد علىٰ عدد أعضائه. قالوا: والألف موضع قدمه لإعوجاجها، وذكر الهاء فقال: لو رأيتم موضعها منه لرأيتم أمراً عظيماً، يعرض لهم بالعورة وأنّه قد رآه لعنه الله.

وزعم؛ أنّه يحيي الموتىٰ، بالاسم الأعظم. وأراهم أشياء من النّيرنجات والمخاريق. وذكر لهم كيف ابتدأ الله الخلق، فزعم أنّ الله جلّ اسمه كان وحده لا شيء معه، فلمّا أراد أنْ يخلق الأشياء، تكلّم باسمه الأعظم، فطار فوقع فوق رأسه

(١) التّحفة الأثنى عشرية ص: ١١١، ومختصر التّحفة ص: ١٠، قريب من هذا.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة: ١٤٩/٢، لسان الميزان: ٧٦/٦، الكامل في التّأريخ لابن الاثير: ٦٧/٥.

(٣) فرق الشّيعة ص: ٥٤ و ٢٣١، الملل والنّحل: ٢٩٥/٢.

(٤) الملل والنّحل: ٢/ ٢٩٥،: ٤/ ١٨٤.

(٥) لسان الميزان لابن حجر: ٧٥/٦.

(٦) مختصر التّحفة الإثني عشرية ص: ١١.

التّاج ؟ قال وذلك قوله : ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[١]، ثمّ كتب بإصبعه علىٰ كفّه أعمال العباد : من المعاصي والطّاعات ، فغضب من المعاصي ، فعرق فاجتمع من عرقه بحران : أحدهما مالح مظلم ، والآخر نيّر عذب . ثمّ اطلع في البحر فأبصر ظلّه فذهب ليأخذه فطار ، فانتزع عين ظلّه ، فخلق منها شمساً ، ومحق ذلك الظّل وقال : لاينبغي أنْ يكون معي إلهٌ غيري . ثمّ خلق الخلق كله من البحرين . فخلق الكفّار من البحر المالح المظلم ، وخلق المؤمنين من النّيّر العذب ، وخلق ظِلال النّاس . فكان أوّل من خلق منها : محمّداً ﷺ وذلك بقوله : ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾[٢] . ثمّ أرسل محمّداً ، إلىٰ النّاس كافةً ، وهو ظلّ ، ثمّ عرض علىٰ السّموات ، أن يمنعن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فأبين ، ثمّ علىٰ الأرض ، والجبال ، فأبين ، ثمّ علىٰ النّاس كلّهم ، فقام عمر بن الخطاب ، إلىٰ أبي بكر ، فأمره أن يتحمّل منعه ، وأنْ يغدر به ، ففعل ، ذلك أبو بكر ، وذلك بقوله : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾[٣] ، قال : وقال عمر بن الخطاب : أنا أُعينُك علىٰ عليّ لتجعل لي الخلافة بعدك ، وذلك بقوله : ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾[٤] والشّيطان عنده عمر بن الخطاب[٥] .

يذكر المؤرخون : أنّه ـ أيّ المغيرة ـ تعلّم السّحر ، وكان ساحراً[٦] . وقال

---

(١) سورة الأعلىٰ : ١ .

(٢) الزّخرف : ٨١ .

(٣) الأحزاب : ٧٢ .

(٤) الحشر : ١٦ .

(٥) مختصر التّحفة الإثنىٰ عشرية ص : ١١ .

(٦) لسان الميزان : ٦/ ٧٥ ، الفرق للنوبختيّ ص : ٢٨ .

الأعمش: كان المغيرة يخرج إلىٰ المدينة ـ المقبرة ـ فيتكلّم، فيرىٰ مثل الجراد علىٰ القبور[١].

وقال الأعمش أيضاً: خرج المغيرة داعياً، في سبعة نفر، وكانوا يدعون الوصفاء[٢]، وكان خروجه في ظهر الكوفة، وعند ما بلغ خروجه خالد القسريّ الّذي كان يخطب علىٰ منبر الكوفة؛ ارتاع، وارتجف، وصاح: أطعموني ماءً، فعيّره يحيىٰ بن نوفل وقال[٣]:

أتقول من النّواكة أطعموني	شراباً ثمّ بلتَ علىٰ السّرير
لأعلاج ثمانية، وشيخ	كبير السّن ذي بصر ضرير

ويقول أبو منصور، وهو غال آخر: «يتولىٰ سبعة أنبياء من قريش، وسبعة من بني عجل»[٤]. ورووىٰ الأعمش عن المغيرة: أنّه علم بأنّ خادمه، قد ذهب يشتري سمكاً بدرهمين، وكان يقول: لو أردت أن أحيي عاداً، وثمود أو قروناً، بين ذلك كثيراً؛ لأحييتهم»[٥]. لكن ابن رستة يقول: إن ذلك قول عليّ عليه السلام[٦].

وذكر الكشيّ رواية عن الإمام الصّادق عليه السلام، أنّه تعلم ذلك ـ أيّ السّحر والنّيرنجات ـ علىٰ يهودية، كان يختلف إليها[٧]. وساءله الأعمش عن ذلك قال:

---

(١) تأريخ الطّبريّ: ١٤٩/٣.

(٢) تأريخ الطّبريّ: ١٦٤/٢، حركات الشّيعة المتطرفين ص: ٣٧.

(٣) الكامل لابن الاثير: ٦٧/٥، المقالات: ٧/١، الفكر الشّيعيّ والنّزعة الصّوفية.

(٤) البلدان للهمداني ص: ١٨٥، مختصر التّحفة ص: ١٨.

(٥) تأريخ الطّبريّ: ٢٤٠/٨.

(٦) الأعلاق النّفسيّة ص: ٨.

(٧) أنظر، معرفة الرّجال ص: ١٤٧.

أتيت بعض أهل البيت، سقاني شربة من ماء، فما بقي شيء إلّا علمته[١].

وقال: «فريد لايندر»: «إن المغيرة تأثّر بالغنوصيّة، وخاصّة المانديه، والمانوية، وإن العراق كان مقراً لكثير من المانديين»[٢].

ويدّعي صاحب مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: أنّ جابراً الجعفي من أصحاب المغيرة، وأنزلوه بمنزلة المغيرة. وعندما توفي جابر؛ ادّعىٰ وصيته «بكر الأعور الهجري القتّات»، فصيّروه إماماً. وقالوا: إنّه لا يموت، فأكلّ أموالهم.

وكان المغيرة يأمرهم بانتظار محمّد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن عليّ ابن أبي طالب. وذكر لهم: أنّ جبرئيل، وميكائيل عليهما السلام يبايعانه، بين الرّكن والمقام. ويُحيي له سبعة عشر رجلاً، يُعطي كلّ رجل منهم، كذا وكذا، حرفاً من الاسم الأعظم، فيهزمون الجيوش، ويملكون الأرض. فلمّا خرج محمّد وقُتل؛ قال بعض أصحاب المغيرة: لم يكن الخارج محمّداً، وإنّما كان شيطاناً، تمثّل في صورته[٣].

وزعم إسماعيل الصّفوي لمريديه: أنّه لم يتحرك إلّا بمقتضىٰ أوامر الأئمّة عليهم السلام. وأنّ ولايته صادرة عن ختم النّبوة، وكمال الولاية[٤].

ولانريد أنْ نناقش خلط الأشعريّ في مقالاته، بل نلفت النّظر إلىٰ أنّ مقتل المغيرة؛ قبل مقتل كلّ: من محمّد، وإبراهيم، ابني عبد الله بن الحسن، هذا أوّلاً.

وثانياً: فمن العجائب والغرائب أنْ يُنسب جابر بن يزيد الجعفي إلىٰ المغيريّة،

---

(١) لسان الميزان: ٦/٧٥.

(٢) حركات الشّيعة المتطرفين ص: ٣٩.

(٣) المقالات والفرق ص: ٩.

(٤) الفكر الشّيعيّ والنّزعة الصّوفية ص: ٤١٣.

وهو المحدّث، والثّقة الجليل، وهو من كُبّار المحدّثين بالكوفة، ومن أصحاب أبي جعفر الباقر عليه السلام، وأبي عبد الله الصّادق عليه السلام[١]. وقد ذكره ابن سعد في طبقاته، والذّهبيّ في ميزان الإعتدال. وأخرج له أبو داود، والتّرمذيّ، وابن ماجة.

وقد أخطأ الأُستاذ محمّد جابر عبد العال صاحب كتاب «حركات الشّيعة المتطرفين»، حين اعتمد علىٰ البغداديّ، والأشعريّ، حين نسب جابر الجعفي إلىٰ المغيريّة، وتزعّمه لها بعد مقتل المغيرة[٢].

ولانريد التّعليق علىٰ هذه النّسبة، بل نترك القارىء الكريم، والأُستاذ عبد العال، أنْ يرجعا إلىٰ شهادة علماء، ورجال الحديث. ويتصفّح حياة الصّحابي جابر الجعفي رضي الله عنه وما قالوا فيه.

يقول ابن المهديّ: مارأيت في الحديث أورع من جابر.

وقال ابن عليّة: جابر صدوق في الحديث.

قال شعبة: إذا قال: جابر، حدّثنا، وسمعنا، فهو من أوثق النّاس.

وقال وكيع: مهما شككتم؛ فلا تشكّوا في أنّ جابراً ثقة.

قال ابن عبدالحكم: سمعت الشّافعيّ يقول: قال: سفيان الثّوريّ، لشعبة: لأن تكلّمت في جابر لأتكلمّن فيك.

وروىٰ عنه شعبة، والثّوريّ، وإسرائيل، والحسن، وشريك، ومسعر، وأبو عوانة[٣].

---

(١) أُنظر، شذرات الذّهب لابن العماد: ١/١٧٥، فرق الشّيعة للنوبختيّ ص: ٣٥.

(٢) حركات الشّيعة المتطرفين ص: ٤١.

(٣) أُنظر، تهذيب التّهذيب: ٢/٤٨.

وبعد ذلك دخل أتباع المغيرة، في عداد الخنّاقين، من أصحاب أبي منصور العجليّ، وشاركوا في قتل مخالفيهم بالخنق. وقد ذكرهم أعشىٰ همدان.

إذا سرت في عجل؛ فسر في صحابة — وكندة فاحذرها، حذارك للخسف

وفي شيعة الأعمىٰ خناق، وغيلة — وقشب وأعمال لجندلة القذف

وكلّهم شر علىٰ أن رأسهم — حميدة والميلاء حاضنة الكسف

متىٰ كنت في حي بجيلة، فاستمع — فإن لهم قصفاً، يدل علىٰ حتف؟

إذا اعتزموا يوماً علىٰ خنق زائر — تداعوا عليه بالنباح وبالعزف[1]

---

(١) كتاب الحيوان للجاحظ: ٦٦/٢ و: ٣٨٩/٦.

البيانيّة

هم أصحاب بيان بن سمعان التّميميّ[١]، النّهديّ[٢]،المقتول عام (١١٩ هـ)[٣]. نالت هذه الشّخصيّة أهميّة أكثر من غيرها من الشّخصيّات في تأريخ العقائد الغالِية.

ويقول الإيجي صاحب المواقف: إنّ بيان بن سمعان التّميميّ اليمنيّ[٤]، والّذي كان ظهوره في العراق بعد المئة. وكان يعمل تباناً، يتبن التّبن في الكوفة[٥] وهو تلميذ حمزة البربري[٦]. وقد تبرّأ منهما الإمام الصّادق عليه السلام، كما يذكر الكشيّ والحليّ، وكانا من جملة السّبعة الملعونين[٧].

وقد زعم بيان في بداية الأمر: أنّ أبا هاشم مهدي كأبيه، وأنّه لم يوص لأحد، ولذا جعل نفسه رئيساً للفريق الثّابت علىٰ إمامة أبي هاشم، بعد أنْ ادّعىٰ محمّد بن عليّ بن عبد الله بن العباس، أنّه هو الإمام[٨]. وهو الجناح القوي من الحركة الكيسانيّة، وتوارثوا الحكم ـ كما يدعون ـ من أبي هاشم: عبد الله بن محمّد بن الحنفية بن عليّ بن أبي طالب، وذلك عبر الوصيّة منه إلىٰ جدهم محمّد

---

(١) الفصل في الأهواء والملل: ٤/ ١٨٥، مقالات الإسلاميين: ٦٦/١.

(٢) المقالات والفرق ص: ١٣٦، الاعتقادات للرازيّ ص: ٥٧، فرق الشّيعة ص: ٢٥.

(٣) تأريخ الطّبريّ: ١٢٩/٧

(٤) شرح المواقف: ٣٨٥/٨، الملل والنّحل: ٢٠٣/١.

(٥) لسان الميزان: ٦٥/٢، فرق الشّيعة للنوبختيّ ص: ٢٥.

(٦) فرق الشّيعه ص: ٢٨، الإعتصام: ٦٧/٢، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ص: ٢٩٣، لابن نباته، تحقيق «محمّد أبو الفضل إبراهيم»، دار الفكر العربي القاهرة (١٩٦٤م).

(٧) المقالات للقمي ص: ٧٥.

(٨) فرق الشّيعة ص: ٢٣، المقالات والفرق ص: ٣٣.

ابن عليّ بن عباس[١]. ثمّ عدّلوا نظريتهم السّياسيّة وقالوا: «بأنّ الشّرعيّة جاءتهم من العبّاس بن عبد المطلب، عمّ النّبيّ ﷺ. ولذا قال أبو العباس السّفاح سَنَة (١٣٢ هـ)، بأنّهم حماة الإسلام وأهله، وكهفه وحصنه، والقوّامين به، والذّابين عنه، والنّاصرين له. وأنّ الله خصّهم برحم رسول الله ﷺ، وتلا هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾[٢]، وقرأ الآية: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[٣]، وقرأ الآية: الثّالثة: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[٤]، وهاجم السّبئية وقال: «وزعمت السّبئيّة الضّلال أنّ غيرنا أحقّ بالرئاسة، والخلافة منّا، فشاهت وجوههم»[٥].

وقال داود بن عليّ عمّ الخليفة أبي العباس: أنّ منبع الشّرعيّة للدولة، هي الوراثة من العبّاس بن عبد المطلب. وادّعىٰ أنّ المسلمين قد أصبحوا في ذمّة الله ورسوله، والعبّاس[٦].

ومن الجدير ذكره: أنّ جماعة من أهل خراسان، وهم من ولد العبّاس، كانوا يقولون: إنّ رسول الله ﷺ، قبض. وإن أحقّ النّاس بالخلافة ـ الإمامة ـ بعده العبّاس بن عبد المطلب؛ لأنّه عمّه، ووارثه، وعصمته. لقوله تعالىٰ: ﴿وَأُوْلُواْ

---

(١) أُنظر، المقالات والفرق ص: ٦٥، تأريخ اليعقوبيّ: ٤٠/٣، مقاتل الطّالبيين للإصفهاني ص: ١٢٦، التّنبيه والإشراف للمسعوديّ ص: ٢٩٢، الإمامة والسّياسة لابن قتيبة: ٦/٢.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) الشّورىٰ: ٢٣.

(٤) الشّعراء: ٢١٤.

(٥) أُنظر، تأريخ الطّبريّ: ٤٣/٦، الكامل في التّأريخ: ٣١٨/٥.

(٦) المصدر السّابق.

ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾[١]، وأنّ النّاس غصبوه حقه، وظلموه أمره، إلىٰ أنْ ردّه الله إليه، وذلك بالرغم من أنّه لم يدّعِ الخلافة. وهؤلاء قد تبرّأوا من أبي بكر، وعمر. وأجازوا بيعة عليّ بن أبي طالب، بإجازة العبّاس لها، وذلك بقوله «يا ابن أخي هلمّ إليَّ أُبايعكَ، فلايختلف عليك اثنان»[٢]. ولقول داود بن عليّ، علىٰ منبر الكوفة، يوم بويع لابن العبّاس: «يا أهل الكوفة! لم يقم فيكم إمام بعد رسول الله إلّا عليّ بن أبي طالب. وهذا القائم فيكم ـ يعني أبا العباس السّفاح»[٣].

وأكد ذلك المهديّ: محمّد بن أبي جعفر المنصور، عندما دعا الرّاوندية، وأخذ البيعة منهم، حيث قال: «كان العبّاس عمّه، ووارثه، وأوْلىٰ النّاس به. وأنّ أبابكر، وعمر، وعثمان، وعليّاً، وكلّ من دخل في الخلافة، وادّعىٰ الإمامة بعد رسول الله؛ غاصبون، متوثبون بغير حقّ»[٤].

وعقد المهديّ الإمامة، والخلافة، علىٰ أصحابه، وأوليائه، والأُمّة للعباس بعد رسول الله ، ثمّ عقدها لعبدالله بن العبّاس، ثمّ لعليّ بن عبد الله المعروف عندهم بالسجاد، ثمّ عقدها لمحمّد بن عليّ بن عبد الله، ثمّ عقدها لإبراهيم بن محمّد، المسمىٰ عندهم: بالإمام، ثمّ عقدها لأخيه عبدالله بن محمّد بن السّفاح، ثمّ عقدها لأخيه: عبد الله المنصور، والدّ المهديّ[٥]. وعقدها المهديّ، حين حضرته الوفاة، لابنه

(١) الأنفال: ٧٥.

(٢) تأريخ الطّبريّ: ٢/٢٥٤، مروج الذّهب: ٣/٢٧٤.

(٣) أُنظر، مروج الذّهب للمسعوديّ: ٣/ ٢٥٢.

(٤) المقالات والفرق ص: ٦٧.

(٥) المصدر السّابق.

موسىٰ، وسماه الهادي، وجعل ابنه هارون بعده، وسماه الرّشيد[١].

وقالت الرّاوندية: لا إمامة في النّساء. ولا يكون لفاطمة إرث في الإمامة. ولا يرث بنو العمّ، وبنو البنت مع العمّ شيئاً، فيكون لعليّ، ولولد فاطمة، إرث مع العبّاس في الإمامة، فصار العبّاس، وبنوه أوْلىٰ من جميع النّاس[٢]. هذا من جهة.

ومن جهة ثانية: هناك دعوىٰ عبد الله بن الحارث: بأنّ الإمامة قد انتقلت إلىٰ عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر. لكن بيان النّهدي، أنكر كلتا الدّعوتين ونصب نفسه وصيّاً لأبي هاشم بنصّ إلهي: ﴿هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُـدًى﴾[٣]، فبدأت بذلك أوّل الحركات الغالِية، والّتي مقرها الكوفة، بعد الحركة، والفرقة السّبئيّة.

وعلىٰ ذكر عبد الله بن معاوية[٤]، وما نسب إليه: لابد أنْ نذكر شيئاً عن فرقة الجناحيّة، الّتي خرجت علىٰ الأُمويين بالكوفة، في عهد مروان بن محمّد، آخر ملوك بني أُمية. واجتمع حول عبد الله خلق كثير، وسيطر علىٰ المدائن، وحلوان والجبال، وهمذان، واصبهان، والرّي، وفارس[٥]. وفعلاً نجح في إقامة دولة شيعيّة، لكن برز له يومئذ أمير الكوفة فقاتلهم، ثمّ طلبوا الأمان لأنفسهم، ولعبد الله فأعطوهم الأمان، وعبرو دجلة إلىٰ همدان، والرّي. لكن داعيّة بني العبّاس ـ

---

(١) المصدر السّابق: ٦٨.

(٢) المصدر السّابق ص: ٢١.

(٣) آل عمران: ١٣٨. وأُنظر، فرق الشّيعة ص: ٣٠، الملل والنّحل: ١٥٣/١، الكامل في التّأريخ: ٢٣١/٤، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٧م، الفرق بين الفرق ص: ١٤٥، نهاية الإرب: ٤٤٦/١٢، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٤) الأغاني: ٤٣٨١/١٢.

(٥) فرق الشّيعة ص: ٣٣، المواقف: ٣٨٦/٨، إعتقادات فرق المسلمين للرازيّ ص: ٥٩، المعارف: ٤١٨.

أبي مسلم الخراسانيّ ـ قد قويت شوكته، وظهر أمره، فسار إلىٰ عبد الله، وأصحابه، وقتلهم، ثمّ أظهر دعوته العبّاسيّة[١]. لكن أصحابه زعموا: أنّه لم يُقتل، بل هو حيّ في جبال إصفهان، ولايموت حتّىٰ يقود نواصيها إلىٰ رجل من بني هاشم، من ولد عليّ، وفاطمة[٢].

وقد زعم عبد الله: بأنّه هو الإمام بعد عليّ، وأولاده، فبايعوه أصحاب المغيرة، بعد قتل محمّد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ، ورجعوا إلىٰ الكوفة. ثمّ زعموا أنّه ـ أيّ عبد الله ـ ربّ، وأنّ روح الإله، كانت في آدم، ثمّ في شيث، ثمّ دارت في الأنبياء، والأئمّة، إلىٰ أنْ انتهت إلىٰ عليّ عليه السلام، ثمّ دارت في أولاده الثّلاثة، ثمّ صارت إلىٰ عبد الله بن معاوية، وزعموا أنّه قال لهم: «إنّ العلم ينبت في قلبه، كما تنبت الكمأة، والعشب»[٣].

لقد كفرت هذه الفرقة، بعد أنْ استكتب عمّارة بن حَمْزَةَ، الّذي جمع المحارم بالجنّة والنّار، واستحلّوا الخمر، والميتة، والزّنىٰ، واللّواط ـ والعياذ بالله ـ وسائر المحرّمات، وأسقطوا وجوب العبادات، وقالوا: إنّ العبادات، والمحرّمات المذكورة في القرآن، أنّها كنايات عن قوم، يجب بُغْضُهم، كأبي بكر، وعمر، وطلحة، وعائشة.

وظاهرة الغلوّ في هذه الفرقة واضحة، وقد استمدوها من السّبئيّة، حتّىٰ قالوا: إنّ الأئمّة آلهة، وملائكة، وأنبياء، ورسل. وأبطلوا الحساب، والجنّة، والنّار. وزعموا أنّ لا دار في هذه الدّار، وأنّ القيامة، إنّما هي خروج الرّوح من بدن

---

(١) الكامل في التّأريخ لابن الأثير: حوادث سَنَه (١٢٩ هـ).

(٢) النّوبختيّ ص: ٣٥، الأشعريّ ص: ٤٤.

(٣) المصادر السّابقة.

ودخولها في بدن آخر[١].

ولا نُريد التّعليق علىٰ هذه الأكذوبة الّتي لصقت به ؛ لأنّ عبد الله بن معاوية نشأ في أُسرة هاشمية ، ولكنها مسالمة للدولة الأُموية ، بل هي صديقة لمعاوية وابنه يزيد . وبالرغم من كلّ هذا فإنّ عبد الله قد ثار علىٰ الأُمويين بعد ذلك . وكان له نشاط سياسي . أمّا أنّه يتزعم فرقة مغالية فهذا يدعو للعجب ، فكيف يتزعم مجموعة من الغُلاة ؟ ولذا نرىٰ عندما أراد الإصفهاني أنْ يؤرّخ للطالبيين ودَّ أنْ لا يؤرخ لعبد الله بن معاوية ، وكره أنْ يُترجم له ، ولكنه قال : «ولولا أنْ يظن أنّ خبره لم يقع علينا ؛ لمّا ذكرناه مع ماذكرناه»[٢] ، وقد وصفه بأنّه : «كان جواداً فارساً ، شاعراً ، . .»[٣] .

بعد هذا وذاك ، نعود إلىٰ البيانيّة ، والّتي خلط بينها الشّهرستانيّ ، وبين السّبئيّة المتقدّمة من جهة ، وبين الحارثية المتأخرة من جهة أُخرىٰ ، وقد نبّه لذلك الدّكتور جابر عبد العال بقوله : «إنّ بياناً قد رسم للغُلاة من بعده الوسيلة الّتي يخدعون بها النّاس ، ويعتمدون عليها في تنصيب أنفسهم دعاة ، وقادة ، وجبت طاعتهم»[٤] .

أمّا إبراهيم الدّسوقي فقد قال للشرنوبي : «من كراماتنا يا أحمد ! أنّ الله قال : ﴿يَـٰإِبْرَٰهِيمُ أنا اللّه ولاتَخَفْ﴾[٥] ، وهذا مما يؤكّد أنّ بياناً قد رسم الخطوط العريضة

(١) أُنظر ، المقالات والفرق ص: ٤٤ .

(٢) مقاتل الطّالبيين ص: ١٦٢ .

(٣) المصدر السّابق .

(٤) أُنظر ، حركات الشّيعة المتطرفين ص: ٣٣٦ .

(٥) الغيوب للشرنوبي مخطوط تحت رقم (٣٦٨٤) بالمتحف البريطاني في لندن هامش الورقة (٧٨ ب) .

⇔

للغُلاة، واستمرت هذه الخطوط إلىٰ زمن إبراهيم الدّسوقي.

وممّا يذكر: أنّ بياناً أعلن نبوته، وأرسل إلىٰ الإمام الصّادق عليه السلام، يدعوه إلىٰ نفسه، وإلىٰ الإقرار بنبوّته، وقال له: «أسلم تسلم، وترق في سلم، وتنج، وتغنم، فإنّك لاتدري أين يجعل الله النّبوّة، والرّسالة، وما علىٰ الرّسول إلّا البلاغ المبين. وقد أُعْذر من أنذر»[1]. فأمر الإمام عليه السلام، أنْ يأكلّ الرّسول قرطاسةُ الّذي جاء به، فأكله ومات في الحال، وكان اسم ذلك الرّسول عمر بن أبي عفيف[2].

وقد انتهت حركة بيان بقتله إحراقاً بالنّار، أيّام خالد بن عبد الله القسريّ الحاكم الأُموي علىٰ الكوفة، بعد أنْ رأىٰ استفحال أمر بيان، والتّفاف طائفة حوله، وقد دانوا بمذهبه. فقبض عليهم، وهم خمسة عشر رجلاً، وشدّهم في أطناب القصب، وأُلهب فيهم النّار. ولكن بياناً أفلت منهم، وبعد أنْ تقدم خطوات؛ التّفت ورأىٰ أصحابه يحترقون فكرّ راجعاً، وألقىٰ نفسه في النّار، وبعد مقتله ادّعىٰ أتباعه أُلوهيّته[3].

ولا غرابة في ذلك! لكن الغرابة تكمن: أنْ يدّعي رحالة، ومؤرخ من بلاد مصر الكنانة، عندما يرجع من زيارة النّجف الأشرف يقول: «ومن فرق الشّيعة من يقول: بأنّ الصّحابة كلهم كفروا، بعد موت النّبي صلى الله عليه وآله، إذ جحدوا إمامة عليّ عليه السلام، وأنّ عليّاً نفسه كفر، لتنازله لأبي بكر، لكنّه عاد له إيمانه، لمّا تولىٰ

↔ مع العلم أنّ هذه الكلمات لاتوجد في القرآن الكريم، بل الآية: ﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ سورة الصّافات: ١٠٤ ـ ١٠٥.

(١) المقالات والفرق ص: ٣٣، فرق الشّيعة ص: ٣، الملل والنّحل: ١/ ٢٤٦.

(٢) الفرق بين الفرق ص: ٣٠، الملل والنّحل: ١/ ١٥٣.

(٣) أُنظر، المصادر السّابقة.

الخلافة. وهذه فرقة الإماميّة، ومن الشّيعة، قسم أوجب النّبوة، لعليّ بعد النّبيّ ﷺ، فقالوا: إنّ الشّبه بين محمّد، وعليّ؛ كان قريباً لدرجة: أنّ جبريل قد أخطأ، وتلك فئة الغالية، أو الغُلاة.

ومنهم من قال: بأنّ جبريل تعمّد في ذلك، فهو إذن ملعون، وكافر»[١].

ونحن نقول: والعياذ بالله من هذا الافتراء العظيم، يا دكتور أحمد، ويا عبد الله عليّ القصيميّ، ويا ملا عليّ القاريّ الهروي، ـ صاحب شمّ العوارض في ذمّ الرّوافض ـ ويا محمّد بن عليّ الكورانيّ ـ صاحب اليمانيات المسلولة علىٰ الرّافضة المخذولة» ! إنّ تنسبوا هذه الفرق، إلىٰ الإماميّة: إنّما اختلقتها الأوهام الطّائشة، وإنْ هي إلّا في الفرق المفتعلة، الّتي لم يكن لها وجود. ونسبها إلىٰ الشّيعة حملة العصبيّة، نظراء ابن تيمية، وابن قتيبة، والجاحظ، والخياط، ممن عرفهم التّأريخ، بالاختلاق والزّور. وجاءت من بعد هؤلاء، أقلام مأجورة، تجدّد هذه الأكذوبة، وترد بها إلىٰ الشّيعة، ولكنهم يعلمون، علم اليقين، بأنّ الغلوّ بالتأليه، والحلول، والقول بإنكار صفاته، والتّشبيه، والتّوصيف لله بصفات النّقص، ليس من معتقدات الإماميّة. وها هي كتب الإماميّة في العقائد طافحة بتكفير القائلين بذلك، وحكم فقهاء الشّيعة الإماميّة، بارتداد هؤلاء، ونجاسة أسآرهم.

وامّا التّقديس، والحبّ، ونزاهة النّفس، وطهارة المولد، والعنصر للأئمّة عليهم السلام فليس من الغلوّ، وكذلك المعجزات؛ لأنّها من متمات ـ متمّات ـ الحجّة، وهي من باب اللّطف الالهي، لإحقاق الحقّ، كما ذكر هذا الفلاسفة، وبرهنوا عليه. وها هي كتب السُّنَّة، وتآليفهم، مملوءة، بكرامات الأولياء. وسنوضح ذلك في الفصل

---

(١) أُنظر، فجر الإسلام للدّكتور أحمد أمين المصري.

القادم.

وتؤمن الفرقة البيانيّة: بالتفسير الباطني للقرآن، وقد اتخذه بياناً أساساً لحركته، وقد تأثر به ـ الباب ـ مؤسّس الحركة البابية، ولذا سمىٰ كتابه بـ«البيان»

وقد نادىٰ بالتشبيه، ثمّ التّجسيم[١]. وكان بيان، يثبّت لله تعالىٰ الأعضاء والجوارح. ثمّ شبّه الله بإنسان نوراني، ذي جسد وقال: «إنّ الله الأزلي؛ رجل من نور، وهو علىٰ صورة إنسان، عضواً فعضواً، جزءاً فجزءاً. وهو يهلك كلّه، إلّا وجهه[٢] ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[٣] وقرر أنّ عليّ بن أبي طالب، قد حلّ فيه جزء إلهي واتحد بجسده. وهذه هي فكرة مسيحيّة، ثمّ جعل في عليّ عنصراً «ابتمولوجيا».

ولا ينكر أحد من المسلمين أنّه عليه السلام، يخبر عن الملاحم، وإنْ كان يحارب الكفار، بعلمه، وله النّصرة، والظّفر. وقد خلع باب حصن خيبر. ولذا يقول عليه السلام: «والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية، ولا بحركة غذائية، ولكن بقوة ملكوتية»[٤]. وها هو عليه السلام يقول: «إيّاكم والغلوّ فينا، قولوا: إنا عبيد مربوبون، وقولوا في فضلنا: ماشئتم»[٥].

ومن مدعيات بيان أيضاً: «أنّه كان يدعو الزّهرة فتجيبه، وأنّه يفعل بالإسم الأعظم»[٦]. ويذكر البغداديّ: أنّه حين ظفر به خالد القسريّ، قال له: «إنْ كنت

---

(١) أُنظر، فجر الاسلام ص: ١٢٢، الإعتقادات للرازيّ ص: ٦٣.

(٢) مقالات الإسلاميين: ١/٦٦، الفرف بين الفرق للبغداديّ ص: ١٤٦.

(٣) القصص: ٨٨.

(٤) التّنبيه والرّد ص: ١٤٨.

(٥) أُنظر، الخصال للشيخ الصّدوق.

(٦) المقالات والفرق: ١/ ٦٠٥.

تهزم الجيوش بالاسمْ الأعظم، الّذي تعرفه فاهزم به أعواني عنك»[١]. وبعد هـذا كله نرىٰ البغداديّ، يختم قوله حول هذه الفرقة: «وهذه الفرقة خارجة، عن جميع فرق الإسلام لدعواها الأُلوهيّة»[٢].

الحربيّة

أتباع عبد الله بن عمرو بن حرب الكنديّ، الّذي كان في بـدايـة أمـره مـن البيانيّة، ثمّ زعم أنّ روح الإله انتقلت إليه عن طـريق أبي هـاشم بـن محـمّد بـن الحنفية[٣]. وهذه الفرقة كغيرها من الفرق الكافرة، وليست من الفرق الإسلاميّة، ومثلها مثل سائر الفرق الحلولية. ولكن للأسف الشّديد أنّ بعض ممن يعدّون من المؤرخين، يحسبها علىٰ الشّيعة.

وقد فرض عبد الله علىٰ أتباعه تسع عشرة صلاة في اليوم، واللّـيلة، في كـلّ صلاة، خمس عشرة ركعة، وبقي علىٰ هذا الأمر حتّىٰ ناظره رجـل مـن مـتكلمي الصّفريّة، وأوضح له براهين الدّين فأسلم، وتبرأ من كلّ ماكـان عـليه، وأظـهر التّوبة، وأعلم أصحابه بذلك. فتبرأ منه الجميع، ولعنوه.

وقد اقتبس ابن حرب كلّ هذا التّصوير لأصحابه مـن كـلمة ألقـاها الإمـام عليّ ﷺ، يقول فيها: «ألا إنّ عترتي وأطايب أرومتي أحلم النّاس صغاراً وأعلمهم كباراً، ألا وإنّا أهل البيت من علم الله علمنا، ومن قول الله سمعنا إنْ تتبعوا أثرنا، تهتدوا ببصائرنا، وإنْ تدبروا عنا؛ يهلككم الله بأيدينا. معنا راية الحقّ من تـبعها

---

(١) الفرق بين الفرق: ١٤٦.

(٢) المصدر السّابق ص: ٢٢٨.

(٣) أُنظر، مقالات الإسلامين: ١/٤١، ٦٨، ٩٤، التّبصير في الدّين ص: ٧٣، الفرق بين الفرق ص: ١٤٩، الحور العين لنشوان الحميريّ ص: ٦٠٠، الملل والنّحل ص: ١٥١.

لحق، ومن تأخر عنها محق. ألا وبنا تدرك ترة كلّ مؤمن، وبنا يخلع الله ربقة الغل من أعناقكم، ألا وبنا تفتح وبنا تختم»[١]، ورغم كلّ هذا فهم يتقولون علىٰ الإمام عليه السلام.

الغرابيّة

فرقة زعمت: أنّ الله عزّوجلّ، أرسل جبريل عليه السلام، إلىٰ عليّ عليه السلام، فغلط ـ والعياذ بالله ـ في طريقه، فذهب بالرسالة، إلىٰ محمّد صلى الله عليه وآله؛ لأنّه كان يشبهه[٢]. وقالوا: كان أشبه به من الغُراب بالغراب[٣]، والذّباب بالذباب، وزعموا أيضاً أنّ عليّاً، كان الرّسول، وأولاده بعده هم الرّسل[٤].

ولا ندري كيف يسمح هؤلاء أصحاب الشّهادات العالية لعقولهم بأنْ ينسبوا هذه الفرقة إلىٰ الشّيعة؟ ويصدقوا بهذه التّرّهات؟ ولكن لا عتب علىٰ من لا يميز في عقله بين النّبي محمّدٍ صلى الله عليه وآله والّذي يبلغ من العمر أربعين سَنَة، وبين شاب في مستهل العمر لا يتجاوز علىٰ أكثر التّقادير إحدىٰ عشرة سَنَة حتىٰ يغلط به جبريل عليه السلام، وأين الشّبه بين محمّد صلى الله عليه وآله الّذي هو فوق الرّبعة إلىٰ الطّول، قويم القناة، كث اللّحية، أدلج العينين ممتلىء السّاقين، قليل شعر الجسد أفرع، وبين عليّ بن أبي طالب دون الرّبعة إلىٰ القصر، منكب شديد، ثقيل العينين، دقيق السّاقين، أصلع عظيم الصّلع، ليس في رأسه شعر إلّا في مؤخره يسير؟ فأعجبوا لهذه الحماقة، ولهذه السّذاجة الّتي تصدر من الكليات الّتي تمنح الدّكتوراه، والماجستير، وكرسي الأُستاذية في

(١) المقالات والفرق ص: ٢٨.
(٢) مختصر التّحفة الإثني عشرية ص: ١٣.
(٣) الفرق بين الفرق ص: ١٥٣.
(٤) التّبصير في الدّين ص: ٧٤، الفرق بين الفرق ص: ٢٣٧.

الجامعة الفلانية... إلخ. ثمّ كيف يغلط جبريل عليه السلام وحاشا ذلك لروح القُدس الأمين، وهو المبلّغ الأمين خلال ثلاث وعشرين سَنَة؟ ثمّ كيف لا ينبّهه الله سبحانه وتعالىٰ خلال هذه المدة؟ فيالها من عقول ناقصة، وأنفس خاسرة، وشريرة، وآراء واهية، لا تستحق المناقشة!

وكُفر هذه الفرقة أكثر من كفر اليهود، الّذين قالوا للرسول صلى الله عليه وآله: من يأتيك بالوحي من الله تعالىٰ؟ فقال جبريل، فقالوا: إنّا لا نحبّ جبريل؛ لأنّه ينزل بالعذاب. وقالوا: لو أتاك جبريل بالوحي ردّه، واطلب ميكايل، الّذي ينزل بالرحمة لنؤمن بك. فاليهود مع كفرهم بالنبيّ صلى الله عليه وآله، ومع عداوتهم لجبريل عليه السلام، لا يلعنون جبريل، وإنّما يزعمون أنّه من الملائكة ـ ملائكة العذاب ـ دون الرّحمة، ولكن الغرابية يلعنون جبريل، ومحمّداً، وقد قال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾[1]، ويتبيّن من خلال هذا أنّه لا يجوز ادخال هؤلاء الكفار، في جملة فرق المسلمين. ولا يوجد من الشّيعة الإماميّة من يزعم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام، أحقّ بالرسالة، من النّبيّ صلى الله عليه وآله، بل هذا إفتراء محضّ، وكذب إختلقه أعداء الشّيعة، كالبغدادي، وغيره.

المفوّضة

أتباع رجل من ولد عبد الله، بن سبأ ظهر في أيّام الإمام الصّادق عليه السلام، وكان يقول في التّفويض[2]، ويعني به: أنّ الواحد الأزلي، أقام شخصاً واحداً كاملاً لا زيادة فيه ولا نقصاناً، ففوض إليه التّدبير والخلق، فهو: محمّد، وعليّ، وفاطمة والحسن، والحسين، وسائر الأئمّة عليهم السلام. ومعناه واحد، والعدد يلبس[3].

---

(١) البقره: ٩٨.

(٢) أُنظر، إثبات الهداة للحرّ العاملي ص: ٧٥٦.

(٣) المقالات: ٦١.

وبزعمهم هذا أنّ الله خلق محمّداً، ثمّ فوض إليه خلق العالم وتدبيره، فهو الّذي خلق العالم دون الله، ثمّ فوض محمّد أمر التّدبير إلىٰ الإمام عليّ عليه السلام، فهو المدبّر الثّاني[1].

وهذه الفرقة، في نظر الإماميّة، أشرّ من المجوس، الّذين زعموا أنّ الله خلق الشّيطان، ثمّ إنّ الشّيطان، خلق الشّرور. وأشر من النّصارىٰ، الّذين سمّوا عيسىٰ مدبّراً ثانياً. وهذه الفرقة، لايجوز إدخالها في فرق المسلمين.

وزعمت هذه الفرقة أنّه لايجب عليهم معرفة القديم الأزلي، وإنّما كلّفوا معرفة محمّد؛ لأنّه هو الخالق والمفوّض إليه.

ورفضت هذه الفرقة أيضاً، الاعتراف بقتل سيّد الشّهداء الحسين عليه السلام، في كربلاء المقدّسة، وقالوا بتشبيه الأمر علىٰ النّاس، كما شبه عيسىٰ بن مريم، وقد وقع القتل علىٰ شبهه، وهو حنظلة، بن سعد الشّامي، وإنّ الحسين رفع إلىٰ السّماء وذلك استبعاداً لوقوع القتل، علىٰ من فوضه الله إدارة الكون، وجعله نائباً عنه عليه السلام، واستشهدوا بالآية: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾[2] وقالوا: إنّ الأئمّة يقدّرون، أرزاق العباد تفويضاً، من قبل الله لهم[3].

وعلىٰ ذكر التّفويض، لابد لنا أنْ نلخّص ما قاله العلماء، وماذا يعني التّفويض عندهم؟ لأنّ الكشيّ يقول في ترجمة الفضل بن شاذان: «كان أهل نيشابور من الشّيعة علىٰ درجة كبيرة من الغلوّ، والارتفاع، والتّفويض»[4].

---

(١) التّبصير في الدّين: ٧٥.

(٢) النّساء: ١٤١.

(٣) المصدر السّابق ص: ٧٧٢.

(٤) أُنظر، معرفة الرّجال: ترجمة الفضل بن شاذان.

وحكىٰ الشّيخ الطّوسيّ عن نظرية المفوّضة، وقال: «إختلف جماعة من الشّيعة، في أنّ الله عزّ وجلّ، فوّض إلىٰ الأئمّة، أنّ يخلقوا، أو يرزقوا، فقال قوم: هذا محال لايجوز علىٰ الله تعالى، لأنّ الأجسام لا يقدر علىٰ خلقها غير الله عزّوجلّ، وقال آخرون: بل الله تعالىٰ أقدر الأئمّة علىٰ ذلك وفوّض إليهم، فخلقوا، ورزقوا، وتنازعوا في ذلك تنازعاً شديداً، فقال قائل: مابالكم لا ترجعون، إلىٰ أبي جعفر محمّد بن عثمان العمريّ، فتسألوه عن ذلك فيوضّح لكم الحقّ فيه، فإنّ الطّريق إلىٰ صاحب الزّمان ـ الأمر ـ فرضيت الجماعة، بأبي جعفر، وسلّمت وأجابت إلىٰ قوله، فكتبوا المسألة وأنفذوها إليه، فخرج إليهم من جهة التّوقيع نسخته: «إنّ الله تعالىٰ هو الّذي خلق الأجسام، وقسّم الأرزاق؛ لأنّه ليس بجسم، ولاحالّ في جسم، ليس كمثله شيء، وهو السّميع العليم، أمّا الأئمّة عليهم السلام فإنّهم يسألون الله تعالىٰ فيخلق، ويسألونه فيرزق، ايجاباً لمسألتهم، وإعظاماً لحقّهم»[1].

وقال الشّيخ المفيد: «والمفوضة صنف من الغُلاة، وقولهم الّذي فارقوا فيه من سواهم من الغُلاة، اعترافهم ـ المفوضة ـ بحدوث الأئمّة، وخلقهم، ونفي القدم عنهم»[2].

ثمّ بيّن الرّأيّ الصّحيح وقال: «إن رسل الله تعالىٰ من البشر، وأنبياءه، والأئمّة عليهم السلام من خلفائه، محدّثون، مصنوعون، تلحقهم الآلام، وتحدث لهم اللّذات، وتنمو أجسامهم، بالأغذيّة، وتنقص علىٰ مرور الزّمن، ويحلّ بهم الموت... وقال: وهذا القول عليه إجماع أهل التّوحيد، وخالفنا فيه المنتمون إلىٰ التّفويض، وطبقات الغُلاة»[3].

---

(١) كتاب الغيّبة ص: ١٧٨.

(٢) تصحيح الاعتقاد ص: ١١١.

(٣) أُنظر، أوائل المقالات ص: ٨٤.

وقال الأشعريّ: إنّ آراء الغالِية، تتركز في أدعاء الأُلوهيّة، أو أدعاء حلول الباريّ عز اسمه، في الإمام، أو النّبيّ[١].

وقال الشّهرستانيّ: إنّ الغُلاة الّذين غلوّ في حقّ أئمّتهم، حتّىٰ أخرجوهم من حدود الخلقيّة، وحكموا فيهم بأحكام الأُلهيّة، فربّما شبّهوا واحداً من الأئمّة بالإله، وربّما شبّهوا، الإله بالخلق[٢].

وقد نهىٰ أئمّة أهل البيت عليهم السلام عن مثل هذا التّشبيه، ونبّهوا عنه:

عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام قال: «من قال بالتشبيه والجبر؛ فنحن منه براء. ثمّ قال: يا ابن خالد! إنّما وضع الأخبار عنّا في التّشبيه والجبر الغُلاة الّذين صغّروا عظمة الله تعالىٰ»[٣].

وجاء في بحار الأنوار عنه عليه السلام: «احذروا علىٰ شبابكم الغُلاة، لايفسدونهم فإنّ الغُلاة شرّ الخلق، ويصغّرون عظمة الله، ويدعون الرّبوبيّة لعباد الله»[٤].

وقال المجلسي: «اعلم أنّ الغلوّ في النّبي، والأئمّة عليهم السلام، إنّما يكون بالقول بألوهيّتهم، أو بكونهم شركاء لله تعالىٰ في المعبوديّة، أو في الخلق والرّزق، أو أنّ الله حلّ فيهم، أو اتحد بهم. أو أنّهم يعلمون الغيب بغير وحي، أو إلهام من الله تعالىٰ. أو بالقول في الأئمّة عليهم السلام إنّهم كانوا أنبياء، أو القول: بتناسخ أرواح بعضهم إلىٰ بعض، أو القول: بأنّ معرفتهم تغني عن جميع الطّاعات، ولا تكليف معها بترك المعاصي. القول: بكل منها إلحاد، وكفر، وخروج عن الدّين، كما دلت عليه الأدلّة العقليّة،

---

(١) مقالات الإسلاميين ص: ٥.

(٢) الملل والنّحل: ١/ ٢٨٨.

(٣) بحارالأنوار: ٢٥/ ٢٦٦.

(٤) بحار الأنوار: ٢٥/ ٢٦٥.

والآيات، والأخبار السّالفة، وغيرها. وقد عرفت أنّ الأئمّة عليهم السلام تبرؤوا منهم، وحكموا بكفرهم، وأمروا بقتلهم. وإنْ قرع سمعك شيء من الأخبار الموهمة لشيء من ذلك؛ فهي: أمّا مؤولة، أو هي من مفتريات الغُلاة.

ولكن أفرط بعض المتكلّمين، والمحدّثين في الغلوّ، لقصورهم عن معرفة الأئمّة عليهم السلام، وعجزهم عن إدراك غرائب أحوالهم، وعجائب شؤونهم. فقدحوا في كثير من الرّواة الثّقات لنقلهم بعض غرائب المعجزات، حتّىٰ قال بعضهم: من الغلوّ نفي السّهو عنهم، أو القول: بأنّهم يعلمون ما كان، وما يكون، وغير ذلك، مع أنّه قد ورد في أخبار كثيره: «لاتقولوا فينا ربّاً: وقولوا ماشئتم، ولن تبلغوا». وورد في أمرهم: «إنّ أمرنا صعب مستصعب، لايحتمله إلّا ملك مقرّب، أو نبي مرسل، أو عبد مؤمن، امتحن الله قلبه للإيمان»[١].

فلابدّ للمؤمن الملتزم أنْ لا يبادر بردّ ماورد عنهم، من فضائلهم، ومعجزاتهم، ومعالي أُمورهم، إلّا إذا ثبت خلافه بضرورة الدّين، أو بقواطع البراهين، أو بالآيات المحكمة، أو بالأخبار المتواترة، كما هو في باب التّسليم وغيره.

والتّفويض يطلق علىٰ معان[٢]: بعضها منفي عنهم عليهم السلام، وبعضها مثبّت لهم، فالأوّل: التّفويض في الخلق، والرّزق، والتّربيّة، والإماتة، والإحياء، فإنّ قوماً قالوا: إنّ الله تعالىٰ خلقهم وفوّض إليهم، أمر الخلق، فهم يخلقون، ويرزقون ويميتون، ويحيون، وهذا الكلام يحتمل وجهين:

١ ـ أنْ يقال: إنّهم يفعلون جميع ذلك بقدرتهم، وإرادتهم، وهم الفاعلون

---

(١) بحار الأنوار: ٢٥ / ٣٦٦، بصائر الدّرجات ص: ٤٧٨.

(٢) أُنظر، البحار للعلاّمة المجلسي: ٢٥ / ٣٤٦.

حـقيقة، وهـذا كـفر صريح، دلّت عـلىٰ استحالته الأدلّـة العـقليّة، والنّـقليّة، ولا يستريب عاقل في كفر من قاله به.

٢ ـ إنّ الله تعالىٰ يفعل ذلك مقارناً لإرادتهم، كشقّ القـمر، وإحـياء المـوتىٰ، وقلب العصا حيّة، وغير ذلك من المعجزات، فإنّ جميع ذلك إنّما تحـصل بـقدرته تعالىٰ مقارناً لإرادتهم، لظهور صدقهم، فلا يأبىٰ العقل عـن أنْ يكـون الله تـعالىٰ خلقهم وأكملهم، وألهمهم، مايصلح في نظام العالم...

هذا وإنْ كان العقل لا يعارضه كفاحاً، لكن الأخبار السّالفة، تمنع من القـول به، فيما عدا المعجزات ظاهراً، بل صراحاً.

ومـا ورد مـن الأخـبار الدّالة عـلىٰ ذلك؛ فـلم يـوجد إلّا في كـتب الغُـلاة وأشباههم، مع أنّه يحتمل، أنْ يكون المـراد كـونهم، عـلّة غـائية، لايجـاد جمـيع المكونات، وأنّه تعالىٰ جعلهم مطاعين في الأرضين، والسّموات ويطيعهم بإذن الله تعالىٰ كلّ شيء، حتّىٰ الجمادات. وأنّهم إذا شاؤا، أمراً لا يرد الله مشيئتهم، ولكنّهم لايشاؤون إلّا أنْ يشاء الله.

وأمّا ماورد من الأخبار في نزول الملائكة، والرّوح لكلّ أمر إليهـم، وأنّـه لا ينزل ملك من السّماء لأمر، إلّا بـدأ بهـم، فـليس ذلك لمـدخليّتهم في ذلك. ولا الاستشارة بهم، بل له الخلق والأمـر، تـعالىٰ شأنـه، وليس ذلك إلّا لتـشريفهم وإكرامهم، وإظهار رفعة مقامهم.

الثّاني التّفويض في أمر الدّين، وهذا أيضاً يحتمل وجهين:

١ ـ أنْ يكون الله تـعالىٰ فـوّض إلىٰ النّـبيّ، والأئمّـة عليهم السلام، عـموماً أنْ يحـلّوا ماشاؤوا، ويحرّموا ماشاؤوا، من غير وحي، وإلهام. أو يغيّروا ما أُوحـي إليهـم، بآرائهم، وهذا باطل لايقول به عاقل، فإنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله، كان ينتظر الوحي أيّاماً كثيرة

لجواب سائل ولا يجيبه من عنده، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾(١).

٢ ـ إنّه تعالىٰ لمّا أكمل نبيّه صلى الله عليه وآله، بحيث لم يكن يختار من الأُمور شيئاً، إلّا ما يوافق الحقّ والصّواب، ولايحلّ بباله مايخالف مشيّئة تعالىٰ، في كلّ باب، فوض إليه تعيين بعض الأُمور: كالزيادة، في الصّلاة، وتعيين النّوافل في الصّلاة، والصّوم وطعمة الجدّ، وغير ذلك إظهاراً لشرفه، وكرامته عنده. ولم يكن أصل اليقين، إلّا بالوحي، ولم يكن الاختيار إلا بإلهام. ثمّ كان يؤكّد ما اختاره صلى الله عليه وآله بالوحي ولا فساد في ذلك عقلاً.

ولعلّ الصّدوق رحمه الله، إنّما نفىٰ المعنىٰ الأوّل، حيث قال في الفقيه: «وقد فوّض الله عزّ وجلّ إلىٰ نبيّه صلى الله عليه وآله، أمر دينه، ولم يفوّض إليه تعدّي حدوده»(٢).

الثّالث: التّفويض في أُمور الخلق إليهم، من سياستهم، وتأديبهم، وتكميلهم وتعليمهم، وأمر الخلق بإطاعتهم فيما أحبّوا، وكرهوا، وفيما علموا جهة المصلحة فيه، ومايعلموا. وهذا حقّ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَانتَهُواْ﴾(٣)، وغير ذلك من الأخبار، والآيات. وعليه يحمل قولهم عليهم السلام: «نحن المحلّلون حلاله، والمحرمون حرامه»(٤)،أيّ بيانها علينا، ويجب علىٰ النّاس الرّجوع فيها إلينا.

الرّابع: تفويض بيان العلوم، والأحكام، بما رأوا المصلحة فيها، بسبب

---

(١) النّجم: ٤.

(٢) أمالي الصّدوق: ١٦٢/١.

(٣) الحشر: ٧.

(٤) بحار الأنوار: ٢٥/ ٣٦٦.

اختلاف عقولهم، أو بسبب التّقيّة، فيفتون بعض النّاس بالواقع من الأحكام، وبعضهم بالتقيّة، ويبيّنون تفسير الآيات، وتأويلها، وبيان المعارف بحسب مايحتمل عقل كلّ سائل، كما ورد عنهم «عليكم المسألة، وليس علينا الجواب»[١]

كلّ ذلك بحسب مايريهم الله من مصالح العباد والوقت، وهذا أحد معاني خبر محمّد بن سنان، في تأويل قوله تعالىٰ: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾[٢]

ولعلّ تخصيصه بالنبيّ صلى الله عليه وآله، والأئمّة عليهم السلام، لعدم تيسير هذه التّوسعة، لسائر الأنبياء، والأوصياء عليهم السلام؛ لأنّهم مكلّفون بعدم التّقيّة، وإنْ أصابهم الضّرر، والتّفويض بهذا المعنىٰ ثابت.

الخامس: التّفويض الاختياري في أنْ يحكموا بظاهر الشّريعة، أو بعلمهم، وبما يلهمهم الله من الواقع. ومخ الحقّ في كلّ واقعة، وهذا مادلت عليه الأخبار.

السّادس: التّفويض في العطاء، فإنّ الله خلق لهم الأرض وما فيها، وجعل لهم الأنفال، والخمس، والصّفايا، وغيرها، فلهم أنْ يعطوا ماشاؤوا، ويمنعوا ما شاؤوا.

هذه هي معاني التّفويض الّتي يقصدها علماء الشّيعة الإماميّة، فهي مؤولة ومفسرة؛ لأنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله، كان مسدّداً، وموفّقاً، ومؤّيداً، بروح القدس، لا يزل ولايخطىء في شيء مما يسوس النّاس به. فتأدب بآداب الله، ثمّ أنّ الله فرض الصّلاة ركعتين، ركعتين، ثمّ عشر ركعات، فأضاف رسول الله صلى الله عليه وآله، إلىٰ الرّكعتين

---

(١) الاختصاص للشيخ المفيد ص: ٣٣١.

(٢) النّساء: ١٦٠.

ركعتين، وإلىٰ المغرب، ركعة واحدة، وهكذا في النّوافل أيضاً، وهذا هو الّذي عناه الصّدوق[١]، وفي ما رواه الكليني[٢]، والصّفّار[٣]، والشّيخ المفيد[٤]، والمجلسي[٥]، والحرّ العاملي[٦].

فهذا الشّيخ المفيد يقول، في الغُلاة الّذين أضافوا الخلق، والرّزق، إلىٰ الأئمّة عليهم السلام وأنّهم ادعوا: أنّ الله تعالىٰ تفرّد بخلقهم خاصّة، وأنّه فوّض إليهم خلق العالم[٧]... إلىٰ أنْ يقول: «إنّ ما خالف كتاب الله فهو زخرف وباطل»[٨]، فهذا ماجاء عنهم عليهم السلام، يفسّره قوله تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[١٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[١١]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[١٢]، كلّ هذه الآيات، تقطع الطّريق علىٰ من يدّعي التّفويض بالرزق، والخلق دون الله..

---

(١) أُنظر، التّوحيد ص: ١٥٢.

(٢) أُنظر، الكافي: ١/ ٤٤١.

(٣) أُنظر، بصائر الدّرجات ص: ٣٨٣، المفيد في الاختصاص: ٣٣١.

(٤) الإختصاص: ٣٣٤.

(٥) بحار الأنوار: ٧/ ٢٦.

(٦) إثبات الهداة ص: ٧٥٧.

(٧) تصحيح الإعتقاد ص: ١٠٩.

(٨) أُصول الكافيّ: ١/ ٦٩.

(٩) الأعراف: ٥٤.

(١٠) فاطر: ٣.

(١١) الذّاريّات: ٥٨.

(١٢) هود: ٦. وأُنظر، بحار الأنوار: ٢٥/ ٢٦٣.

ويفسّر الشّيخ المفيدﷺ ادعاء علم الغيب للائمّةﷺ، بقوله: «فأما إطلاق القول، علىٰ الأئمّةﷺ بأنّهم يعلمون الغيب، فهو منكر بيِّن الفساد؛ لأنّ الوصف بذلك إنّما يستحقه من علم الأشياء بنفسه، لابعلم مستفاد، وهذا لا يكون، إلّا لله عزّ وجلّ وعلىٰ قولي هذا جماعة أهل الإماميّة، إلّا من شذ عنهم، من المفوضة ومن انتمىٰ إليهم من الغُلاة»[1].

وعالج الشّيخ المفيدﷺ هذه المسألة من زاوية أُخرىٰ فقال: «أمّا ما ورد من الأخبار الّتي يفيد ظاهرها؛ بأنّهمﷺ، يعرفون ما في ضمائر بعض العباد، ويعرفون مايكون، فتأويل ذلك عنده: إنّه ليس ذلك بواجب، في صفاتهم، ولا شرطاً في إمامتهم. وإنّما كرّمهم الله تعالىٰ به، وأعلمهم إيّاه، للّطف في طاعتهم، والتّمسك بإمامتهم، وليس ذلك بواجب عقلاً. ولكنّه وجب لهم من جهة السّماع»[2]. وقد ورد بهذا المعنىٰ، عن أميرالمؤمنينﷺ، إنّه قال: «إنّه تعلّم من ذي علمٍ»[3] إشارة إلىٰ ما روى عنهﷺ: «علّمني رسول الله ألف باب من العلم، يفتح لي من كلّ باب، ألف باب»[4].

وسنقف مع هذا المبحث أيضاً، عندما نتطرق إلىٰ مسألة إنكار موت الأئمّةﷺ، ومعرفتهم بجميع الصّنائع، وسائر اللّغات، وسبق ذات النّبيّﷺ وذواتهمﷺ، علىٰ ذات آدم، والايحاء لهم، وظهور العلائم، وغير ذلك في الفصل القادم إنْ شاء الله تعالىٰ.

---

(١) أوائل المقالات ص: ٧٧.

(٢) أوائل المقالات ص: ٧٧.

(٣) نهج البلاغة: خطبه رقم (١٢٨)، تنظيم الدّكتور صبحي الصّالح.

(٤) الإرشاد للشيخ المفيد ص: ٢٢.

العلبائيّة أو الذِّمّية

وهي واحدة من الفرق الغالِية، والّتي تشبه فرق الغُرابية، أو لأنّها تفرّعت من المخمسة، وقالوا: إنّ عليّاً، هو الرّبّ، وظهر بالعلويّة الهاشميّة، وأظهر وليّه وعبده، ورسوله، بالمحمديّة. ولكنّهم شتموا محمّداًﷺ؛ لأنّ عليّاً، بعثه لينبئ عنه، فادّعىٰ الأمر لنفسه، وبهذا وافقوا المخمسة، في أربعة أشخاص: عليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين، والحقيقة شخص عليّ؛ لأنّه أوّل الأشخاص، وأنكروا شخص محمّد، وزعموا: إنّ محمّداً ـ والعياذ بالله ـ عبد لعليّ، وأقاموا محمّداً، مقام ما أقامت المخمسة، سلمان وجعلوه رسولاً لمحمّد.

وتزّعم هذه الفرقة، بشار الشّعيري الّذي لعنه الإمام الصّادقعليه‌السلام؛ لأنّه كفر بنبوّة محمّدﷺ؛ ولأنّه ذمّ جبريل، ولذا قال ابن الجوزيّ، بشأن هذه الفرقة والبغداديّ، والشّاطبي: «إنّ هؤلاء الذّميّة، أو العلبائية ـ نسبة إلىٰ العلباء، بن ذراع الدّوسيّ ـ كفّار؛ لأنّهم زعموا أنّ عليّاً، هو الله، وشتموا محمّداً»[(١)].

وذكر الأشعريّ: أنّ بشاراً، عندما أنكر الرّسالة؛ مُسخ في صورة طير يقال له ـ علباء ـ يكون في البحر[(٢)].

القطعيّة

وهذه الفرقة هي الّتي قطعت، بموت الإمام موسىٰ الكاظمعليه‌السلام، ولذلك سمّيت بالقطعيّة. وزعمت أنّ النّبيّﷺ، نصّ علىٰ إمامة الإمام عليّعليه‌السلام، بعده بعينه، واسمه، وأنّ عليّاً، نصّ علىٰ الحسن، والحسن نصّ علىٰ الحسين، وهكذا حتّىٰ

---

(١) أُنظر، التّبصير في الدّين ص: ٧٥١، تلبيس ابليس لابن الجوزيّ ص: ١٠٤، رجال الكشيّ.

(٢) الفرق بين الفرق ص: ٢٣٩، الإعتصام: ٣/ ٦٨، الملل والنّحل ص: ٣٧٠.

يصل النّص إلىٰ الإمام موسىٰ الكاظم عليه السلام، فقط، وفقط[1]، وسنقف مع هذه الفرقة، عندما نتحدث عن موقف الإمام موسىٰ بن جعفر عليه السلام، من الغلوّ والغُلاة.

الكربيّة

هم أصحاب أبي بكر الضّرير، الّذي زعم أنّ محمّد بن الحنفيّة، حيّ بجبال رضوىٰ، وأسد عن يمينه، ونمر عن شماله، يحفظه، ويأتيه رزقه، غدوةً وعشيّةً، إلىٰ وقت خروجه، وزعموا أنّه مغيّب عن الخلق، وهذه الفرقة هي من أصل الكيسانيّة، الّتي سبق وأنّ أشرنا إليها.

الرِّزاميّة

أصحاب رزام بن رزم، وهؤلاء أفرطوا في موالاة أبي مسلم الخراسانيّ[2]، وساقوا الإمامة من أبي هاشم، إلىٰ أبي مسلم، ثمّ في محمّد بن عليّ، ثمّ في أخيه عبد الله بن عليّ السّفاح، وبعد السّفاح صارت إلىٰ أبي مسلم، ولكنهم أقرّوا بموت أبي مسلم. لكن جماعة منهم تسمىٰ «أبو مسلمية»[3] أفرطوا في موالاته وادعوا أنّه إله، بحلول روح القدس فيه، وقالوا: إنّ أبا مسلم، خير من جبريل وسائر الملائكة، وهؤلاء سكنوا في هراة، وعرفوا بـ«البركوكية».

ومن الجدير ذكره: أنّ بعض المؤرخين حاولوا أنْ يؤرّخوا للعبّاس بن عبد المطلب، ويضعوه في صفوف السّابقين إلىٰ الإسلام، وأنْ يضفوا عليه الكثير الكثير من القداسة، وممن كتم إيمانه، حتّىٰ صار عيناً للرسول صلى الله عليه وآله، علىٰ كفّار قريش. غير

(١) أُنظر، التّبصير ص: ٧٥، مقالات الإسلاميين: ١/٨٢.
(٢) مقالات الإسلاميين: ١/٩٤، الملل والنّحل: ١/١٥٣، التّبصير في الدّين ص: ٧٦.
(٣) إعتقادات فرق المسلمين ص: ٦٣.

أنّ التّأريخ لا يداهن، ولا يُرائي في ذلك؛ لأنّه ـ العباس ـ حضر معركة بدر الكبرىٰ مع كفّار قريش ضدّ الرّسولﷺ، وأنّه أُسر، لكن رسول اللهﷺ ـ لرحمته ـ مَنّ عليه بالفداء، وبالتالي أصبح نديماً لأبي سفيان، حتّىٰ أردفه علىٰ بغلته. والتّأريخ يشهد أنّه وقف بجانب الإمام عليّعليه السلام، يوم بيعة السّقيفة، وكان يرىٰ أنّ عليّاً أحقّ النّاس بالخلافة، لكنّه ظل مخلصاً لأبي بكر، وعمر، وتذكر الرّوايات أنّ عمراً استسقىٰ به السّماء[1].

ولو رجعنا قليلاً إلىٰ الوراء؛ نجد أنّ الحركة العباسيّة تشبثت بالوصيّة، والإمامة انتقلت إلىٰ محمّد بن عليّ بن عبد الله بن العباس؛ لأنّ أبا هاشم ـ عبد الله ابن محمّد بن الحنفية، ـ سُمَّ في طريقه إلىٰ فلسطين بايعاز من سليمان بن عبد الملك؛ لأنّه كان يعتقد أنّ أبا هاشم هو أخطر رجال البيت الهاشمي، ويعدّ العدة للانقلاب علىٰ سليمان. فأرسل إليه بعض أصحابه، وانتظروا الرّجل ودعوه إلىٰ بيوتهم، وسقوه لبناً مسموماً، فلمّا أحس أبو هاشم بالموت، قال لأصحابه: «ميلوا بي إلىٰ ابن عمي محمّد بن عليّ بالحميمة من أرض الشّراة، الّتي تقع مابين دمشق والمدينة. فلمّا وصل إليه قال له: يا ابن عمّ أنا ميّت، وقد صرت إليك وهذه وصيّة أبي، وفيها: «إنّ الأمر صائر إليك وإلىٰ ولدك، والوقت الّذي يكون هو هذا، والعلامة هذه... وما ينبغي لكم العمل به علىٰ مسمع. وروي عن أبيه عليّ بن أبي طالب فاقبضها إليك. وهؤلاء الشّيعة استوصِ بهم خيراً. وهؤلاء هم دعاتك، وأنصارك فاستبطنهم، فإنّي قد بلوتهم بمحبّة ومودة أهل البيت ـ أهل بيتك ـ ثمّ هذا الرّجل ميسرة، فاجعله صاحبك في العراق. فأما في الشّام، فليست لكم ببلاد. وهؤلاء

---

(١) أنظر، مروج الذّهب للمسعوديّ: ٣/٤٥، تأريخ اليعقوبيّ: ٣/٤١ ـ ٦٢.

رسله إلىٰ خراسان وإليك، ولتكن دعوتك بخراسان... فإنّي أرجو أنْ تتم دعوتكم. ويظهر الله أمركم، واعلم أنّ صاحب هذا الأمر من ولدك: عبد الله بن الحارثية. ثمّ عبد الله أخوه، الّذي هو أكبر منه. فإذا مضت سَنَة الحمار؛ فوجه رسلك بكتبك، ووطد الأمر قبل ذلك بلا رسول ولا حجّة. ثمّ اختر دعاتك، فليكونوا اثني عشر نقيباً، فإنّ الله عزّ وجلّ لم يصلح أمر بني إسرائيل إلّا بهم، وسبعين نفساً بعدهم يتلونهم، فإنّ النّبيّ ﷺ، إنّما اتخذ اثني عشر نقيباً، من الأنصار أتباعاً لذلك» ولمّا سأله محمّد بن عليّ: ياأبا هاشم! وما سَنَة الحمار؟ قال: لم يمض مئة من نبوة قط إلّا انقضت أمورها لقوله تعالىٰ: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ...﴾[1] فإذا دخلت مئة سَنَة؛ فابعث رسلك، ودعاتك، فإنّ الله متمم أمرك...»[2].

وهذا مما يثير العجب، والسّخريّة من اليعقوبيّ، وأمثاله، فهل من المعقول أنّ أبا هاشم بهذه السّذاجة، والبساطة، أنْ ينقل الحقّ من أهله، وأولاد عمّه الأقربين أولاد فاطمة البتول عليها السلام إلىٰ أولاد عمّه البعيدين، وهم أولاد عبد الله بن العباس؟ وتتوالىٰ الأحداث، والاضطرابات، حتّىٰ تصل النّوبة في الإمامة، إلىٰ أبي مسلم الخراسانيّ، وتظل حركته حتّىٰ يقضي علىٰ دولة بني مروان. ومن ثمّ يقيم أعظم دولة عرفتها العصور الوسطىٰ، وهي دولة العبّاسيين. وفعل كلّ ما أراد، ثمّ مات ميّتة، دنيئة، ميّتة غدر، وخسة، علىٰ يد الخليفة الوحشي، أبي جعفر المنصور.

ولهذا قامت بعد ذلك فرقة، تسمىٰ بالراوندية، وأعلنت أنّ المنصور إله، وأبا مسلم نبي، واستدلوا علىٰ ذلك بخطبة المنصور، بعد قتل الخراسانيّ: «أيّها النّاس لاتخرجوا من أُنس الطّاعة، إلىٰ وحشيّة المعصيّة، ولا تسرّوا غشّ الأئمّة، فإنّ من

---

(١) البقرة: ٢٥٩.

(٢) أُنظر، تأريخ اليعقوبيّ: ٣/ ٤١ ـ ٦٢، وفيّات الأعيان: ١/ ٥٧٩.

أسرّ غشّ إمامه؛ أظهر الله سريرته في فلتات لسانه، وأفعاله... وأبداها الله لإمامه»[١].

وأعلنوا: أنّ أبا مسلم نبي مرسل. ولمّا بلغ أمرهم المنصور، قبض علىٰ جماعة منهم، وطلب منهم التّوبة، ولكنهم أبوا وقالوا للمنصور: ربّنا، لِقَتَلْنا شهداء كما قتل أنبياءه، ورسله، فَقَتل المنصور الكثيرين منهم[٢].

وتزعم الرّاوندية ـ كما يقول الطّبريّ ـ: رجل أبرص الوجه، يقال له: الأبلق، وقد تكلّم بالغلوّ. وزعم أنّ الرّوح الّتي كانت في عيسىٰ بن مريم صارت وحلّت في عليّ بن أبي طالب. ثمّ في الأئمّة واحد بعد واحد، إلىٰ أنْ وصلت إلىٰ إبراهيم ابن محمّد، سبط العبّاس، عمّ النّبيّ ﷺ، وهؤلاء كلّهم آلهة. وقد استحلّت هذه الفرقة كلّ المحرّمات؛ لأنّها اتصلت بالخرمية، الّتي كانت في إيران، كما يذكر الطّبريّ. وقد اتبع بعض نقباء الرّاوندية «خداشاً»، حين جهر بالدعوة إلىٰ مذهب الخرميّة، في الوقت الّذي ثار فيه السّواد الأعظم منهم علىٰ هذا المذهب، ممّا دفع صاحب الدّعوة محمّد بن عليّ، أنْ يتصل ويجتمع بخداش، ويحتج عليه، وينكر تلك الآراء. ثمّ بعث إليه بعصي مضببة بالحديد، وبعضها بالشبه، فقدم بها بكير وجمع النّقباء، والشّيعة، ودفع إلىٰ كلّ رجل منهم عصاة، فعلموا أنّهم مخالفون سيرته، فرجعوا وتابوا...[٣].

وقد تأثر بأفكار الرّزامية جماعة، تسكن بما وراء «جيحون» تُسمىٰ بالمُقَنعيّة،

---

(١) أنظر، فرق الشّيعة ص: ٥٢، مروج الذّهب: ٢/ ٢١٩.

(٢) أنظر، مروج الذّهب: ٢/ ٢١٩، فرق الشّيعة ص: ٥٤، الفرق بين الفرق ص: ٢٧.

(٣) أنظر، تأريخ الطّبريّ: ٢/١٩٤،: ٣/٤١٨.

نسبة إلىٰ زعيمهم المقنّع، قيل اسمه: عطاء، وقيل: اسمه حكيم[١] ويسمّىٰ هاشماً[٢]، وقيل: لايعرف اسم أبيه، لكن البيروني يذكر أنّه هاشم بن حكيم[٣] وهو رجل أعور، قصير، قبيح الصّورة، مشوه الخلق، أعور، ألكن[٤]، من أهل قرية، يقال لها: «كيمردان»[٥] في خراسان. قتل سَنَه (١٦١ هـ)[٦]، وتسمىٰ أيضاً بـ«المُبيِّضة»؛ لأنّ صاحبها يعرف شيئاً من الهندسة، والحيل، والنّيرنجات؛ وادّعىٰ لنفسه الإلُوهيّة. واحتجب عن النّاس، ببرقع من حرير، وقيل: اتخذ وجهاً من ذهب، فجعله علىٰ وجهه لئلا يرىٰ[٧]. وكان يقول: «إنّ الله خلق آدم، فتحول في صورته، ثمّ في صورة نوح، وهكذا حتّىٰ تحول في صورة أبي مسلم الخراسانيّ، ثمّ في هاشم.

وهاشم، في دعواه هو المقنّع، وكان يعتقد أنّ أبا مسلم أفضل من النّبيّ ﷺ، وهذا الرّجل هو الّذي أنكر قتل يحيىٰ بن زيد، وقال: إنّه غاب، وسيعود إلىٰ الأرض مرة ثانيّة[٨]».

وظهرت فرقة أُخرىٰ من الرّزامية، تسمّىٰ بـ«الحلمانيّة»، أصحاب أبي حلمان الدّمشقيّ، وهو من أصل فارسيّ، لكنه نشأ في حلب، وأظهر بدعته فيها. وهو من

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان: ٢٦٣/٣.

(٢) تأريخ ابن خلدون: ٣/ق٢ ص: ٤٣٩.

(٣) الآثار الباقية ص: ٢١١.

(٤) الوفيات: ٢٦٤/٣، الكامل في التّأريخ: ٥٢/٥.

(٥) الآثار الباقية ص: ٢١١، وعند البغداديّ في الفرق بين الفرق ص: ١٥٥،«كازة كيمن دات».

(٦) الآثار الباقية ص: ٢١١.

(٧) الكامل في التّأريخ: ٥٢/٥، الوفيات: ٢٦٣/٣.

(٨) التّبصير في الدّين ص: ٧٦، الملل والنّحل: ١٥٣/١، مقالات الإسلاميين: ٩٤/١.

الغُلاة، وقد كفر؛ لأنّه قال: بحلول الإلٓه في الأشخاص ذات الوجوه الحسنة. وكان مع أصحابه إذا رأوا صورة حسنة؛ سجدوا لها، ويوهمون أنّ الإلٓه قد حلّ فيها، مستندين إلىٰ الآية الكريمة: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾(١) والآية: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ﴾(٢). وهؤلاء قالوا بالإباحية، وادعوا أيضاً: إنّ الّذي يعرف الإلٓه علىٰ الوصف الّذي يعتقده، فقد زال عنه الخطر، والتّحريم، واستباح كلّ مايستلذه، ويشتهيه(٣).

ومن مغالاة الرّزامية في أبي مسلم الخراسانيّ قالوا: كانت بيده سبحة يسبّح بها، فنام والسّبحة بيده، فاستدارت، والتّفت علىٰ ذراعه، وجعلت تسبّح فالتفت إليها، وهي تدور في ذراعه وتقول: سبحانك يامنبت النّبات، ويا دائم الثّبات. فقال لزوجته: هلّمي يا أُمّ مسلم، وأُنظري الأعاجيب، فجاءت والسّبحة تدور تسبّح، فلمّا جلست سكتت(٤).

الكامليّة

وهم أتباع رجل كان يعرف بأبي كامل(٥). وزعم أنّ الصّحابة كفروا بتركهم بيعة عليّ، وحتّىٰ علي كفر بتركه قتالهم، وكان يلزمه قتالهم، كما لزمه قتال أصحاب الجمل، وصفين. ولقد كان بشار بن برد علىٰ هذا المذهب. ولمّا سئل عن الصّحابة فقال: كفروا. فقيل: ماتقول في عليّ: فأنشد يقول:

---

(١) التّين: ٤.

(٢) الحجر: ٢٩.

(٣) أُنظر، التّبصير في الدّين ص: ٧٦، فرق الشّيعة ص: ٥٣.

(٤) أُنظر، القصة في تأريخ ابن عساكر نقلها صاحب الغدير: ٧/ ٢٤٠،: ١١/ ١١٠.

(٥) أُنظر، الفرق بين الفرق: ٥٤، التّبصير في الدّين: ٢١.

ومـاشر الثّـلاثة أُمّ عـمرو بصاحبك الّذي لاتصبحينا

وزاد علىٰ ذلك بقوله: إنّ إبليس كان مصيباً، في تفضيله النّار علىٰ الأرض. ومـن أقوال أبي كامل: «إنّ الإمامة نور يتناسخ، من شخص إلىٰ شخص، وذلك النّور في شخص يكون النّبوة، وفي شخص آخر يكون إمامة، وقال: بتناسخ الأرواح وقت الموت[1].

أصحاب الحلول

جماعة زعمت أنّ الله سبحانه وتعالىٰ حالّ في أجسام الأئمّة، وأنّه أوّل ما حلّ في محمّد بن الحنفية، ثمّ في عبد الله ابنه، ثمّ في عبد الله بن معاوية بن جعفر ابن أبي طالب. وزعموا أنّ الله القديم سبحانه، هو عليّ، وفاطمة، والحسـن والحسـين، معنىٰ واحد، وهو الرّبّ الخالق، خلق لنفسه ظروفاً فأسكنها، وبيوتاً حلّ فـيها، فهذه الأشخاص الأربعة، هي الظّروف، والسّاكن، والحال فيها هو محمّد، وهـو الرّبّ[2]. وهذا التّناقض واضح عند هـذه الجـماعة، ثمّ بـعد ذلك انـقسمت هـذه الجماعة، إلىٰ عدة أقسام فمنهم: مـن اكـتفىٰ مـن الدّيـن، بـالولاء للأئمّـة، وذلك بتفسيرهم العبادات؛ بأنّها رموز للأئمّة، كما أوّلوا المعاصي، بـرجـال آخـرين... وتحرروا بهذه الطّريقة من أيّ التزام ديني، أو خلقي. ثمّ زعموا أنّ الدّين هو معرفة الرّجال، فإذا عرفتهم فاعمل ماشئت، وقالوا: إنّ الصّـلاة، والزّكـاة، والصّـوم، والحجّ كلّ واحدة، منها رجل، وكلّ فريضة، هي رجل، فمن عرف الرّجل، فـقد اكتفىٰ عن العمل، وكذلك الفواحش، الّتي نهىٰ الله عنها، إنّها رجل، وزعموا أيضاً: أنّ المحرمات من النّساء، هي مانكحها الرّسولﷺ فـقط، ومـاسوىٰ ذلك مـباح

---

(١) الحور العين ص: ١٥٥، الإعتصام: ٣/٦٧، الملل والنّحل ص: ٣٦٨.

(٢) أُنظر، معرفة الرّجال للكشيّ ص: ٢٩٦، الفصول للشيخ المفيد ص: ٢٥٤، فرق الشّيعة ص: ٨٤.

كلّه[١] وهؤلاء يسمونهم بـ(الإباحيون).

الباقريّة

جماعة ساقوا الإمامة من الإمام عليّ عليه السلام، وأولاده، إلىٰ محمّد بن عليّ بن الحسين، المعروف بالباقر عليه السلام، وقالوا: إنّ عليّاً نصّ علىٰ إمامة ابنه الحسن، ونصّ الحسن، علىٰ إمامة أخيه الحسين، ونصّ الحسين علىٰ إمامة ابنه عليّ بن الحسين المعروف بزين العابدين، أو بالسجاد. ونصّ السّجاد، علىٰ إمامة محمّد ابن عليّ المعروف بالباقر، وزعموا أنّ الإمامة توقفت هنا؛ لأنّ الباقر عليه السلام، حيّ لم يمت، وأنّه غائب عن النّاس، وهو المهديّ. لِما روي فيه عن الرّسول صلى الله عليه وآله، حين قال: لجابر بن عبد الله الأنصاري: «يا جابر! إنّك تَلْقَاهُ فأقرأه مني السّلام». وكان جابر آخر من مات بالمدينة من الصّحابة، وقد عمي في آخر عمره، فأخذ يمشي في المدينة ويقول: ياباقر! ياباقر! حتّىٰ ألقاك؟[٢]

لكن انشقت هذه الجماعة إلىٰ عدة انشقاقات:

منها: النّاوسية، أتباع رجل من أهل البصرة، ينسب إلىٰ ناووس، هو (عبد الله بن ناووس البصريّ، أو عجلان بن ناووس) المولود في قرية ناووس، من قرىٰ البصرة، ساق الإمامة في جعفر الصّادق بنصّ الإمام الباقر عليه السلام، لكنّه زعمّ أنّه المهديّ المنتظر[٣] وقال: إنّ الّذي يظهر للنّاس لم يكن جعفراً، وإنّما تصور للنّاس بتلك الصّورة، وهو لم يمت، بل إنّه حيّ مثل جدّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وستنشق له الأرض يوماً، ليملأها قسطاً وعدلا، وهؤلاء كلّهم يتفقون علىٰ تكفير الخليفة

(١) أنظر،: إثبات الهداة للشيخ الحرّ العاملي ص: ٧٦٠.

(٢) أُنظر، الفرق بين الفرق ص: ٥٩.

(٣) التّبصير في الدّين: ٢٢.

الأوّل، والثّاني[١].

الهشاميّة

وهم فريقان:

أصحاب هشام بن الحكم، الكنديّ، الكوفيّ، الّذي نشأ بواسط وسكن بغداد.

وأصحاب: هشام بن سالم الجواليقيّ.

وقد زعم الأسفراييني، بأنّ الفريقين يقولان، بالتشبيه، والتّجسيم، وإثبات الحدّ، والنّهاية، حتّىٰ أنّ هشاماً بن الحكم، قال: إنّ معبوده نور يتلألأ كقطه من السّبيكة الصّافية، أو كلؤلؤة بيضاء[٢].

أمّا الجواليقيّ يقول: بالصورة، وإثبات اللّحم، والدّم، واليد، وسائر الأعضاء[٣].

ولا نُريد أنْ نقف مع الأسفراييني طويلاً في إتهامه هشاماً بن الحكم بأنّه: من المجسمة، والمشبهة، بل إنّ هشاماً بن الحكم هو صاحب النّظريات المعروفة في علم الكلام، وعين الطّائفة، ووجهها، وناصرها، ومن أرباب الأُصول، وله مناظرات مع الفلاسفة، وأصحاب الرّأيّ. وهو ممن دعا له الإمام الصّادق عليه السلام، فقال: أقول لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، لحسان: لا تزال مؤيداً بروح القدس، مانصرتنا بلسانك. وبلغ من مرتبته وعلوه، عند أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام، أنّه دخل عليه بمنىٰ وهو غُلام، أوّل ما اختط عارضاه، وفي مجلسه شيوخ الشّيعة، كحمران

(١) إثبات الهداة ص: ٧٦٦.

(٢) الأنساب للسمعاني: ٦٤٣/٥.

(٣) الأنساب للسمعاني: ٦٤٣/٥. التّبصير في الدّين ص: ٢٢.

ابن أعين، وقيس الماصر، ويونس بن يعقوب، وأبي جعفر الأحول وغيرهم، فرفعه علىٰ جماعتهم، وليس فيهم إلّا من هو أكبر منه سنّاً، فلمّا رأىٰ أبو عبد الله عليه السلام، أنّ ذلك الفعل كبر علىٰ أصحابه قال: هذا ناصرنا بقلبه، ولسانه، ويده[1].

وقال عنه الشّيخ الطّوسيّ، في الفهرست: «كان ممن فتق الكلام في الإمامة، وهذّب المذهب بالنظر، وكان حاذقاً بصناعة الكلام»[2].

وقال عنه العلاّمة الحليّ في الخلاصة: «إنّه أوّل شخص فتق الحديث في الإمامة، والنّص، والوصيّة، وهذّب المذهب بالنظر»[3].

ومانسب إليه من القول: بالتشبيه، والتّجسيم، فعارٍ عن الصّحة عند عظماء الإماميّة. كما أنّ السّيّد المرتضىٰ بالغ في براءة ساحته عن مثل هذه الأقاويل في كتابه الشّافي، مستدلاً بدلائل قاطعة وقال: إنّ بعضها ناشيء من عدم فهم كلامه، وبعضها ناشيء عن خلط كلام المناظرين له عند الاحتجاج، وبعضها تقوّل عليه فنسبوا إليه هذه الأقاويل التّافهة، كما نسبوا الآراء الشّنيعة إلىٰ زرارة، ومؤمن الطّاق رضي الله عنه وغيرهما من أكابر الإماميّة.

وإن أوّل من نسب إليه هذه الفرية، الجاحظ الّذي قال فيه أبو جعفر الأسكافي: «إنّ الجاحظ ليس علىٰ لسانه من دينه، وعقله رقيب، وهو من دعوىٰ الباطل غير بعيد، فمعناه نزر، وقوله لغو، ومطلبه سجع، وكلامه لعب ولهو، يقول الشّيء وخلافه، ويحسن القول وضده، ليس له من نفسه واعظ، ولا لدعواه حدّ

---

(١) أُنظر، معرفة الرّجال: ترجمة هشام، رجال النّجاشي ص: ٤٣٣، سفينة البحار: ٧١٩/٢، رجال الطّوسيّ ص: ٣٢٩، سير أعلام النّبلاء: ٥٤٣/١٠، تنقيح المقال للمامقاني: ٣/ ٢٩٤.

(٢) الفهرست ص: ٣٢٩.

(٣) الخلاصة ص: ١٧٨.

قائم»[١].

أخذ الجاحظ هذه الأُكذوبة، عن النظّام المعتزليّ، ورواها ابن قتيبة في مختلف الحديث[٢]، والقاضي، والخياط في كتابه (الانتصار)، ثمّ حذا حذوهم ابن حزم الظّاهريّ، وابن الجوزيّ، وابن تيمية، وابن كثير، هؤلاء الأبناء الأربعة، حملة الرّوح الأمويّة. ولذا ادّعىٰ الوهابي ناصر القفاريّ في كتابه ـ أُصول مذهب الشّيعة الإماميّة ـ: «أنّ هشاماً بن الحكم أوّل من قال بالتجسيم...»[٣] وقد اعتمد هذا الوهابي علىٰ شيخه الأكبر ابن تيمية في منهاج السُّنَّة: «قال: وأوّل من عرف في الإسلام أنّه قال إنّ الله جسم هو هشام بن الحكم»[٤].

ولا نريد أنْ نسير مع متاهات القفاريّ وغيره حول التّجسيم، بل ننقل للقارىء الكريم أنّ أوّل ما ظهر التّجسيم بين النّاس في زمن أُمّ المؤمنين عائشة، وكان أصل الفكرة من كعب الأحبار، وجماعته، في زمن عمر بن الخطاب، وهذه الفترة الزّمنية لم يولد فيها هشام بن الحكم الّذي (ت ٢٠٠ هـ)، وقد روت مصادر أهل السُّنَّة حديث أطيط العرش، وصريره، وأزيزه، من ثقل الله تعالىٰ كما ورد في المصادر[٥]. وقد نقل الزّمخشري في الكشاف هذه الأبيات[٦].

---

(١) أُنظر، شرح ابن أبي الحديد: ٣/ ٢٦٧.

(٢) مختلف الحديث ص: ٥٩.

(٣) أُصول مذهب الشّيعة الإماميّة: ١/٥٢٩.

(٤) منهاج السُّنَّة: ١/ ٢٠.

(٥) أُنظر، مجمع الزّوائد: ١/٨٣و: ١٠/١٥٩ و ٣٩٨، كنز العمّال: ٢/٤٦٦ و: ١٠/٣٧٣، الدّر المنثور: ١/٣٢٨، فردوس الأخبار للديلمي: ٣/٨٦، تأريخ الخطيب البغداديّ: ٥/١٦٢٩و: ٤/٣٩، سنن أبي داود: ٢٦٤١٨، النّهاية لابن الأثير: ١/٥٤، الملل والنّحل للشهرستاني: ١/٩٣، المقدمة لابن

↔

إذا تسألوا عن مذهبي لم أبح بـه　　　وأكـــتمه كـــتمانه لي أسْــلَمُ
فـإنْ حـنفياً قـلت قـالوا بأنـني　　　أبيح الطّلا وهـو الشّراب المحـرم
وإن حـنبلياً قـلت قـالوا بأنـني　　　ثـقيلٌ حُـلُولِيٌّ بـغيض مجـسِّمُ

وليس في الشّيعة منذ القِدم حتّىٰ اليوم من يعرف، أو يعترف بوجود هذه الفرقة، أو الفرق الّتي توجد في كتب أهل الملل والنّحل، كالشهرستاني، مثلاً. وقد نفاها أبوبكر ابن العتايقي الحلّي، في رسالة بخط يمينه. وحكم السّيّد المرتضىٰ علم الهدىٰ، في كتابه الشّافي. وكذلك السّيّد المرتضىٰ الرّازيّ، في التّبصرة. أنّها ـ أيّ فرقة الهشاميّة ـ لا توجد إلّا في كتب القوم المخالفين، لهشام بن الحكم في المبدأ.

وقال الشّيخ المفيد رحمه الله: «كان هشام بن الحكم من أكبر أصحاب أبي عبد الله عليه السلام، وكان تقيّاً، ورعاً، روىٰ حديثاً كثيراً، وصحب أبا عبد الله عليه السلام، وأبا الحسن موسىٰ عليه السلام وكان يكنىٰ، أبا محمّد، وأبا الحكم.

وقال الشّيخ المفيد رحمه الله: إنّ هشاماً بن الحكم أجرىٰ مناظرة مع رجل شامي في حضرة الإمام الصّادق عليه السلام، علىٰ حرف جبل في طرف الحرم، وإنّ الرّجل الشّامي قال لهشام: يا غلام! سلني في إمامة هذا ـ يعني أبا عبد الله، فغضب هشام حتّىٰ ارتعد ثمّ قال له:

اخبرني... أربك أنظر لخلقه، أم هم لأنفسهم؟

فقال الشّامي: بل ربّي أنظر لخلقه.

⇐ خلدون ص: ٤٦٢، الكشاف للزمخشري: ٥٧٣/٢، الخطابي في معالم السُّنن: ٣٠٢/٤، المطالب العالية للرازيّ: ٢٥/٢.

(٦) الكشاف للزمخشري: ٥٧٣/٢، طبعة مصر عام (١٣٠٧هـ).

قال: ففعل بنظره لهم في دينهم ماذا؟

قال: كلّفهم، وأقام لهم الحجّة، ودليلاً علىٰ ما كلّفهم، وأزاح في ذلك عـللهم.
فقال له هشام: فما هذا الدّليل الّذي نصبه لهم؟

قال الشّامي: هو رسول الله.

قال له هشام: فبعد رسول الله مَن؟

قال: الكتاب، والسُّنَّة.

قال له هشام: فهل ينفعنا اليوم الكتاب، والسُّنَّة، فيما اختلفنا فيه، حتّىٰ يرفع عنا الاختلاف، ومكنّا من الاتفاق؟

قال الشّامي: نعم.

قال له هشام: فلم اختلفنا نحن، وأنت جئتنا من الشّام، تخـالفنا وتـزعم أنّ الرّأيّ طريق الدّين، وأنت تقر بأنّ الرّأيّ لا يجمع علىٰ القول الواحد، المختلفين؟

فسكت الشّامي كالمفكّر.

فقال له أبو عبد الله: مالك لا تتكلم؟

قال: إن قلت: إنا مااختلفنا كابرت، وإنْ قلت: إنّ الكتاب والسُّنَّة يرفعان عنا الاختلاف؛ أبطلت؛ لأنّهما يحتملان الوجوه. ولكن لي عليه مثل ذلك.

فقال له أبو عبد الله: سله تجده مليئاً.

فقال الشّامي لهشام: من أنظرُ للخلق ربّهم، أم أنفسهم؟

فقال هشام: ربّهم أنظر لهم.

فقال الشّامي: فهل أقام لهم من يجمع كلمتهم، ويرفع اختلافهم، ويـبيّن لهـم

حقّهم، من باطلهم؟

قال: نعم.

قال الشّامي: مَن هو؟

قال هشام: أمّا في ابتداء الشّريعة فرسول الله. أمّا بعد النّبيّ، فغيره.

قال الشّامي: ومَن هو غير النّبيّ القائم مقامه في حجّته؟

قال هشام: في وقتنا هذا؟ أم قبله؟

قال: بل في وقتنا هذا.

قال: هذا الجالس يعني أبا عبد الله، الّذي تشد إليه الرّحال، ويخبرنا بأخبار السّماء، وراثة عن أب عن جدّ.

قال الشّامي: وكيف لي بعلم ذلك؟

قال هشام: سله عمّا بدا لك.

قال الشّامي: قطعت عذري، فعلي السّؤال.

فقال له أبو عبد الله: أنا أكفيك المسألة يا شامي: أخبرك عن مسيرك، وعن سفرك، خرجت يوم كذا، وكان طريقك كذا،... ومررت علىٰ كذا،... ومر بك كذا.

فأقبل الشّامي كلّما وصف له شيئاً من أمره يقول: «صدقت والله»

فقال الشّامي: أسلمت لله السّاعة.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: بل آمنت بالله السّاعة، إنّ الإسلام قبل الإيمان، وعليه يتوارثون، ويتناكحون، والإيمان عليه يُثابون.

قال: صدقت فأنا السّاعة أشهد أنْ لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله، وأنّك وصيُّ الأنبياء[١].

وكلّ مناظرات هشام بن الحكم، تدلّ علىٰ قوته الجدليّة، وحضور الجواب عنده بالبداهة، مستخدماً في كثير منها الأدلة الشّرعيّة. ولعل هذا هو الّذي حمل بعض أصحاب النّفوس الأُمويّة علىٰ أنْ تشن هجمتها الشّرسة، ضد هشام بن الحكم.

لقد بالغ الكتّاب، والمؤرخون في الفرق والمذاهب في نسبة التّجسيم إلىٰ هشام، ونسبوا إليه بعض المقالات المنافية لأُصول الإسلام، والّتي لا يقرّها العقل ولاتنسجم مع سيرة هشام وعلمه، فقد ذكر الأسفرايني[٢]: أنّه كان يقيس معبوده، وأنّه سبعة أشبار بشبره. وحكىٰ عنه أبو الهذيل العلّاف، أحد زعماء المعتزلة، وقد سأله: أيهما أكبر معبوده، أم جبل أبي قبيس؟ فقال: إنّ الجبل لا يرقىٰ عليه تعالىٰ.

وحكىٰ عنه الأشعريّ[٣] أنّه قال: إنّ الله جسم محدود، عريض، عميق، طويل.

وقد هاجمه الجبائيّ[٤]، وقال فيه بعضهم[٥]:

ما بال من ينتحل الإسلاما   متخذاً إمامه هشاما

---

(١) أُنظر، نصّ المناظره في إرشاد الشّيخ المفيد ص: ٢٧٨، أُصول الكافيّ: ١٧٢/١، وبحار الأنوار: ٤٨ / ٢٠٣ ح ٧، والإحتجاج للطبرسيّ: ٣٦٤/٢، المناقب لابن شهر آشوب: ٢٤٣/٤.

(٢) أُنظر، التّبصير في الدّين ص: ١٠٦.

(٣) مقالات الإسلاميين: ١ / ٢٥٧.

(٤) أُنظر، الفرق لعليّ الغرأبي ص: ٢٦٠.

(٥) أُنظر، الشّافي للسيّد المرتضى ص: ١١ ـ ١٣.

إنّ الحملات العنيفة الّتي واجهها هشام من خصومه؛ كانت بدافع التّشنيع. وليس في كلماته. مايشير إلىٰ التّجسيم، وكلّ ماورد عنه أنّه قال: إنّ الله جسم لا كالأجسام. وقال ذلك علىٰ سبيل المعارضة، والجدل لخصومه المعتزلة القائلين بأنّه شيء لا كالأشياء. وله مواقف مع عمرو بن عبيد، والنظّام، وغيرهما في الإمامة. وله محاورة مع النظّام عندما أنكر بقاء أهل الجنّة إلىٰ الأبد، مدّعياً أن البقاء الأبدي لايكون لغير الله. فقال هشام له: إنّ بقاء الله لا يحتاج إلىٰ سبب، وعلّة، وبقاءَكم لا يكون إلّا بسبب هو: إرادة الله ومشيئته. فلا يلزم بقاؤهم مشاركتهم لله سبحانه[1].

الحلاجيّة

تنسب هذه الفرقة إلىٰ أبي المغيث: الحسين بن منصور، الزّاهد المشهور أصله من فارس. ولكنّه نشأ في العراق، وفي مدينة واسط بالذات. ولكنّه صحب الجنيد. ولكن النّاس في أمر هذه الفرقة مختلفون: فمنهم من بالغ في تعظيمه، ومنهم من كفره.

كتب عنه الغزاليّ: «وفي سَنَة (٣٠٩هـ)، أمر المقتدر العبّاسي بضربه ألف سوط ثمّ قطع أطرافه الأربعة، ثمّ جز رأسه، وأحرق جثته، فلمّا صارت رماداً. ألقاه في نهر دجلة، ونصب الرّأس ببغداد علىٰ الجسر»[2].

كان في بدايته مشغولاً بكلام الصّوفية. وعباراته من الشَّطح الّذي يحتمل

(١) أنظر، مناظرات هشام بن الحكم للشيخ عبدالله نعمة.

(٢) أُنظر، مشكاة الأنوار: ترجمة الحلاج، وفيّات الأعيان التّرجمة تحت رقم (١٨١)، العبر: ٢/ ١٣٨، الطّبقات الكبرى للشعراني: ١/ ١٢٦.

معنيين: أحدهما حسن محمود، والآخر قبيح مذموم. وابن سريج البغداديّ شيخ الشّافعية، أفتىٰ بقتله، لغلوّه، وكذلك أبوبكر محمّد بن داود.

وقال الشّيخ المفيد ﷺ: «والحلاجيّة: ضرب من أصحاب التّصوف. وهم أصحاب الإباحة، والقول بالحلول. ولم يكن الحلاّج يتخصّص بإظهار التّشيع، وإن كان ظاهر أمره التّصوّف. وهم قوم ملحدة، وزنادقة، يموهون بمظاهرة كلّ فرقة بدينهم، ويدّعون للحلاج الأباطيل، ويجرون في ذلك مجرىٰ المجوسي، في دعواهم، لزرادشت المعجزات. ومجرىٰ النّصارىٰ، في دعواهم لرهبانهم، الآيات والبيّنات. والمجوس، والنّصارىٰ، أقرب إلىٰ العمل بالعبادات منهم. وهم أبعد من الشّرائع، والعمل بها من النّصارىٰ، والمجوس»[1].

وذكر الشّيخ الطّوسيّ، عن جماعة عن أبي عبد الله، الحسين بن عليّ بن الحسين بن موسىٰ بن بابويه: أنّ الحلاّج صار إلىٰ قمّ، وكاتب قرابة أبي الحسن «ابن بابويه الصّدوق» يستدعيه ويقول: أنا رسول الإمام ووكيله، فلمّا وقعت المكاتبه في يد أبي ـ الصّدوق ـ مزّقها. وقال لموصلها إليه: ما أفرغك للجهالات، فقال له الرّجل: فإنّ الرّجل قد استدعانا فلم خرقت مكاتبته؟ وضحكوا منه، وهزؤا به، ثمّ نهض إلىٰ دكانه، ومعه جماعة من أصحابه، وغلمانه. قال: فلمّا دخل إلىٰ الدّار الّتي كان فيها دكانه؛ نهض له من كان هنالك جالساً، غير رجل رآه جالساً في الموضع، فلم ينهض له، ولم يعرفه أبي. فلمّا جلس وأخرج حسابه، ودواته، كما يكون التّجار؛ أقبل علىٰ بعض من كان حاضراً، فسأله عنه، فأخبره فسمعه الرّجل يسأل عنه، فأقبل عليه وقال له: تسأل عني وأنا حاضر؟ فقال له أبي: أكبرتك

---

(١) أنظر، تصحيح الاعتقاد ص: ٢١٨.

أيّها الرّجل، وأعظمت قدرك، أنْ أسألك، فقال له: تخرّق رقعتي وأنا أُشاهدك تخرّقها؟ فقال له أبي: فأنت الرّجل إذن. ثمّ قال: يا غلام برجله، وبقفاه أخرج من الدّار العدو لله، ولرسوله. ثمّ قال له: أتدعي المعجزات؟ عليك لعنة الله(١).

ويظهر من هذا: أنّ الرّجل كان يدّعي المعجزات والوكالة. ولذا طرده ابن بابويه الصّدوق من دكانه مكذّباً، ومستنكراً دعواه الّتي يدّعي أنّه سمع شيئاً من القرآن، يتلوه بعض النّاس. فقال: يمكنني أنْ أؤلف مثله، وأتكلم به. بالإضافه إلىٰ هذا كان يقول: بالحلول، والاتحاد. وزعم أصحابه أنّه حيّ لم يمت، وإنّما شبّه للمقتدر العبّاسي.

العذافرة

جماعة ببغداد ظهرت أيّام الرّاضي بن المقتدر، وهم أتباع محمّد عليّ الشّلمغاني، الّذي قتل عام (٣٢٢هـ)(٢). وكان معروفاً بابن أبي العذافر(٣). وادّعىٰ هذا الرّجل حلول روح الإله فيه، وسمىٰ نفسه روح المقدس، ووضع كتاباً سماه: «الحالة السّادسة»، وصرح فيه برفع الشّريعة، وأباح اللّواط ـ العياذ بالله ـ وزعم أنّه إيلاج الفاضل نوره في المفضول. ولمّا ظفر به الرّاضي وبجماعته، ومنهم الحسين ابن القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب. وأبو عمران المنجم، فقبل توبة بعض أصحابه. ولكن الرّاضي قتل الشّلمغاني، مع ابن أبي عون، ثمّ احرقهما، وطرح رمادهما في نهر دجلة(٤).

---

(١) أُنظر، كتاب الغيبة ص: ٢٤٧.

(٢) الكامل في التّأريخ: ٢٤١/٦.

(٣) الفرق بين الفرق ص: ١٥٩، والشّلمغاني نسبة إلىٰ شلمغان قرية بنواحي واسط، كما جاء في الكامل في التّأريخ: ٢٤١/٦، مع العلم أنّ بعض الكتب تسميه بابن أبي العذاقرّ.

(٤) أُنظر، التّبصير في الدّين ص: ٧٩، العبر للحافظ الذّهبيّ: ١٩٠/٢، الكامل في التّأريخ: ٢٤١/٦.

ولنقف مع الشّيخ الطّوسيّ ماذا يقول فيه: «كان يدّعي التّناسخ، والحلول، ويقول: إنّ روح رسول الله انتقلت إلىٰ أبي جعفر محمّد بن عثمان العمريّ. وروح أمير المؤمنين انتقلت إلىٰ روح وبدن الشّيخ أبي القاسم: الحسين بن روح، وروح مولاتنا فاطمة انتقلت إلىٰ روح أُمّ كلثوم بنت محمّد بن عثمان»[١].

ويقول: إنّ ابن أبي العذافر[٢]، كان يشيع ذلك سراً، في بني بسطام، وإنّ أُم كلثوم. اطلعت علىٰ ذلك، فاخبرت الحسين بن روح، فقال: هذا كفر بالله العظيم والحاد. قد أحكمه هذا الرّجل الملعون، في قلوب هؤلاء القوم، ليجعله طريقاً إلىٰ أنْ يقول لهم: بأنّ الله قد اتحد به، وحلّ فيه، كما يقول النّصارىٰ في المسيح، ويعدو إلىٰ قول الحلاّج لعنه الله.

ثمّ ظهر التّوقيع الشّريف، من صاحب الأمر والزّمان: «بلعن أبي جعفر: محمّد ابن عليّ ـ ابن أبي العذافر ـ منه، وممن تابعه وشايعه ورضي بقوله. وأقام علىٰ توليه، بعد المعرفة بهذا التّوقيع الشّريف»[٣].

ويشرح الشّيخ الطّوسيّ، نظرية ابن أبي العذافر، فيقول: «قال أبو الحسن: محمّد بن أحمد بن داود: كان محمّد بن عليّ الشّلمغاني المعروف بابن أبي العذافر لعنه الله يعتقد: أنّ (القول مجمل الضّد) ومعناه: أنّه لايتهيأ إظهار فضيلة للولي إلاّ بطعن الضّد فيه؛ لأنّه يحمل سامعي طعنه علىٰ طلب فضيلته. فإذن هو أفضل من الولي، إذ لايتهيأ إظهار الفضل إلاّ به.

ويقول: ساقوا المذهب ـ من وقت آدم الأوّل، إلىٰ آدم السّابع ـ لأنّهم قالوا:

---

(١) كتاب الغيبة ص: ٢٤٩.

(٢) ورد بلفظ، ابن أبي العذاقرّ.

(٣) كتاب الغيبة ص: ٢٥٠.

سبعة عوالم، وسبع أوادم، ونزلوا إلىٰ موسىٰ، وفرعون، ومحمّد، وعليّ، مع أبي بكر، ومعاوية. وأمّا في الضّد، فقال بعضهم: الولي ينصب الضّد، ويحمله علىٰ ذلك، كما قال قوم من أصحاب الظّاهر: إنّ عليّ بن أبي طالب نصّب أبابكر في ذلك المقام وقال: بعضهم لا ولكن هو قديم معه لم يزل. وقالوا: والقائم الّذي ذكر أصحاب الظّاهر، أنّه من ولد الحادي عشر، فإنّه يقوم، معناه: إبليس؛ لأنّه قال: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾[1]، فلم يسجد، ثمّ قعد بعد ذلك، ويقوم القائم إنّما هو ذلك القائم، الّذي أمر بالسجود فأبىٰ، وهو إبليس لعنه الله.

لُعن الشّلمغاني علىٰ لسان المهديّ عليه السلام، وبتوقيعه الشّريف: «إن محمّد بن عليّ الشّلمغاني، ممن عجل الله له، بالنقمة ولا أمهله، قد ارتد عن الإسلام، وفارقه وألحد في الدّين ـ في دين الله ـ وادّعىٰ ماكفر معه بالخالق. وافترىٰ كذباً، وزوراً وقال بهتاناً، وإثماً عظيماً... وإننا قد برأنا إلىٰ الله، وإلىٰ رسوله، وآله عليهم السلام، ولعناه. عليه لعائن الله تترىٰ، في الظّاهر منا والباطن، في السّر والجهر، وفي كلّ وقت وعلىٰ كلّ حال. وعلىٰ من شايعه وتابعه، أو بلغه هذا القول منا، وأقام علىٰ توليه بعده... وأعلمهم: أننا في التّوقّي منه، والمحاذرة منه، علىٰ مثل من تقدمنا، لنظرائه من الشّريعيّ، والنّميريّ، والهلاليّ، والبلاليّ، وغيرهم»[2].

البَشِيريّة

هم أصحاب محمّد بن بشير، مولىٰ بني أسد، من أهل الكوفة. كان صاحب شعبذة، ومخاريق، حيث قال: إن الإمام موسىٰ بن جعفر الكاظم عليه السلام، لم يمت، ولم

---

(١) الحجر: ٣٠.

(٢) أُنظر، كتاب الغيبة ص: ٢٥١، الكامل في التّأريخ: ٢٤١/٦، البحار: ٣٧٧/٥١.

يحبس، وإنّه حي غائب، وإنّه هو المهديّ المنتظر، وإنّه استخلف محمّداً بن بشير وجعله وصيّه، وأعطاه خاتمه، وفوّض إليه أُموره، وأقامه مقام نفسه. فهو إذن الإمام من بعده. لكن لمّا توفي محمّد بن بشير؛ أوصىٰ إلىٰ ابنه، سميع، وقال له: أنت الإمام، ومن أوصىٰ له، سميع، فهو أيضاً الإمام، من بعده، المفترض الطّاعة علىٰ الأُمّة إلىٰ وقت خروج الإمام موسىٰ الكاظمعليه السلام، وظهوره. وكان محمّد بن بشير يقول: «إنّ الله كان ظاهراً بين الخلق يراه، الخلق جميعاً. يتراءىٰ لأهل النّور بالنور، ولأهل الكروه بالكرورة. ثمّ أنّه حجب الخلق جميعاً عن إدراكه، وهو قائم بينهم. كما كان، غير أنّهم محجوبون عنه، وعن إدراكه كالّذي كانوا يدركونه»(١).

وادّعىٰ أنّه غير محجوب عن رؤية موسىٰ بن جعفر، وأنّه يراه في كلّ وقت يشاء، ويشافهه بالأمر والنّهي، ثمّ ادّعىٰ أنّه نبي بعد أنْ قال: إنّه الله(٢).

وادّعت البشيرية: إن الأئمّة واحد، وإنّما ينتقلون من بدن إلىٰ بدن(٣).

واتخذت هذه الفرقة، موقفاً عنيفاً وشديداً من الإمام الرّضاعليه السلام، وأولاده بشكل خاص، ومن الإماميّة بشكل عام؛ لأنّهم قالوا: بإمامة عليّ بن موسىٰ الرّضا وزعموا أنّ الفرض من الله عليهم، إقامة الصّلوات الخمس، وصوم شهر رمضان، وأنكروا الزّكاة، والحجّ، وسائر الفرائض الأُخرىٰ. وقالوا: بإباحة المحارم، من الفروج، والغلمان، واعتلّوا بذلك بقوله تعالىٰ: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾(٤).

---

(١) أُنظر، المقالات والفرق ص: ٦٣.

(٢) فرق الشّيعة: ٨٤.

(٣) أُنظر، الفصول للشيخ المفيد ص: ٢٥٤، معرفة الرّجال ص: ٢٩٧.

(٤) الشّورى: ٥٠.

واستحل هؤلاء دماء الإماميّة، وأموالهم، وكفّرتهم؛ لأنّهم قالوا بإمامة الرّضاعليه السلام، بالإضافة إلىٰ ذلك أنّها طاردت، وحاربت، أولاد الرّضا، حتّىٰ نفتهم عن أنسابهم[١].

وهؤلاء قالوا بالتناسخ أيضاً، والحلول، وزعموا أنّ محمّداً هو الرّبّ حل في كلّ من انتسب إليه، وأنّه لم يلد، ولم يولد، وأنّه محتجب في هذه الحجب.

وسنقف مع هذه الفرقة عندما نستعرض موقف الإمام الرّضاعليه السلام من الغلوّ والغُلاة في الفصل القادم إنْ شاء الله تعالىٰ.

الإسماعيليّة

تنتسب هذه الفرقة إلىٰ إسماعيل بن الامام جعفر بن محمّد الصّادقعليه السلام. وهي من أبرز الفرق الغالِية، والّتي ينتظم تحت اسمها فرقة القرامطة، وفرقة المباركيّة؛ لأنّ محور عقيدتهم في بداية الأمر هي: إمامة إسماعيل بن الإمام الصّادقعليه السلام. وهذه الفرقة هي أوّل من خرج علىٰ نظام الإمامة، ولذا يرىٰ الشّيخ المفيدرحمه الله: أنّ افتراق الشّيعة كان بعد استشهاد الإمام الصّادقعليه السلام، حيث قال: «... ثمّ لم تزل الإماميّة علىٰ القول بنظام الإمامة، حتّىٰ افترقت كلمتها بعد وفاة أبي عبد الله جعفر بن محمّدعليه السلام».

فقالت فرقة: إن أبا عبد اللهعليه السلام حيّ لم يمت، ولايموت، حتّىٰ يظهر... وهو المهديّ القائم. وتعلقوا بحديث رواه رجل يقال له، عنبة بن مصعب، عن أبي عبد اللهعليه السلام أنّه قال: «إن جاءكم من يخبركم عنّي بأنّه غسّلني، ودفنني؛ فلا تصدقوه». وهذه الفرقة تسمىٰ النّاووسية...

---

(١) أنظر، معرفة الرّجال ص: ٣٠٠، الفصول ص: ٢٥٤، فرق الشّيعة ص: ٨٤، المقالات والفرق: ٦٤.

وقالت فرقة أُخرىٰ: إنّ أبا عبد الله عليه السلام توفي، ونصّ علىٰ ابنه إسماعيل بن جعفر، وإنّه الإمام بعده، وإنّه القائم المنتظر. وأنكروا وفاة إسماعيل في حياة أبيه أبي عبد الله، وقالوا: لم يمت، وإنّما لبّس الأمر، علىٰ النّاس أبوه.

وقال فريق آخر: إن إسماعيل، كان قد توفي علىٰ الحقيقة، في زمن أبيه، غير أنّه قبل وفاته نصّ علىٰ ابنه: محمّد، فكان الإمام بعده، وهؤلاء هم القرامطة.

وقال فريق منهم: إن الّذي نصّ علىٰ محمّد بن إسماعيل: هو الإمام الصّادق عليه السلام، دون إسماعيل، وكان ذلك الواجب عليه؛ لأنّه أحقّ بالأمر بعد أبيه، من غيره؛ ولأنّ الإمامة لا تكون في أخوين بعد الحسن، والحسين عليهما السلام[1].

وقال الشّهرستانيّ: «إنّ الإسماعيليّة: امتازت عن الموسويّة، وعن الإماميّة الإثني عشرية، بإثبات الإمامة لإسماعيل بن جعفر»[2].

وقال النّوبختيّ: «فإما الإسماعيليّة: فهم الخطابية، أصحاب أبي الخطاب، محمّد بن أبي زينب الأسديّ الأجدع»[3].

ومن خلال التّحقيق يتبيّن لنا: أنّ أبا الخطاب، هو: أوّل من تزعم الحركة الباطنيّة. وكان من أصحاب الإمامين الباقر، والصّادق عليهما السلام. والّذي يدل علىٰ ذلك هو العلاقة الصّميميّة بين الإسماعيليّة، والخطابيّة؛ لأنّ أتباع الخطابية انضموا إلىٰ الإسماعيليّة، بعد قتل محمّد. وأنّ نظريّة الإمام الصّامت، والإمام النّاطق، هي: من أفكار أبي الخطاب، ومنه أخذتها الإسماعيليّة. وكان أبو الخطاب يفسر القرآن تفسيراً رمزياً باطنيّاً، وهذا هو مذهب الإسماعيليّة. وذكر الجويني في تأريخه:

---

(١) أُنظر، العيون والمحاسن: ٢/ ٨٨ـ ٨٩.

(٢) أُنظر، الملل والنّحل ص: ٤٢١.

(٣) فرق الشّيعة ص: ٨٩.

«ونهض من بين الإسماعيليّة دعاة، منهم: ميمون القداح، وحسن الشّيخ عبدان[١]، وابن ميمون عبد الله، هو من علماء هذه الطّائفة. ولا ندري كيف حُسِبَ هذا علىٰ علماء الطّائفة الشّيعية، ولم يحسب علىٰ بقية الطّوائف؟ وقد قال فيه «برنارد لويس»: «فقد صادفت هوىٰ في نفوس جماعات مختلفة في العنصر والدّين مزدكيين، ومانويين، وصابئة، وشيعة، وسُنَّة، ومسيحيين، ويهود، من كلّ نوع. فأنشأت بحكم الضّرورة نطاقاً قوياً، من التّداخل المعتقدي يقترب أحياناً من مذهب عقلي»[٢]. وكان منهم: صاحب الإمام الصّادق أبو الخطاب، الّذي ادّعىٰ الرّبوبيّة، للإمام الصّادق. ويقول الحلوليّون، والاتحاديون: إنّه منهم ويقول الإمام الصّادق عنه: «ملعون هو، وأصحابه»[٣].

والقرامطة، فرقة باطنية، معروفه، يتزعمها، حمدان قرمط. وهو من تلامذة رجل كحال، إيراني يدعىٰ: «عبد الله، بن ميمون القدّاح، الأهوازيّ»[٤]، أحد زعماء الإسماعيليّة.

وكان قرمط هذا: فقيراً، بائساً، من فلاحي العراق، لكنّه كان منجّماً. وتراءىٰ له أنّ السّلطة ستخرج من أيدي العرب، إلىٰ الإيرانيين، فسارع، وأسّس فرقة باطنيّة، مركزها التّبليغي الكوفة. وانتشرت دعوته بعد أنّ مدّ ثورة الزّنج في البصرة. وتمكنت هذه الفرقة، من تشكيل دولة قوية، بقيادة أبي سعيد حسن

(١) هو ميمون بن ديصان القداح مولىٰ الإمام الصّادق، وأخذ يدعو إلىٰ إمامة محمّد بن إسماعيل، وكون فرقة أطلق عليها الميمونية. راجع الفهرست لابن النّديم ص: ٢٦٤، دار المعرفة بيروت (١٩٧٨م).

(٢) أُصول الإسماعيلية ص: ١٥٢، طبعة لندن، إتعاظ الحنفاء للمقريزي ص: ١٠٤.

(٣) أُصول الإسماعيلية: ٢/ ١٥٣.

(٤) شذرات الذّهب: ٢/ ٣٤٨.

الجنابيّ،[١] وهو من دعاة القرامطة، واتخذ الإحساء، عاصمة له عام (٢٨٦هـ)[٢].

ومن عقائد القرامطة: الحلول، ثمّ القول: بأُلوهيّة، محمّد بن إسماعيل بن جعفر. ومنهم من قال: بأُلوهيّة أبي سعيد: الحسن بن بهرام الجنابيّ، وأبنائه بعده. ومنهم من قال: بأُلوهيّة أبي القاسم: البحّار، المسمىٰ بـ(المنصور)[٣].

ويرىٰ الشّهرستانيّ: بأنّ القرامطة، والإسماعيليّة، والمباركيّة، هم فرقة واحدة، ولكن أسماءهم، تختلف من قطر إلىٰ قطر، وقال: إنّ أشهر ألقابهم «الباطنيّة»[٤]. ففي العراق يُسمون بالباطنيّة، والقرامطة، والمزدكيّة، وفي خراسان بـ(التّعليمية، والملحدة...)

وكلمة الباطنيّة: مشتقة من (باطن). وهم يأخذون بالمعنىٰ الباطن للكتاب، ويجعلون لكل تنزيل تنزيلاً. والباطنيّة لقب عام مشترك، تندرج تحته مذاهب وطوائف عديدة. الصّفة المشتركة بينها هي: تأويل النّهي الظّاهر، بالمعنىٰ الباطن تأويلاً يذهب مذاهب شتىٰ. وقد يصل التّباين بينها حدّ التّناقض الخالص، فهو يعني: أنّ النّصوص الدّينيّة المقدّسة رموز، وإشارات، إلىٰ حقائق خفيّة، وأسرار مكتوبة. وأنّ الشّعائر، بل الأحكام العمليّة هي الأُخرىٰ رموز، وأسرار، وأنّ عامة النّاس هم الّذين يقنعون بالظواهر، والقشور، ولا يَنفُذُون إلىٰ المعاني الخفيّة، الّتي هي من شأن أهل العلم[٥].

---

(١) القرامطة للجويري ص: ٦٧.

(٢) أُنظر، البداية والنّهاية: ١١/ ٢٥٤، الكامل في التّأريخ: ٧/ ١٦.

(٣) أُنظر، الحضاره الإسلاميّه: ٢/ ٧٢، القرامطه ص: ٤٣.

(٤) الملل والنّحل: ١/ ١٩٢.

(٥) دائرة المعارف الإسلاميّة ترجمة أحمد الشّناوي وإبراهيم زكي: ٣/ ٢٩٠، وأُنظر، الباطنيّة وتياراتها التّخريبيّة لعبد الحميد العلوجي ص: ٩.

وفرقة الإسماعيليّة: هي من الفرق الّتي تميزت بـالتفسير البـاطني، لحـقائق الشّريعة.

وفلسفة الإسماعيليّة، قائمة عـلىٰ تحـديد الإمـامة، في سـبعة فـقط، فـقالوا: لا يكون بعد محمّد النّبيّ إلّا سبعة أئمة: عليّ بن أبي طالب، وهـو إمـام ورسـول، والحسن، والحسين، وعليّ بن الحسين، ومحمّد بن عليّ، وجعفر بن محمّد، ومحمّد ابن إسماعيل بن جعفر، وهو الإمام القائم المهديّ، وهو رسول.

وزعموا: أنّ النّبيّ انقطت عنه الرّسالة، في حياته في اليوم الّذي أمر فيه بنصب عليّ بن أبي طالب، للنّاس بغدير خمّ، فصارت الرّسالة في ذلك اليوم في عليّ بـن أبي طالب. واعتلّوا في ذلك بقول رسول الله: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه»[١]، وأنّ هذا القول منه خروج من الرّسالة والنّبوة، وتسليم منه، فعليّ بن أبي طـالب بأمر الله، وأنّ النّبيّ بعد ذلك، كان مأموماً لعليّ، محجوباً به، فلمّا مضىٰ عليّ فصارت الإمامة في الحسن، والحسين، وعليّ، ومحمّد، وجعفر، ثمّ انقطت عن جـعفر، في حياته فصارت في إسماعيل بن جعفر، كما انقطت الرّسالة عن محمّد في حياته. ثمّ إن الله بدا له في إمامة جعفر، وإسماعيل، فصيّرها في محمّد بن إسماعيل. وزعم هؤلاء أنّ محمّداً لم يمت، وأنّه حي في بلاد الرّوم، وهو القـائم المـهديّ، ويـبعث بـرسالة وشريعة جديدة، ينسخ بها شريعة محمّد. وأنّ محمّداً بن إسماعـيل هـو مـن أُوْلي العزم. وأُولو العزم، عندهم سبعة[٢]؛ ولأنّ كلّ إمام سابع يجمع قوىٰ الأئمّة السّتة، الّذين قبله، ويكون قائماً بالفعل بينما الأئمّة السّتة، الّذين قـبله فـيكونون قـائمين

---

(١) سنن التّرمذيّ: ٢٩٧/٥ ح ٣٧٩٧، مسند أحمد: ٢/ح ٩٦١، طبعة دار المعارف و: ٢٨١/٤ الطّـبعة الأُولىٰ، كنز العمّال: ٣٣٢/١١ ح ٣١٦٦٢، تأريخ دمشق: ٢٣١/١ ح ٢٧٥ و: ٥ /ح ٥٠١.

(٢) أُنظر، فرق الشّيعة ص: ٧٢، المقالات والفرق ص: ٨٩.

بالقوة، ويسمىٰ هذا بنهاية الدّور، أو يسمىٰ (الأساس) أيّ الأساس للائمّة السّتة الّذين يأتون بعده؛ لأنّه يعتبر واضع الأسس، والقضايا والأحكام، وراسماً للمناهج، الّتي يجب أنْ يسير عليها هؤلاء السّتة بعده. أمّا الإمام الّذي يأتي بعده ـ وهو صاحب رتبة الثّامن ـ فيسمىٰ أيضاً قائماً، لأنّه يكون الأوّل في الدّور الجديد، وهكذا[1].

وزعموا: أن السّموات سبع، والأرضين سبع، وأنّ الإنسان بدنه سبع، وأنّ الأئمّة كذلك، وقلبهم محمّد بن إسماعيل، واعتلّوا بنسخ الشّريعة، علىٰ رواية مكذوبة، ومنسوبة، إلىٰ الإمام الصّادقعليه السلام[2]. ولذا لُقبوا بالسبعيّة؛ لأنّ الأئمّة سبعة ولاعتقادهم بأنّ التّدبير للعالم السُّفلي منوط بالكواكب السّبعة، هي: زحل، المشتري، المريخ، الزُّهرة، الشّمس، عطارد، القمر[3].

ومحمّد بن إسماعيل هذا عندهم، هو أوّل الأئمّة المستورين. وقد استأذن من عمّه الإمام موسىٰ بن جعفرعليه السلام في الخروج إلىٰ العراق، فأذن له، ودفع إليه ثلاث صرر، فيها أربعمئه وخمسون ديناراً، وأعطاه زيادة عليها: ألف وخمسمئة درهم. فلمّا وصل العراق، ودخل علىٰ هارون الرّشيد، قال له: خليفتان في الأرض أنت، وموسىٰ بن جعفر؟ فدفع له الرّشيد ثمناً لهذه الوشاية، مئة ألف درهم، فلمّا قبضها، ودخل منزله، أصابته علّة فمات في ليلته[4].

---

(١) جامعة الجامعة ص: ٢٥.

(٢) أُنظر، الحور العين ص: ١٦٢، المقالات والفرق ص: ٩٠.

(٣) أُنظر، تلبيس إبليس ص: ١٠٨، كشف الأسرار (أسرار الباطنيّة)، وأخبار القرامطة لمحمّد بن مالك اليماني ص: ١٩٤.

(٤) أُنظر، الملل والنّحل: ١/ ٢٧٩.

ويذكر الأُستاذ مصطفىٰ غالب، أُصول عقائد الإسماعيلية، ويلخّصها بقوله: «فالعقيدة الأساسيّة الجامعة للإسماعيليّة، تترسخ في حقائق: منها العبادة العمليّة: أيّ علم الظّاهر، وهو مايتصل بالفرائض الدّينيّة، وأركانها. والعبادة العلميّة أيّ علم الباطن، من تأويل، ومثل عليا، للتنظيمات الاجتماعيّة، والأدارة السّياسية... فهم يقولون: بالباطن، والظّاهر معاً. وذهبوا إلىٰ تكفير من اعتقد بالباطن دون الظّاهر، أو بالظاهر دون الباطن»[١].

أمّا الكرمانيّ المعروف بـ(حجّة العراقيين). أحمد بن عبد الله، حميد الدّين الكرماني المتوفّىٰ عام (٤١١ هـ)، وصاحب كتاب المصابيح يقول في أُصول الإسماعيليّة: «للنفس مقام عظيم في المذهب الإسماعيليّ، وقد اعتبروها أحد الخالقين، وهي نفسان: كليّة: وتأتي ثالثة من حيث الرّتبة، وجزئيّة: وهي الطّبيعة الفاعلة، الّتي هي قوة من قوىٰ النّفس الكلية. واستدل عليها بقوله: «إنّها جوهر حي قادر، غير عالم في ابتداء. وجود ـ ذاتها ـ باق، بعد فساد الجثة، بما تكسبه من العلوم، والعمل. واستدل علىٰ ذلك: بعشرة براهين منها: لمّا كان حركة كلّ متحرك لا تخلو: إمّا أنْ تكون من داخل، وإمّا أنْ تكون من خارج. وكان ماكان. حركته من خارج: إمّا مجروراً جرّاً، أو مدفوعاً دفعاً. وبطل أنْ تكون حركة شخص البشر بجرّ أو دفع، ثبت أنّ حركته من داخل... وما كان حركته من داخل: إما طبيعيّاً، وإمّا من محرّك مختار، وكان ما كان طبيعيّاً، لايسكن البتّة، كحركة النّار... وما كان من محرّك مختار: تارةً يتحرك، وتارةً يسكن. وبطل أنْ تكون حركة الشّخص طبيعيّاً، لا يسكن البتّة؛ ثبت أنّ حركته من متحرك مختار، والمحرك

(١) أنظر، تأريخ الدّعوة الإسماعيليّة ص: ٥.

المختار نسمّيه نفساً، إذن النّفس باقية»[١].

وسبق لنا وأنْ وضّحنا رأيّ الشّيخ المفيد، في ذلك عند دراسة السّبئيّة.

ولا نريد أنْ نناقش التّأويل، والتّفسير الباطني، وموقف الإماميّة منه؛ لأنّ التّشيّع له وجهة نظر، في التّأويل، والرّمز الباطني، وهو لا يتوافق مع المذهب الإسماعيليّ. ومن هنا نشأ الخلط، والخطأ، الّذي يكرّره كلّ باحث في منهجه في تصنيفه، للتشيّع. وقد وردت، وتواترت، الأخبار عن أهل البيت عليهم السلام، في أنّ للقرآن ظاهراً، وباطناً، إلىٰ سبع بطون، أو أكثر، كما ورد عن أبي جعفر عليه السلام، عندما سأل عن شيء من تفسير القرآن فأجاب... يا جابر، إنّ للقرآن بطناً، وللبطن بطناً، وظهراً، وللظهر ظهراً، يا جابر، وليس شيء أبعد من عقول الرّجال، من تفسير القرآن. إنّ الآية لتكون أوّلها في شيء، وآخرها في شيء، وهو كلام متّصل، ينصرف علىٰ وجوه[٢].

وورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنّه قال في القرآن: «... وله ظهر، وبطن، فظاهره حكم، وباطنه علم، ظاهره أنيق، وباطنه عميق»[٣].

وروىٰ الصّدوق، عن حمران بن أعين، أنّه قال: سألت أبا جعفر عليه السلام، عن ظهر القرآن، وبطنه فقال: «ظهره الّذين نزل فيهم القرآن، وبطنه الّذين عملوا بمثل أعمالهم، يجري فيهم، مانزل في أُولئك»[٤].

ولم تنفرد الإماميّة، في البحث عن بواطن القرآن، وتأويله، بل نجده ـ البحث ـ

---

(١) أنظر، المصابيح ص: ٤٠.

(٢) البرهان في تفسير القرآن للسيّد هاشم البحراني: ١/ ٢.

(٣) أصول الكافيّ: ٢/ ٥٩٩.

(٤) معاني الأخبار ص: ٢٤٦.

له حضور، عند جميع الفرق، والمذاهب الإسلاميّة. فقد ورد عن ابن عباس أنّه قال: «جُلُّ ماتعلّمتُ من التّفسير من عليّ بن أبي طالبعليه السلام: أنّ القرآن نزل علىٰ سبعة أحرف، ما منها حرف إلّا وله ظهر، وبطن، وأنّ عليّ بن أبي طالب عنده منه علم الظّاهر، والباطن»[١].

وعن ابن مسعود قال: «إنّ القرآن نزل علىٰ سبعة أحرف، ما منها حرف إلّا وله ظهر، وبطن، وأنّ عليّ بن أبي طالب عنده منه علم الظّاهر، والباطن»[٢].

وعن سعيد بن المسيّب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ من العلم كهيئة المكنون، لا يعلمه إلّا أهل المعرفة بالله، فإذا نطقوا به لم؛ ينكره إلّا أهل الغرّة بالله»[٣].

وعن عبد الواحد بن زيد قال: سألت الحسن عن علم الباطن فقال: سألت حذيفة بن اليمان، عن علم الباطن فقال: سألت رسول الله عن علم الباطن فقال: سألت جبريل عن علم الباطن فقال: سألت الله عزّ وجلّ عن علم الباطن فقال: «هو سر من سرّي، أجعله في قلب عبدي، لايقف عليه أحد من خلقي»[٤].

هذا وقد تجلّت عظمة التّشيّع، بالقدرة علىٰ حفظ خطّ التّوازن بين الظّاهر والباطن، وذلك بسبب تعاليم أهل البيتعليهم السلام، من دون ازدواجيّة ولا تناقض، كما حدث للإسماعيليّة، وعودتها بذلك إلىٰ الغنوصيّة، والّتي تحوّلت بعد ذلك إلى وسيلة، تستبطن هدم الشّريعة. فموقف أهل البيتعليهم السلام من التّأويل والتّفسير بلا

---

(١) كنز العمّال: ١٠/ ٢٢٢ و ٢٧٦.

(٢) أنظر، إحياء العلوم للغزاليّ ص: ١٦٧، حلية الأولياء، البرهان في تفسير القرآن: ٥.

(٣) أُنظر، التّعرّف لمذهب أهل التّصوّف لأبي بكر محمّد الكلاباذي ص: ٨٧.

(٤) التّعرّف لمذهب أهل التّصوّف ص: ٨٧.

علم ولا دليل، واضح، كما يقول الإمام الصّادقعليه السلام: «من فسّر برأيه، آيةً، من كتاب الله؛ فقد كفر»(١)، وفي حديث آخر يقول: «من فسّر القرآن برأيه: إنْ أصاب؛ لم يؤجر، وإنْ أخطأ؛ فهو أبعد من السّماء»(٢).

وقال الإمام الباقرعليه السلام: «ما يستطيع أحد أنْ يدّعي أنّ عنده جميع القرآن كلّه ظاهره، وباطنه، غير الأوصياء»(٣).

وبهذا وذاك، ظهر: أنّ أئمّة أهل البيتعليهم السلام حافظوا علىٰ القرآن من التّفسيرات الباطلة، والّتي فتحت باب القول بالتفسير الباطني علىٰ مصراعيّه لكلّ أحد. وعلىٰ التّصوّرات الفلسفيّة، الّتي شيدتها المذاهب الباطنيّة القديمة: كالمزدكيّة، والدّيصانيّة، والافلاطونيّة، والرّواقيّة المتأخرة، والمانوية، والقرمطيّة والإسماعيليّة، وغيرها من الفرق، الّتي دخلت المجتمع الإسلامي، وروّجت لعقائدها من خلال امتزاج النّور، بالظلمة، وإنقاذ البشريّة من الشّرور والآلام تحت الشّعار الإسلامي.

ولنعد إلىٰ إمامة إسماعيل، والّتي استدل الكرماني عليها كما ـ يدّعي بالنصّ عليه ـ من أبيه الإمام الصّادقعليه السلام. وحصر استدلاله في ثلاثة فروض. وأشار إلىٰ من أثبت موته قبل أبيه جعفرعليه السلام. وإشارة الإمام الصّادق بعده إلىٰ بعض ولده وقولهعليه السلام: «ما بدا الله في شيء، كما بدا له في إسماعيل»(٤).

وشرح الكرماني برهانه الأوّل بقوله: «لا يخلو الأمر بعد نصّ جعفر بن محمّد

---

(١) أُنظر، البرهان في تفسير القرآن: ١/ ٣، تأريخ الفلسفة الإسلاميّة لهندي كوربان ص: ١٢٥.

(٢) أُنظر، المصدر السّابق: ١/ ١٩.

(٣) أُصول الكافيّ: ١/ ٢٢٨.

(٤) أُنظر، المسائل العكبريّة للشيخ المفيد: ٢/ ٣٣٧، بحار الأنوار: ٤/ ١٢٤.

ابن عليّ عليهما السلام ، علىٰ إسماعيل فيما يدّعي من نصه ، بعد موت إسماعيل علىٰ بعض ولده ، من وجوه :

منها : إمّا أنّه نصّ علىٰ بعض أولاده ، بعد موت إسماعيل كما يقال ولإسماعيل ولد . أو نصّ ولم يكن لإسماعيل ولد . أو لم ينص علىٰ أحد بعدما تقدم من نصه علىٰ إسماعيل أوّلا :

فإنْ كان قد نصّ ، ولإسماعيل ولد ، كان جعفر عليه السلام حاكماً بغير ما أنزل الله ، حيث أعطىٰ ميراث إسماعيل ـ مع كونه ولده ـ إلىٰ إخوته ، من غير علّة سالبة لولده ، كما سلبت ولد الحسن ، وأوجبت لولد الحسين عليه السلام . وتوهّم ذلك في جعفر . غير جائز لصحة إمامته وعصمته .

وهذا الوجه ضعيف جدّاً ؛ لأنّ الإمامة ليست بالإرث ، ولذا قال تعالىٰ : ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَايَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[1] .

أمّا سلب الإمامه من ذريّة الحسن ، فهي موجودة في الحسين عليه السلام ، المعصوم والمنصوص عليه دونهم ، فهو أحقّ بالإمامة . فكذلك العلة هي موجودة في أولاد الإمام الصّادق عليه السلام لوجود المعصوم منهم في ذلك الوقت ، وهو موسىٰ الكاظم عليه السلام فهو أحقّ بالإمامة ، من أولاد إسماعيل .

ولو سلّمنا بذلك جدلاً ، لكان أولاد إسماعيل ، محجوبين بأعمامهم ؛ لأنّ ولد الولد لا يرث إذا مات أبوه ، وجده علىٰ قيد الحياة .

ثمّ قال : وإنْ كان عليه السلام قد نصّ ولم يكن لإسماعيل ولد ، وكان في علم الله وتقديره أنْ يكون منقطع النّسل ، وجب أنْ لاينص جعفر علىٰ إسماعيل ولمّا وجدناه قد نصّ عليه ، كان منه العلم بأنّه غير منقطع النّسل ، والعقب ، فالإمامة له ولنسله ثابتة .

---

(١) البقرة : ١٢٤ .

وجوابه: كيف يتم ثبوتها لنسله، مع موته في حياة أبيه كما نصّ علىٰ ذلك مؤرخو الفرق، والمذاهب، ومنهم نشوان الحميريّ[١]. وبهذا الموت دفع بعضهم إلىٰ وضع آراء متعددة، من أجل مواصلة العمل. فقال بعضهم: إنّه لم يمت، ولكنه أظهر موته تقية عليه، حتّىٰ لا يقصد بالقتل[٢]. وقد نسبوا إلىٰ الإمام الصّادق عليه السلام أنّه قال: «إنّه حيّ، لم يمت، حتّى يملك الأرض، ويكون إماماً، بعد أبيه»[٣]، إلىٰ غير ذلك من الأقاويل المنسوبة للإمام عليه السلام كذباً، وزوراً، إذ لا يمكن أنْ يصدق مثل هذا الكلام، ويصدر من الإمام عليه السلام، وهو مَن هو صاحب الدّرجة الرّفيعة، من العلم والدّين، والعصمة.

وقال الكرماني: وإنْ كان عليه السلام، لم ينص علىٰ أحد بعد نصه علىٰ إسماعيل فالإمامة لإسماعيل، وإذا ثبتت إمامته، ثبت لنسله...[٤].

ولانريد هنا أنْ نناقش معنىٰ البداء، والّذي سبق وإنْ أشرنا إليه، وتوصلنا أنّ المقصود منه الظّهور: أيّ ظهر أمر الله، ولكن نريد: أنْ نستعرض بعض إفادات الشّيخ المفيد رحمه الله في جوابه للإسماعيليّة، مستنداً إلىٰ روايات أهل البيت عليهم السلام ومفنداً أقوال تلك الفرقة منها:

عن إسماعيل بن عامر قال: دخلت علىٰ أبي عبد الله عليه السلام، فوصفت له الأئمّة، حتّىٰ انتهيت إليه قلت: وإسماعيل من بعدك ؟

فقال عليه السلام: أمّا ذا فلا.

وقال حماد: فقلت لإسماعيل بن عمّار: وما دعاك إلىٰ أنْ تقول: «وإسماعيل من

(١) أُنظر، الحور العين: ١٦٢، الملل والنّحل: ٤٢١.

(٢) الملل والنّحل ص: ٤٢١.

(٣) أُنظر، الحور العين: ١٦٢.

(٤) أُنظر، المصابيح ص: ١٣٠.

بعدك ؟ قال : أمرني المفضل بن عمر[١] .

ولا نريد أنْ ندخل في حياة إسماعيل وشخصيّته ، وماورد من أخبار في ذمّه أو مدحه ، ولكن ننقل بعض الرّوايات الّتي يذكرها الكشيّ ، والّتي تؤكّد ابتعاده عن منهج أبيه ، واستغلال الغُلاة له .

عن حماد بن عثمان قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول للمفضل بن عمر الجعفي : «يا كافر ، يامشرك ، مالك ولابني ، يعني : إسماعيل ، وكان منقطعاً إليه ، يقول فيه بقول الخطابيّة»[٢] .

وعن الفيض قال : (قلت لأبي عبد الله : جعلت فداك ! ماتقول في الأرض أتقبلها من السّلطان ، ثمّ أُؤجرها آخرين ، علىٰ أنْ ما أخرج الله منها من شيء من ذلك ، النّصف ، أو الثّلث ، أو أقل ، من ذلك ، أو أكثر ؟

قال : لابأس به .

فقال له إسماعيل ابنه : يا أبه ! لم تحفظ .

فقال عليه السلام : يا بني أو ليس كذلك ، أُعامل أكريتي ؟ إنّ كثيراً ما أقول لك الزّمني فلا تفعل) فقام إسماعيل فخرج .

فقلت : جعلت فداك ! وما علىٰ إسماعيل ألا يلزمك ، إذا كنت أفضيت إليه الأشياء من بعدك ، كما أفضيت إليك بعد أبيك ؟

قال : فقال : «يا فيض ! إنّ إسماعيل ليس كأنا من أبي»

قلت : جعلت فداك ! فقد كنّا لا نشك أنّ الرّحال ستحط إليه من بعدك ، وقد قلت فيه ماقلت[٣] .

---

(١) معرفة الرّجال ص: ٣٢٥.

(٢) معرفة الرّجال ص: ٣٢٠.

(٣) إختيار معرفة الرّجال ص: ٣٥٤.

وعن عنبسة العابد قال: كنت مع جعفر بن محمّد عليه السلام بباب الخليفة أبي جعفر بالحيرة، حين أُوتي ببسام، وإسماعيل بن جعفر بن محمّد، فأُدخلا على أبي جعفر فأخرج بسّام مقتولاً، وأُخرج إسماعيل بن جعفر بن محمّد.

قال: فرفع جعفر، رأسه إليه: «أفعلتها يا فاسق؟ ابشر بالنار»[(١)].

ولا نريد أنْ نناقش سند الرّواية؛ لأنّ فيها محمّداً بن نصير، فإنْ كان هو النّميريّ؛ فهو غالٍ، وخبيث.

والشّيخ المفيد رحمه الله لم يذكر في إسماعيل مدحاً، ولا ذمّاً، ولكنّه قال:

وكان إسماعيل أكبر الإخوة عليهم السلام وكان أبو عبد الله شديد المحبّة له، وكان قوم من الشّيعة يظنون أنّه القائم بعد أبيه، والخليفة من بعده، إذ كان أكبر إخوته سنّاً، ولميل أبيه إليه، وإكرامه له. فمات في حياة أبيه عليه السلام[(٢)] بالعريض، وحمل على رقاب الرّجال، إلى أبيه في المدينة، حتّى دفن في البقيع.

وروي أنّ أبا عبد الله عليه السلام جزع عليه جزعاً شديداً، وحزن عليه حزناً عظيماً، وتقدم سريره بغير حذاء، ولا رداء، وأمر بوضع سريره على الأرض قبل دفنه مراراً كثيرة، وكان يكشف عن وجهه وينظر إليه، يريد بذلك تحقيق أمر وفاته عند الظّانيّن خلافته من بعده، وإزالة الشّبهة عنهم في حياته. و «خوفاً من إدعاء الغُلاة بغيبته، ورجعته لا خوفاً عليه من المنصور»، كما يقول الدّكتور النّشّار[(٣)].

ولمّا مات إسماعيل، انصرف عن القول بإمامته بعد أبيه من كان يظن ذلك،

---

(١) المصدر السّابق ص: ٢٤٥.

(٢) فرق الشّيعة ص: ٥٧، عبيد الله المهديّ الدّكتور حسن إبراهيم، طه شرف ص: ٣١، مطبعة الشّبكشي بالأزهر/نشر النّهضة المصرية (١٩٤٧م).

(٣) راجع نشأة الفكر الفلسفي الدّكتور سامي النّشّار: ٢/٣٧٤.

فيعتقده من أصحاب أبيه. وأقام علىٰ حياته شرذمة، لم تكن من خاصة أبيه، ولا من الرّواة عنه. وكانوا من الأباعد، والأطراف، فلمّا مات الصّادق عليه السلام؛ انتقل فريق منهم إلىٰ القول بإمامة موسىٰ بن جعفر عليه السلام، بعد أبيه.

وافترق الباقون فريقين:

فريق منهم: رجعوا عن حياة إسماعيل، وقالوا بإمامة ابنه محمّد بن إسماعيل، لظنهم أنّ الإمامة كانت في أبيه، وأنّ الابن أحقّ بمقام الإمامة من الأخ.

وفريق: ثبتوا علىٰ حياة إسماعيل، وهم اليوم، شذاذ، لا يعرف منهم أحد يومأ إليه.

وهذان الفريقان يسميّان: بـ(الإسماعيليّة)، والمعروف منهم الآن، من يزعم: أنّ الإمامة بعد إسماعيل في ولده، وولد ولده، إلىٰ آخر الزّمان[1].

وروى الشّيخ المفيد رحمه الله في المسائل العكبريّة، بعض الرّوايات، والإفادات. منها:

١ ـ فانّه سُئل مرةً عن قول الإمام الصّادق عليه السلام: مابدا الله في شيء كما بدا له في إسماعيل؟ فقال: هل يبدي الله شيئاً ينقضه قبل تمامه. أيّ: هل يعيّن الله إماماً، ثمّ يُميته، أو ينسخ النّص عليه قبل أوان إمامته؟[2]

٢ ـ وأوضح مرة معنىٰ الرّواية الصّادقيّة في هذه الألفاظ: يعني: ماظهر له تعالىٰ فعل في أحد من أهل البيت عليهم السلام، ما ظهر له في إسماعيل، وذلك أنّه كان الخوف عليه من القتل مشتداً، والظّن به غالباً. فصرف الله عنه ذلك بدعاء الصّادق عليه السلام، ومناجاته لله. وبهذا جاء الأثر عن الرّضا عليّ بن موسىٰ عليه السلام، وليس الأمر في هذا

(١) أُنظر، الإرشاد ص: ٢٦٧.

(٢) أُنظر، المسائل العكبريّة: ٢/ ٣٣٧.

الخبر علىٰ ماظنّه قوم من الشّيعة : في أنّ النّص قد استقر في إسماعيل ، فقبضه الله إليه ، وجعل الإمامة من بعده ، في موسىٰ عليه السلام . وقد جاءت الرّواية بضد ذلك عن أئمّة آل الرّسول عليهم السلام . فروي أنّهم قالوا : «مهما بدا لله في شيء ؛ فانّه لايبدو في نقل نبيٍّ عن نبوّته ، ولا إمام من إمامته ، ولا مؤمن قد أخذ عهده بالايمان عن إيمانه[(١)] .

٣ـ يقول رحمه الله : وعلىٰ ذلك إجماع فقهاء الإماميّة ـ ومعهم ـ في هذا الخصوص أُثر عنهم عليهم السلام أنّهم قالوا : «مهما بدا لله في شيء ؛ فلا يبدو له في نقل نبيٍّ عن نبوّته ، ولا إمام عن إمامته ، ولا مؤمن قد أخذ عهده بالايمان عن إيمانه» ، وإذا كان الأمر علىٰ ماذكرناه ؛ فقد بطل أيضاً هذا الفصل الّذي اعتمدوه ، وجعلوه دلالة ، علىٰ نصّ أبي عبد الله عليه السلام علىٰ إسماعيل»[(٢)] .

وخلاصةالقول ننقله من هبةالله الشّيرازي ، بعد أنْ ينزه الإمام من إفك الغالين (تنزيهه عن دعوىٰ الرّبوبية ونظمه للمعبود الحقّ جل جلاله في سلك العبودية) حيث يقول : «ويرىٰ أنّ غلاة الشّيعة علىٰ النّصارىٰ نزلوا ولمثالبهم تمثلوا. أولياء الله الظّاهرون منزهون عن إفك الغالين منهم ، والمتجاوزين بهم لحدهم ، بريئون إلىٰ الله سبحانه من نشر مايأفكون وأنّهم لفي سبيل طاعته وعبوديته سالكون»[(٣)] .

النّصيريّة

تطوّرت حركة الغلوّ تطوراً كبيراً ، علىٰ يد محمّد ، بن نصير النّميريّ ، من أصحاب أبي محمّد : الحسن بن عليّ عليه السلام ، فلمّا توفي أبو محمّد ؛ ادّعىٰ مقام أبي جعفر :

---

(١) المسائل العكبريّة ص: ٢٢٤.

(٢) أُنظر ، الفصول المختاره ص: ٢٥١.

(٣) المجالس المؤيدية ص: ١٧٠ـ١٨٠ ، تحقيق الدّكتور مصطفىٰ غالب / دار الأندلس للطباعة ، والنّشر / بيروت.

محمّد بن عثمان، أنّه صاحب إمام الزّمان، وادّعىٰ له البابيّة[١]. وبرواية أبي الخطاب الأنباري: أنّ ابن نصير لمّا بلغه من غضب أبي جعفر؛ جاءه ليعتذر إليه، فلم يأذن له، وحجبه، وردّه خائباً. وانطلقت هذه الحركة لتأييد إمامة الهادي، ثمّ ارتفعت من القول هذا إلىٰ حدّ القول بألوهيّة الإمام الهادي، ثمّ أنّ محمّداً بن نصير ادّعىٰ النّبوة لنفسه، بعثه أبو الحسن العسكريّ عليّ الهادي، وكان يقول بالتناسخ والغلوّ، في أبي الحسن. ويقول بالإباحة للمحارم، ويحلّل نكاح الرّجال، بعضهم بعضاً، في أدبارهم. ويزعم أنّ ذلك من التّواضع، والتّذلل، وأنّه إحدىٰ الشّهوات والطّيّبات، وأنّ الله لم يحرم شيئاً من ذلك[٢].

وقد انتقل النّصيريّة بعد وفاة الإمام الهادي، إلىٰ الالتفاف حول ابنه الحسن، العسكريّ وظلّوا معه حتّىٰ وفاته. فكانوا من أهم وأبرز، القائلين بوجود ولد له، هو المهديّ المنتظر.

انقسمت الحركة النّصيريّة، أو النّميريّة، بعد وفاة مؤسسها إلىٰ ثلاث فرق:

فرقة قالت: بنبوة ابنه أحمد. وفرقة قالت: بنبوة أحمد بن موسىٰ بن الحسن ابن الفرات. وفرقة قالت: بنبوة أحمد بن أبي الحسن. وذلك لأنّهم سألوا النّميريّ عن خليفته، فقال: أحمد، وتلجلج لسانه، فلم يدروا مَن هو، فادعىٰ كلّ واحد من الثّلاثة النّبوة[٣] وسبق وأنْ شرحنا ذلك مفصّلاً.

---

(١) أُنظر، كتاب الإحتجاج للطبرسيّ ص: ٦١٧.

(٢) أُنظر، فرق الشّيعة ص: ٩٣، الفرق بين الفرق، واحتجاج الطّبرسيّ، والغيبة للطوسيّ، ورجال الكشيّ، وإثبات الهداة للحر العاملي ص: ٧٦٥.

(٣) فرق الشّيعة ص: ٦٤.

الفرق الغالِية في نطاق الخوارج

الخوارج قوم خرجوا على الإمام عليّ عليه السلام في وقعة صفين. لكن رغم ذلك اختلف المؤرخون في تعيين خروجهم، فيرىٰ بعض: أنّ ذلك كان عند قبول الإمام عليّ عليه السلام أمر التّحكيم[1]. وذهب فريق آخر: أنّ خروجهم كان بعد التّحكيم[2].

ويرى فريق ثالث: أنّ بداية خروجهم قد برز أيّام الرّسول صلى الله عليه وآله عندما مرّ علىٰ النّبيّ صلى الله عليه وآله ذو الثّدية ـ وهو يقسم الغنائم ببدر ـ فقال له: اعدل يا محمّد! فقال صلى الله عليه وآله: خبت وخسرت...[3]. ولسنا بصدد دراسة الخوارج. ولكن مايهمنا هو رأي الفرق الّتي غالت في هذه الحركة، وخرجت عن نطاق دائرة الإسلام. وإنّ أهمّ

---

(١) أُنظر، تلبيس ابليس ص: ٩٦.

(٢) أُنظر، بيان الأديان لأبي المعالي العلوي ص: ٤٨، تلبيس إبليس ص: ٩٠، الفصل لابن حزم: ١٥٧/٤، الملل والنّحل للشهرستاني: ٢١/١، شرح الطّحاوية لابن أبي العزّ ص: ٤٧٢، البداية والنّهاية: ١٨٩/٧، الدّليل لأهل العقل للورجلاني ص: ١٥، عمان تأريخ يتكلم للسالمي ص: ١٠٣.

(٣) التّبصير في الدّين ص: ٢٩، صحيح البخاريّ: ٥٢/٨، صحيح مسلم: ١١٠/٣.

الفرق هي :

١ ـ الميمونيّة:

تنسب إلىٰ ميمون ، وهو من أهل بلخ[١] . تفرعت عن العجاردة ، وادعت هذه الفرقة : بأنّ سورة يوسف ، ليست من القرآن ، ولا سورة (حا ميم عين سين قاف) . وأجازوا هؤلاء نكاح بنات البنين ، وبنات البنات ، وبنات بنات الإخوة والأخوات .

٢ ـ الحفصيّة:

هذه الفرقة تفرّعت عن الإباضيّة ، وهي من أشهرها ، وأهم أصحاب حفص ابن أبي المقدام[٢] . وقالوا : ليس بين الكفر والإيمان ، إلّا معرفة الله . فمن عرفه فهو مؤمن ، وإنْ كان كافراً بالرسول ، وبالجنّة ، والنّار . وهؤلاء استحلّوا جميع المحارم كالقتل ، والزّنا ، واللّواط ، والسّرقة ، ولكنّهم برئوا من الشّرك .

وزعموا أنّه نزل في عليّ قرآن : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾[٣] . ونزلت في عبد الرّحمن ابن ملجم (لعنه الله) : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[٤] . وهذا من أقبح الفضائح ، والبدع ، بتكفيرهم الإمام عليّ عليه السلام . وكفّروا عثمان بن عفان ، أيضاً في السّنين الأخيرة من خلافته ، وكذلك كفّروا طلحة ،

---

(١) أُنظر ، الحور العين ص: ١٧١ ، الفرق بين الفرق ص: ٥٤ ، كشف إصطلاحات الفنون للتهانوي : ٢/ ١٥٥ ، الملل والنّحل : ٤/ ١٩٠ .

(٢) المصادر السّابقة .

(٣) البقرة : ٢٠٤ .

(٤) البقره : ٢٠٧ .

والزّبير، وعائشة. وعلّلوا تكفيرهم، للإمام عليّ عليه السلام بأمرين:

«آ» ـ أنّه حكم في دين الله.

«ب» أنّه خلع نفسه من إمارة المؤمنين في وثيقة الهدنة، الّتي كتبها بينه، وبين معاوية، لإيقاف القتال.

وعلّلوا كفر عثمان؛ لأنّه حابىٰ أقاربه، وولاهم علىٰ رقاب المؤمنين، مع علمه بسوء تصرّفاتهم، واستخفافهم بالإسلام. وهذا عمران بن حطان، الخارجي، من بني سدوس، يمدح عبد الرّحمن بن ملجم لعنه الله.

يـاضربة مـن تـقي مـا أراد بهـا	إلّا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إنّي لأذكــره حــيناً فأحســبه	أوفىٰ البريّــة عــند الله مـيزانـا
أكرم بقوم بطون الطّير، قبورهم	لم يخلطوا دينهم، بغياً، وعدوانـا

فبلغت الأبيات القاضي أبا الطّيب الطّبريّ فقال:

يـا ضربـة مـن شـقي مـاأراد بهـا	إلّا ليهدم مـن ذي العـرش بـنياناً
إنّي لأبـــرأ ممـــا أنت قــائله	عن ابـن مـلجم، المـلعون بهـتاناً
إنّي لأذكـــره يـــوماً فألعــنه	وألعن الدّهر، عمران بـن حـطاناً
عـليك ثمّ عـليه، الدّهـر مـتصلاً	لعــــائن الله إسراراً وإعــــلاناً
فأنتم مـن كـلاب النّـار جـاء بـه	نـصّ الشّريـعة بـرهاناً، وتـبياناً

٣ـ اليزيديّة:

وهي الّتي تفرّعت، عن الإباضية مؤسسها: يزيد بن أنيسة[1]. وقيل: ابن أبي

---

(١) الملل والنّحل: ٢٤٨.

أبيسة[١]، وقيل: ابن أبي أنبسة[٢]. زعموا أنّ الله سيبعث رجلاً من العجم، وينزل عليه كتاباً، من السّماء، ثمّ يكتب في السّماء، وينزل عليه جملة واحدة، فيترك شريعة محمّد ﷺ، ويأتي بشريعة أُخرىٰ.

٤ ـ البدعيّة:

وهي الفرقة، الّتي زعمت: بأنّ الصّلاة ركعتان بالعشي، وركعتان بالغداة، لا غير، لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾[٣].

٥ ـ الضّحاكيّة:

هم أتباع الضّحاك بن قيس الشّيباني، الّذي قتل عام (١٢٨ هـ)، وزعمت هذه الفرقة: أنّ الإمام إذا كفر؛ كفرت الرّعيّة، الغائب، والشّاهد، حكمهم حكم الإمام. ومن فعل شيئاً، من المحرمات، الّتي توعد الله عباده عليها، وهو لا يعلم بحرمته كان كافراً.

وأباحت هذه الفرقة الشّراب، لأنّه لم يأت فيه شيء من التّحريم، لا في قليله، ولا في كثيره. ويعتقدون أنّ النّاس مشركون بجهل الدّين، وارتكاب الذّنوب، ويجب علىٰ الله أنْ يظهر أحكامه في العصاة، كما أظهرها في الشّرك، ولو جاز إخفاؤها؛ لجاز في الشّرك أيضاً. وهذا ما قاله أبو بيهس: هيجم بن جابر.

وقالت هذه الفرقة: إنّ للمرأة المسلمة، أنْ تتزوج من كفار قومها، ولكن لاتجوز الصّلاة عليها إنْ ماتت[٤].

---

(١) الفصل في الأهواء: ٤/ ١٨٨.

(٢) الحور العين ص: ١٧٥.

(٣) أُنظر، المصادر السّابقة والآية في سورة هود (١١٤).

(٤) أُنظر، الحور العين ص: ١٧٥، الملل والنّحل ص: ٢٤٨.

٦ـ الشّبيبية:

أتباع شبيب بن يزيد، الّذي جعل التّكفير، مبدأً تركزت عليه حركته، فكَفَّر جميع المسلمين، لأسباب لم يقرها الإسلام، ولا مصدر لها من الكتاب، والسُّنَّة وأراق بذلك دماء المسلمين، ونهب الأموال، واستحل الأعراض. وجوزت هذه الفرقة إمامة المرأة، واستخلافها. وهذا هو الّذي قاد حركة الخوارج في عهد عبد الملك بن مروان[١].

٧ـ البَيْهسَيّة:

أصحاب أبي بيهس، الهيصم، أو الهيجم بن جابر زعموا: أنّ الإيمان هو الإقرار، والعلم بالله، وبما جاء به الرّسول ﷺ، وأسندوا أفعال العباد إليهم. والإيمان عندهم علم، ومن لا يعلم الحقّ، من الباطل، والحلال من الحرام، فهو كافر.

وقالوا: إنّ السّكر، إذا كان من شراب حلال، فلا يؤاخذ صاحبه، بما قال فيه وفعل. وَكفّروا بعض زعماء الخوارج، أمثال إبراهيم، وميمون، في اختلافهم في بيع أمةٍ علىٰ مذهبهم[٢].

ولكن الشّهرستانيّ يقول: إنّ الخوارج انقسموا إلىٰ ثمان فرق وهم:

١ ـ المحكّمة الأُولىٰ: وهم الّذين خرجوا علىٰ عليّ أمير المؤمنين عليه السلام، حين أجرىٰ أمر المحكمين.

---

(١) أُنظر، الملل والنّحل ص: ٢٢٤، و: ١/ ١١٤ طبعة آخر.

(٢) الحور العين ص: ١٦٥، الملل والنّحل: ١/ ١١٥.

٢ ـ الأزارقة : وهم أتباع نافع بن الأزرق .

٣ ـ النّجدات : وهم أتباع نجدة بن عامر الحنفيّ .

٤ ـ العجاردة : وهم أصحاب عبد الكريم بن عجرد .

٥ ـ الإباضية : وهم أتباع عبد الله بن إباض .

٦ ـ الصّفريّة : وهم أصحاب زياد بن الأصفر .

٧ ـ الثّعالبة : وهم أصحاب ثعلبة بن عامر .

٨ ـ البيهسيّة : أتباع أبي بيهس ، الهيصم بن جابر[١] .

وتجمع هذه الفرق كلمة الكفر ، والمروق من الدّين ، علىٰ كلّ من لم يسر بسيرتهم ، وحكموا علىٰ الأُمراء بهذا الحكم ، ماعدا الخليفة الأوّل ، والثّاني ، لأنّهم كانوا يتولونهما . أمّا عثمان فقبلوه ، وتولوه لمدة ست سنين من خلافته ، ثمّ كفّروه ، وتبرؤا منه . أمّا عليّ عليه السلام ، فتولوه أيضاً زمن خلافته ، إلىٰ أنْ قبل التّحكيم ، ثمّ تبرؤا منه ، وكفّروه علىٰ الرّغم ، من أنّهم كانوا في البداية أنصاره ، لكن بمجرد اختلافهم معه ـ نتيجة الغلوّ ـ انقلبوا إلىٰ أعدائه ، بل أعدىٰ أعدائه ، وهذا هو الّذي نسميه : بـ (الغلوّ في المواقف) . وفي القصة الّتي نوردها نقلاً عن بعض المصادر كالإعتصام مثلاً ، دليل واضح علىٰ خروجهم من فرق الإسلام والمسلمين ، وليس خروجاً علىٰ الإمام عليّ عليه السلام .

قيل ذلك للإمام عليّ عليه السلام ، يعني خروج الحروريّة عليه ـ فأوفد إليهم ابن عمّه عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، فدخل عليهم فإذا هم صفر الوجوه . مرحضة (أيّ

(١) أُنظر ، كتاب الفتوح لابن اعثم الكوفيّ : ٢ / ٢٤٨ ، الملل والنّحل : ١ / ١١٥ ، إعتقادات فرق المسلمين ص : ٤٩ ، الفرق بين الفرق : ٧٤ ، المواقف : ٤٢٤ التّبصير في الدّين : ٤٥ .

متّسخة)، قمصانهم، أيديهم كأنّها ثغن الإبل، (من طول القيام) فلمّا دخل عليهم، سخروا منه، وقالوا: ما هذا يا ابن عباس، وما هذه الحلة عليك؟ قال لهم: ومالي لا ألبس، وقد وجدت رسول الله ﷺ، وعليه أحلىٰ الحلل اليمنيّة، فقالوا له: من أين جئت يا ابن عباس؟ قال: من عند ابن عمّ رسول الله ﷺ ومن عند صحابة رسول الله ﷺ، وليس فيكم منهم أحد.

ثمّ سألهم: ماتنقمون علىٰ عليّ؟ قالوا: ننقم عليه ثلاثاً، قال: وماهي؟ قالوا: حكم الرّجال، والله يقول: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[1]، وقاتل: ولم يسلب، ولم يغنم، ومحا نفسه من إمرة المؤمنين، «يشيرون إلىٰ حدث التّحكيم» فإنْ لم يكن أمير المؤمنين، فهو أمير الكافرين.

قال: إنْ جئتكم من كتاب الله، وسُنَّة رسول الله ﷺ، بما ترضون أترجعون؟

قالوا: ومالنا لا نرجع. قال: أمّا أنّه حكم الرّجال فإنّ الله قال في كتابه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[2]، وقال في المرأة وزوجها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾[3] فجعل الحكم في هاتين الحالتين، إلىٰ الرّجال، فناشدتكم الله، أتعلمون حكم الرّجال في دماء المسلمين، وفي إصلاح ذات البين، أفضل أم في ثمن أرنب، ثمنه ربع درهم، وفي بضع امرأة؟

قالوا: بل هذا أفضل.

---

(١) الأنعام: ٥٧، ويوسف: ٤٠.

(٢) المائدة: ٩٥.

(٣) النّساء: ٣٥.

قال: أخرجتم مْن هذه؟

قالوا: نعم.

قال: وأمّا أنّه قاتل، ولم يسلب، ولم يغنم؛ فقد كان من بين من قاتل أُمّكم عائشة، فإنْ قلتم نسلبها، ونستحل منها، مانستحل من النّساء؛ فقد كفرتم، وإنْ قلتم ليست بأُمّنا؛ فقد كفرتم، فأنتم ترددون بين ضلالتين.

أخرجتم من هذه؟ قالوا: نعم.

ثمّ قال: وأمّا قولكم: محا نفسه من إمرة المؤمنين، فإنّي آتيكم بما ترضون. إنّ رسول الله ﷺ، يوم الحديبيّة قال: اكتب! هذا ماصالح عليه محمّد رسول الله... فقالا: (أبو سفيان، وسهيل بن عمرو): لو نعلم أنّك رسول الله؛ ماقاتلناك، قال: اللّهمّ إنّك تعلم أنّي رسول الله، اكتب يا عليّ: هذا ما صالح عليه محمّد بن عبد الله، وأبو سفيان، وسهيل بن عمرو... فرجع منهم يومئذ ألفان، وخرج الباقي فقتلوا جميعاً[١].

وهناك نوع آخر من الغلوّ: هو غلوّ العقيدة الّذي يعتبر من أعمال الجوارح فرتب البعض الكفر علىٰ مخالفة بعض الأوامر، أو ارتكاب بعض النّواهي. ومن هنا نشأ الخلط بين مرتكب الكبيرة، فإنّه لا يخلد في النّار. أمّا مرتكب الكفر فإنّه يخلد في النّار، وإنْ كان هذا وذاك خروجاً عن الفهم الصّحيح، وعند التّطبيق السّليم للشريعة، والعقيدة الإسلاميّة. فالإفراط من جانب، والتّفريط من جانب آخر، يوقع الإنسان في حيرة من أمره، وبالتالي يحكم عليه بالإنهيار. ولو كان الأمر يقف

---

(١) أُنظر، الإعتصام للشاطبي: ٣/ ٣٥، تأريخ الطّبريّ: ٨٩/٥، البداية والنّهاية: ٢١٨/٦، الكامل في التّأريخ: ٣٤٥/٣، مروج الذّهب: ٤١٧/٢، الاباضية لعليّ يحيىٰ معمّر ص: ٦٨.

علىٰ التّوجيه للخطأ ـ لكان الأمر هيّناً. وأمّا أنْ يصل إلىٰ حد إصدار أحكام غير ما أعطاها الله ورسوله. فهذا ينطبق عليه قوله ﷺ: «من افتىٰ بغير علم؛ فليتبوّأ مقعده من النّار»، أو أنْ يتحول إطلاق الحكم بالتكفير. «من الاستحباب إلىٰ أنّه واجب، وعن ترك النّدب، أو ترك الواجب، بأنّه كفر». فذلك هو الغلوّ، فمثلاً ورد عن الرّسول ﷺ: «جزّوا الشّوارب، وأرخوا اللّحىٰ، خالفوا المجوس» وفي لفظ «خالفوا المشركين، حفوا الشّوارب، وأوفروا اللّحىٰ»[١].

فأمر الرّسول ﷺ هل هو الوجوب، أم النّدب، أم هو للإباحة؟ فيجب علينا هنا أنْ لا نهزأ بآراء الآخرين، ونصدر عليهم حكم التّكفير، بل نلتمس لهم العذر؛ لأنّ هذا الأمر، والاختلاف بين الفقهاء؛ هو خلاف فرعي، لاينبغي أنْ يأخذ مساحة أكبر، في الوقت الّذي يسكت فيه عن كبائر الذّنوب، بل عن خيانات عظمىٰ بحقّ الإسلام، والمسلمين، أو أنْ نرفع المرجوح إلىٰ درجة الإثمّ، أو الحرام، ونرفع الرّاجح، إلىٰ درجة الواجب، فذلك هو الغلوّ. أو أنْ يقحم، قبر الرّسول ﷺ، في هذا الأمر، حتّىٰ قالوا: بفساد عقيدة من شدّ الرّحال لزيارة قبره ﷺ. علىٰ الرّغم من أنّهم يعلمون بحديث رسول الله ﷺ: «كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها، فإنّها ترقّق القلب، وتذكّر الآخرة»[٢]. وحكم زيارة القبور، هو النّدب؛ لأنّ في الأمر بعد النّهي خلافاً، أرجحه يفيد الإباحة، عند بعض. لكن بما أنّها وردت قرينة، في نهاية الحديث، فأمكن القول: بأنّ الأمر للندب، كما صرّح به بعض.

فإذا كانت زيارة قبر عادي تذكر بالآخرة؛ فماذا تذكر زيارة قبر الرّسول ﷺ،

---

(١) أنظر، صحيح مسلم: ١/ ٢٢٢، مسند أحمد: ٢/ ٣٦٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبيّ: ٢/ تفسير الآية (١٠٦) من سورة البقرة.

وهو خاتم الأنبياء، والمرسلين، فحتماً بأنّها تذكر بما هو أكبر من ذلك، فير تفع حكم الزّيارة، إلىٰ ما هو أشد، فيكون سُنَّة مؤكدة. وعلينا أنْ نسأل القاريء الكريم، متىٰ كانت زيارة قبر الرّسولﷺ، غلواً؛ حتّىٰ يحاسب عليه المرء وبالتالي تصل زيارة قبر نبيّهﷺ، كفراً وشركاً بالله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾[1].

(١) الحجّ: ٦٢.

الفرق الغالِية في نطاق المعتزلة

كانت بداية ظهور حركة الاعتزال جواباً علىٰ سؤال فرض نفسه في مرتكبي الكبائر: فقالت الخوارج: كلّهم كفّار؛ وقالت المرجئة: هم مؤمنون، لأنّهم لا يرون ضرراً في أية معصية مع الإيمان «الّذي هو في القلب فقط» وقد لخّص الشّهرستانيّ هذا بقوله:

«...دخل واحد علىٰ الحسن البصريّ فقال: يا إمام الدّين! لقد ظهرت في زماننا جماعة، يكفّرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر، يخرج به عن الملّة، وهم وعيديّة الخوارج؛ وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر. والكبائر عندهم لا تضر مع الإيمان. بل العمل ـ علىٰ مذهبهم ـ ليس ركناً من الإيمان، ولا يضرّ مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وهم مرجئة الأُمّة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً»؟

فتفكر الحسن في ذلك، وقبل أنْ يُجيب قال واصل بن عطاء:

«أنا لا أقول صاحب الكبيرة مؤمن مطلق، ولا كافر مطلق، بل هو في منزلة بين المنزلتين، ثمّ قام واعتزل إلىٰ إسطوانة من إسطوانات المسجد، يقرر ما أجاب

به علىٰ جماعة من أصحاب الحسن»

فقال الحسن: «اعتزلَ عنّا واصَل» فسمي هو وأصحابه معتزلة[١]. ثمّ أضاف واصل إلىٰ قوله بالمنزلة بين المنزلتين مبادىء، أُخرىٰ وهي:

أ ـ التّوحيد:

أيّ أنّ صفات الله كالقُدرة، والإرادة، والعلم، هي عين ذاته، وليست أشياء قديمة، خارجة عن ذاته؛ كما يقول أهل السُّنَّة؛ لأننا لو ذهبنا إلىٰ ذلك لأثبتنا وجود قديمين، وهذا يقتضي وجود إلهين وأكثر[٢].

ب ـ القَدَر أو العدل:

إنّ فعل العبد خيره وشره منه، لا من الله، والله أقدره علىٰ ذلك، إذ يقبح علىٰ الله أنْ يأمره بالفعل، ثمّ لا يقدره عليه، وينهاه عن الفعل ثمّ يضطره إليه. وهذا علىٰ تناقض تام مع الّذين يقولون: إنّ القدر خيره وشره من الله، وهو منزه عن ذلك؛ لأنّ الله تعالىٰ يقول: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾[٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾[٤]، ويقول تعالىٰ: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[٥]. إذاً أفعال العباد غير مخلوقة فيهم، وإنّهم هم المحدثون لها[٦].

---

(١) أنظر، الملل والنّحل للشهرستاني: ١/ ٤٨، الحور العين ص: ١٧٧، البدء والتّاريخ: ٥/ ١٤٢، المعتزلة وأصولهم الخمسة، وموقف أهل السُّنَّة منهم ص: ١٤ـ٢١.

(٢) راجع شرح الأُصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص: ٣٠١.

(٣) البقرة: ٢٠٥.

(٤) غافر: ٣١.

(٥) الزّمر: ٧.

(٦) شرح الأُصول الخمسة ص: ٣٢٣، المغني في أبواب التّوحيد والعدل، للقاضي عبد الجبار: ٣/٨.

ج ـ الوعد والوعيد:

فالمؤمن إذا خرج من الدّنيا علىٰ طاعة، وتوبة استحق الجنة، وإذا خرج من دون توبة، استحق الخلود في النّار، لكن عقابه أخف من عقاب الكافر[١]. وعرف الوعد القاضي عبد الجبار بـ: «أمّا الوعد فهو كلّ خبر يتضمن إيصال نفع إلىٰ الغير، أو دفع ضرر عنه في المستقبل، ولا فرق بين أنْ يكون حسناً مستحقاً وبين أنْ لا يكون كذلك، ألا ترىٰ أنّه كما يقال: إنّه تعالىٰ وعد المطيعين بالثواب فقد يقال وعدهم بالتفضل مع أنّه غير مستحق، وكذلك يقال فلان وعد فلاناً بضيافة في وقت يتضيق عليه الصّلاة مع أنّه يكون قبيحاً»[٢].

والمقصود بالوعيد هنا ما يتعلق بأحكام المذنبين من عصاة المؤمنين إذا ماتوا من غير توبة وقد أوضح المعتزلة رأيهم في هذا وهو أنّ أصحاب الكبائر إذا ماتوا من غير توبة فإنهم يستحقون الوعيد من الله النّار خالدين فيها إلّا أنّ عقابهم يكون أخف من عقاب الكفار[٣].

د ـ المنزلة بين المنزلتين:

سبق وأنْ أشرنا: أنّ قضية مرتكبي الذّنوب كانت هي الحصيلة الحتمية عند المعتزلة لموقف الفرق الأُخرىٰ، وقد أجمعت المعتزلة عليها واعتبروها أصلاً من الأُصول الثّابتة وتلقب هذه المسألة «بمسألة الأسماء والأحكام»[٤]، وقال القاضي عبد الجبار: بأنّ لصاحب الكبيرة اسم بين الاسمين وحكم بين الحكمين علىٰ ما

(١) أُنظر، شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني الأسد آبادي.

(٢) شرح الأُصول الخمسة ص: ١٣٤.

(٣) الملل والنّحل للشهرستاني: ١/٤٥.

(٤) شرح الأُصول الخمسة ص: ١٣٧.

يجيء من بعد[١]. والمقصود بها أنّ صاحب المعاصي ليس بمؤمن ولا كافر، بل يفرد له حكم ثالث وهو تسميته (فاسقاً) في الدُّنيا والحكم بخلوده في النّار في الآخرة فاختلف اسمه وحكمه في الدُّنيا فاستحق أنّ يكون في منزلة بين المنزلتين.

هـ ـ الأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر:

قد بين القاضي عبد الجبار حقيقتهما، فقال: «أمّا الأمر: فهو قول القائل لمن دونه في الرّتبة أفعل؛ والنّهي: هو قول القائل لمن دونه لا تفعل. وأمّا المعروف: فهو كلّ فعل عرف فاعله حسنه، أو دل عليه، ولهذا لا يقال في أفعال القديم تعالىٰ معروف لما لم يعرف حسنها ولا دل عليه؛ وأمّا المنكر: فهو كلّ فعل عرف فاعله قبحه أو دل عليه ولو وقع من الله تعالىٰ القبيح لا يقال أنّه منكر لما لم يعرف قبحه ولا دل عليه»[٢].

وللمعتزلة فرق كثيرة (ذكرها مؤرخو الفرق الإسلاميّة) ومن أهمها:

١ ـ الهُذيليّة:

أتباع الهذيل المعروف بالعلاف، والّذي زعم أنّ الله لا يقدر علىٰ ما قدر عليه عباده، ولا يوصف بالقدرة علىٰ الصّلاة، والصّيام؛ لأنّها أعمال جسمية، وهو منزه عن كلّ ما هو من لوازم الجسم، إلىٰ غير ذلك من الآراء[٣].

٢ ـ النّظّاميّة:

هم أتباع إبراهيم بن سيار النظّام، وهو من مشاهير علم الكلام والفلسفة؛

---

(١) شرح الأُصول الخمسة ص: ٦٩٧.

(٢) شرح الأُصول الخمسة ص: ١٤١.

(٣) أُنظر، المقالات الإسلاميّة لعليّ الغرأبي: ١٦٤، الملل والنّحل: ٦٩٥/١، التّبصير في الدّين ص: ٦٦.

وقد اختلفت آراء الكتاب فيه، وتناقضت أقوالهم؛ فجماعة وصفوه بالكفر والإلحاد، وحتىٰ أنّه مات وهو سكران؛ ولكن وصفه آخرون بالإيمان والاستقامة.

ونسب إليه القول: بأنّ القرآن الكريم، لا إعجاز في نظمه، وينكر جميع المعجزات المنسوبة إلىٰ الرّسول ﷺ[١].

٣ ـ الحائطيّة:

هم أصحاب أحمد بن حائط[٢]، وقيل خابط[٣]، وهو من أصحاب النّظّام توفي عام (٢٣٢ هـ)، وزعمت هذه الفرقة أنّ كلّ نوع من أنواع الحيوانات أُمّة علىٰ حالها، وأنّ المسيح هو الّذي يحاسب النّاس (الخلق) في الآخرة. وقالت هذه الفرقة أيضاً بالتناسخ. وقالوا: إنّ للعالم إلهين: أحدهما قديم وهو الله، والثّاني محدث وهو المسيح.

والمسيح هو المراد بالآية الكريمة: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا﴾[٤] وهو الّذي خلق آدم علىٰ صورته، ثمّ زعموا أنّ المسيح هو ابن الله معنىً دون الولادة.

٤ ـ البشريّة:

هم أتباع بشر بن المعتمر المتوفي سَنَة (٢٢٦ هـ) وكان من أفاضل المعتزلة، وهو الّذي زعم «إنّ الإنسان يخلق اللّون، والطّعم، والرّائحة والسّمع، والبصر، علىٰ سبيل التّولد، وإنّ الله قادر علىٰ تعذيب الأطفال، ولو عذبهم كان ظالماً لهم»[٥]،

---

(١) المصادر السّابقة، وأُنظر، الدّينوري حياة النّظام.

(٢) كتاب الحيوان للجاحظ: ٥/ ٤٢٤، المواقف: ٤/ ٣٨٢.

(٣) التّبصير في الدّين ص: ١٥، الملل والنّحل ص: ٣٨٥.

(٤) الفجر: ٢٢.

(٥) أُنظر، التّبصير في الدّين: ٧٥.

وقالوا: «إنّ إرادة الله غير الله، والإرادة علىٰ ضربين: إرادة وصف بها، وهي فعل من الأفعال (فعله) وإرادة وصف بها في ذاته، وإنّ إرادته الموصوف بها في ذاته، غير لا حقه بمعاصي خلقه، وجوزوا وقوعها علىٰ الأشياء... وقالوا إنّ الاستطاعة هي سلامة البنية، وصحة الجوارح، وتخليتها من الآفات، وقالوا لا يفعل بها في الحالة الأُولىٰ، ولا في الحالة الثّانية، لكن نقول: الإنسان يفعل، والفعل لا يكون إلّا في الثّانية...

وقالوا: «إنّ من يقدر الله عليه في اللّطف لا غاية له، ولا نهاية، وعند الله في اللّطف ما هو أصلح مما فعل، ولم يفعله، ولو فعله بالخلق آمنوا طوعاً، لا كرهاً، وقد فعل بهم لطفاً، يقدرون به علىٰ ما كلفهم»[1].

٥ ـ المعمريّة:

أتباع معمّر بن عباد، والّذي قال: إنّ الإنسان ليس الصّورة الّتي نشاهدها، وإنّما هو الشّيء في هذه الصّورة، عالم، قادر، مختار، يدبر بلا حركة ولاسكون..[2]

٦ ـ الجعفريّة:

أتباع جعفر بن بشير، أو مبشر الهمذاني، المتوفّىٰ عام (٢٣٦ هـ) وجعفر بن حرب الثّقفي المتوفّىٰ عام (٢٣٤ هـ) وقد ذهبا: إنّ الله لا يقدر علىٰ ظلم الأطفال، والمجانيين، ولا يوصف بأنّه متكلم؛ وقالا أيضاً: إنّ فساق المسلمين أثر من اليهود، والمجوس، والزّنادقة. وقالا: إنّ الله خلق القرآن في اللّوح المحفوظ، ولايجوز أنْ يُنقل، إذ يستحيل الشّيء الواحد في مكانيين في حالة واحدة، وما نتلوه فهو حكاية

(١) أُنظر، المواقف: ٣٨١/٤.

(٢) أُنظر، المصادر السّابقة، مختصر الفرق ص: ٩٠.

عن المكتوب الأوّل في اللّوح المحفوظ، وذلك فعلنا، وخلقنا..[١]

٧ ـ الإسكافيّة:

هم أتباع محمّد بن عبد الله الإسكاف؛ وقد وافق الجعفرية في كلّ شيء؛ ولكنه استقل عنهم[٢].

٨ ـ الإسواريّة:

أتباع عليّ الإسواري، وهو من تلامذة النظّام، وتبنّىٰ آراءه، وقال: إنّ الأشياء الّتي يعلم الله بعدم وجودها، ليست مقدورة له، وهي مقدورة للإنسان؛ لأن قدرة الإنسان تتعلق بالوجود والعدم؛ إلىٰ غير ذلك في الآراء[٣].

٩ ـ المزداريّة:

هم أتباع عيسىٰ بن صبيح المزدار، وقيل المردار والمكنىٰ بأبي موسىٰ؛ وهو من أعاظم معتزلة بغداد، حيث زعم: إنّ الله يقدر علىٰ الظّلم والكذب، ولو فعل كان إلهاً ظالماً كاذباً. وادّعىٰ أنّ النّاس قادرون علىٰ الأتيان بمثل القرآن، وأحسن منه نظماً...[٤].

١٠ ـ الواصليّة:

هم أتباع واصل بن عطاء الغزال، تلميذ الحسن البصريّ ويكنىٰ بأبي حنيفة، وقد نسبه إسحق بن سويد إلىٰ الخوارج. وفي ذلك يقول:

---

(١) أُنظر، المصادر السّابقة.

(٢) أُنظر، التّبصير في الدّين ص: ٧٤، المواقف: ٤/ ٣٨١.

(٣) أُنظر، المصادر السّابقة.

(٤) التّبصير في الدّين ص: ٧١، المواقف: ٣٨٢/٤.

برئت من الخوارج لست منهم من الغزّال منهم وابـن بـاب[١]

ويظهر أنّه كان واسع العلم، قوي الحجّة، محيطاً بمذاهب عصره، ولا يتكلم إلّا بمقدار الحاجة، حتىٰ أُتهم بالخرس من طول صمته، كما أتهمه خصومه، بالكفر والزّندقة[٢].

١١ ـ العَمْريّة:

أصحاب عمرو بن عبيد، الّذي كان والدّه نساجاً في بداية أمره، ثمّ أصبح من شرطة الحجاج الثّقفي، وبطانته، ولسوء سمعة أبيه في البصرة، كان النّاس يقولون بعد أنْ نبع ولده عمرو خير النّاس ابن شر النّاس، يعنون بذلك عمراً ووالده.

ويظهر من خلال دراسة حياته أنّهُ كان بارعاً في الجدل، وزعم أنّ أهل النّار يتكلمون بدون إرادة واختيار، وليس في الأرض دهري، ولا زنديق، إلّا وهو مطيع لله في أشياء كثيرة، وإنْ عصاه من جهة كفره. وقد غالىٰ عمرو في مذهب القدرية، الرّاجع إلىٰ التّفويض المطلق[٣].

وقال ابن تيمية في كتابه الموافقة: «إنّ التّفويض من شر أقوال أهل البدع والإلحاد»[٤]. إذن علىٰ رأيّ ابن تيمية: عمرو بن عبيد من أهل البدع والإلحاد؛ فلماذا لا يُذكر بشيء يسوء إلىٰ مذهبه من قبل أصحاب الدّراسات؟!...

١٢ ـ الهِشاميّة:

هم أتباع هشام بن عمر الفوطي، والّذي ادّعىٰ أنّه لايجوز لأحد من المسلمين

---

(١) الملل والنّحل: ٢٩٣/١.

(٢) أُنظر، تأريخ الفرق الإسلاميّة لعليّ الغرأبي: ٧٥، الفرق بين الفرق: ٩٨.

(٣) أُنظر، الأمالي للسّيد المرتضى: ١٠٠/١.

(٤) الموافقة لابن تيمية ص: ١١١٨، بهامش منهاج السُّنَّة.

أنْ يقول: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[١] بالرغم من وجود الآية الّتي تنص على ذلك، والآية الأُخرىٰ في سورة المزمل[٢]، مدعياً بعدم إطلاق الوكيل عليه تعالىٰ (وهذا هو الجهل بعينه) إذ ليس المراد هنا الوكالة بالمعنىٰ المتعارف، بل المراد منها الكافي، أو الحافظ.

وادّعىٰ أيضاً: بأنّ الله لم يؤلف بين قلوب المؤمنين، ولم يضل الكافرين؛ وأنّ الجنة والنّار ليستا بمخلوقتين، ومن قال بأنّهما مخلوقتان، فقد كفر لعدم الفائدة من خلقهما قبل الحشر[٣].

١٣ ـ الخياطيّة:

أصحاب عبد الرّحيم بن محمّد، المعروف بأبي الحسين الخياط المتوفي عام (٣٠٠ هـ)، وهو من تلامذة، جعفر بن مبشر، وهو من القائلين بالقدر: بمعنىٰ أنّ الإنسان خالق لأفعاله، وأنّ المعدوم جسم، يتصف بالاعراض حالة العدم[٤].

١٤ ـ الجبائيّة:

هم أتباع محمّد بن عبد الوهاب الجبائيّ، المتوفّىٰ عام (٢٩٥ هـ)، عُرف بالذكاء، وقوة الإقناع، ونبغ في علم الكلام، وصاحب مناظرات كلامية مع الأشعريّ، ومن آرائه الّتي يخالف فيها المعتزلة: أنّ من تاب عن ذنب، مع إصراره علىٰ ذنب آخر، لم تقبل توبته، حتىٰ أنّ يهودياً، لو تاب عن كفره، ولكنه منع حبة مثلاً عن

---

(١) آل عمران: ١٧٣.

(٢) المزمل: ٩.

(٣) أُنظر، التّبصير في الدّين ص: ٧٤، المواقف: ٣٨٣/٤، الملل والنّحل ص: ٣٨٦.

(٤) أُنظر، المصادر السّابقة.

مستحق، لم تصح توبته من اليهودية[١].

١٥ ـ الجاحظيّة:

أتباع عمرو بن بحر الجاحظ، الّذي عاصر المعتصم العباسي، والمتوكلّ، وادّعىٰ أنّ الله لايدخل العُصاة في النّار، بل هي تجذبهم إليها، وأنّ القرآن جسد ينقلب تارةً، رجلاً، وأُخرىٰ امرأة ـ والعياذ بالله ـ

وقال: إنّ المعارف كلها طباع، وهي مع ذلك فعل للعباد، وليست بإختيار لهم، وإنّ الخير والشّر من فعل العبد. وأنكر أصل الإرادة، وكونها جنساً في الأعراض وقال أيضاً: إنّ الخلق كلهم (من العقلاء): عالمون أنّ الله تعالىٰ خالقهم، وعارفون بإنهم محتاجون إلىٰ النّبي صلى الله عليه وآله[٢].

---

(١) أُنظر، الفرق الإسلاميّة لعليّ الغرأبي ص: ٢٥٩.

(٢) أُنظر، المواقف: ٤/ ٤٨٣، التّبصير في الدّين ص: ٧٨، الملل والنّحل: ١/ ٥٨٣.

موقف الرّسولﷺ والإمام عليّ عليه السلام من الغلوّ والغُلاة

هنالك مواقف عملية وجريئة في الرّد علىٰ هؤلاء الغُلاة؛ لأنهم يشكّلون نافذة الخروج عن الإسلام، وتحريف قيمه، وأهدافه السّامية؛ لأن بعضهم قد غلا في الإمام حال حياته، وزعموا أنّه إله. ولذا نجد الإمام عليّ عليه السلام نفىٰ بعض الغُلاة وحرّق البعض الآخر في النّار، كما فعل مع ابن سبأ لعنة الله، وموقف الإمام عليّ عليه السلام هذا، مأخوذ من موقف رسول الله ﷺ، حيث ورد عنهﷺ، أنّه قال: «لا ترفعوني فوق حقي، فإنّ الله تعالىٰ اتخذني عبداً قبل أنْ يتخذني نبيّاً»[1].

وقالﷺ: «صنفان من أُمتي، لا نصيب لهما في الإسلام، الغُلاة، والقدرية»[2].

وقالﷺ: «صنفان لا تنالهما شفاعتي، سلطان غشوم عسوف، وغال في الدّين مارق منه، غير تائب، ولا نازع»[3].

---

(١) مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد، لنور الدّين الهيثمي: ٢١/٩، بحار الأنوار: ٢٥/ ٢٦٥، النّوادر للراوندي ص: ١٦، الجعفريات ص: ١٨١.

(٢) المصدر السّابق، وقرب الإسناد ص: ٦١، الرّواشح السّماويّة للمحقق الدّاماد ص: ٢٠٢، صحيفة الإمام الرّضا ص: ٢٩٦.

(٣) مجمع الزّوائد: ٢٣٥/٥، الدّر المنثور: ٣٥٢/١، الكافي: ٣٧٢/٢، من لا يحضره الفقيه للشيخ الصّدوق: ٤٠٨/٣، الوسائل: ٤٢٦/١٤، بحار الأنوار: ٢٦٥/٢٥، قرب الإسناد للحميريّ ص: ٦٤.

وجاء رجل إلىٰ النّبي ﷺ فقال: «السّلام عليك يا ربّي! فقال: مالك لعنك الله! ربّي وربّك الله، أما والله لكنت ما علمتك لجباناً في الحرب، لئيماً في السّلم»[١].

وقال ﷺ مخاطباً الإمام عليّ عليه السلام: «يا عليّ مَثَلُك في أُمتي مثل عيسىٰ بن مريم، افترق قومه ثلاث فرق: فرقة مؤمنون به، وهم الحواريون، وفرقة عادوه وهم اليهود، وفرقة غلوا فيه، فخرجوا عن الإيمان، وإنّ أُمتي ستفترق فيك ثلاث فرق. ففرقة شيعتك، وهم المؤمنون. وفرقة عدوك، وهم الشّاكّون. وفرقة تغلو فيك، وهم الجاحدون. وأنت في الجنّة يا عليّ وشيعتك، ومحب ـ محبو ـ شيعتك، وعدوك والغالي في النّار»[٢].

وروىٰ أحمد بن حنبل في المسند، وأبو السّعادات في فضائل العشرة، أنّ النّبيّ ﷺ قال: «يا عليّ مثلك في هذه الأُمّة كمثل عيسىٰ بن مريم، أحبه قوم فأفرطوا فيه، وأبغضه قوم فأفرطوا فيه». قال فنزل الوحي بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾[٣].

وقال ﷺ مخاطباً الإمام عليّ عليه السلام: «والّذي نفسي بيده، لولا أنّي أشفق أنْ يقول طوائف من أُمّتي فيك، ما قالت النّصارىٰ في ابن مريم، لقلت اليوم فيك مقالاً، لا تمر بملاءٍ من النّاس، إلّا أخذوا التّراب من تحت قدميك للبركة»[٤]. وفي رواية أُخرىٰ:

---

(١) المصادر السّابقة.

(٢) المصادر السّابقة، الخصال: ١/ ٢٣، كنز العمّال: ٢/ ٥٠٠، خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص: ١٠٦، تأويل الآيات لشرف الدّين الحسيني: ٢/ ٥٨٦، العمدة لابن البطريق ص: ٢١٠، تفسير فرات الكوفيّ ص: ٤٠٥، مناقب أمير المؤمنين لمحمد بن سليمان الكوفيّ: ٢/ ٤٧٨.

(٣) الزّخرف: ٥٧، أُنظر، بحار الأنوار: ٢٥/ ٢٨٤.

(٤) أُنظر، شرح النهج: ٥/ ٤، ذخائر العقبىٰ ص: ٩٢، تفسير نور الثّقلين: ٢/ ٥٣١ و: ٤/ ٦٠٩، الخصال للشيخ الصّدوق ص: ٥٥٧، مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ٢/ ١٦٦.

«لأخذوا تراب نعليك، وفضل وضوئك يستشفون به، ولكن حسبك أنْ تكون منّي وأنا منك، ترثني وأرثك»[١]. هذا هو موقف رسول الله ﷺ، من الغُلاة.

أمّا موقف أمير المؤمنين ﷺ، فهو كموقف رسول الله ﷺ، ولذا نراه يقول: «يهلك فيّ اثنان ولا ذنب لي: محبّ مفرط، ومبغض مفرط»[٢]. وفي رواية أُخرىٰ «يهلك فيّ رجلان: محبّ مفرط، يقرظني بما ليس لي، ومبغض يحمله، شنآني علىٰ أنْ يبهتني»[٣]. وفي رواية أُخرىٰ: «محبّ غالٍ، ومبغض قالٍ»[٤]. وفي أُخرىٰ «وباهتٍ مفترٍ»[٥].

وقال ﷺ: «اللّهم إنّي بريء من الغُلاة، كبراءة عيسىٰ بن مريم من النّصارىٰ، اللّهمّ اخذلهم أبداً، ولا تنصر منهم أحداً»[٦].

وقال ﷺ، عندما جاءه قوم فقالوا له: «السّلام عليك يا ربّنا! فاستتابهم، فلم يتوبوا، فحفر لهم حفيرة، وأوقد فيها ناراً، وحفر حفيرة إلىٰ جانبها أُخرىٰ، وافضىٰ بينهما، فلمّا لم يتوبوا، ألقاهم في الحفيرة، وأوقد في الحفيرة الأُخرىٰ حتّىٰ

(١) البحار: ٢٥/ ٢٨٤، روضة الواعظين للفتال النّيسابوريّ ص: ١١٢، حلية الأبرار: ٦٩/٢.

(٢) المصدر السّابق: ٢٥/ ٢٧٢، نهج البلاغة: ١٠٨/٤، كنز العمّال: ٣٢٦/١١، تفسير فرات: ص ٤٠٥، تفسير نور الثّقلين: ٣٥٨/١، كنز الدّقائق: ١٣٧/٢، مناقب أمير المؤمنين الكوفيّ: ٢٨٣/٢، العمدة لابن البطريق ص: ٢١٢، شرح الأخبار للقاضي النّعمان المغربيّ: ٤٠٥/٢، عوالي الثالي: ٨٧/٤.

(٣) بحار الأنوار: ٢٥/ ٢٨٥، مسند أحمد: ١٦٠/١، مجمع الزّوائد: ١٣٢/٩، مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ٢٢٧/١.

(٤) شرح النّهج: حكم/١١٧ و٤٦٩.

(٥) المصدر السّابق ص: ٤٦٩، خصائص الأئمّة للشريف الرّضيّ ص: ١٢٤.

(٦) شرح النّهج: ٥/ ٤، بحار الأنوار: ٢٥/ ٢٨٤، مناقب آل أبي طالب: ٢٢٦/١.

ماتوا»(١).

وجاء في حديث الإمام عليّ عليه السلام، بحقّ الغُلاة عن الأصبغ بن نباته قال: «دخَل الحارث الهمداني علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام، في نفرٍ من الشّيعة، وكنت فيهم فجعل الحارث، يتأوَّدُ في مشيته، ويخط الأرض بمحجنّته وكان مريضاً، فأقبل علىٰ أمير المؤمنين، وكانت له منه منزلة، فقال أمير المؤمنين عليه السلام، كيف تجدك يا حارث؟ فقال: نال الدّهر منّي يا أمير المؤمنين، وأرداني عليلاً، اختصام شيعتك ببابك! فقال: وفيم خصومتهم؟ قال في شأنك، والبليّة من قبلك، فمن مفرط غالٍ ومن مقتصد قالٍ، ومن متردد مرتاب لا يدري، أيقدمُ أو يحجم؟ فقال: حسبك الله يا أخا همدان! ألا إنّ خير شيعتي النّمط الأوسط، إليهم يرجع الغالي، وبهم يلحق التّالي، قال: لو كشفت ـ فداك أبي وأُمي ـ الرّيب عن قلوبنا، وجعلتنا في ذلك علىٰ بصيرة من أمرنا فقال: فإنّه أمرٌ ملبوس عليك: إنّ دين الله لا يعرف بالرجال، بل بآية الحقّ، واعرف الحقّ تعرف أهله»(٢).

والحقيقة أنّ موقف الإمام عليّ عليه السلام، من الغلوّ، والغُلاة، هو نفس موقف رسول الله صلى الله عليه وآله من المرجئة والقدرية، فقدكان حاسماً ولذا قام عليه السلام، بإحراقهم بعد إصرارهم علىٰ القول بألُوهيته، ونفىٰ بعضٍ إلىٰ المدائن بعد أنْ تظاهروا بالرجوع عن الغلوّ، وكان عليه السلام، في كثير من الأحيان يعلن أنّه عبد من عباد الله، وينعىٰ علىٰ المغالين فيه، ويشجب غلوّهم ومن أقواله: «ألا وإنّه يهلك فيّ اثنان محب مطري، مفرط يفرطني بما ليس فيّ، ومبغض يحمله شنآني علىٰ أنْ يبهتني ألا وإنّي لست بنبي، ولا يوحىٰ إليّ، ولكني أعمل بكتاب الله وسُنَّة نبيّه ما استطعت»(٣).

---

(١) بحار الأنوار: ١٨/ ٥٥٢، مستدرك الوسائل للمحقق النّوري: ١٨/١٧٠.

(٢) أُنظر، الإرشاد ص: ٢١٦، روضة الواعظين ص: ٣١.

(٣) البداية والنّهاية لابن كثير: ٣٥٥/٧.

وقد تبرأ من بعده ابنه محمّد بن الحنفية من الكيسانية الغُلاة، وكان موقفه واضحاً تجاه غلوّ النّاعطتين، ومن معهما من الغُلاة.

وعن أبان بن أبي عيّاش، عن سليم بن قيس الهلالي، عن أمير المؤمنين عليه السلام: «بُنيّ الكفر علىٰ أربع دعائم: الفسق، والغلوّ، والشّك، والشّبهة. والغلوّ علىٰ أربع: علىٰ التّعمّق بالرأي، والتّنازع فيه، والزّيغ، والشّقاق، فمن تعمّق لم ينب إلىٰ الحقّ، ولم يزدد إلّا غرقاً في الغمرات، ولم تنحسر عنه فتنة إلاّ غشيته أُخرىٰ، وانخرق دينه فهو يهوي في أمر مريج، ومن نازع في الرّأي وخاصم شهر بالعثل من طول اللّجاج، ومن زاغ قبحت عنده الحسنة، وحسنت عنده السّيّئة، ومن شاق أعورت عليه طرقه، واعترض عليه أمره، فضاق مخرجه إذا لم يتبع سبيل المؤمنين»[1].

(١) الأُصول من الكافي: ٢/ ٣٩١، تفسير نور الثّقلين: ١٧٣/٥، روضة الواعظين ص: ٤٣.

موقف الإمام الباقر عليه السلام من الغلوّ والغُلاة

تصدىٰ الإمام الباقر عليه السلام، لحمزة بن عمّار البربري، الّذي ادّعىٰ في المدينة: «أنّه نبي، وأنّ محمّد بن الحنفيّة هو الله، ولعنه وبرئ منه وكذبه»[1].

وتصدىٰ كذلك لـ (بيان بن سمعان)، أحد أتباع حمزة البربري، الّذي ادّعىٰ في البداية أنّه وصيّ الباقر، وكان يقول أيضاً: «إنّ الله تبارك وتعالىٰ، يشبه الإنسان وهو يفنىٰ، ويهلك جميع جوارحه، إلّا وجهه»[2]. ثمّ ادّعىٰ (بيانُ) النّبوّةَ، بعد وفاة أبي هاشم، وكتب إلىٰ أبي جعفر الباقر عليه السلام، يدعوه إلىٰ نفسه، والإقرار بنبوته، ويقول له: «أسلم تسلّم، وترتق في سلم، وتنجو، وتغنم، فانّك لا تدري أين يجعل الله النّبوّة، والرّسالة، وما علىٰ الرّسول إلّا البلاغ، وقد أعذر من أنذر. فأمر الباقر عليه السلام رسولَ (بيان) أن يأكلّ قرطاسه الّذي جاء به»[3].

وتصدىٰ الباقر عليه السلام، لكلّ من كان يغالي فيه، وفي الأئمّة، ويعتبرهم أنبياء، أو

---

(١) المقالات والفرق ص: ٣٣.

(٢) المقالات والفرق ص: ٣٣.

(٣) المصدر السّابق: ٣٨، بحار الأنوار: ٢٧١/٢٥.

آلهة ، فقال مخاطباً جمعاً من أصحابه : «مالكم ... ترون أنّي نبي الله ... لا والله ما أنا كذلك ، ولكن لي قرابة من رسول الله ، وولادة ، فمن وصلها وصله الله ، ومن أحبها أحبه الله ، ومن حرمها حرمه الله»[١].

وتبرأ الإمامعليه‌السلام ، من أبي الخطاب ، حينما وقف علىٰ غلوّه[٢].

وعندما أظهر المغيرة بن سعيد ، بدعته ، وجد نفسه في حاجة إلىٰ شخصيّة من آل البيت ، يحمي بها نفسه ، فجاء إلىٰ الإمام الباقرعليه‌السلام ، وقال له : «أقرر أنّك تعلم الغيب أجبِ لك العراق ، لكن الإمامعليه‌السلام ، نهره وطرده»[٣].

وعن كثير النّواء قال : سمعت أبا جعفر الباقرعليه‌السلام ، يقول : «برىء الله ، ورسوله ، من المغيرة بن سعيد ، وبيان بن سمعان ، فإنهما كذبا علينا أهل البيت»[٤].

وعن محمّد بن سالم ، وأحمد بن أبي عبد الله ، عن أبيه جميعاً ، عن أحمد بن النّضر ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن أبي جعفرعليه‌السلام ، قال : قال لي : «يا جابر ! أيكتفي من ينتحل التّشيع ، أنْ يقول بحبّنا أهل البيت ... فوالله ما شيعتنا إلّا من اتّقىٰ الله ، وأطاعة ، وما كانوا يُعرفون ـ يا جابر ! ـ إلّا بالتواضع ، والتّخشع ، والأمانة ، وكثرة ذكرالله ، والصّوم ، والصّلاة ، والبر بالوالدّين ، والتّعاهد للجيران من الفقراء ، وأهل المسكنة ، والغارمين ، والأيتام ، وصدق الحديث ، وتلاوة القرآن ، وكف الألسن عن النّاس ، إلّا من خير ، وكانوا أُمناء عشائرهم ، في الأشياء» قال جابر : «فقلت : يا ابن رسول الله ! ما نعرف اليوم أحداً بهذه الصّفة ! فقال : يا جابر ! لا

---

(١) المحاسن للبرقي ص : ٩١.

(٢) أُنظر ، الملل والنّحل : ٣ / ١٥.

(٣) معرفة أخبار الرّجال : ٣ / ١٤٦.

(٤) لسان الميزان : ٦ / ٧٦ ، الغدير : ٢ / ٢١١.

تذهبن بك المذاهب... حسب الرّجل أنْ يقول: أُحبُّ عليّاً وأتولاه: ثمّ لا يكون مع ذلك فعّالاً! فلو قال: إنّي أُحبّ رسول الله، فرسول الله صلى الله عليه وآله، خيرٌ من عليّ عليه السلام... ثمّ لا يتبع سيرته.. ولا يعمل بسنَّته... مانفعه حبّه أيّاه شيئاً؛ فاتقوا الله، واعملوا لما عند الله؛ ليس بين الله وبين أحد من قرابة؛ أحبُّ العباد إلىٰ الله عزّ وجلّ، وأكرمهم عليه، أتقاهم، وأعلمهم بطاعته، يا جابر! والله، مايتقرب إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ، إلّا بالطاعة، وما معنا براءة من النّار، ولا علىٰ الله لأحد من حجّة، من كان لله مطيعاً، فهو لنا وليّ، ومن كان لله عاصيّاً، فهو لنا عدوٌ؛ وما تنال ولايتنا، إلّا بالعمل والورع»[1].

أُنظر، أيّها القارىء الكريم... فهل يوجد أصرح من هذا القول... حيث يقول عليه السلام: ليس بين الله وبين الشّيعة قرابة، حتّىٰ يسامحكم، ولا يسامح الغالين، والمخالفين، مع كونهم مشتركين معهم في مخالفته تعالىٰ، أوْليس بينه وبين عليٌّ قرابة، حتّىٰ يسامح شيعته، ولا يسامح شيعة رسول الله صلى الله عليه وآله. والحاصل أنّ جهة القرب بين العبد وبين الله، إنّما هي بالطاعة، والتّقوىٰ، ولذا صار أئمتكم أحبّ الخلق إلىٰ الله، فلو لم تكن هذه الجهة فيكم، لم ينفعكم شيء.

وعن أبان بن عمرو بن خالد عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يامعشر الشّيعة! ـ شيعة آل محمّد ـ كونوا النّمرقة الوسطىٰ، يرجع إليكم الغالي، ويلحق بكم التّالي، فقال له رجل من الأنصار (يقال له سعد) جعلت فداك ما الغالي؟ قال: قوم يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، فليس أُولئك منا، ولسنا منهم، قال: فما التّالي؟ قال: المرتاد يريد الخير، يبلغه الخير يؤجر عليه، ثمّ أقبل علينا فقال: والله ما معنا من الله براءة، ولا بيننا، وبين الله قرابة، ولا لنا علىٰ الله حجّة، ولا نتقرب إلىٰ الله، فمن كان منكم

(١) بحار الأنوار: ٢٥/ ٢٦٦ و: ٦٣/ ٩٧، الكافي: ٢/ ٧٤، وسائل الشّيعة: ١١/ ١٨٤.

مـطيعاً لله تـنفعه ولايـتنا، ومـن كـان مـنكم عـاصياً لله، لم تـنفعه ولايـتنا، ويحكم لا تغتروا، ويحكم لا تغتروا!»[١].

يقصد الإمام عليه السلام، بهذا القول... ليس معنا صك، وحكم بـبراءتـنا، وبـراءة شيعتنا من النّار، بعمل الفجار، ولا علىٰ الله لأحد من حجّة، إذ ليس لأحد علىٰ الله حجّة إذا لم يغفر له، بإنْ يقول كنت من شيعة عليّ عليه السلام... فَلِمَ لم تغفرلي..؛ لأنّ الله تعالىٰ لم يحتم بغفران، من ادّعىٰ التّشيع بلا عمل، أو ليس لنا علىٰ الله حجّة، في إنقاذ من ادّعىٰ التّشيّع من العذاب.

ووجه عليه السلام، نصيحة إلىٰ شيعته فقال لهم: «يامعشر الشّيعة !(شيعة آل محـمّد) كونوا النّمرقة (أيّ الوسادة) الوسطىٰ يرجع إليكم الغالي، ويلحق بكم التّالي، وفسر الغالي بأنّه من يقول فيه ما لا يقول في نفسه، والتّالي بأنّه المرتاد يريد الخير يؤجر عليه»[٢].

---

(١) الأُصول من الكـافي: ٣٩١/٢، نهـج البـلاغة: ٢٦/٤، الوسـائل: ٥٨/١ و: ١٨٥/١١، مسـتدرك الوسائل: ٢٥٧/١١، شرح الأخبار للقاضي النّعمان المغربيّ: ٥٠٢/٣، تحـف العـقول لابـن شـعبة الحراني ص: ١١٦، خصائص الأئمة للشريف الرّضيّ ص: ٩٨، إعلام الورىٰ للطبرسيّ ص: ١، مشكاة الأنوار ص: ٦٠، مجمع البحرين: ٣٢٧/٣.

(٢) أُصول الكافي ص: ٣٦، الصّلة بين التّصوف والتّشيع الدّكتور الشّيبيّ ص: ١٦٣.

الإمام الصّادقعليه السلام وموقفه من الغُلاة بشكل عام

لا غرو في أنْ يتصدىٰ الإمام الصّادقعليه السلام لتلك الرّوايات المغاليّة المنسوبة لأهل البيت ويتبرأ منها، ويهاجم الكذابين، والمغالين، الّذين شوهوا صورة أهل البيت؛ وحذر منهم، ومن مخالطتهم، ولعنهم لعناً شديداً، بعد أنْ بلغ الغلوّ أشده وانتشر أمره في عصره عليه السلام، ولذلك فإنّه حارب الغُلاة بشتىٰ الوسائل فكان يعلن تبرؤه منهم، ومن غلوّهم، ويحذر من أقوالهم عنه ويظهر زيف ما يدعونه عليه بعد أنْ وجد كثيراً من الغُلاة ينتسبون إليه ويتقولون عليه. ولذا نراه يقول: «إنا أهل بيت صادقون، لا نخلو من كذاب يكذب علينا، ويسقط صدقنا بكذبه علينا عند النّاس، كان رسول الله صلى الله عليه وآله أصدق البريّة لهجة، وكان مسيلمة يكذب عليه؛ وكان أمير المؤمنين أصدق من برأ الله، من بعد رسول الله، وكان الّذي يكذب عليه؛ ويعمل في تكذيب صدقه بما يفتري عليه من الكذب، عبدالله بن سبأ لعنه الله؛ وكان أبو عبد الله الحسين قد ابتلي بالمختار»[1].

ثمّ ذكر أبو عبد الله عليه السلام، الحرث الشّامي، وبنان فقال: «كانا يكذبان علىٰ عليّ

---

(١) فرائد الأُصول للشيخ الأنصاري: ١/١٤٣.

ابن الحسين»[١]، ثمّ ذكر المغيرة بن سعيد، وبزيعاً، والسّري، وأبا الخطاب، ومعمّراً، وبشار الشّعيري، وحمزة البربري، وصائد النّهدي، فقال: «لعنهم الله... فإنا لا نخلو من كذاب يكذب علينا، أو عاجز الرّأيّ، كفانا الله مؤنة كلّ كذاب، وأذاقهم حرّ الحديد»[٢].

وكان الإمام الصّادق عليه السلام، يرىٰ العدو أخف وطأة عليهم، ممن ينتحل مودتهم فقال عليه السلام: «لقد أمسينا، وما أحد أعدىٰ لنا ممن ينتحل مودتنا»[٣].

وقال عليه السلام: «إنّ ممن ينتحل هذا الأمر، ليكذب حتّىٰ أنّ الشّيطان ليحتاج إلىٰ كذبه»[٤].

وقال عليه السلام، محذراً المفضّل بن عمر، من الغُلاة، وفساد عقيدتهم بقوله عليه السلام: «إيّاك والسّفلة! إنّما شيعة جعفر من عفّ بطنه وفرجه، واشتد جهاده، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه، وخاف عقابه»[٥].

وقال له في رسالة أُخرىٰ: «إنّ قوماً سمعوا صنعتنا هذه، فلم يقولوا بها، بل حرفوها، ووصفوها علىٰ غير حدودها، علىٰ نحو ماقد بلغك، واحذر من الله ورسوله، ومن يتعصبون بنا. أعمالهم الخبيثة، وقد رمانا النّاس بها، والله يحكم بيننا وبينهم، فإنّه يقول: ﴿ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا

---

(١) بحار الأنوار: ٢١٧/٢ و: ٢٦٣/٢٥، معجم رجال الحديث للسيد الخوئيّ: ٢٩٢/٣.

(٢) رجال الكشيّ ص: ١٩٦، بحار الأنوار: ٢١٨/٢ و: ٢٦٣/٢٥ و: ٣٥٥/١٠٢.

(٣) إختيار معرفة الرّجال للشيخ الطّوسيّ: ٢/ ٥٩٦، معجم رجال الحديث: ٢٦٧/١٥.

(٤) روضة الكافي للشيخ الكليني ص: ٢١٢.

(٥) بصائر الدّرجات ص: ٥٣٦، مشكاة الأنوار للشيخ الطّبرسيّ ص: ٦٣، إختيار معرفة الرّجال: ٥٩٤/٢.

وَٱلْأَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١].

ولمّا انتشرت مقالات الغُلاة في البداء، ردّ عليهم الإمام الصّادق عليه السلام، رداً قويّاً فقال عليه السلام: «إنّ الله لم يبد له من جهل»[٢]، وأضاف محذراً من خطورة الموقف حيث قال: «إنّ من زعم أنّ الله بدا له في شيء، لم يعلّمه أمس فأبرأ منه»[٣]. وأضاف الإمام عليه السلام: «من زعم أنّ الله بدا له عن شيء، بداء ندامة فهو عندنا كافر»[٤].

وقد أدرك عليه السلام: أنّ الغُلاة يعتمدون في القول علىٰ البداء، في تأويل الآية الكريمة: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[٥] فرد عليهم قائلاً: «وهل يمحو إلّا ماكان مثبتاً! وهل يثبت إلّا ما لم يكن»[٦].

وردّ الإمام الصّادق عليه السلام، علىٰ المانوية أيضاً: «أفلا ترىٰ كيف جعل في الإنسان الحفظ، والنّسيان... وهما مختلفان متضادان... وجعل في كلّ منهما، ضرباً من المصلحة، فما عسىٰ أنْ يقول الّذين قسموا الأشياء بين خالقين متضادين، في هذه الأشياء المتضادة المتباينة... وقد تراها تجمع علىٰ ما فيه الصّلاح، والمنفعة»[٧].

---

(١) أُنظر، بصائر الدّرجات ص: ٥٣٦، بحار الأنوار: ٢٩٧/٢٤، مختصر بصائر الدّرجات ص: ٨٨. الآية (٢٣) من سورة النّور.

(٢) أُصول الكافيّ: ١٤٨/١ و: ٣/ ٢١١.

(٣) المصدر السّابق.

(٤) المصدر السّابق، إعتقادات الشّيخ الصّدوق ص: ٢٠.

(٥) الرّعد: ٣٩.

(٦) أُنظر، المصدر السّابق: ٣/ ٢١٤.

(٧) توحيد المفضل ص: ٢٥.

الإمام الصّادق عليه السلام وموقفه من المغيريّة

وقف الإمام عليه السلام ، في مواجهة أباطيل المغيرة بن سعيد البجليّ، الكوفيّ، والّذي أخذ يفسّر القرآن علىٰ طريقته الخاصّة، بعيداً عن النّهج النّبويّ، ولذا قال الصّادق عليه السلام ، بحقه: «كان المغيرة بن سعيد، يتعمد الكذب علىٰ أبي، ويأخذ كتب أصحابه، وكان أصحابه المستترون بأصحاب أبي، يأخذون الكتب من أصحاب أبي، فيدفعونها إلىٰ المغيرة، وكان يدس فيها الكفر، والزّندقة، ويسندها إلىٰ أبي، ثمّ يدفعها إلىٰ أصحابه، فيأمرهم أنْ يبثوها في الشّيعة، فكان كلّ ما في كتب أصحاب أبي من الغلوّ، فذاك مما دسّهُ المغيرة بن سعيد، في كتبهم»[1].

وكان المغيرة مَنْ أظهر الغلوّ في الإمام الباقر عليه السلام ، بعد أنْ يئس من الإمام الباقر عليه السلام ، فإنّه لم ييأس من ابنه الصّادق عليه السلام ، فجاء إليه فقال له مثل ما قال لأبيه عليه السلام ، ولكن الإمام الصّادق عليه السلام ، خيب آماله، وقال له: «أعوذ بالله، وطرده

---

(١) رجال الكشيّ، ترجمة أبي الخطاب، ص: ١٩٥، بحار الأنوار: ٢/٢٥٠ و: ٤٢/٣٣٣ و٢٠٢/٦٠، إختيار معرفة الرّجال للشيخ الطّوسيّ: ٤٩١/٢، الحدائق النّاضرة: ١١/٢، معجم رجال الحديث: ٣٠٠/١٩، علم الرّجال للشيخ السّبحاني ص: ٤١٦.

أيضاً»[١].

ومهما يكن من حديث هذا الرّجل (المغيرة) فإنا نود أنْ نكشف واقعة علىٰ ضوء أقوال أهل البيت فيه، وفي أقرّانه، الّذين تنكروا للإسلام والمسلمين، وتآمروا عليهما، بقصد الوقيعة فيهما.

قال محمّد بن عيسىٰ بن عبيد: إنّ بعض أصحابنا، سأل يونس بن عبد الرّحمن[٢] وأنا حاضر: وقال له يا أبا محمّد ما أشدك في الحديث! وأشد أنكارك لمّا يرويه أصحابنا! فما الّذي يحملك علىٰ رد الأحاديث؟

فقال يونس: حدثني هشام بن الحكم، أنّه سمع أبا عبد الله الصّادق عليه السلام، يقول: لا تقبلوا علينا حديثاً، إلّا ما وافق القرآن، والسُّنَّة، وتجدون معه شاهداً، من أحاديثنا المتقدمة، فإنّ المغيرة بن سعيد، دسّ في كتب أصحاب أبي، أحاديث لم يحدّث بها، فاتقوا الله، ولا تقبلوا علينا ماخالف قول ربّنا، وسنَّة نبيّنا صلى الله عليه وآله[٣].

وعن عبد الرّحمن بن كثير قال: قال أبو عبدالله عليه السلام يوماً لاصحابه: «لعن الله المغيرة بن سعيد ولعن الله اليهودية كان يختلف إليها، ويتعلم منها السّحر، والشّعبدة، والمخاريق، إنّ المغيرة كذب علىٰ أبي فسلبه الله الايمان، وإنّ قوماً كذبوا عليَّ ماهم؟! أذاقهم الله حرّ الحديد فوالله ما نحن إلّا عبيد خلقنا واصطفانا

---

(١) معرفة إختيار الرّجال: ٣/ ١٤٦.

(٢) يونس بن عبد الرّحمن، أبو محمّد توفي بالمدينة (٢٢٨ هـ) مولىٰ عليّ بن يقطين (ت ٢٠٨ هـ) كان من تلامذة الإمام موسىٰ بن جعفر، وعليّ بن موسىٰ الرّضا عليهما السلام، وكان الإمام الرّضا عليه السلام، يشير إليه في العلم، والفتيا، حتىٰ عُد من خاصته ووكلائه. كان عميق التّفكير متبحراً في مختلف العلوم، ومن أعلام الشّيعة المعروفين بالاستقامة، وسلامة العقيدة، ودافع عنها هجمات الملاحدة، وافتراءات المعتزلة، والمحدثين من أهل السُّنَّة، ولذا اتهموه بالتجسيم، هو، وهشام بن الحكم رضي الله عنهما.

(٣) بحار الأنوار: ١٠٣/٨٠ و: ٢٦٤/٩٢، فرائد الأُصول: ١١١/١، معجم رجال الحديث: ٣٠٠/١٩.

ما نقدر علىٰ ضرّ، ولا نفع، إنْ رحمنا فبرحمته، وإنْ عذبنا فبذنوبنا، والله مابنا علىٰ الله من حجّة، ولا معنا من الله من براءة، وإنا لميّتون، ومقبورون، ومنشورون، ومبعوثون، وموقفون، ومسؤولون، ماهم لعنهم الله، فلقد آذوا الله، وآذوا رسول الله في قبره، وأمير المؤمنين، وفاطمة، والحسن، والحسين، وها أنا ذا بين أظهركم، أبيت علىٰ فراشي خائفاً، يأمنون، وأفزع، وينامون علىٰ فراشهم، وأنا خائف، ساهر وجلٌ، أبرأ إلىٰ الله مما قال فيّ الأجدع، وعبد بني أسد، أبو الخطاب لعنه الله، والله لو ابتلوا بنا وأمرناهم بذلك، لكان الواجب أنْ لا يتقبلوه، فكيف وهم يروني خائفاً وجلاً، استعدي الله عليهم. وأبرأ إلىٰ الله منهم، إنّي امرؤ ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله، وما معي براءة من الله، إنْ أطعته رحمني، وإنْ عصيته عذّبني عذاباً شديداً»[١].

وقال الإمام الصّادق عليه السلام مخاطباً أصحابه: «احذوروا علىٰ شبابكم الغُلاة لايفسدوهم، فإنّ الغُلاة شرّ خلق الله، يصغّرون عظمة الله، ويدّعون الرّبوبيّة لعباد الله، والله إنّ الغُلاة أشر من اليهود، والنّصارىٰ، والمجوس، والّذين أشركوا».

ثمّ قال عليه السلام: «إلينا يرجع الغالي فلا نقبله، وبنا يلحق المقصر فنقبله» فقيل له: كيف ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: «الغالي قد اعتاد ترك الصّلاة، والزّكاة، والصّيام، والحجّ، فلا يقدر علىٰ ترك عادته، وعلىٰ الرّجوع إلىٰ طاعة الله أبداً، والمقصر إذا عرف عمل، وأطاع»[٢].

---

(١) أُنظر، إثبات الهداة للحرّ العاملي ص: ٧٧٠.

(٢) أمالي الشّيخ الطّوسيّ ص: ٥٤، بحارالأنوار: ٢٥/ ٢٦٦، و: ٧٢/٢٢٥، علم الرّجال للسبحاني: ٩٦.

موقف الإمام الصّادق عليه السلام من الخطّابيّة

إنّ أبرز فرقة ظهرت في عهد الإمام الصّادق عليه السلام، هي الفرقة الخطّابيّة، والّتي يتزعمها محمّد بن مقلاص الأسديّ، المكنىٰ بأبي الخطاب. وقد تصدّىٰ الإمام الصّادق عليه السلام، لمحاربة هذا الغالي، وأصحابه، الّذين قالوا بألُوهيته.

قال عيسىٰ بن أبي منصور: سمعت أبا عبد الله عليه السلام، يقول عندما ذُكر أبو الخطاب: «اللّهمّ العن أبا الخطاب فإنّه خوّفني قائماً، وقاعداً، وعلىٰ فراشي... اللّهمّ أذقه حر الحديد»[1].

ولا ريب، ولا شك، إنّ الخوف الّذي استولىٰ علىٰ الإمام الصّادق عليه السلام، من الله؛ لأنّ أبا الخطاب ادّعىٰ له الإلوهيّة، فأخافه من الله تعالىٰ.

وعن عنبة بن مصعب قال: قال لي أبو عبد الله: «أيّ شيء سمعت من أبي الخطاب؟ قلت: سمعته يقول: إنّك وضعت يدك علىٰ صدره، وقلت له: «عه، ولا تنس، وأنت تعلم الغيب». وانّك قلت: «هو عيبة علمنا، وموضع سرنا، أمين علىٰ أحيائنا، وأمواتنا». فقال الإمام الصّادق عليه السلام: «لا والله مامس شيء من جسدي

---

(١) رجال الكشيّ: ١٨٨، ١٩١، بحار الأنوار: ٢٥/ ٢٦٦.

جسده؛ وأمّا قوله إنّي قلت إنّي أعلم الغيب، فوالله الّذي لا إله إلّا هو، ما أعلم الغيب؛ ولا آجرني الله في أمواتي، ولا بارك لي في أحيائي إنْ كنت قلت له؛ وأمّا قوله إنّي قلت: هو عيبة علمنا، وموضع سرنا، وأمين أحيائنا وأمواتنا، فلا آجرني الله في أمواتي ولا بارك لي في أحيائي، إنْ كنت قلت له من هذا شيئاً[١].

وقال، قدامةُ جويرية سوداء تدرج: «لقد كان مني إلىٰ أُمّ هذه لحظة القلم فأتتني هذه، فلو كنت أعلم الغيب ما كانت تأتيني، ولقد قاسمت مع عبدالله بن الحسن، حايطاً بيني وبينه، فأصابه السّهل والشّرب، واصابني الجبل؛ وأمّا قوله إنّي قلت له: «هو عيبة علمنا، وموضع سرنا، أمين علىٰ أحيائنا وأمواتنا، فلا آجرني الله في أمواتي، ولا بارك في أحيائي إنْ كنت قلت له شيئاً من هذا قط»[٢].

وعن بشير الدّهان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كتب أبو عبد الله عليه السلام إلىٰ أبي الخطّاب: (بلغني أنّك تزعم أنّ الزّنا رجل، وأنّ الخمر رجل، وأنّ الصّلاة رجل، والصّيام رجل، والفواحش رجل، وليس هو كما تقول، إنّا أصل الحقّ، وفروع الحقّ طاعة الله، وعدوّنا أصل الشّر وفروعهم الفواحش، وكيف يطاع من لايعرف!... وكيف يعرف من لا يطاع!)[٣]

وقد لعن الإمام الصّادق عليه السلام، أبا الخطاب فتأول أبو الخطاب، اللّعن وقال: إنّ الإمام يقصد قتادة بن دعامة البصريّ، الّذي يكنىٰ بأبي الخطاب، فقال: الإمام ـ «والله ما عنيت إلّا محمّد بن مقلاص، بن أبي زينب الأجدع، البراد، عبد بني

---

(١) المصدر السّابق، معجم رجال الحديث: ٢٥٧/١٥، إختيار معرفة الرّجال: ٢/٥٨٠.

(٢) أُنظر، رجال الكشيّ ص: ١٩١.

(٣) المصدر السّابق، ومعجم رجال الحديث للسيّد الخوئيّ: ١٤/ ١٤٤، مختصر بصائر الدّرجات لحسن بن سليمان الحليّ ص: ٧٨.

أسد[١] فلعنه الله، ولعن أصحابه، ولعن الشّاكين فيه، ولعن من قال: إنّي أضمر وأبطن غيرهم»[٢].

وعندما بلغه مقولة الخطّابيّة بالتلبية لهعليه السلام، خر ساجداً، ودق جؤجؤه بالأرض، وبكىٰ، وأقبل يلوذ باصبعه ويقول: «بل عبد الله قن داخر» مراراً كثيرة، ثمّ رفع رأسه، ودموعه تسيل علىٰ لحيته، فقال له الرّاوي: جعلت فداك، وما عليك أنت من ذا؟ فقال له: «يا مصادف إنّ عيسىٰ لو سكت عما قالت النّصارىٰ فيه، لكان حقاً علىٰ الله أنْ يصم مسمعه، ويعمي بصره، ولو سكتُّ عما قال فيَّ، أبو الخطاب لكان حقاً علىٰ الله أنْ يصم سمعي، ويعمي بصري»[٣].

وخرج الإمام الصّادقعليه السلام، ذات يوم إلىٰ أصحابه، وهو مغضب فقال: «إنّي خرجت آنفاً في حاجة، فتعرض لي بعض سودان المدينة، فهتف بي: «لبيك يا جعفر بن محمّد لبيك»[٤]. فرجعت عودي علىٰ بدئي إلىٰ منزلي، خائفاً، ذعراً، مما قال. حتّىٰ سجدت في مسجدي لربّي، وعفرت وجهي، وذللت له نفسي، وبرئت إليه، مما هتف بي، ولو أنّ عيسىٰ بن مريم، عدا ما قال الله فيه، إذاً لصم صماً لا يسمع بعده أبداً، وعمي عمىً لا يبصر بعده أبداً، وخرس خرساً لا يتكلم بعده أبداً، ثمّ قال: لعن الله أبا الخطاب، وقتله بالحديد»[٥].

---

(١) وقيل عنه هو محمّد الكوفيّ الأسديّ، كان مغالياً ملعوناً، وقال أنّهم آلهة. راجع الكافي ١: ٢٧، الكنىٰ والألقاب ١: ٦٤، تأريخ ابن الأثير، منتهىٰ المقال.

(٢) المقالات والفرق ص: ٥٥.

(٣) المقالات والفرق ص: ٥٥، إختيار معرفة الرّجال: ٥٨٨/٢، من لا يحضره الفقيه: ٢٢٠/١، تحف العقول ص: ٣١١، معجم رجال الحديث السّيد الخوئيّ: ١٤/ ٢٤٩.

(٤) الكافي: ٢٢٦/٨.

(٥) روضة الكافي للشيخ الكليني ص: ١٨٩، تفسير نور الثّقلين: ٤٠٨/٣.

ويحدثنا المفضّل بن عمر، كيف آثار الفزع في قلب الإمام الصّادقعليه السلام، عند ما جاءته مجموعة من الغُلاة إلىٰ بابهعليه السلام، ويقول المفضّل فشككنا في الرّبوبيّة، فخرج إلينا أبو عبد الله عليه السلام، بلا حذاء... ولا رداء... وهو ينتفض، وهو يقول: «لا يامفضل... لا ياخالد... لا ياسليمان... لا يانجم، بل عبيد مكرمون، لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون»[١].

وقال الإمام الصّادقعليه السلام، لأصحابه: «اتقوا الله، وعظموا الله، وعظموا رسولصلى الله عليه وآله، ولا تفضلوا علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله، أحداً فإنّ الله تبارك وتعالىٰ قد فضله، وأحبوا أهل بيت نبيّكم حبّاً مقتصداً، ولا تغلوا، ولا تفرقوا، ولا تقولوا، مالا نقول، فانّكم إنْ قلتم وقلنا، متّم ومتنا، ثمّ بعثكم الله وبعثنا، فكنا حيث يشاء الله وكنتم»[٢].

وذكر عند الإمامعليه السلام، ذات مرّة، جعفر بن واقد، ونفر من أصحاب أبي الخطاب، وقولهم في تأويل الآية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ﴾[٣] أنّه الإمام. فقالعليه السلام: «لا والله، لا يأويني وإيّاه سقف بيت أبداً... هم شر من اليهود والنّصارىٰ، والمجوس، والّذين أشركوا... والله ما صغر عظمة الله، تصغيرهم شيء قط، ولو أنّ عيسىٰ أقر بما قالت فيه النّصارىٰ، لأورثه الله صمماً إلىٰ يوم القيامة، والله لو أقررت بما يقول فيّ أهل الكوفة، لأخذتني الأرض، وَما أنا إلّا عبد مملوك، لا أقدر علىٰ شيء ضر، ولا نفع»[٤].

وقد أمر الإمام الصّادقعليه السلام، شيعته بمقاطعة الخطّابيّة، حيث قال للمفضل بن

---

(١) إثبات الهداة ص: ٧٦٦.

(٢) قرب الإسناد ص: ٦١.

(٣) الزّخرف: ٨٤.

(٤) أنظر، رجال الكشيّ ص: ١٩٢، إختيار معرفة الرّجال: ٢/٥٩٠.

عمر: «اتق السّفلة! واحذر السّفلة! فإنّي نهيت أبا الخطاب، فلم يقبل منّي... يامفضل لا تقاعدوهم، ولا تؤاكلوهم، ولا تشاربوهم، ولا تصافحوهم ولا توارثوهم»[١].

وعندما بلغه مقتل أبي الخطاب، تنفس الصُّعداء وقال: «لعن الله أبا الخطاب ولعن من قتل معه، ولعن من بقي منهم، ولعن الله من دخل قلبه، رحمة لهم». ثمّ قال: «علىٰ أبي الخطاب لعنة الله، والملائكة، والنّاس أجمعين... وأشهد بالله إنّه كافر فاسق مشرك، وإنّه يحشر مع فرعون، في أشد العذاب غدواً، وعشيّاً». ثمّ قال: «كان أبو الخطاب أحمق، وكنت أحدثه، وكان لايحفظ، وكان يزيد من عنده»[٢].

وقال الإمام الصّادق عليه السلام، ذات مرة وهو يفسّر قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[٣] فقال عليه السلام، هم سبعة: (المغيرة، وبيان أو بنان، وصائد، وحمزة بن عمّارة البربري، والحارث الشّامي، وعبد الله ابن الحارث، وأبو الخطاب)[٤].

وعن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّهم يقولون. قال: وما يقولون؟ قلت: يقولون: يعلم قطر المطر، وعدد النّجوم، وورق الشّجر، ووزن ما في البحر، وعدد التّراب فرفع رأسه ويده إلىٰ السّماء وقال: «سبحان الله، سبحان الله، لا والله

(١) المصدر السّابق، بحار الأنوار: ٢٥/ ٢٧٣، معجم رجال الحديث: ١٥/ ٢٦١.

(٢) المصدر السّابق ص: ١٩٠.

(٣) الشّعراء: ٢٢.

(٤) الخصال: ٦/ ٣٦، طرائف المقال للسيد عليّ البروجردي ص: ٥٠٩، بحار الأنوار: ٢٥/ ٢٧٠، إختيار معرفة الرّجال: ٢/ ٥٧٧، معجم رجال الحديث: ١٥/ ٢٥٧، تفسير نور الثّقلين: ٤/ ٧٠.

مايعلم هذا إلّا الله»[١].

وعن أبي بصير قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا محمّد! أبرأ ممّن يزعم أنّا أرباب، ما قلت برىء الله منه، فقال: أبرأ ممن يزعم، أنّا أنبياء»، قلت: برىء الله منهُ[٢].

وقال الإمام الصّادق لأصحابه ذات مرة: «ما نحن إلّا عبيد للّذي خلقنا واصطفانا، والله مالنا علىٰ الله من حجّة، ولا معنا من الله براءة، وإنا لميّتون وموقوفون، ومسؤولون من أحب الغُلاة فقد أبغضنا، ومن أبغضهم فقد أحبنا، والغُلاة كفار، والمفوضة مشركون، لعن الله الغُلاة، ألا كانوا نصارىٰ، ألا كانوا قدرية، ألا كانوا مرجئة، ألا كانوا حروريّة»[٣].

---

(١) البحار: ٢٥/ ٢٧٩، بصائر الدّرجات ص: ٦٤.

(٢) المصدر السّابق.

(٣) المصدر السّابق: ٢٥/ ٢٦٦.

الإمام الصّادق عليه السلام في مواجهة الشّعيريّ، وأصحابه

جماعة من الغُلاة تفرعت من المخمسة، يقودها بشار الشّعيري في الكوفة زعم أنّ عليّاً عليه السلام، هو ربّ، وقد ظهر بالعلويّة الهاشميّة، وأظهر وليّه من عنده ورسوله بالمحمّديّة... ووافق أصحاب أبي الخطاب، في أربعة أشخاص: عليّ وفاطمة، والحسن، والحسين... وهو الّذي مسخ علىٰ صورة طير كما مرّ آنفاً...[1]
ولذا نرىٰ الإمام الصّادق عليه السلام، يتخذ موقفاً عنيفاً من بشار، وطرده من بيته قائلاً له: «اخرج عني لعنك الله... لا والله لايظلني وإيّاك سقف بيت أبداً...»[2].

وقال مرازم: «قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا مرازم مَنْ بشار؟» قلت الشّعيريّ، قال عليه السلام: «لعن الله بشاراً، يا مرازم قل لهم: ويلكم توبوا إلىٰ الله، فإنّكم كافرون مشركون».

وكان بشار جاراً لمرازم، فقال له الإمام الصّادق عليه السلام: «يامرازم! إنّ اليهود

---

(١) أُنظر، رجال الكشيّ ص: ١٩٢.

(٢) المصدر السّابق، إختيار معرفة الرّجال: ٧٠٢/٢، معجم رجال الحديث: ٣٠٥/٣ و: ٢١٨/٤ و: ٢٦٢/١٥.

قالوا ووحدوا الله، وإن النّصارىٰ قالوا ووحدوا الله، وإنّ بشاراً قال قولاً عظيماً، فإذا قدمت الكوفة فأته وقل له، يقول لك جعفر الإمام (أبو عبد الله) يا فاسق! يا كافر! يا مشرك! أنا بريء منك...»[1] قال مرازم: فلمّا قدمت الكوفة، فوضعت متاعي، وجئت إليه، ودعوت الجارية، وقلت قولي لأبي إسماعيل: هذا مرازم ـ وهو ابن أُخت بشار ـ فخرجَ إليّ؛ فقلت له: يقول لك جعفر بن محمّد: «يا كافر! يا فاسق! يا مشرك! أنا بريء منك»، فقال بشار: وقد ذكرني سيّدي، قال: قلت: نعم ذكرك بهذا الّذي قلت لك، فقال: جزاك الله خيراً، وجعل يدعو لي[2].

وقال إسحاق بن عمار: قال أبو عبد الله لبشار الشّعيريّ: «اخرج عنّي لعنك الله. لا والله لا يظلني وإيّاك سقف أبداً»، فلمّا خرج قال أبو عبد الله: «ويله! ألا قال بما قالت اليهود! ألا قال بما قالت النّصارىٰ! ألا قال بما قالت المجوس! أو بما قالت الصّابئة! والله ما صغرالله تصغير هذا الفاجر أحد، إنّه شيطان بن شيطان، خرج من البحر ليغوي أصحابي فاحذروه، وليبلغ الشّاهد الغائب، إنّي عبد الله بن عبد الله، ضمتني الأصلاب والأرحام، وإنّي لميّت ومبعوث، ثمّ مسؤول، والله لأسألن عما قال فيّ هذا الكذاب وادعاه، ماله غمه الله، فلقد أمن علىٰ فراشه، وأفزعني، وأقلقني عن رقادي... وتدرون أنّي لم أقلْ ذلك... لكي استقر في قبري»[3].

---

(١) المصدر السّابق، طرائف المقال: ٦٣٤/١، بحار الأنوار: ٣٠٤/٢٥، إختيار معرفة الرّجال: ٧٠١/٢، معجم رجال الحديث: ٢١٧/٤.

(٢) أُنظر، المصادر السّابقة، وبحار الأنوار: ٢٥/ ٢٦٥، الإمام الصّادق والمذاهب الأربعة: ١و: ٢/ ٢٣٥، فقه السّيد الگلبايگاني: ٢٠٠/١١.

(٣) رجال الكشيّ ص: ١٩١، بحار الأنوار: ٢٥/ ٢٦٧، بصائر الدّرجات: ٦٣، إثبات الهداة: ٧٨٦.

الإمام الصّادق عليه السلام في مواجهة المفوّضة

سبق وأنْ بيّنّا بأنّ هذه الفرقة أشرّ من المجوس، والنّصارىٰ، وبيّنّا أيضاً موقف علماء الإماميّة تبعاً لأئمّتهم عليهم السلام، من هذه الفرقة... وقولها بالتفويض... وإنكار موت الأئمّة عليهم السلام... وذكر المحدث الحرّ العامليّ خبراً عن زرارة قال: قلت للإمام الصّادق عليه السلام: إنّ رجلاً من ولد عبد الله بن سبأ يقول بالتفويض قال: «وما التّفويض»؟ قلت: يقولون: إنّ الله عزّ وجلّ خلق محمّداً وعليّاً، ثمّ فوض الأمر إليهما، فخلقا... ورزقا... وأحيا... وأماتا... فقال: «كذّب عدو الله، إذا رجعت إليه، فاقرأ عليه الآية: ﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَـٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّـٰرُ﴾[1] فانصرفت إلىٰ الرّجل فأخبرته بما قال الصّادق عليه السلام، فكأنّما ألقمته حجراً»[2].

وزعمت هذه الفرقة أنّ الحسين عليه السلام، لم يُقتل في كربلاء، بل وقع القتل علىٰ شبهه، وهو حنظلة بن سعد الشّامي، وأنّ الحسين رفع إلىٰ السّماء، كعيسىٰ بن مريم

---

(١) الرّعد: ١٦.

(٢) أُنظر، إثبات الهداة ص: ٧٥٥، نقلاً عن أمالي الصدوق.

فلمّا وصل خبر هؤلاء إلىٰ الإمام الصّادقعليه‌السلام ، ونسبتهم إلىٰ الشّيعة، وادعائهم محبّة أهل البيتعليهم‌السلام ، والقول بإمامتهم قال: «ما هؤلاء من شيعتي... وإنّي بريء منهم... لعن الله الغُلاة، والمفوضة، فإنّهم صغّروا عظمة الله، وكفروا به، وأشركوا، وضلّوا وأضلّوا، فراراً من إقامة الفرائض، وأداء الحقوق»[١].

وقالعليه‌السلام ، لمن قال له: إنّ فلاناً يقول: إنّكم تقدرون أرزاق العباد، قالعليه‌السلام ، «ما يقدّر أرزاقنا إلّا الله، وقد احتجت إلىٰ طعام لعيالي فضاق صدري، وأبلغت بي الفكرة في ذلك حتّىٰ أحرزت قوتهم فعندها طابت نفسي»[٢].

وعن إسماعيل بن عبد العزيز قال: قال أبوعبد الله عليه‌السلام : «يا إسماعيل! ضع لي في المتوضأ ماء»، قال: فقمت فوضعت له، قال: فدخل. قال: فقلت في نفسي أنا أقول فيه كذا وكذا، ويدخل المتوضأ يتوضأ! قال: فلم يلبث أنْ خرج فقال: «يا إسماعيل! لاترفع البناء فوق طاقته فينهدم، اجعلونا مخلوقين، وقولوا فينا ماشئتم فلن تبلغوا» فقال إسماعيل: وكنت أقول: إنّه وأقول، وأقول: أيّ يقول إسماعيل ـ والعياذ بالله ـ إنّه ربّ، ورازق، وخالق...»[٣].

---

(١) أُنظر، المصدر السّابق، بحارالأنوار: ٢٧٣/٢٥ و ٢٧١/٤٠، عيون الأخبار ص: ٣٢٥، علل الشّرائع: ١٢٥/١ باب ١٦٢، العوالم ـ الإمام الحسين ـ للشيخ عبد الله البحراني ص: ٥١٧.

(٢) أُنظر، إثبات الهداة ص: ٧٧٢، بحار الأنوار: ٣٠١/٢٥، رجال الكشيّ ص: ٢٠٧، إختيار معرفة الرّجال: ٦١٥/٢، معجم رجال الحديث: ٣٢٤/١٩.

(٣) أُنظر، بحار الأنوار: ٢٩٧/٢٥ و: ٦٨/٤٣، بصائر الدّرجات ص: ٦٥.

الإمام الصّادق عليه السلام في مواجهة الإباحيّة

جماعة ادعت أنّ الله سبحانه وتعالىٰ، حالّ في أجسام الأئمّة، وأنّه أوّل ما حلّ في محمّد بن الحنفيّة... واكتفت من الدّين بالولاء للأئمّة، وفسّرت العبادات بأنّها رموز؛ ولذا كتب الإمام الصّادق عليه السلام، إلىٰ المفضّل بن عمر، يحذره من هؤلاء قال في رسالته عليه السلام: «جاءني كتابك... وذكرت أنّ قوماً يزعمون: أنّ الدّين إنّما هو معرفة الرّجال، ثمّ بعد ذلك إذا عرفتهم، فاعمل ماشئت؛ ويزعمون: أنّ الصّلاة، والزّكاة، والصّوم، والحجّ رجل، وكلّ فريضة افترضها الله علىٰ عباده هو رجل، مَنْ عرفه فقد اكتفىٰ عن العمل؛ ويزعمون: أنّ الفواحش الّتي نهىٰ الله عنها هو رجل... وزعموا: أنّه إنّما حرّم الله نكاح نساء النّبيّ، وماسوىٰ ذلك مباح كلّه، أُخبرك: أنّ مَن كان يدين بهذه الصّفة الّتي كتبت تسألني عنها، فهو عندي مشرك بالله تعالىٰ، بيّن الشّرك لا شك فيه... وأمّا ماذكرت في آخر كتابك، أنّهم يزعمون: أنّ الله ربّ العالمين هو النّبيّ، وأنّك شبّهت قولهم بقول الّذين قالوا في عليّ ما قالوا... أُخبرك: أنّ الله تعالىٰ خلق الخلق لا شريك له، وأحبّ أنْ يعرفوه بأنبيائه. والنّبيّ هو الدّليل علىٰ الله، عبد

مربوب، مخلوق»[١].

وقال سدير، والدّحنان للإمام الصّادق عليه السلام: إنّ قوماً يزعمون: أنّكم آلهة يتلون علينا بذلك قرآناً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[٢] ثمّ قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾[٣].

قال عليه السلام، يا سدير: «سمعي... وبصري... وشعري... وبشري... ولحمي... ودمي...مِن هؤلاء براء... بريء الله منهم... ورسوله... ما هؤلاء علىٰ ديني، ودين آبائي... والله مايجمعني وأياهم يوم القيامة... إلّا وهو عليهم ساخط...»، قال: قلت: فما أنتم جعلت فداك؟ قال عليه السلام: «خزان علم الله، وتراجمة وحيّ الله»[٤].

وطلب الإمام الصّادق عليه السلام، ذات مرة من أصحابه وشيعته، الإلتزام الكامل بالعبادات، والفرائض، والأخلاق، وعدم الاتكال علىٰ حبّ أهل البيت، والولاء لهم، فقال عليه السلام: «نحن أصل كلّ خير، ومن فروعنا كلّ برّ، فمن البرّ التّوحيد، والصّلاة والصّيام، وكظم الغيظ، والعفو عن المسيء، ورحمة الفقير، وتعهد الجار والإقرار بالفضل لأهله... وعدونا أصل كلّ شيء، ومن فروعهم كلّ قبيح، وفاحشة، فمنهم الكذب، والبخل، والنّميمة، والقطيعة، وأكلّ الرّبا، وأكلّ مال اليتيم، بغير حقّه وتعدي الحدود، الّتي أمر الله، وركوب الفواحش ما ظهر منها ومابطن، والزّنا والسّرقة، وكلّ ما وافق ذلك من القبيح، فكذب من زعم أنّه معنا،

(١) إثبات الهداة ص: ٧٦٠، بحار الأنوار: ٢٩٦/٢٤.

(٢) المؤمنون: ٥١.

(٣) الزّخرف: ٨٤.

(٤) معرفة الرّجال: ٣٠٦، الكافي: ٢٦٩/١.

وهو متعلق بفروع غيرنا...»[١].

فهذا موقف الإمام الصّادق عليه السلام، من هذه الحركات الّتي عاصرها، حركات الغلوّ، والّتي بلغت أشدها، وأوج عظمتها، وانتشار أمرها، ولذلك فإنّه حارب الغُلاة، بشتىٰ الطّرق والوسائل، فكان يعلن تبرّأه منهم، ومن غلوّهم، ويحذّر من أقوالهم عنه، ويظهر زيف ما يدعونه عليه، ولا غرو في ذلك فقد وجدنا كثيراً من الغُلاة ينتسبون إليه ويتقولون عليه؛ ولذا قال الشّهرستانيّ عنه عليه السلام، بعد أنْ لمز الشّيعة، وتقوّل عليهم بعض الأقاويل: «قد تبرأ مما كان ينسب إليه بعض الغُلاة وبرىء منهم ولعنهم، وبرىء من خصائص الرّافضة، وحماقاتهم من القول بالغيبة والرّجعة... والسّيد برىء من ذلك»[٢].

وقد أخذ الإمام الصّادق عليه السلام، ينفي وجود أية صلة لأبيه بالمغيرة بن سعيد، كما نفىٰ صلته بأبي الخطاب، وذات مرة قال الصّادق عليه السلام، لأصحابه: «لعن الله المغيرة ابن سعيد، ولعن يهودية كان يختلف إليها يتعلّم منها السّحر...»[٣].

وقال عليه السلام، ذات مرة: «أبرأ ممن يزعم، أنّا أرباب، وأبرأ ممن يزعم، أنّا أنبياء»[٤].

وقد تبرأ من أبي منصور، ومن بيان، وكان يحذّر منهما، ومن غيرهما من

---

(١) روضة الكافي للشيخ الكليني: ٢٠٣، تهذيب المقال: ١٦٠/٣، بحار الأنوار: ٢٨٦/٢٤.

(٢) الملل والنّحل: ١٦٦/١.

(٣) سبق وإنْ أشرنا إلىٰ مصدر الحديث، والتّعليق عليه، وراجع منهاج المقال للاستر آبادي ص: ٣٤، الشّيعة والتّأريخ للشيخ محمّد حسين الزّين ص: ٢٢١، أخبار الرّجال للكشيّ ص: ١٩٦، تأريخ الإماميّة الدّكتور عبد الله الفياض ص: ١٢٤.

(٤) الشّيعة في التّأريخ ص: ٣٢٣.

زعماء الغلوّ[١]. ولذا قال الكشيّ: «كان الإمام عليه السلام رجلاً صالحاً، مسلماً، ورعاً، تقياً، فاكتنفه قوم جهال يدخلون عليه، ويخرجون من عنده، ويقولون حدّثنا جعفر بن محمّد، ويحدّثون بأحاديث كلها منكرات كذب موضوعة علىٰ جعفر، يستأكلون النّاس بذلك، ويأخذون منهم الدّراهم»[٢].

---

(١) المصدر السّابق ص: ٢٢٢.

(٢) رجال الكشيّ ص: ٢٠٨، الصّلة بين التّصوف والتّشيع ص: ١٧٩.

موقف الإمام الرّضا عليه السلام من الواقفيّة

عانىٰ الإمام الرّضا عليه السلام، كآبائه من حركة الغلوّ، وخاصة الحركة الواقفيّة ـ الّتي عصفت بالشيعة الموسويّة ـ الّذين قالوا بحياة الإمام موسىٰ بن جعفر عليه السلام، وعدم وفاته وزعموا أنّه عليه السلام: هو المهديّ المنتظر[1]. وقالوا: إنّ الإمامة توقفت عند الإمام موسىٰ الكاظم عليه السلام، وإنّ الرّضا عليه السلام، ومن قام بعده ليسوا بأئمّة، ولكنّهم خلفاؤه واحداً بعد واحد، إلىٰ حين خروجه، وذلك لغموض وفاة الإمام الكاظم عليه السلام، عند هؤلاء ومن ـ الّذين التبس عليهم الأمر ـ عليّ بن حمزة الواقفي، وعليّ بن الخطاب، وغالب بن عثمان، ومحمّد بن إسحاق التّغلبي الصّيرفي، وإسحاق ابن جرير، وموسىٰ بن بكر، ووهيب بن حفص الجريري، ويحيىٰ بن الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين، ويحيىٰ بن القاسم الحذاء (أبو بصير)، وعبد الرّحمن بن الحجاج، ورفاعة بن موسىٰ، ويونس بن يعقوب، وجميل بن دراج، وحماد بن عيسىٰ، وأحمد بن محمّد بن أبي نصر، وآل مهران، وغيرهم[2].

---

(١) أنظر، الفصول للشيخ المفيد ص: ٢٥٥، المقالات والفرق ص: ٨٩.

(٢) أُنظر، الغيبة للشيخ الطّوسيّ ص: ٤٧، الكافي: ١/ ٣٤، رجال الكشيّ ص: ١٥٢، معجم رجال الحديث: ٢٠/٢١٥.

عن بكير بن صالح، قال: قلت لإبراهيم بن موسىٰ بن جعفر: ماقولك في أبيك؟ فقال: هو حيّ، قلت: فما قولك في أخيك أبي الحسن الرّضا؟ قال: ثقة صدوق، قلت: فإنّه يقول: إنّ أباك قد مضىٰ. قال: هو أعلم بما يقول. فأعدت عليه فأعاد عليّ...[1].

وعن عليّ بن أسباط قال: «قلت للإمام الرّضا عليه السلام: إنّ رجلاً عنىٰ أخاك إبراهيم، فذكر له أنّ أباك في الحياة، وانّك تعلّم من ذلك مايعلم، فقال: سبحان الله يموت رسول الله، ولايموت موسىٰ!» وأكد له: «قد والله مضىٰ كما مضىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله»[2].

ومن هذا وذاك نجد أنّ الإمام الرّضا عليه السلام، يتحدث عن أهداف الغلوّ والغُلاة ونسبتها إلىٰ أهل البيت؛ فقال: «إنّ مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا، وجعلوها علىٰ ثلاثة أقسام[3]:

أحدهما: الغلوّ.

وثانيها: التّقصير في أمرنا.

وثالثها: التّصريح بمثالب أعدائنا.

فإذا سمع النّاس الغلوّ فينا كفّروا شيعتنا، ونسبوهم إلىٰ القول بربوبيّتنا، وإذا سمعوا التّقصير اعتقدوه فينا. وإنْ سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائنا، ثلبونا بأسمائنا، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَاتَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوَاً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[4].

---

(١) عيون أخبار الرّضا للشيخ الصّدوق ص: ٣٩، رجال الكشيّ ص: ١٥٢، معجم رجال الحديث: ٢٠ / ٢١٥.

(٢) الكافي: ١/ ٣٨٠.

(٣) عيون أخبار الرّضا: ١/ ٣٠٤، إثبات الهداة ص: ٧٤٩.

(٤) الأنعام: ١٠٨، بحار الأنوار: ٢٦ /٢٣٩، عيون أخبار الرّضا ص: ٢٣٩، بشارة المصطفىٰ:

وقال: «إنّما وضع الأخبار عنّا، في الشّبيه والجبر الغُلاة، الّذين صغروا عظمة الله تعالىٰ فمن أحبّهم فقد أبغضنا، ومن أبغضهم فقد أحبنا»[1].

قال الإمام الرّضاﷺ، لأبي يحيىٰ الواسطيّ:

«كان بيان يكذب علىٰ عليّ بن الحسين، فأذاقه الله حرّ الحديد، وكان المغيرة يكذب علىٰ أبي جعفر، فأذاقه الله حرّ الحديد، وكان محمّد بن بشير يكذب علىٰ أبي الحسن موسىٰ، فأذاقه الله حرّ الحديد، وكان أبو الخطاب يكذب علىٰ أبي عبد الله، فاذاقه الله حرّ الحديد، والّذي يكذب عليَّ محمّد بن فرات»[2].

وقال الإمام الرّضاﷺ، ليونس بن عبد الرّحمن:

«يا يونس! أماترىٰ إلىٰ محمّد بن الفرات، ومايكذب عليّ! فقلت: أبعده الله وأسحقه، وأشقاه، فقال: قد فعل الله ذلك به، أذاقه الله حرّ الحديد، كما أذاق من كان قبله ممن كذّب علينا. يا يونس! إنّما قلت ذلك لتحذّر عنه أصحابي، وتأمرهم بلعنه والبراءة منه، فإنّ الله يبرأ منه... آذاني محمّد بن الفرات... آذاه الله، وأذاقه الله حرّ الحديد، آذاني لعنه الله، ما آذىٰ أبو الخطاب لعنه الله، جعفر بن محمّد بمثله، وماكذب علينا خطابي، مثل ماكذب محمّد بن الفرات! والله ما من أحد يكذب علينا إلّا ويذيقه الله حرّ الحديد...»[3].

ويقول يونس بن عبد الرّحمن: وافيت العراق فوجدت بها قطعة من أصحاب

⟸ ص ٢٢١.

(١) إثبات الهداة ص: ٨٤٩.

(٢) المصادر السّابقة. رجال الكشيّ: ٢٣٢.

(٣) أُنظر، رجال الكشيّ ص: ٤٦٤، والعطاردي، مسند الإمام الرّضا: ٢/٤٤٨، جامع الرّواة للسّيد محمّد عليّ الأردبيلي ص: ١٧٢، بحار الأنوار: ٣١٩/٢٥، إختيار معرفة الرّجال: ٥٩١/٢ و ٨٢٩.

أبي جعفر... ووجدت أصحاب أبي عبد الله متوافرين، فسمعت منهم واخذت كتبهم، فعرضتها من بعد علىٰ أبي الحسن الرّضا، فانكر منها أحاديث كثيرة، أنْ تكون من أحاديث أبي عبد الله وقال لي: «إنّ أبا الخطاب، كذّب علىٰ أبي عبد الله، لعن الله أبا الخطاب، وكذلك أصحاب أبي الخطاب يدسّون، هذه الأحاديث إلىٰ يومنا في كتب أصحاب أبي عبد الله، فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن فإنا إذا تحدّثنا، حدّثنا بموافقة القرآن، وموافقة السُّنَّة... إنّا عن الله، وعن رسوله نحدث... وإذا أتاكم من يحدّثكم بخلاف ذلك، فردّوه وقولوا: أنت أعلم وماجئت به، فإنّ مع كلّ قول منّا حقيقة، وعليه نور، فما لا حقيقة له، ولا نور عليه، فذلك قول الشّيطان»[1].

وعن محمّد بن عيسىٰ عن يونس قال: «سمعت رجلاً من الطّيّارة ـ أيّ الّذين طاروا إلىٰ الغلوّ[2] ـ يحدث أبا الحسن الرّضا عليه السلام، عن يونس بن ظبيان، أنّه قال: كنت في بعض اللّيالي وأنا في الطّواف، فإذا نداء من فوق رأسي: يا يونس إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا فاعبدني، وأقم الصّلاة لذكري، فرفعت رأسي فإذا جبرئيل فغضب أبو الحسن عليه السلام، غضباً لم يملك نفسه، ثمّ قال للرجل: أخرج عنّي لعنك الله... ولعن من حدّثك... ولعن يونس بن ظبيان... ألف لعنة... تتبعها ألف لعنة... كلّ لعنة منها تبلغك إلىٰ قعر جهنّم... أشهد ماناداه إلّا شيطان... أمّا إنّ يونس مع أبي الخطاب في أشد العذاب مقرونان، وأصحابهما إلىٰ ذلك الشّيطان، مع فرعون وآل فرعون، في أشد العذاب، سمعت ذلك من أبي عليه السلام. فقال يونس: فقام الرّجل من عنده، فما بلغ الباب إلّا عشر خُطىً، حتّىٰ صرع مغشياً عليه، قد قاء رجيعهُ وحمل ميّتاً.

---

(١) المصدر السّابق. وأُنظر، أمالي الشّيخ المفيد: ٢٥٣.

(٢) طرائف المقال: ١/٤٧٦.

فقال أبو الحسن عليه السلام: أتاه ملك بيده عمود... فضرب علىٰ هامته ضربة... قلب منها مثانته حتّىٰ قاء رجيعه، وعجل الله بروحه إلىٰ الهاوية، وألحقه بصاحبه الّذي حدثه... يونس بن ظبيان... ورأىٰ الشّيطان الّذي كان يتراءىٰ له»[1].

قال الإمام الرّضا عليه السلام: «من قال بالتشبيه والجبر، فهو كافر، مشرك ونحن منه براء في الدّنيا والآخرة، يا ابن خالد! إنّما وضع الأخبار عنّا في التّشبيه والجبر... الغُلاة ـ الّذين صغروا عظمة الله تعالىٰ ـ فمن أحبّهم فقد أبغضنا... ومن أبغضهم فقد أحبنا... ومن والاهم فقد عادانا... ومن عاداهم فقد والانا... ومن وصلهم فقد قطعنا... ومن قطعهم فقد وصلنا... ومن جفاهم فقد برّنا... ومن برّهم فقد جفانا... ومن أكرمهم فقد أهاننا... ومن أهانهم فقد أكرمنا... ومن قبلهم فقد ردنا... ومن ردهم فقد قبلنا... ومن أحسن إليهم فقد أساء إلينا... ومن أساء إليهم فقد أحسن إلينا... ومن صدّقهم فقد كذبنا... ومن كذبهم فقد صدقنا... ومن أعطاهم فقد حرمنا...ومن حرمهم فقد أعطانا... ياابن خالد! من كان من شيعتنا... فلا يتخذن منهم وليّاً، ولانصيراً»[2].

وقال الإمام الرّضا عليه السلام، عندما سأله الهرويّ: «يابن رسول الله صلى الله عليه وآله، ما شيء يحكيه عنكم النّاس؟ قال عليه السلام: «وما هو»؟ قلت يقولون: إنّكم تدّعون أنّ النّاس لكم عبيد، فقال عليه السلام: «اللّهمّ! فاطر السّموات والأرض، عالم الغيب والشّهادة، أنت شاهد بأنّي لم أقل ذلك قط، ولا سمعت أحداً من آبائي عليهم السلام، قال قط، وأنت العالم بما لنا من المظالم عند هذه الأُمه، وأنّ هذه منها. ثمّ أقبل عليّ فقال: يا عبد

(١) رجال الكشيّ ص: ١٩٤ و٢٣٣، بحار الأنوار: ٢٥/٢٦٤ و: ٦٥/٢١٥، الغدير: ٢/٢٩٦، إختيار معرفة الرّجال: ٢/٦١٥.

(٢) عيون أخبار الرّضا ص: ٣١١.

السّلام إذا كان النّاس كلّهم عبيدنا علىٰ ماحكوه عنا، فممن نبيعهم؟! فقلت: يابن رسول الله صدقت، ثمّ قال: يا عبد السّلام! أمنكر أنت لمّا أوجب الله عزّ وجلّ لنا، من الولاية كما ينكره غيرك؟ قلت: معاذا الله! بل أنا مقر بولايتكم»[١].

وقال الإمام الرّضا عليه السلام، للمأمون لمّا قال له: بلغني أنّ قوماً يغلون فيكم، ويتجاوزون فيكم الحدّ، فقال عليه السلام: «حدّثني أبي موسىٰ بن جعفر، عن أبيه جعفر ابن محمّد، عن أبيه محمّد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين ابن عليّ، عن أبيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لاترفعوني فوق حقي فإنّ الله تبارك وتعالىٰ أتخذني عبداً، قبل أنْ يتخذني نبيّاً. قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّينَ...﴾[٢] وقال عليّ عليه السلام يهلك فيّ اثنان ولا ذنب ليّ: محبّ مفرط، ومبغض مفرط. وإنّا لنبرأ إلىٰ الله عزّ وجلّ ممن يغلو فينا فيرفعنا فوق حدّنا كبراءة عيسىٰ بن مريم عليه السلام، من النّصارىٰ، قال الله عزّوجلّ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىَ...﴾[٣]. وقال عزّ وجلّ: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَاٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[٤]. وقال عزّ وجلّ: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾[٥] ومعناه أنّهما كانا يتغوطان، فمن ادّعىٰ للأنبياء ربوبيّة، أو ادّعىٰ للأئمّة ربوبيّة، أو نبوة،

(١) المصادر السّابقة.

(٢) آل عمران: ٧٩ ـ ٨٠.

(٣) المائدة: ١١٦.

(٤) النّساء: ١٧٢.

(٥) المائدة: ٧٥.

أو لغير الأئمّة إمامة فنحن براء منه، في الدّنيا والآخرة»[١].

وقال أبوالحسنﷺ: «من قال بالتناسخ فهو كافر» ثمّ قال: «لعن الله الغُلاة، ألا كانوا مجوساً! ألا كانوا نصارىٰ! ألا كانوا قدرية! ألا كانوا مرجئة! ألاّ كانوا حروريّة!» ثمّ قالﷺ: «لا تقاعدوهم، ولا تصادقوهم، وابرأوا منهم بريء الله منهم»[٢].

وعن أبي هاشم الجعفري قال: سألت أبا الحسن الرّضاﷺ، عن الغُلاة والمفوضة، فقال: «الغُلاة كفار، والمفوضة مشركون، من جالسهم، أو خالطهم، أو وآكلهم، أو شاربهم، أو واصلهم، أو زوّجهم، أو تزوّج منهم، أو ائتمنهم علىٰ أمانة، أو صدّق حديثهم، أو أعانهم بشطر كلمة، خرج من ولاية الله عزّ وجلّ، وولاية الرّسولﷺ، وولايتنا أهل البيت»[٣].

---

(١) المائدة: ٧٥، عيون أخبار الرّضا ص: ٣٣٤.

(٢) عيون أخبار الرّضا ص: ٣٢٦.

(٣) رجال الكشيّ ص: ١٩٤، عيون أخبار الرّضا ص: ٣٣٦، بصائر الدّرجات ص: ٦٤.

الإمام العسكريّ عليه السلام ومواجهة الغُلاة

عانىٰ الإمام العسكريّ عليه السلام ، صعوبات كثيرة لم يواجهها أحد ، من الأئمّة من قبل ، وقد عبر عن هذه المعانات بقوله عليه السلام : «ما مُني أحد من آبائي ، بمثل ما منيت به من شك هذه العصابة فيّ»[1] ؛ لأنّ قسماً من الشّيعة ، قالوا : بإمامة محمّد بعد أبيه واعتلوا بأنّ أباه أشار إليه بالإمامة ، والإمام لا يجوز عليه الكذب ، وأنّه لم يمت وهو الغائب المنتظر هذا أوّلاً ؛ وثانياً : إنّ قسماً منهم اعترفوا بوفاة محمّد ، لكنّهم اعترفوا بإمامة أخيه جعفر بن عليّ[2] ، وقالوا فيه بمثل مقالة أصحاب إسماعيل بن جعفر .

وابتلىٰ الإمام العسكريّ عليه السلام ، بمثل آبائه : في رجل من أهالي قمّ يدعىٰ (عليّ ابن حسكة) يقول بإلهيّة الأئمّة ، ويدّعي البابيّة لهما النّبوة ، ويقول بالإباحية .

وذكر الكشّيّ : أنّ بعض الشّيعة كتب رسالة إلىٰ الإمام العسكريّ عليه السلام ، جاء فيها : جعلت فداك يا سيّدي ! إنّ عليّ بن حسكة يدّعي أنّه من أوليائك ، وأنّك أنت

---

(١) إكمال الدّين وإتمام النّعمة للشيخ الصّدوق ص: ٢٢٢.

(٢) أنظر ، فرق الشّيعة للنوبختيّ ص: ٩٤ ، ٩٥.

الأوّل القديم، وأنّه بابك ونبيّك، أمرته أنْ يدعو إلىٰ ذلك، ويزعم: أنّ الصّلاة والزّكاة، والحجّ، والصّوم، كلّ ذلك بمعرفتك، ومعرفة من كان في مثل حال ابن حسكة، فيما يدّعي من البابيّة، والنّبوة، ومن عرف ذلك فهو مؤمن كامل، سقط عنه الاستعباد، بالصوم، والصّلاة، والحجّ، وذكر جميع شرائع الدّين، أنّ معنىٰ ذلك كلّه مايثبت ذلك، ومال إليه ناس كثير، فإنْ رأيت أن تَمُنَّ علىٰ مواليك بجواب في ذلك تنجهم من الهلكة.

فكتب الإمام العسكريّ عليه السلام، «... كذب ابن حسكة عليه لعنة الله. ويحسبك أنّي لا أعرفه في موالي، ماله؟ لعنه الله، فوالله مابعث الله محمّداً، ولا نبيّاً قبله، إلّا بالحنيفيّة والصّلاة، والزّكاة، والحجّ، والصّيام، والولاية، ومادعىٰ محمّد صلى الله عليه وآله إلّا إلىٰ الله، وحده لا شريك له، وكذلك نحن الأوصياء من وراثهِ عبيد الله، لا نشرك به شيئاً، إنْ أطعناه رحمنا، وإنْ عصيناه عذبنا، مالنا علىٰ الله من حجّة، بل الحجّة لله عزّ وجلّ علينا وعلىٰ جميع خلقه، ابرأ إلىٰ الله ممن يقول ذلك. وانتفي من هذا القول، فاهجروهم لعنهم الله، والجأوهم إلىٰ ضيق الطّريق، فإنْ وجدت من أحد منهم خلوة، فاشرج رأسه بالصخر»[١].

وعن محمّد بن عيسىٰ قال: كتب إليَّ أبوالحسن العسكريّ ابتداء منه: «لعن الله القاسم اليقطينيّ، ولعن الله عليّ بن حسكة القمّي، إنّ شيطاناً تراءىٰ للقاسم فيوحي إليه زخرف القول غروراً»[٢].

وكتب أحمد بن محمّد بن عيسىٰ، إلى الإمام العسكريّ عليه السلام أيضاً ـ إنّ في قمّ قوماً يتكلمون، ويقرأون أحاديث ينسبونها إليك، وإلىٰ آبائك، فيها ماتشمئز منها

---

(١) رجال الكشيّ: ترجمة عليّ بن حسكه ص: ٣٢٢.

(٢) رجال الكشيّ ص: ٣٠٠.

القلوب، ولايجوز لنا ردّها إذ كانوا يروونها عن آبائك عليهم السلام، ولا قبولها لمّا فيها، وهم ينسبون إلىٰ قوم يذكرون أنّهم من مواليك وهو رجل يقال له: عليّ بن حسكة، وآخر يقال له: القاسم اليقطينيّ. ومن أقاويلهم أنّهم يقولون: إنّ قول الله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[1] معناها رجل لا ركوع ولا سجود، وكذلك الزّكاة، معناها ذلك الرّجل، لا عدد درهم، ولا إخراج مال، وأشياء من الفرائض، والسّنن والمعاصي، تأوّلوها وصيروها علىٰ الحدّ الّذي ذكرت. فإنْ رأيت أنْ تبين لنا، وتمن علينا بما فيه السّلامة لمواليك، ونجاتهم من هذه الأقاويل، الّتي تخرجهم إلىٰ الهلاك.

فكتب عليه السّلام: «ليس هذا ديننا، فاعتزله»[2].

وروىٰ الكشيّ روايات كثيرة في لعن عليّ بن حسكة، الجواز القمّيّ الّذي كان أُستاذ القاسم الشّعرانيّ اليقطينيّ، وابن بابا، ومحمّد بن موسىٰ الشّريعيّ، كانا من تلامذة عليّ بن حسكة، وفارس بن حاتم القزوينيّ، والسّمهريّ، وابن أبي الزّرقاء[3]. والإمام عليه السلام، لعنهم جميعاً مرات عديدة، حتّىٰ أمر جنيداً، بقتل فارس ابن حاتم القزوينيّ، وحرّض عليه السلام، علىٰ قتل جماعة آخرين من الغُلاة.

وكتب عليه السلام، محذراً شيعته من هؤلاء، حيث قال: إلىٰ العبيديّ ابتداءً منه: «ابرأ إلىٰ الله من الفهريّ ـ محمّد بن نصير الفهريّ، النّميريّ ـ والحسن بن محمّد بن بابا القمّيّ، فابرأ منهما، فإنّي محذّرك وجميع مواليّ، وإنّي ألعنهما عليهما لعنة الله، مستأكلين، يأكلان بنا النّاس، فتّانين، مؤذيين، آذاهما الله، وأركسهما في الفتنة ركساً. يزعم ابن بابا أنّي بعثته نبيّاً، وأنّه باب، ويله لعنه الله، سخر منه الشّيطان

(١) العنكبوت: ٤٥.

(٢) رجال الكشيّ ص: ٣٢٠، ترجمة القاسم اليقطينيّ القمّي.

(٣) أُنظر، المصدر السّابق ص: ٣٢٢ـ٣٢٨.

فأغواه، فلعن الله مَنْ قبل منه ذلك، يا محمّد! إنْ قدرت أنْ تشرخ رأسه بحجر فافعل فإنّه قد آذاني، آذاه الله في الدّنيا والآخرة»[١].

وكتب إبراهيم بن شيبة إلىٰ الإمام العسكريّ عليه السلام: جعلت فداك... إنّ عندنا قوماً يختلفون في معرفة فضلكم، بأقاويل مختلفة، تشمئز منها القلوب، وتضيق لها الصّدور، ويرون في ذلك الأحاديث، لا يجوز لنا الإقرار بها، لما فيها من القول العظيم، ولا يجوز ردها والجحود لها، إذا نسبت إلىٰ آبائك، فنحن وقوف عليها، من ذلك: أنّهم يقولون، ويتأولون في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[٣] إنّ الصّلاة معناها رجل لا ركوع ولا سجود، وكذلك الزّكاة معناها ذلك الرّجل، لا عدد دراهم، ولا إخراج مال، وأشياء تشبهها من الفرائض، والسّنن، والمعاصي، تأوّلوها وصيّروها علىٰ الحدّ الّذي ذكرت لك، فإنْ رأيت أنْ تَمُنَّ علىٰ مواليك بما فيه سلامتهم ونجاتهم، من الأقاويل الّتي تصيرهم إلىٰ العطب والهلاك. والّذين ادعوا هذه الأشياء ادعوا: أنّهم أولياء، ودعوا إلىٰ طاعتهم، منهم عليّ بن حسكة، والقاسم اليقطينيّ، فما تقول في القبول منهم فيها.

فكتب عليه السلام: «ليس هذا من ديننا، فاعتزله»[٤].

---

(١) منهاج المقال: ١٠٧.

(٢) العنكبوت: ٤٥.

(٣) البقرة: ٤٣.

(٤) رجال الكشيّ ص: ٣٢٠، ترجمة عليّ بن حسكة، والقاسم اليقطينيّ.

الإمام محمّد بن الحسن المهديّ المنتظر عليه السلام وموقفه من الغُلاة

مرت إمامة الإمام المهديّ عليه السلام، بأزمة هددت بالقضاء علىٰ الكيان الشّيعيّ؛ لأنّ منبع هذه الأزمة، هو وفاة الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، وهو في عمر لا يتجاوز ثمانية وعشرين عاماً، وبما أنّ الحكم، والحكام آنذاك، استولوا علىٰ السّلطة بالقوة ومصادرة حقّ الأُمّة ورجوعها إلىٰ أئمتها، أو فسح المجال للأئمّة بقيادة المسلمين فبدل ذلك طالبوا الأُمّة بأداء فروض الطّاعة، والبيعة المزيفة لهم، مع ما كانوا عليه من فسق، وفجور، وعصيان، واستهتار بالحرمات الإسلاميّة المقدسة. حتّىٰ أنّهم عظموا أمر الخليفة وفخموه، وأفضوا عليه طابع القدسية، وقالوا بحرمة دخوله النّار واسبغوا عليه الصّفات، والألقاب من الإكبار والإجلال، لأنّهم في نظرهم ـ طبعاً ـ يمثلون المشيئة الإلهيّة![1] حتّىٰ قال الخليفة الثّالث عثمان بن عفان، عند مواجهة ومجابهة الثّوار له، والّذين طالبوه بالاستقالة:

---

(١) أُنظر، حسين عطوان في كتابه الشّورىٰ في العصر الأُموي ص: ٣٠.

«لا أخلع ثوباً ألبسنيه الله».

وقال معاوية بن أبي سفيان، عندما دخل الكوفة بعد صلحه مع الإمام الحسن ابن عليّ عليه السلام: «إنّما قاتلتكم لأتأمر عليكم، فقد أعطاني الله ذلك، وأنتم كارهون»[١].

وقال لوفد عراقي جاءه إلى الشّام: «الأرض لله، وأنا خليفة الله، فما أخذت فلي وما تركته للنّاس، فبالفضل منّي»[٢]. وقال: «إنّه لَملك آتانا الله إيّاه»[٣].

وقال: «إني أرهب أنْ أدع أُمّة محمّد، كالضأن لا راعي لها» قال هذا عند ما أراد أنْ يأخذ البيعة لإبنه يزيد، ويحوّل الخلافة إلىٰ حكم وراثي عضوض[٤].

وقال زياد بن أبيه في خطبته البتراء لأهل البصرة. «أيّها النّاس إنا أصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله، الّذي أعطانا، ونذوده عنكم بفيء الّذي خولنا، فلنا عليكم السّمع والطّاعة، فيما أحببنا، ولكم علينا العدل فيما ولينا فاستوجبوا عدلنا وفيئنا، بمناصحتكم لنا»[٥]. وقال الضّحاك بن قيس الفهري حين خالف أهل العراق، ولاية العهد ليزيد بن معاوية: «ماللحسن، ولذوي الحسن في سلطان الله، الّذي استخلف به معاوية، في أرضه! هيهات!... لا تورث الخلافة، عن كلالة، ويحجب غير الذّكر العصبة»[٦]. وقال في نعيّ معاوية

---

(١) أُنظر، البداية والنّهاية: ٨/ ١٣١.

(٢) أُنظر، أنساب الاشراف: ١/ ١٤ـ١٧.

(٣) أُنظر، المصدر السّابق، وتأريخ الرّسل والملوك.

(٤) أُنظر، تأريخ الطّبريّ: ٦/ ١٧٠، الإمامة والسّياسة: ١/ ١٥١.

(٥) أُنظر، تأريخ الرّسل والملوك ص: ٥، العقد الفريد: ٤/ ١١٢، الكامل في التّاريخ: ٣/ ٤٤٩ شرح النّهج: ١٦/ ٢٠٢، البيان والتّبين: ٢/ ٩٤.

(٦) الإمامة والسّياسة لابن قتيبة: ١/ ١٦٩.

أيضاً، عند ما بلغه وفاته: «إنّ معاوية كان عود العرب، وحدّ العرب، قطع الله به الفتنة، وملكه العباد وفتح به البلاد»[1]. وقال يزيد في تأبين أبيه: «إنّ معاوية بن أبي سفيان، كان عبداً من عبيد الله، أكرمه الله، واستخلفه، وخوّله، ومكّن له... وقد قلدنا الله عزّ وجلّ، ما كان إليه»[2]. وقال يزيد عند ما رأىٰ رأس الحسين عليه السلام: «إنّما أُتي من قبل فقهه، ولم يقرأ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].

وقال البلاذري: «لمّا راد عبد الملك بن مروان، الشّخوص إلىٰ الشّام خطب النّاس في الكوفة، معظم عليهم حقّ السّلطان، وقال لهم: «هو ظل الله في الأرض» وحثهم علىٰ الطّاعة والجماعة»[4].

وقال الحجاج بن يوسف الثّقفي، مخاطباً أهل العراق: «إنّ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، استخلفه الله في بلاده، وارتضاه علىٰ عباده»[5].

وكتب الحجاج إلىٰ عبد الملك بن مروان، رسالة يقول فيها: «لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين، وخليفة ربّ العالمين، المؤيّد بالولاية، المعصوم من خطل القول، وذلك الفعل بكفالة الله الواجبة، لذوي أمره...»[6] وهكذا الأمر بالنسبة إلىٰ العباسيين، وقد سبقت الإشارة إلىٰ ذلك.

---

(١) تأريخ الرّسل: ٥/ ٣٢٨، الكامل في التّأريخ: ٤/ ٩.

(٢) الإمامة والسّياسة: ١/ ٢٠٤.

(٣) الكامل في التّأريخ: ٤/ ٨٥. والآية (٢٦) من سورة آل عمران.

(٤) أنساب الاشراف: ٥/ ٣٥٤.

(٥) الإمامة والسّياسة: ٢/ ٣٢.

(٦) أُنظر، العقد الفريد: ٥/ ٢٥.

ومن هذا وذاك انقسم الشّيعة الإماميّة، إلىٰ فرق كثيرة: منها: الفرقة الّتي قالت بإنّ الإمام عليّ عليه السلام، لم يمت، ومن ثمّ تلتها الفرقة الّتي، ادعت بأنّ الإمام الحسن بن عليّ العسكريّ عليه السلام، حي لم يمت، لكن الفرقة نفسها بعد ذلك اعترفت بوفاة الإمام الحسن عليه السلام[1]. ولكن نقلت الإمامة إلىٰ أخيه جعفر، وادعت بالوصيّة له، من قبل الحسن العسكريّ عليه السلام، وهكذا حتّىٰ وصل الأمر إلىٰ الفرقة، الّتي ادعت بأنّ الإمام الحسن العسكريّ مات، ولم يخلف ولداً له، وإنا قد امتحنا ذلك وطلبناه بكلّ وجه فلم نجده[2]. لكن الحقّ يوضحه الشّيخ المفيد، (بعد أنْ يرفض الاعتراف بالفرق السّابقة) بقوله: «إنّ للحسن بن عليّ العسكريّ، ابناً سماه محمّداً، ودل عليه، وليس الأمر كما زعم من ادّعىٰ أنّه توفي ولا خلف له، وكيف يكون إمام قد ثبتت إمامته، ووصيّته، وجرت أُموره علىٰ ذلك، وهو مشهور عند الخاص والعام، ثمّ توفي ولا خلف له!؟ ولكن خلفه قائم، وولد قبل وفاته سنين وقطعوا علىٰ إمامته وقبل موت الحسن، وإنّ اسمه محمّد، وقالت: إنّه مستور لا يرىٰ خائف من جعفر وغيره من أعدائه، وإنّها إحدىٰ غيباته، وإنّه الإمام القائم، وقد عرف في حياة أبيه ونصّ عليه، ولا عقب لأبيه، غيره فهو الإمام لا شك فيه...»[3].

ويقول الشّيخ المفيد؛ أيضاً: «وقال الجمهور منهم بإمامة ابنه القائم المنتظر وأثبتوا ولادته، وصحّحوا النّص عليه، قالوا هو سمي رسول الله، ومهدي الأنام، واعتقدوا أنّ له غيبتين: إحداهما أطول من الأُخرىٰ، والأُولىٰ منهما هي القصرىٰ، وله فيها النّواب (الأبواب) والسّفراء، ورووا عنه جماعة من شيوخهم، وثقاتهم أنّ

---

(١) الفصول المختارة للشيخ المفيد ص: ٢٦٠.

(٢) المصدر السّابق وفرق الشّيعة ص: ١٠٤.

(٣) الفصول المختاره ص: ١٠٣.

الحسن أظهره لهم، وأراهم شخصه، واختلفوا في ـ سِنّه، وولادته ـ سِنّه بعد وفاة أبـيه، فـقال كـثير مـنهم: كـان سِنّه إذ ذاك خمس سنين؛ لأنّ أبـاه تـوفي سَنَة (٢٦٠ هـ)، وكان مولد القائم سَنَة (٢٥٥ هـ)، وقالوا: إنّ أباه لم يمت، حتّىٰ أكمل الله عقله، وعلّمه الحكمة وفصل الخطاب، وبأنّه من سائر الخلق، بهذه الصّـفة إذ كان خاتم الحجج، ووصيّ الأوصياء، وقائم الزّمان. واحتجوا في جواز ذلك بدليل العقل، من حيث ارتفعت حالته، ودخل تحت القـدرة، وبـقوله تـعالىٰ في قـصة عيسىٰ: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ﴾[1] وفي قصة يحيىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْـحُكْمَ صَـبِيًّا﴾[2]. وقالوا: إن صاحب هذا الأمر حي لم يمت ولا يموت، ولو بقي ألف عام حـتّىٰ يمـلأ الأرض قسطاً، وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، وإنّه سيكون عـند ظـهوره شـاباً قويّاً، في صورة ابن نيف وثلاثين سَنَة، وأثبتوا ذلك في معجزاته، وجعلوه من جملة دلائله وآياته»[3].

وقد ورد في كتاب عبد الرّحمن بن قُبة الّذي كتبه بعد ثلاثين سَنَة، من الغيبة حيث قال: «... إنا لا نتكلم في فرع لم يثبت أصله، وهذا الرّجل ـ الإمام المهديّ ـ الّذي تجحدون وجوده، فإنما يثبت له الحقّ بعد أبـيه، وأنـتم قـوم لا تخـالفونا في وجود أبيه، فلا معنىٰ لترك النّظر في حـقّ أبـيه، والأشـتغال في النّـظر مـعكم في وجوده، فإنّه إذا ثبت الحقّ لأبيه فهذا ثابت ضرورة، عند ذلك بإقراركم، وإنْ بطل أنْ يكون الحقّ لأبيه، فقد آل الأمـر إلىٰ مـاتقولون، وقـد أبـطلنا... وإذا ثـبت الحسن... والحسن قد مضىٰ ولابد عندنا وعندكم من رجل من ولد الحسن تثبت

---

(١) آل عمران: ٤٦.

(٢) مريم: ١٢.

(٣) أنظر، الفصول المختاره ص: ٢٥٩.

به حجّة الله فقد وجب بالاضطرار للحسن ولد قائم»[١].

ويقول أيضاً: «ومن الدّليل علىٰ أنّ الحسن قد نصّ: ثبات إمامته، وصحة النّص، وفساد الاختيار، ونقل الشّيعة عمن قد أوجبوا بالأدلة تصديقه، أنّ الإمام لايمض، أو ينص علىٰ إمام كما فعل رسول الله، إذ كان النّاس محتاجين في كلّ عصر إلىٰ من يكون خبره لا يختلف، ولا يتكاذب كما اختلفت أخبار الأُمة عند مخالفينا هؤلاء وتكاذب، وأنْ يكون إذا أمر ائتمر بطاعته ولا يد فوق يده، ولا يسمو، ولا يغلط، وأنْ يكون عالماً، ليعلم النّاس ماجهلوا، وعادلا ليحكم بالحقّ. ومن هذا حكمه، فلابد من أنْ ينص عليه: علاّم الغيوب، علىٰ لسان من يؤدي ذلك عنه، إذ كان ليس في ظاهر خلقته مايدل علىٰ عصمته»[٢].

وبعد هذا يروي الطّبرسيّ صاحب الاحتجاج، أنّه: فيما خرج عن صاحب الزّمان عليه السلام، جواباً لكتاب كتب إليه علىٰ يد محمّد بن عليّ بن هلال الكوفيّ، رداً علىٰ الغُلاة كما يقولون هٰذَا نَصَّهُ:

«يا محمَّد بن عليّ، تَعالىٰ الله وجلَّ عمَّا يصفون، سبحانَهُ وبحمدِهِ، ليس نحن شركاءه في علمِهِ، وَلاَ في قدرته، بل لا يعلم الغيب غيرُهُ، كَما قال في محكم كتابِهِ تباركت أسماؤهُ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[٣]، أنَا وجَميعُ آبائي من الأوّلين: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسىٰ، وغيرهم من النّبيين، ومن الآخرين، محمّد رسول الله، وعليّ بن أبي طالب، وغيرهم ممَّن مضىٰ من الأئمَّة عليهم السلام، إنّي مبلغ أيَّامي، ومنتهىٰ عمري، عبيد الله عزّ وجلّ، إلىٰ أنْ يقول:

---

(١) أنظر، إكمال الدّين وإتمام النّعمة: ٥٥.

(٢) أُنظر، إكمال الدّين وإتمام النّعمه ص: ٦١.

(٣) النّمل: ٦٥.

فأُشهد الله الّذي لا إله إلاّ هُو، وكفىٰ به شهيداً، ورسوله محمّد، وآلِهِ وملائكَتِه وأنبياءه ﷺ، وأُشهدك وأُشهد كلّ من سَمِعَ كتابي هٰذَا: أنّي بريءٌ إلىٰ الله وإلىٰ رسولِهِ ممن يقول: إنَّا نعلم الغيب، ونشاركه في ملكِهِ، أو يحلّنا محلاًّ سوىٰ المحلّ الّذي رضِيَهُ لَنَا، وخلقنا له»[١].

المراد في هذا النّفي يعني أنّهم ﷺ، لا يعلمونه من غير إلهام. وأمّا ماكان من ذلك، فلايمكن نفيه؛ لأنّ عمدة معجزات الأنبياء ﷺ، والأوصياء ﷺ، الإخبار عن المغيّبات، وقد استثنىٰ الله سبحانه بقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[٢].

ونقل الحرّ العاملي هذه الرّسالة مع إضافات أُخرىٰ: «يا محمّد بن عليّ! قد آذانا جهلاء الشّيعة وحمقاؤهم، ومن دينه جناح البعوضه أرجح منه... أو يتعدىٰ بنا عما قد فسرته لك، وبينته في صدر كتابي... وأُشهدكم أنّ كلّ من نبرأ منه، فإنّ الله يبرأ منه، وملائكته، ورسله، وأولياؤه. وجعلت هذا التّوقيع الّذي في هذا الكتاب أمانة في عنقك، وعنق من سمعه، ألاّ يكتمه من أحد من موالي، وشيعتي حتّىٰ يظهر علىٰ هذا التّوقيع الكل من الموالي، لعل الله عزّ وجلّ يتلافاهم، فيرجعون إلىٰ دين الله الحقّ، وينتهون عما لايعلمون منتهىٰ أمره، ولا يبلغ منتهاه فكلّ من فهم كتابي، ولم يرجع إلىٰ ماقد أمرته ونهيته، قد حلّت عليه اللّعنة من الله، وممّن ذكرت من عباده الصّالحين»[٣].

---

(١) الإحتجاج ص: ٢٦٥.

(٢) الجن: ٢٧.

(٣) إثبات الهداة: ٣/ ٧٦٤.

النّظريّات المغالية ووصف الأئمّة عليهم السلام بصفات تخرجهم عن حدّ البشريّة

بعد تعريف، وتحديد... معنىٰ الغلوّ... وخاصة عند الشّيخ المفيد، الّذي قال ـ هو مجاوزة الحدّ والخروج عن القصد ـ فقد ذكرت بعض النّظريات المتطرفة والمغالية والّتي اختلف فيها العلماء عبر التّأريخ، فمنهم من قبلها وأخذ بها، ومنهم من رفضها واعتبرها غلواً بالغاً، ومنهم من أخذ بجزءٍ منها، ورفض الجزء الآخر.

الغلوّ في ذات الأئمّة عليهم السلام

عن المفضّل بن عمر، عن الإمام الصّادق عليه السلام، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام، كيف كنتم حيث كنتم في الأظلّة؟ فقال: «يا مفضل! كنا عند ربّنا ليس عنده أحدٌ غيرنا، في ظلّة خضراء، نسبّحه ونقدّسه، ونهلّله ونمجّده، وما من ملك مقرّب ولا ذي روح غيرنا، حتّى بدا له في خلق الأشياء، فخلق ماشاء كيف شاء من الملائكة وغيرهم، ثمّ أنهىٰ علم ذلك إلينا»[1].

وعن محمّد بن سنان، عن المفضل، عن جابر بن يزيد، قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا جابر! إنّ الله أوّل ماخلق، خلق محمّداً صلى الله عليه وآله، وعترته الهداة المهتدين، فكانوا أشباح نور بين يدي الله، قلت: وما الأشباح؟ قال: ظل النّور، أبدان نورانيّة بلا أرواح، وكان مؤيّداً بروح واحدة، وهي روح القدس فيه كان يعبد الله وعترته، ولذلك خلقهم حُلماء، عُلماء بررة، أصفياء، يعبدون الله بالصّلاة، والصّوم، والسّجود، والتّسبيح، والتّهليل، ويصلّون الصّلوات، ويحجون، ويصومون»[2].

---

(١) الأُصول من الكافي: ١ / ٤٤١.

(٢) المصدر السّابق: ١ / ٤٤٢.

وعن أحمد بن عليّ بن محمّد بن عبد الله بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الله كان إذ لا كان، فخلق الكان والمكان، وخلق نور الأنوار الّذي نورت منه الأنوار، وأجرىٰ فيه من نوره الّذي نورت منه الأنوار، وهو النّور الّذي خلق منه محمّداً وعليّاً. فلم يزالا نورين أوّلين، إذ لا شيء كوّن قبلهما، فلم يزالا يجريان، طاهرين مطهرين، في الأصلاب الطّاهرة، حتّىٰ افترقا في أطهر طاهرين، في عبد الله، وأبي طالب عليه السلام»[1].

ويناقش الشّيخ المفيد رحمه الله هذه النّظرية من وجوه عدة:

١ ـ يتهم الشّيخ المفيد رحمه الله أصحاب هذه النّظرية أنّهم من الغُلاة، والحشوية ويصفهم بقوله: «لا بصر لهم بمعاني الأشياء، ولا بحقيقة الكلام، ويستطرد قائلاً: إنّ هذا باطل، بعيد عن الحقّ، ولا يدين به عالم»[2]. ثمّ قال: «وهذا مذهب مرذول، والذّاهب إليه مقلّد، بغير بيان، وإنّه في جملته قول باطل»[3].

٢ ـ يضعف الشّيخ المفيد هذه الرّوايات الّتي أوردها أصحاب النّظرية، حيث قال: «وقد قيل: إنّ الله تعالىٰ كان قد كتب أسماءهم علىٰ العرش...» ثمّ يقول: «ولو صحت هذه الرّوايات، فلا تدل بأكثر من أنّ شأنهم عظيم عند الله»[4].

٣ ـ وقد أجاب الشّيخ؛ علىٰ هذه النّظرية، والأخبار المرويّة عن الأئمّة عليهم السلام حيث قال: «فالجواب وبالله التّوفيق: «إنّ الأخبار بذكر الأشباح تختلف ألفاظها وتتباين معانيها، وقد بنت الغُلاة عليها أباطيل كثيرة، وصنفوا كتباً لغوا فيها،

---

(١) الأُصول من الكافي: ١/ ٤٤٢.

(٢) أجوبة المسائل السّروية ص: ٢١٠.

(٣) المصدر السّابق ص: ٢١١.

(٤) المصدر السّابق ص: ٢١٢.

وهزأوا فيما أثبتوا في معانيها، وأضافوا ماحوته الكتب إلىٰ جماعة، من شيوخ أهل الحقّ وتخرصوا الباطل بإضافتها إليهم، ومن جملتها كتاب سمّوه (الأشباح والأظلة) ونسبوا تأليفه إلىٰ محمّد بن سنان»[1].

وقال الشّيخ المفيد رحمه الله أيضاً: «ولسنا نعلم صحة ماذكروه، في هذا الباب عنه، فإنْ كان صحيحاً فإنّ ابن سنان مطعون فيه، وهو متهم بالغلوّ، وإنْ صدقوا في اضافة هذا الكتاب إليه، فهو ضال بضلاله عن الحقّ، وإنْ كذبوا فقد تحملوا أوزار ذلك»[2].

ثمّ استطرد قائلاً: «إنّ الرّواية الّتي جاءت عن الثّقات: بأنّ آدم عليه السلام، رأىٰ علىٰ العرش أشباحاً يلمع نورها، فسأل الله تعالىٰ عنها... فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: إنّها أشباح رسول الله، وأمير المؤمنين عليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهما السلام، وأعلمه أنّه لولا الأشباح الّتي يراها ماخلقه، ولا خلق سماءً ولا أرضاً... فقال: «أمّا الوجه فيما أظهره الله تعالىٰ من الأشباح، والصّور لآدم عليه السلام، فليُدلَّهُ علىٰ تعظيمهم وتبجيلهم، وجعل ذلك أجلالاً لهم. ومقدّمةً لمّا يفرضه من طاعتهم. ودليلاً علىٰ أنّ مصالح الدِّين والدُّنيا لا تتم إلّا بهم، ولم يكونوا في تلك الحال صوراً مجيبةً، ولا أرواحاً ناطقة. لكنّها كانت صوراً علىٰ مثل صورهم، في البشرية يدلُّ علىٰ مايكون عليه في المستقبل من الهيئة، والنّور، والّذي جعله عليهم دليلاً علىٰ نور الدّين بهم، وضياء الحقّ بحججهم»[3].

وقال الشّيخ المفيد رحمه الله معقباً علىٰ الرّواية الّتي تنصّ علىٰ أنّ اسماءهم، كانت

---

(١) المصدر السّابق ص: ٢١١.

(٢) المسائل السّروية ص: ٢١٠.

(٣) المصدر السّابق ص: ٢١٠.

مكتوبةً علىٰ العرش، وأنّ آدمﷺ، لمّا تاب إلىٰ الله وناجاه بقبول توبته، سأله بحقهم عليه، ومحلّهم عنده، فأجابه إلىٰ ذلك... قالﷺ «وهذا غير منكرٍ في العقول، ولا مضاد للشرع المنقول، ولو رواه الثّقاة المأمونون، وسلّم لروايته طائفة الحقّ فلا طريق إلىٰ إنكاره»[١].

ولابد لنا من بيان موجز عن الإمام المعصومﷺ، ومايختص به من دون البشر وماهو الفرق بينهﷺ، وبين الحاكم العادي ـ السّلطان ـ وما هي المواصفات والشّروط، الّتي تشخّصه عن الآخرين، فالإمام في القاموس: هو الحاكم، والخليفة المنفذ للأحكام الإسلاميّة، والرّئيس الأعلىٰ للمسلمين، وأنّ الأرض لابد لها من إمام[٢].

ويقول الشّيخ الطّوسيّ: إنّ اسم الإمام لا يطلق إلّا علىٰ رئيس لا رئاسة عليه[٣].

ويعرفه الشّيخ المفيد بـ(الإمامة: هي التّقدم فيما يقتضي طاعة صاحبه والاقتداء به)[٤]. ويقول العلاّمة الحلّي (الإمام: هو الإنسان الّذي له الرّياسة العامه في أُمور الدِّين والدُّنيا، بالأصالة في دار التّكليف)[٥]. ونظراً لتولي حكام وأئمّة غير ملتزمين بتعاليم الشّريعة، وعدم جواز تولي الظّلمة، والفسقة، فقال هشام بن الحكم «أنْ يكون الإمام أفضل الرّعيّة علماً، وعصمة، وشجاعة، وسخاء»[٦].

---

(١) المصدر السّابق ص: ٢١٢.

(٢) تلخيص الشّافي للطوسيّ: ١/ ١٢٠.

(٣) المصدر السّابق: ١/ ٢٦٤.

(٤) الإفصاح في إمامة عليّ بن أبي طالب ص: ٣.

(٥) الألفين ص: ١٢.

(٦) نهج الحقّ وكشف الصّدق للعلاّمة الحلّي ص: ١٦٤.

وينقل الشّيخ الصّدوق رواية عن الإمام عليّ بن موسىٰ الرّضاعليه السلام ، يذكر فيها أهمية دور الإمامة ، ومواصفات الإمام يقول فيها : «إنّ الإمامة هي منزلة الأنبياء ، وأرث الأوصياء . . . إنّ الإمامة خلافة الله عزّ وجلّ ، وخلافة الرّسول ، ومقام أمير المؤمنين ، وميراث الحسن ، والحسين عليهما السلام . . . وإنّ الإمامة زمام الدِّين ، وصلاح الدُّنيا ، وعزّ المؤمنين . . . إنّ الإمامة أسّ الإسلام النّامي ، وفرعه السّامي ، بالإمام تقام الصّلاة ، والزّكاة ، والصّيام ، والحجّ ، والجهاد ، وتوفير الفيء ، والصّدقات ، وإمضاء الحدود ، والأحكام ، ومنع الثّغور ، والأطراف . . . الإمام يحل حلال الله ، ويحرم حرام الله ، ويقيم حدود الله ، ويذب عن دين الله ، ويدعو إلىٰ سبيل ربه بالحكمة ، والموعظه الحسنة ، والحجّة البالغة . . الإمام كالشمس الطّالعة ، المجللة بنورها للعالم وهي بالأُفق ، بحيث لا تناها الأيدي والأبصار . . . الإمام البدر المنير ، والسّراج الزّاهر ، والنّور السّاطع ، والنّجم الهادي في غياهب الدُّجىٰ ، والبير القفار ولجحّ البحار . . . الإمام الماء العذب علىٰ الظّمأ ، والدّال علىٰ الهُدىٰ ، والمنجي من الرّدىٰ ، والإمام النّار علىٰ البقاع الحار لمن أصطلىٰ به ، والدّليل في المسالك ؛ من فارقه فهالك . . . الإمام السّحاب الماطر ، والغيث الهاطل ، والشّمس المضيئة والأرض البسيطة ، والعين الغزيرة ، والغدير ، والرّوضة . الإمام الأنيس الرّفيق ، والوالدّ الشّفيق ، والأخ الشّقيق ، ومفزع العباد في الدّاهية . . الإمام أمين الله في أرضه ، وحجته علىٰ عباده ، وخليفته في بلاده ، الدّاعي إلىٰ الله ، والذّاب عن حرم الله . الإمام المطهر من الذّنوب ، المبرأ من العيوب ، مخصوص بالعلم ، مرسوم بالحلم نظام الدّين ، وعزّ المسلمين ، وغيظ المنافقين ، وبوار الكافرين . الإمام واحد دهره لا يدانيه أحد ، ولا يعادله عالم ، ولا يوجد له بدل ، ولا لهُ مثل ، ولا نظير مخصوص بالفعل، كله من غير طلب منه، ولا أكتساب، بل أختصاص من الفضل الوهاب»[١].

(١) أنظر ، عيون أخبار الرّضا ص: ١٧٢ ـ ١٧٥.

وانطلاقاً من الرّؤية الشّيعية الخاصة للإمامة، وأهميتها للدِّين والدُّنيا، فلا بد لنا من التّطرق بشكل مختصر إلىٰ العصمة ومعناها.

عرفها الشّيخ المفيد بـ(التّوفيق واللّطف، والاعتصام في الحججّ ـ الأئمة ـ بها عن الذّنوب والغلط في دين الله تعالىٰ؛ العصمة تفضل من الله تعالىٰ علىٰ من علم أنّه يتمسك بعصمة، والاعتصام فعل المعتصم، وليست العصمة مانعه من القدرة علىٰ القبيح، ولا مضطرة للمعصوم إلىٰ الحسن، ولا ملجئة له إليه، بل هي الشّيء الّذي يعلم الله تعالىٰ، إنّه إذا فعله بعبدٍ من عبيده، لم يؤثر معه معصية له)[١].

أمّا عصمة الأنبياء، والمرسلين، والأوصياء عليهم السلام، فهي مانع من الله تعالىٰ يمنعهم عن المعاصي، فيما فرض الله عليهم من التّبليغ عنه إلىٰ خلقه، هو فعل الله دونهم. وقيل: هي ـ العصمة ـ من فعلهم؛ لأنَّهم يحمدون عليها[٢].

وقال صاحب الياقوت هي: «العصمة لطف يمتنع، من يختص بها، عن فعل المعصيه لا علىٰ وجه القهر»[٣].

وقال العلاّمة الحليّ: «اختلف القائلون بالعصمة، في أنّ المعصوم: هل يتمكن من فعل المعصية أم لا؟ فذهب قوم إلىٰ عدم تمكنه من ذلك، وذهب آخرون إلىٰ تمكنه منها».

أمّا الأوّلون: فمنهم، من قال: إنّ المعصوم مختص في بدنه، أو نفسه، بخاصية تقتضي امتناع إقدامه علىٰ المعصية؛ ومنهم من قال: إنّ العصمة هي القدرة علىٰ الطّاعة، وعدم القدرة، علىٰ المعصية، وهو قول أبي الحسين البصريّ؛ وأمّا

---

(١) شرح عقائد الصّدوق ص: ١٠٦.

(٢) أُنظر، لبنات الفريد لحسن الفريد ص: ٣٠٩.

(٣) الياقوت ص: ٣١١.

الآخرون الّذين لم يسلبوا القدرة، فمنهم من فسرها: بأنّه الأمر الّذي يفعله الله تعالىٰ بالعبد، من الألطاف المقربة إلىٰ الطّاعات، الّتي يعلم معها أنّه لا يقدم علىٰ المعصية، بشرط أنْ لا ينتهي ذلك الأمر إلىٰ الإلجاء؛ ومنهم من فسرها: بإنّها ملكة نفسانية، لا يصدر عن صاحبها معها المعاصي. وآخرون قالوا: العصمة: لطف يفعله الله تعالىٰ بصاحبها، لا يكون له معه داع إلىٰ ترك الطّاعة، وارتكاب المعصية، وأسباب هذا اللُّطف أُمور أربعة:

١ ـ أنْ يكون لنفسه، أو لبدنه، خاصية تقتضي ملكة مانعة من الفجور، وهذه الملكة مغايرة للفعل.

٢ ـ أنْ يحصل له علم بمثالب المعاصي، ومناقب الطّاعات.

٣ ـ تأكيد هذه العلوم بتتابع الوحي، والإلهام، من الله تعالىٰ.

٤ ـ مؤاخذته علىٰ ترك الأوْلىٰ، بحيث يعلم أنّه لا يترك مهملاً، بل يضيق عليه الأمر في غير الواجب من الأُمور الحسنة، فإذا اجتمعت هذه الأُمور كان الإنسان معصوماً [(١)].

ولذا اختلف الشّيعة الإماميّة حول مفهوم العصمة. فمنهم: من رفض الإيمان بضرورة العصمة في الإمام، وهؤلاء هم الزّيدية، بينما الإماميّة: آمنوا بها واشترطوا إتصاف الإمام بها. وقد ترك لنا العلماء تراثاً هائلاً، من المناظرات والحوارات الفلسفية، والكلامية، حول عصمة الإمام عليه السلام، وقد نقل قسماً منها الشّيخ الصّدوق، والشّيخ المفيد، كما مرّ علينا سابقاً، في مناظرات هشام بن الحكم [(٢)].

---

(١) أُنظر، كشف المراد ص: ٣٦٥.

(٢) أُنظر، الإرشاد ص: ٢٧٨. إكمال الدّين وإتمام النّعمة للشيخ الصّدوق ص: ٣٦٢. بحار الأنوار:

وقال السّيد عبد الله شبر: «يجب أنْ يكون الواسطة بين الله تعالىٰ، وبين خلقه ـ نبياً كان، أو إماماً ـ معصوماً، وهو ما تفردت به الإماميّة. وأنّه يجب في الحجّة أنْ يكون معصوماً من الكبائر، والصّغائر، منزهاً عن المعاصي، قبل النّبوة، وبعدها، علىٰ سبيل العمد والنّسيان، وعن كلّ رذيلة، ومنقصة، وعمّا يدل علىٰ الحسنة والصّفة، ويكون سبباً لتنفر النّاس عنه»(١).

ويقول السّيد محمّد صادق الصّدر: «قد يعدّ الكثيرون أنّ القول بعصمة الأئمة من الغلوّ في المذهب؛ إنّ العلة الّتي اقتضت عصمة الأنبياء، هي الّتي تقتضي عصمة الأئمة، فإنّ الإمامة درجة ثانية عن النّبوة، فكل ما كان يترتب علىٰ النّبوة من الفوائد الجليلة، يترتب علىٰ الإمامة...»(٢).

وتوجد روايتان عن الفضل بن شاذان، والإمام الرّضاعليه‌السلام، عن العصمة كما اشرنا إليها سابقاً(٣).

ويروي لنا المجلسي رواية عن الإمام المهديّ، محمّد بن الحسن العسكريّعليه‌السلام، حول ضرورة النّص، واليقين... يقول سعد بن عبد الله الأشعريّ القمي... «سألت المهديّ عن العلة الّتي تمنع من أختيار النّاس إماماً لأنفسهم فأجاب متسائلاً: يختارون مصلحاً أو مفسداً؟ ويجيب سعد: بل مصلحاً، فيقول: فهل يجوز أنْ تقع خيرتهم علىٰ المفسد، بعد أنْ لا يعلم أحد بما يخطر ببال غيره من

⇔ ٢٩١/١١، الأمالي للشيخ الصّدوق ص: ٦٣٢، علل الشّرايع ص: ٢٠٤، النّكث الإعتقادية للشيخ المفيد ص: ٤٨، الشّافي للسّيد المرتضىٰ: ٣/ ١٣٩ و ١٥١، كشف المراد ص: ٣٦٤، منهاج الكرامة في إثبات الإمامة ص: ٥١.

(١) حقّ اليقين: ١/ ١٢١.

(٢) الشّيعة الإمامية: ١٢٦.

(٣) عيون أخبار الرّضا: ٢/٩٩ و ١١٩ و ١٧٥، الأمالي ص: ٥٣٦، غيبة النّعماني ص: ٢١٨.

إصلاح أو فساد؟ ويعترف سعد بالقول: بلىٰ... فيجيبه الإمام عليه السلام، فهي العلة أوردها لك ببرهان يثق به عقلك... أخبرني عن الرّسل الّذين أصطفاهم الله، وأنزل الكتب عليهم، وايدهم بالوحي، والعصمة، إذ هم أعلام الأُمّم، وأهدىٰ إلىٰ الأختيار منهم، مثل موسىٰ، وعيسىٰ، هل يجوز مع وفور عقلهما، وكمال علمهما، إذا همّا بالإختيار أنْ تقع خيرتهما علىٰ المنافق، وهما يظنان إنّه مؤمن..؟ ويقول سعد: لا، فيكمل الإمام الحديث: هذا موسىٰ كليم الله، مع وفور عقله، وكمال علمه، ونزول الوحي عليه، أختار من أعيان قومه، ووجوه عسكره، لميقات ربه سبعين رجلاً ممن لا يشك في إيمانهم واخلاصهم، فوقعت خيرته علىٰ المنافقين، قال الله عزّوجلّ: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَـٰتِنَا...لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُـلْمِهِمْ﴾[1] فلما وجدنا أختيار من قد أصطفاه الله للنبوة واقعاً، علىٰ الأفسد دون الأصلح، وهو يظن أنّـه الأصلح، علمنا أنّ الأختيار ليس إلّا لمن يعلم ما تخفي الصّدور، وتكن الضّمائر...»[2].

ويقول الشّيخ المفيد: «ومن ذلك وجوب وجود إمام في كلّ زمان، لمّا يجب من اللُّطف للعباد، وحسن التّدبير لهم، والأستطلاع لحصول العلم بأنّ الخلق يكونون أبداً عند وجود الرّئيس العادل، أكثر صلاحاً منهم، وأقل فساداً عند الانتشار، وعدم السّلطان...».

ومنها: وجوب فضله علىٰ كافة رعيته في الدِّين عند الله لتقدمه علىٰ جماعتهم، في التّعظيم الدّيني لمن غيره أفضل منه عند الله...

ومنها: أنّه يجب أنْ يكون عالماً بجميع ماتحتاج إليه الأُمّة في الأحكام، وإلّا

(١) الأعراف: ١٥٥.

(٢) أُنظر، بحار الأنوار: ٣/١/١٢٧.

لحقه العجز فيها، واحتاج إلىٰ مسدد له إماماً.

وإذا ثبتت هذه الأُصول، وجب إبانة الإمام عن رعيته بالنصّ علىٰ عينه، والعلم المعجز الخارق للعادات، إذ لا طريق إلىٰ المعرفة بمن تجتمع له هذه الصّفات، إلّا بنصّ الصّادق عن الله تعالىٰ، أو المعجز[١].

وأمّا تحديد هوية المعصوم عليه السلام، الّذي نصبه الله تعالىٰ، وجعله حجّة علىٰ خلقه، فهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والإمامة في ذريّته، وفي ذريّة ابنه الحسين عليه السلام.

فقد روىٰ الشّيخ الصّدوق، عن ابن الوليد، عن الصّفار، عن أحمد بن محمّد عن الحسين بن سعيد، عن عمار، عن إبراهيم بن عمر، عن سليم بن قيس، عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «إنّ الله طهرّنا، وعصمنا، وجعلنا شهداء علىٰ خلقه، وحجته في أرضه، وجعلنا مع القرآن، وجعل القرآن معنا، لا نفارقه، ولا يفارقنا»[٢].

وقال عليه السلام: «إنّما الطّاعة لله عزَّ وجلَّ، ولرسوله، ولولاة الأمر، وإنّما أمر بطاعة أُولي الأمر؛ لأنّهم معصومون، مطهرون، لا يأمرون بمعصية»[٣].

وتستمر الإمامة إلىٰ يوم القيامة، ولهذا يقول هشام بن الحكم، في حواره مع ضرار: «ولابد من أنْ يكون في كلّ زمان قائم، بهذه الصّفة (العصمة) إلىٰ أنْ تقوم السّاعة»[٤].

---

(١) الثّقلان الكتاب، والعترة ص: ١٧٩، وأُنظر، الشّافي للسّيد المرتضىٰ: ٤/ ٦ و ٨، تلخيص الشّافي للشيخ الطّوسيّ: ١/ ٢٦٧ و: ٢/ ٥٩ و ٦٠.

(٢) أُنظر، إكمال الدّين، بصائر الدّرجات، سليم بن قيس الهلالي ص: ٣٩، بحار الأنوار: ٧/ باب جوامع مناقبهم، وفضائلهم.

(٣) المصدر السّابق.

(٤) أُنظر، علل الشّرائع ص: ٢٠٣ الباب ١٥٥.

وروىٰ الصّدوق قول الرّسول صلى الله عليه وآله: «إنّي مخلف فيكم الثّقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنّهما لن يفترقا حتّىٰ يردا عليَّ الحوض كهاتين».

وضم سبابتيه ـ فقام جابر بن عبد الله الأنصاري وقال: يارسول الله من عترتك؟ فقال: «عليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين، والأئمة من ولد الحسين، إلىٰ يوم القيامة».[1]

وروىٰ الصّدوق أيضاً عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام: «الحجّة قبل الخلق، ومع الخلق، وبعد الخلق»[2].

وعن جعفر بن محمّد، عن آبائه أنّ النّبي صلى الله عليه وآله قال: «إنّ في كلّ خلف من أُمتي عدولاً، من أهل بيتي، ينفي عن هذا الدِّين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»[3].

---

(١) أنظر، إكمال الدّين وإتمام النّعمه ص: ٢٤٥، اليواقيت والجواهر للشيخ العارف عبد الوهاب الشّعرانيّ ص: ٢/النّسخة الخطية.

(٢) المصدر السّابق ص: ٢٢٢ و ٢٢١ و ٢٣٠.

(٣) المصدر السّابق ص: ٢٠٧، بصائر الدّرجات ص: ٢٩٧، الكافي: ١/ ٢٠٤، عيون أخبار الرّضا: ٢٠٠، الأمالي ص: ٢٦٩.

إدعاء علم المنايا والبلايا للأئمّة عليهم السلام

وهو علم آجال النّاس، ومايحل بهم في المستقبل من مصائب، فقد أيد هذه النّظريّة مجموعة من العلماء بأنّ الأئمّة عليهم السلام، عندهم هذا العلم، ولطالما أخبر الإمام عليّ عليه السلام، بعض أصحابه، فيما يواجهه من ظلم، واضطهاد من قبل الحاكم الجائر كأخبار ميثم التّمار في كيفيّة قتله، واستشهاده، وتحديد يومه، وساعته، وعلىٰ يدّ مَن يُقطع لسانه، وغير ذلك.

ويروي فرات بن إبراهيم الكوفيّ في تفسيره: أنّ عليّ بن الحسين عليه السلام قال: «إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله، كان أمين الله في أرضه، فلمّا قُبض كنا أهل البيت أُمناء الله في أرضه، عندنا علم البلايا والمنايا، وأنساب العرب، ومولد الإسلام، وأنّا لنعرف الرّجل إذا رأيناه بحقيقة الايمان، وبحقيقة النّفاق، وأنّ شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم، وأسماء آبائهم... أخذ الله الميثاق علينا وعليهم، يردون مواردنا ويدخلون مداخلنا، ليس علىٰ ملّة إبراهيم الخليل غيرنا وغيرهم. بنا فتح الله، وبنا يختمه، وبنا أطعمكم الله عشب الأرض، وبنا أنزل الله عليكم قطر السّماء، وبنا آمنكم من الغرق في بحركم، ومن الخسف في بركم... وبنا نفعكم الله في حياتكم، وفي

قبوركم، وفي محشركم، وعند الصّراط. نحن خلفاء الأرض، ونحن أوّلىٰ النّاس بالله، ونحن المخصوصون في كتاب الله، ونحن أوّلىٰ بدين الله... ونحن الّذين شرع الله دينه»[١].

ويروي الصّفار، عن سعيد بن طريف، حديث الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام، السّابق حول أخبار النّاس بما يحدث لهم في المستقبل، وإنّه عرضه علىٰ الإمام أبي جعفر الباقر وتساءل عن صحته... فقال له: كان ذلك، فقال سعد: جعلت فداك فكيف لا تقول أنت، فلا تخبرنا فنستعد له؟ فقال له الباقر عليه السلام، هذا باب أغلق الجواب فيه، عليّ بن الحسين، حتّىٰ يقوم قائمنا[٢]. وسبب إغلاق هذا العلم عن الأصحاب من قبل الأئمّة عليهم السلام؛ لأنّ أصحاب الأئمّة عليهم السلام، الأوائل أصحاب تكتم ومحافظة، وسرية علىٰ قول الإمام عليه السلام. أمّا عند المتأخرين، فلا يوجد تكتم، وممّا يدل علىٰ ذلك هو قول الإمام الصّادق عليه السلام، عندما سأله أبو بصير عن سبب ما أصاب أصحاب عليّ، ما أصابهم من علمهم بمناياهم، وبلاياهم... وتساؤله بعد ذلك عن السّبب الّذي يمنع أباعبد الله من أخبار الصّحابة، بما كان يخبرهم الإمام عليّ، وقول الإمام له إضافة إلىٰ إغلاق الباب بعد الإمام عليّ، وفتح شيء منه، في عهد الإمام الحسين قال عليه السلام: «إنّ أُولئك كانت أفواههم أوكية»[٣]. أشارةً إلىٰ ذلك منه عليه السلام. لكن رغم ذلك توجد روايات عن أهل بيت العصمة: في أخبار خواصهم ـ خواص الخواص ـ بذلك العلم كرشيد الهجري، وغيره، ومن ذلك أخبار الإمام

---

(١) تفسير فرات الكوفيّ ص: ١٣٢، وسائل الشّيعة: ١٩٤/٢٠، بصائر الدّرجات ص: ١١٨، الأختصاص للشيخ المفيد ص: ٧٧، الخرائج والجرائح قطب الدّين الرّاوندي: ٢٢٨/١، بحار الأنوار: ٣١٣/٢٣ و: ١٤٢/٢٦.

(٢) بصائر الدّرجات ص: ٢٦٢.

(٣) المصدر السّابق ص: ٢٦١.

الكاظم عليه السلام، لخالد بن نجيح، بيوم وفاته، من سَنَة أربع وسبعين ومئة. وأخبار الإمام الرّضا عليه السلام، بطول حياة عمّه محمّد بن جعفر الّذي كاد يحتضر، وأخبار من كان يبكي عليه بوفاته قبله، وغير ذلك[١].

أمّا معرفة الأئمّة عليهم السلام لعلم الغيب، فقد روىٰ الكليني روايات كثيرة. منها: قول الإمام الباقر عليه السلام، لرجل: «إنّه سيكون في قرقيسيا، وقعة لم يكن مثلها، منذ خلق الله السّموات والأرض... ولا يكون مثلها... مادامت السّماوات، والأرض... مأدبة للطير تشبع منها، سباع الأرض، وطيور السّماء، يهلك فيها قيس، ولا يدعىٰ لها داعية...»[٢].

وسأل رجل من أهل فارس أبا الحسن عليه السلام، فقال له: أتعلمون الغيب؟ فقال: قال أبو جعفر: يبسط لنا العلم فنعلم، ويقبض عنا فلا نعلم، وقال: سر الله عزّ وجلّ أسرّه إلىٰ جبريل، وأسرّه جبريل إلىٰ محمّد، وأسره محمّد إلىٰ من شاء الله[٣].

وينقل عمار السّاباطي، أنّه سأل الإمام أبو عبدالله عليه السلام، عن «الإمام يعلم الغيب؟ فقال: لا، ولكن إذا أراد أنْ يعلم الشّيء ـ الغيب ـ أعلمه الله ذلك»[٤].

وينقل عن الإمام الصّادق عليه السلام: «أنّ العالم إذا شاء، أنْ يعلم علم»[٥].

وعن الإمام الصّادق عليه السلام: «أنّه قال: إنّ الإمام لولم يعلم مايصيبه، وإلىٰ

(١) اُنظر، المصدر السّابق ص: ٢٦٤.

(٢) روضة الكافي ص: ٢٤٥.

(٣) اُنظر، إثبات الهداة ص: ٧٤٨، الكافي: ١/ ٢٥٧.

(٤) اُنظر، المصادر السّابقة.

(٥) بصائر الدّرجات ص: ٣١٥.

مايصير، فليس ذلك بحجّة الله علىٰ خلقه»(١).

ويقول باقر شريف القرشي: «أعتقد الشّيعة بأنّ الإمام لابدّ أنْ يكون أعلم النّاس، وأفضلهم، في قدراته العلميّة... فهو يتلقّىٰ المعارف، والأحكام الإلهيّة وجميع المعلومات من طريق النّبيّ، والإمام من قبله... وإذا استجد شيء لابد أنْ يعلمه من طريق الإلهام، بالقوة القُدسيّة، الّتي أودعها الله تعالىٰ فيه، فإنْ توجّه إلىٰ شيء وشاء أنْ يعلمه، من طريق علىٰ وجهه الحقيقي، لا يخطأ فيه. كلّ ذلك مستند إلىٰ البراهين العقليّة، (الفلسفيّة) ولا يستند إلىٰ تلقين ـ تلقينات المعلّمين ...».

ويبدو واضحاً هذا الأمر في تأريخ الأئمّة عليهم السلام، كالنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، فإنّهم لم يتربوا علىٰ أحد عليهم السلام ولم يتعلموا علىٰ يد معلّم، من مبدأ طفولتهم إلىٰ سنّ الرّشد، حتّىٰ القراءة والكتابة، ولم يثبت عن أحدهم أنّه دخل الكتاتيب، أو تتلمذ علىٰ أُستاذ في شيء من الأشياء، مع ماهم من منزلة علميّة لا تجارىٰ، وما سئلوا عن شيء إلّا أجابوا عليه في وقته، ولم تمر علىٰ ألسنتهم كلمة (لا أدري) ولا تأجيل الجواب، إلىٰ المراجعة، أو التّأمل، أو نحو ذلك(٢).

ويروي الصّفار، عن الحرث بن المغيرة، قال: قلت لأبي عبد الله: «جعلت فداك: الّذي يسأل عنه الإمام، وليس عنده فيه شيء... من أين يعلّمه؟ قال: ينكت في القلب نكتاً، أو ينقر في الإذن نقراً»(٣).

وعن عيسىٰ بن حمزة الثّقفي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «إنّا نسألك فتسرع

(١) المصدر السّابق ص: ٤٨٤.
(٢) أُنظر، حياة الإمام موسىٰ بن جعفر ص: ١١٤.
(٣) بصائر الدّرجات ص: ٣١٦، بحار الأنوار: ١٩/٢٦، الغدير: ٤٨/٥.

في الجــواب، وأحــياناً تــطرق ثمّ تجيبنا! قــال: إنّــه نــعم... يــنقر في آذانــنا وقلوبنا، فإذا نكت، أو نقر، نطقنا، وإذا أمسك عنا، أمسكنا»[١].

وينقل الصّفار، والكليني، والشّيخ المفيد، مجموعة روايـات بهـذا المـضمون واحياناً نفس الرّواية، عن الإمام الكاظم عليه السلام[٢]. ولكن توجد روايات أُخرىٰ في مقابل هذه الرّوايات، تنفي عن الأئمّة عليهم السلام علم الغيب، بل يطلبون من شيعتهم، أنْ يعرضوا أحاديثهم عليهم السلام علىٰ القرآن الكريم، وبهذا بذلوا أقصىٰ جـهودهم، لمحـاربة الأفكار المضادة...[٣].

وقد تصدىٰ الإمام الصّادق عليه السلام، لمحاربة فكرة ـ علم الأئمّة بالغيب ـ فقال: أمام جماعة من أصحابه، وهو مغضب: «يا عجباً لأقوام يزعمون أنّا نعلم الغـيب ... والله لقد هممت بضرب جاريتي فلانه، فهربت منّي، فما علمت في أيّ بيوت الدّار هي...»[٤].

ومرّ حديث الإمام الصّادق عليه السلام، عن أبي الخطاب، حول علم الغيب وقـال: «وأمّا قوله أنّي أعلم الغيب، فلا والله الّذي لا إله إلّا هو، ما أعلم الغيب...»[٥].

وقد جاء أبو بصير، ذات مرة إلىٰ الإمام الصّادق عليه السلام، فقال له وهو خـائف: «إنّهم يقولون... قال: وما يقولون؟ قال: يقولون: تعلم قطر المطر، وعدد النّجوم

---

(١) المصدر السّابق.

(٢) أُنظر، بصائر الدّرجات للصغار ص: ٣١٩، ٤٣٣، ٤٤٠، الكافي للشيخ الكليني: ١/ ٢٦٤، الإرشاد للشيخ المفيد ص: ٢٧٤.

(٣) أُنظر، عيون أخبار الرّضا، حاشية أُصول الكافيّ ص: ٦٦.

(٤) إثبات الهداة: ٣/ ٧٤٨، بصائر الدّرجات ص: ٢١٣.

(٥) المصدر السّابق: ٣/ ٧٧١.

وورق الشّجر، ووزن ما في البحر، وعدد التُّراب. فقال: «سبحان الله.. سبحان الله.. لا والله مايعلم هذا إلّا الله»(١).

وسأل يحيىٰ بن عبد الله الإمام الكاظمعليه السلام، فقال: جُعلت فداك إنّهم يزعمون إنّك تعلم الغيب؟ فقال: سبحان الله! ضع يدك علىٰ رأسي فو الله ما بقيت شعرة فيه وفي جسدي، إلّا قامت ثمّ قال: لا والله ما هي إلّا، وراثة عن رسول الله صلى الله عليه وآله(٢).

وسبق وأن أشرنا إلىٰ رسالة الإمام المهديّعليه السلام، لمحمّد بن عليّ، بن هلال الكوفيّ(٣). ويذكر فيها هذا المعنىٰ أيضاً.

وعن الإمام الباقرعليه السلام، قال لجابر بن يزيد: «إنّا نحدثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله صلى الله عليه وآله، كما يكنز هؤلاء ذهبهم، وفضتهم...»(٤).

وعن الإمام الصّادقعليه السلام، قال: «إنّا لو كنا نفتي النّاس برأينا، وهوانا لكنا من الهالكين، ولكنا آثار من رسول الله صلى الله عليه وآله، أصل علم، نتوارثها، كابر عن كابر، نكنزها كما يكنز النّاس ذهبهم وفضتهم»(٥).

وقالعليه السلام: «إنّ الله علّم رسوله، الحلال، والحرام، والتّأويل، وعلّم رسول الله علمه كلّه، عليّاًعليه السلام»(٦).

وقالعليه السلام: «إنّا والله مانقول بأهوائنا، ولا نقول برأينا، إلّا ما قال ربّنا، وأصول

(١) أُنظر، إثبات الهداة: ٣/ ٧٧٢.
(٢) المصدر السّابق: ٣/ ٧٧٦، الأمالي للشيخ المفيد ص: ٢٣.
(٣) إثبات الهداة: ٣/ ٧٦٤.
(٤) أُنظر، بصائر الدّرجات ص: ٢٩٩.
(٥) المصدر السّابق ص: ٣٠٠.
(٦) المصدر السّابق ص: ٢٩٠.

عندنا نكنزها، كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم...»[١].

وعندما سأل الحرث النّضري، من الإمام الصّادق عليه السلام، عن علم أهل البيت: هل هو حكمة تقذف في صدره، أو وراثة من رسول الله؟ لم يقل الإمام أنّه حكمة تقذف في قلبه، بل قال أنّه: «وراثة من رسول الله، ومن عليّ بن أبي طالب، علم يستغني به عن النّاس، ولا يستغني النّاس عنه»[٢].

وقال الشّيخ المفيد رحمه الله: «وأمّا إطلاق القول علىٰ الأئمّة عليهم السلام بأنّهم يعلمون الغيب، فهو منكر بيّن الفساد؛ لأنّ الوصف بذلك إنّما يستحقه من علم الأشياء بنفسه، لا بعلم مستفاد، وهذا لا يكون إلّا لله عزّ وجلّ، وعلىٰ قولي هذا جماعة من الإماميّة. إلّا من شذ عنهم، من المفوضة، ومن انتمىٰ إليهم من الغُلاة...»[٣].

سبق وأنْ أشرنا أنّ المراد من النّفي هنا، يعني أنّهم لا يعلمون من غير إلهام، وأمّا ما كان من ذلك، فلا يمكن نفيه؛ لأنّ عمدة معجزات الأنبياء، والأوصياء عليهم السلام، الأخبار عن المغيبات، وقد استثنىٰ الله سبحانه وتعالىٰ بقوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[٤]. وهذا هو مقصود الشّيخ المفيد؛ أمّا إذا أراد الإمام عليه السلام، أنْ يعلم الشّيء أعلمه الله ذلك. وليس هذا ببعيد علىٰ أهل البيت عليهم السلام وليسوا أقل شأناً من حذيفة ابن اليمان الّذي ورد فيه أنّه قال: «أعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله بما كان، وما يكون إلىٰ يوم القيامة»[٥]. وقد أخرج أحمد أيضاً عن أبي إدريس، قال: «سمعت حذيفة بن اليمان

---

(١) المصدر السّابق ص: ٣٠٠.

(٢) أُنظر، إثبات الهداة: ٣/ ٧٧٢، بصائر الدّرجات ص: ٢٢٦.

(٣) أُنظر، أوائل المقالات ص: ٧٧.

(٤) الجنّ: ٢٧.

(٥) صحيح مسلم كتاب الفتن: ٤١٠/٥ ح ٢٢، مسند أحمد: ٣٦٨/٥، دلائل النّبوة للبيهقي: ٤٠٦/٦، تأريخ ابن عساكر: ٩٤/٤، الإصابة: ٣١٨/١ رقم (١٦٤٧).

يقول: والله إنّي لأعلم النّاس بكلِّ فتنة هي كائنةٌ فيما بيني، وبين السّاعة»[١].

وتوجد من هذه الحكايات قضايا جمّة في أُناس كثيرين تُنبيء عن علمهم بالغيب، ولا يراها ابن تيمية، والبرذونيّ، والقصيمي، والغليسية، والقفاري، وأحمد أمين المصري شركاً، فعن الشّيخ عليّ الشّبلي قال: احتاجت زوجتي إلىٰ مقنعة فقلت: عليَّ دين خمسة دراهم، فمن أين أشتري لكِ مقنعة؟ فنمت فرأيت من يقول لي: إذا أردت أنْ تنظر إلىٰ إبراهيم الخليل فانظر إلىٰ الشّيخ عبد الله بن عبد العزيز. فلمّا أصبحت أتيته «بقاسيون» فقال لي: مالك ياعليّ؟ إجلس، وقام إلىٰ منزله، وعاد، ومعه مقنعة في طرفها خمسة دراهم، فأخذتها ورجعت[٢]. ولذا نجد القصيميّ صاحب كتاب (الصّراع) يرفع عقيرته بكل وقاحة ويقذف الشّيعة بالكُفر، والردّة.

(١) المصدر السّابق.

(٢) شذرات الذّهب: ١٣٣/٧.

إنكار موت الأئمّة عليهم السلام

سبق وأنْ أشرنا في الفصل السّابق، إلىٰ الفِرق، والنّظريات، الّتي أنكرت موت الأئمّة عليهم السلام، وهنا نلخص ما مرّ سابقاً، ابتداءً بالفرقة السّبئية، الّتي أنكرت استشهاد وقتل الإمام عليّ عليه السلام، حيث قال عبد الله بن سبأ: «والله لو جئتمونا بدماغه في سبعين صرة، وأقمتم علىٰ قتله سبعين عدلاً، ماصدقناكم، ولعلمنا أنّه لم يمت ولم يقتل، وأنّه لا يموت حتّىٰ يسوق العرب بعصاه، ويملك الأرض»[1]. إلىٰ غير ذلك من الأدلة. ثمّ قالت الكيسانيّة بعدم وفاة محمّد بن الحنفية، الّذي أعتبرته هو الإمام من بعد أبيه عليه السلام، وقالوا: إنّه حيّ يرزق، بجبل رضوىٰ... وهو المغيب عن الخلق... ثمّ المنصوريّة الّتي ادعت بمهدوية الإمام الباقر عليه السلام، وقالوا: إنّه حيّ لم يمت، ولم يقتل، وإنّه لايموت... ثمّ الخطّابية الّتي ادعت أيضاً، بأنّ الإمام الصّادق عليه السلام، حيّ يرزق، وهو إله فكيف يموت، بل هو غائب عن أنظار النّاس...

وهكذا زعم العُمريّة وقالوا: إنّ جعفر الصّادق عليه السلام، صار من الملائكة... وهو نفس ادعاء البزيغيّة، والمُغيريّة، والبيانيّة، والمفوّضة، وغير ذلك من الفرق الّتي

---

(١) أُنظر، المقالات والفرق ص: ١٩، الشّيعة في التّأريخ ص: ١٧٢.

سبق وأنْ شرحناها مفصلاً، إلىٰ الفرقة الّتي قالت: إنّ الحسن بن عليّ العسكري حيّ لم يمت، وإنّما غاب وهو القائم، ولا يجوز أنْ يموت، ولا ولد وله ظاهر؛ لأنّ الأرض لا تخلو من حجّة...

ولكن ظهرت فرقة أُخرىٰ تقول بوفاة الإمام الحسن بن عليّ العسكريّ ولكنّها قالت برجوعه إلىٰ الحياة بعد ذلك... وهو القائم المهديّ... وظهرت فرقة ثالثة تؤمن بوفاة الإمام العسكريّ عليه السلام، ولكنّها نقلت الإمامة إلىٰ أخيه جعفر...

ومن هذا وذاك؛ نرىٰ الشّيخ المفيد رحمه الله يهاجم هؤلاء الغُلاة، ويبيّن أنّ أوّل خلافٍ حدث بعد وفاة الرّسول محمّد صلى الله عليه وآله، هو خلاف ابن الخطاب علىٰ الجماعة ونفيه موت الرّسول صلى الله عليه وآله، وادعاؤه أنّه لم يمت، وأنّه حيّ... وقال: «وهذا مذهب المحمّدية من الغُلاة، وبه يتدينون، وهو ضلاّل بالاتفاق»[1].

ثمّ قال: «وأنكر النّاووسيّة موت أبي عبد الله عليه السلام، وإنكارهم هذا ضرب من دفع الضّرورة، وأنكار المشاهدة؛ لأنّ العلم بوفاته كالعلم بوفاة أبيه من قبله...) ثمّ قال: «لا فرق بين هذه الفرقة، وبين الغُلاة الدّافعين لموت أمير المؤمنين عليه السلام، وبين من أنكر موت الإمام الحسين عليه السلام، ودفع ذلك وادّعىٰ أنّه شُبّه للقوم...»[2].

وردّ علىٰ ذلك قائلاً: «ما روي من خبر الواحد في هذا الباب، ولو رواه ألف إنسانٍ، وألف ألف، لمّا جاز أنْ يجعل ظاهره حجةً، في دفع الضّرورات، وارتكاب الجهالات، بدفع المشاهدات»[3].

---

(١) أُنظر، الفصول المختارة ص: ١٩٢.

(٢) المصدر السّابق ص: ٢٤٠.

(٣) المصدر السّابق ص: ٢٤٩.

وقال بعد ذلك في أوائل المقالات: «إنّ رسل الله تعالىٰ من البشر، وأنبيائه والأئمّة عليهم السلام من خلفائه، محدثون، مصنوعون، تلحقهم الآلام، وتحدث لهم اللّذات وتنمو أجسامهم بالأغذيّة، وتنقص علىٰ مرور الزّمان، ويحلّ بهم الموت، ويجوز عليهم الفناء، وعلىٰ هذا القول إجماع أهل التّوحيد، وقد خالفنا فيه المنتحون إلىٰ التّفويض، وطبقات الغُلاة...»[1].

وقال الشّيخ المفيد رحمه الله في ـ كتاب الأنساب والزّيارات ـ من تأليفه النّفيس المقنعة: «وقُبض رسول الله مسموماً، لليلتين بقيتا، من صفر سَنَة عشرة من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سَنَة»[2]. وقُبض أميرالمؤمنين عليه السلام، قتيلاً بالكوفة، ليلة الجمعة لتسع ليال بقين من شهر رمضان، سَنَة أربعين للهجرة، وله يومئذ ثلاث وستون سَنَة. وقُبض الحسن بن عليّ عليه السلام، مسموماً بالمدينة، في صفر سَنَة تسع وأربعين من الهجرة، فكان سنّهُ عليه السلام، يومنذ سبعاً وأربعين سَنَة. وقُبض الحسين بن عليّ عليه السلام، قتيلاً بالطف في كربلاء، من أرض العراق، يوم الأثنين العاشر من المحرم قبل زوال الشّمس، سَنَة إحدىٰ وستين من الهجرة، وله يومئذ ثماني وخمسون سَنَة. وقُبض عليّ بن الحسين عليه السلام، بالمدينة، سَنَة خمس وتسعين، وله يومئذ سبع وخمسون سَنَه. وقُبض محمّد بن عليّ عليه السلام، بالمدينة سَنَة أربع عشرة ومئة، وكان سِنّه يومئذ سبعاً وخمسين سَنَة[3]. وقُبض جعفر بن محمّد عليه السلام، بالمدينة في شوال سَنَة ثماني وأربعين ومئة، وله يومئذ خمس وستون سَنَة. وقُبض موسىٰ بن جعفر عليه السلام، قتيلاً بالسم ببغداد، في حبس السّنديّ ابن شاهك، لست بقين من

(١) أُنظر، أوائل المقالات ص: ٨٤.

(٢) أُنظر، المقنعة ص: ٧٢ ـ ٧٥.

(٣) أُنظر، التّهذيب: ٢/ ٢٧.

رجب سَنَة ثلاث وثمانين ومئة، وكان سِنّه يومئذ خمساً وخمسين سَنَة. وقُبض عليّ ابن موسىٰ الرّضاﷺ، بطوس من أرض خراسان، في صفر سَنَة ثلاث ومئتين، وهو يومئذ ابن خمس وخمسين سَنَة. وقُبض محمّد بن عليّ الجوادﷺ، ببغداد، في آخر ذي القعدة، سَنَة عشرين ومئتين، وله يومئذ خمس وعشرون سَنَة. وقُبض عليّ ابن محمّد الهاديﷺ، بسرّ من رأىٰ، في رجب سَنَة أربع وخمسين ومئتين، وله يومئذ إحدىٰ وأربعون سَنَة وسبعة أشهر. وقُبض الحسن بن عليّ العسكريّﷺ، بسرّ من رأىٰ لثمان خلون من شهر ربيع الأوّل، سَنَة ستين ومئتين، وكان سِنّه يومئذ ثمانياً وعشرين سَنَة. وخلف وراءه الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشّريف وهو ابنه الوحيد وسبق وأنْ ناقشنا ذلك في تحقيقنا لكتاب «فرائد فوائد الفكر في الإمام المهديّ المنتظر»، للشيخ مرعي بن يوسف الحنبليّ الّذي تزعم مشيخة الأزهر.

أمّا القول في معرفة الأئمّةﻋﻠﻴﻬﻢ السلام بجميع الصّنايع، وسائر اللّغات[١]:

قال الشّيخ؛ إنّه ليس يمتنع ذلك منهم، ولا واجب من جهة العقل، والقياس، وقد جاءت أخبار عمّن يجب تصديقه بأنّ أئمة آل محمّدﷺ، قد كانوا يعلمون ذلك، فإنْ ثبت وجب القطع به من جهتها علىٰ الثّبات. ولي في القطع به منها نظر، والله الموفق للصواب، وعلىٰ قولي هذا جماعة من الإماميّة، وقد خالف فيه بنو نوبخت رحمهم الله، وأوجبوا ذلك عقلاً، وقياساً، ووافقهم فيه المفوضة كافة، وسائر الغُلاة[٢].

وأمّا القول في علم الأئمّةﻋﻠﻴﻬﻢ السلام، بالضمائر والكائنات، وإطلاق القول عليهم بعلم

---

(١) أُنظر، بحار الأنوار: ٧/ ٣٢٢.

(٢) أُنظر، أوائل المقالات ص: ٧٧، وشرح عقائد الصّدوق ـ باب الغلوّ والتّفويض.

الغيب، وكون ذلك لهم في الصّفات[1]. «أقول أنّ الأئمّة عليهم السلام من آل محمّد صلى الله عليه وآله، قد كانوا يعرفون ضمائر بعض العباد، ويعرفون مايكون قبل كونه، وليس ذلك بواجب في صفاتهم، ولا شرطاً في إمامتهم، وإنّما أكرمهم الله تعالىٰ به، وأعلمهم إيّاه للطف في طاعتهم، والتّمسّك بإمامتهم، وليس ذلك بواجب عقلاً، ولكنّه وجب لهم من جهة السّماع، فأمّا إطلاق القول عليهم بأنّهم يعلمون الغيب، فهو منكر بيّن الفساد؛ لأنّ الوصف بذلك إنّما يستحقه من علم الأشياء بنفسه، لا بعلم مستفاد، وهذا لايكون إلّا لله عزّ وجلّ، وعلىٰ قولي هذا جماعة أهل الإمامة، إلّا من شذّ عنهم من المفوضة، ومن انتمىٰ إليهم من الغُلاة»[2].

---

(١) أُنظر، البحار: ٧/ ٣٠٠.

(٢) أُنظر، متشابه القرآن ومختلفه لابن شهر آشوب: ١/ ٢١١.

الولاءِ، والبراءِ في اللّغة

الولاء: قال ابن فارس: «الواو واللاّم والياء: أصل صحيح يدل علىٰ قرب من ذلك، الولي. القرب يقال: تباعد بعد ولي أيّ قَرُب»[1].

والموالاة: «المحبة يقال: وإلىٰ فلان فلاناً إذا أحبه»[2].

والولاء: النّصرة قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾[3].

وقال الفراء: «أيّ تنصروهم، يعني أهل مكة»[4].

أمّا البراء: لقد بين ابن فارس: «إنّ الباء والرّاء والهمزة أصلان ترجع إليهما فروع الباب. أحدهما: الخلق يقال: برأ الله الخلق يبرؤهم برءاً، والأصل الآخر: التّباعد من الشّيء ومزايلته، ومن ذلك البرء وهو السّلامة من السّقم، يقال: بَرِئْتُ

---

(١) معجم مقاييس اللّغة، مادة «ولي»، تفسير غريب القرآن للراغب الإصبهاني ص: ٧٨.

(٢) لسان العرب مادة: «ولي»، من أقوال ابن الأعرابي.

(٣) الممتحنة: ٩

(٤) لسان العرب مادة: «ولي».

وبَرِأْتَ قال: «ومن ذلك قولهم برئت إليك من حقك وأهل الحجاز يقولون: أنا براء منك، وغيرهم يقول: أنا بريء منك»[١]، ويقول بعض علماء اللّغة العربية: «برىء إذا تخلص، وبرىء إذا تنزه وتباعد، وبرىء إذا أعذر وأنذر»[٢]

والسّؤال الّذي نطرحه هل أن حبّ الإمام عليّ عليه السلام يُعد تجاوزاً أم لا ؟ فإذا كان تجاوزاً، فهو مردود، وذلك لأنّ الإمام عليّاً حاز علىٰ حبّ الله، وحبّ رسوله صلى الله عليه وآله، وحبّ المسلمين. ولذا يروي الطّبريّ أنّ النّبي صلى الله عليه وآله قال يوم خيبر: «لأعطين اللّواء غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، فلما كان في الغد تطاول لها أبو بكر وعمر، فدعا عليّاً عليه السلام، وهو أرمد فتفل في عينه وأعطاه اللّواء»[٣].

وقيل: «فتطاولت لها قريش، ورجا كلّ واحد منهم أن يكون صاحب ذلك»[٤].

ووردت أحاديث كثيرة بشأن حبّ النّبي صلى الله عليه وآله للإمام عليّ عليه السلام، واختلفت وجهات النّظر عند كلّ من السُّنَّة والشّيعة فيها، ولكنهم يُجمعون رغم اختلافهم علىٰ: «أنّ عليّاً كان من أحبّ النّاس إلىٰ النّبي صلى الله عليه وآله، إنْ لم يكن أحبهم إليه علىٰ الإطلاق»[٥].

إذ كان النّبي صلى الله عليه وآله، يغمر بالحبّ كلّ من أحاط به من الغُرباء، والأقربين فأي

---

(١) معجم المقاييس مادة «برأ»: ٢٣٦/١.

(٢) لسان العرب مادة «برأ».

(٣) تأريخ الطّبريّ: ١٣١/٣ مطبعة دار المعارف بمصر / سلسلة ذخائر العرب / تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم.

(٤) المصدر السّابق.

(٥) عبقريّة الإمام عليّ ص: ١٢٩، عباس محمود العقاد.

عجب أنْ يخص بالحبّ من بينهم إنساناً ما، هو ابن عمّه الّذي كفله، وحماه، وكان ربيبه الّذي أوشك أنْ يتبناه، وكان زوج ابنته العزيزة عنده، وكان بديله في الفراش ليلة الهجرة الّتي هم المشركون فيها بقتل من يبيت في فراشه، وكان نصيره الّذي أبلىٰ أحسن البلاء في جميع غزواته، وتلميذه الّذي علم من فقه الدِّين مالم يعلمه ناشىء في سنه»[1]، ولذا قال الدّكتور عبد الحليم محمّود: «إنّ صلة عليّ بالرسول ﷺ، أقدم من الإسلام نفسه»[2]. وقال النّشّار: «فقد كان عليّ بن أبي طالب خليقاً بكل محبة وإجلال، وبكل صورة للهيام، والعشق في قلوب المسلمين»[3].

ولكن سبحان الله مقلّب القلوب، فهذه النّفوس الّتي هامت في حبّه، وتلك القلوب الّتي خفقت باسمه عشقاً، والّتي تخشىٰ الله من خذلانه، أخذت بعض الأقلام المأجورة تتهم هؤلاء المحبين للإمام عليّ ﷺ، بـ«الغلوّ» بعد أنْ رأوا بعض الّذين قعدوا عن نصرته، أو بعض المشعوذين الّذين أفرطوا في حبهم له ﷺ نتيجة ما لاقوه من الهوان علىٰ أيدي الأُمويين، ولما فقدوه من عدالتّه ﷺ، ولذا حذر الإمام عليّ ﷺ من المغالين والمفرطين في حبّه، فقال: «ليحبني أقوام حتىٰ يدخلهم حبي النّار»[4]، علماً بأنّ المحبة والحبّ لا ضير فيهما إذا كان ذلك لله، ولا شك أنّ الشّيعة لاقت اضطهاداً، وعنتاً من الحكام سواء كانوا أُمويين أو عباسيين،

---

(١) المصدر السّابق.

(٢) التّفكير الفلسفيّ في الإسلام: ١/١٧٦، نشر وتوزيع مطبعة الدّار المصريّة ١٩٧٧م.

(٣) نشأة الفكر الفلسفيّ في الإسلام ص: ١/مقدمة الطّبعة الثّانية / دار المعارف ١٩٨١م.

(٤) التّنبيه والرّد علىٰ أهل الأهواء والبدع للملطي ص: ١٥٧.

وتعرض الكثير منهم للقتل والمحن وعلىٰ رأسهم الأئمة عليهم السلام ، فانزل بآل البيت أقسىٰ المصائب ، وأعظم البلايا ، بحيث يعتبر تأريخ تلك الأُسرة حقاً مأساة من أكبر المآسي في تأريخ الإنسانية كما يقول الدّكتور النّشّار[1] .

ويقول المدائني ـ بعد أن تتبع زياد الشّيعة في كلّ مكان ، وبعد أنْ استخلف علىٰ أهل البصرة سمرة ابن جندب من قبل الحجّاج ، فقتل ثمانية آلاف ولهذا ولغيره ـ

«فقد تقرب إليه أهل النّسك ، والصّلاح ، والدِّين ، ببغض عليّ ، وتمادوا في موالاة أعدائه ، وأكثروا من البغض لعليٍّ ، وتمادوا في عيبه ، والطّعن فيه والشّنآن له ، حتىٰ أنّ إنساناً وقف له ـ أيّ الحجّاج ـ فصاح به ! أيّها الأمير : إنّ أهلي عقّوني فسموني عليّاً ، وإني فقير بائس ، وأنا إلىٰ صلة الأمير محتاج ؛ فتضاحك له الحجاج وقال : للطف ما توسلت به فقد وليتك موضع كذا»[2] .

وقال ابن الأثير : (ولما قدم الحجاج إلىٰ المدينة بعد قتله عبد الله بن الزّبير ختم علىٰ ايدي جماعة من الصّحابة استخفافاً بهم ، وقيل ختم علىٰ اعناقهم ، وإنّه انزل الجند في بيوت النّاس ، واصبح ذلك سُنَّة من بعده)[3] .

ويقول صاحب مروج الذّهب[4] ، وصاحب العقد الفريد[5] في أقوال النّاس في الحجاج : (أُحصي من قتلهم الحجاج صبراً سواء من قتل في حروبه فكانوا (١٢٠) ألفاً ، وكان في حبسه (٥٠) ألف رجلاً ، و(٣٠) ألف امرأة ستة عشر منهن

---

(١) نشأة الفكر الفلسفيّ : ٥/٢ .

(٢) شرح النّهج لابن أبي الحديد : ٤٤/١ .

(٣) أُنظر ، المامل في التّأريخ لابن الأثير : ٢٦/٤ و٨٦ .

(٤) أُنظر ، مروج الذهب للمسعودي : ١٧٥/٣ .

(٥) أُنظر ، العقد الفريد لابن عبد ربه الأُندلسي : ٢١٤/٣ .

عاريات، وكان يُطعم المساجين كما يقول ابن الجوزي في تأريخه، الخبز ممزوجاً بالرماد). وجاء في العقد الفريد أيضاً علىٰ لسان عمر بن العزيز: (لو جاء النّاس يوم القيامة بفساقهم، وجئنا بالحجاج لزدنا عليهم)[١].

والسّؤال الّذي نطرحه علىٰ الدّكتور فتحي محمّد الزّغبيّ، مدرس العقيدة والفلسفة بكلية أُصول الدّين والدّعوة بطنطا، والدّكتور بركات عبد الفتاح دويدار، أوّل عميد للكلية نفسها، وأُستاذ ورئيس فرع العقيدة بكلية الشّريعة / قسم الدّراسات العليا في جامعة أُمّ القرىٰ بمكّة المكرمة، والأُستاذ غالب بن عليّ عواجي، عضو هيئة التّدريس بالجامعة الإسلاميّة بالمدينة النّبويّة، وغيرهم كثير، ألم يعدّ هذا النّوع غلواً في دماء الشّيعة؟ فلماذا لم يتطرق إليه أحد منكم، ولم يذكره؟ بل إنكم تمنحون الشّهادات العالية، بل المتعالية، والغالية، والمتغلويّة، و... و... إلخ، فبمجرد أنْ تروا الهجوم علىٰ الشّيعة وإتهامهم بالغلوّ، تمنح كلّ شهادة علىٰ هذا المنحىٰ درجة «امتياز، شرف أُولىٰ، جيد جداً...». ولذا قال الدّكتور أحمد شلبيّ: «نريد أنْ نقول عن هؤلاء الّذين يطلق عليهم الشّيعة الغُلاة، ومن شاكلهم: أنّهم ليسوا شيعة علىٰ الإطلاق، بل ليسوا مسلمين البتّة، فإذا استطعنا أنْ نفعل ذلك، أخرجنا من الشّيعة عشرات من الفرق ادعت أنّها شيعة وليست شيعة»[٢].

الولاء، والبراء في الشّرع

الولاء: الولاية هي النّصرة، والمحبة، والإكرام[٣].

---

(١) أُنظر، المصّدر السّابق.

(٢) موسوعة التّأريخ الإسلامي: ٢/١٢٨، نشر دار النّهضة المصريّة القاهرة.

(٣) شرح العقيدة الطّحاوية، ينظر ابن أبي العز الحنفيّ ص: ٤٠٣، تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد

البراء: البعد، والخلاص، والعداوة، بعد الإعذار، والإنذار[١].

ويقول ابن تيمية: «الولاية ضد العداوة، وأصل الولاية: المحبة والقرب، وأصل العداوة: البغض، والبعد»[٢].

قال سبحانه وتعالىٰ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَاتَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[٣] وقال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَاتَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾[٤] وقال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَاتَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[٥] وقال تعالىٰ: ﴿لَّاتَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[٦] وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[٧] أي الّذين آمنوا بما جاء به محمّد صلىٰ الله عليه وآله وسلم، ولم يلبسوه بظلم أي لم يخلطوه بولاية فلان وفلان.

وقد نبّه النّبي ﷺ وجوب البراء بقوله في عليّ عليه السلام: «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه»[٨]. وعن الإمام الصّادق عليه السلام: «من أحب كافراً فهو كافر»[٩].

⇔ الله ص: ٤٢٢، الولاء والبراء، للدّكتور. محمّد القحطاني ص: ٩٠.

(١) الولاء والبراء للدّكتور. محمّد القحطاني ص: ٩٠.

(٢) الفرقان ص: ٧.

(٣) براءة: ٢٣.

(٤) الممتحنة: ١.

(٥) الممتحنة: ١٣.

(٦) المجادلة: ٢٢.

(٧) الأنعام: ٨٢.

(٨) مسند أحمد: ١١٨/١، سنن ابن ماجة: ٤٣/١، مستدرك الحاكم: ١٠٩/٣.

وعنه عليه السلام: «من جالس لنا غالياً، أو مدح لنا قالياً، أو وصل لنا قاطعاً، أو قطع لنا واصلاً، أو والىٰ لنا عدواً، أو عادىٰ لنا ولياً فقد كفر بالّذي انزل السّبع المثاني»[10].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «ما جعل الله لرجلٍ من قلبين في جوفه يحب بهذا قوماً، وبالآخر عدوهم»[11].

وقال له رجل: «إنّي أتولاك، وأتولىٰ فلاناً، وفلاناً، فقال: أنت اليوم أعور، فانظر تعمىٰ، أو تبصر»[12].

إذاً للأئمة عليهم السلام خط واضح لا لبس فيه، ولا غنوض، وكانوا كثير ما يؤكدون علىٰ التزام هذا الخط، وأنهم لا يتقون فيه أحداً.

ومن خط الأئمة عليهم السلام محاربة الغلوّ، وتكفير القائل به، ولم يعهد عن أحدٍ منهم عليهم السلام إلا الاقرار بالعبودية لله، ونهاية الخضوع، والخشوع له، الّذي فاقوا فيه كل النّاس.

---

(٩) كنز العمّال: ٥/٢٩٠.

(١٠) وسائل الشّيعة: ١١/٥٠٦، روضة الواعظين: ٤١٧، بحار الانوار: ٢٧/٥٣، أمالي الصّدوق: ٣٤.

(١١) سنن التّرمذي: ٥/٢٨، الجعفريات: ٥١، مستدرك الحاكم: ٤/٤٨٣، قريب من هذا اللفظ.

(١٢) مسند أحمد: ١/٢٦٨، مستدرك الحاكم: ٣/١٣٥.

مكانة الولاءِ، والبراءِ في الإسلام

إنّ الولاء والبراء أصل من أُصول الدّين، وهو من لوازم الشّهادتين: «أنْ لا إله إلّا الله، محمّداً رسول الله»، وقد دلت النّصوص علىٰ هذا الأصل، حتىٰ أنّ بعض العلماء قال: «إنّه ليس في كتاب الله تعالىٰ حكم فيه من الأدلة أكثر، ولا أبين من هذا الحكم ـ أيّ الولاء والبراء ـ، بعد وجوب التّوحيد وتحريم ضدّه»[1]

ومن الأدلة القرآنية: ﴿لَّايَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ...﴾[2]. وقال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَاتَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ...﴾[3]

أمّا الرّوايات فهي كثيرة منها:

قال رسول الله ﷺ: «أنْ تنصح لكل مسلم، وتبرأ من كلّ كافر»[4]. وقال ﷺ: «أوثق عرىٰ الإيمان الحبّ في الله، والبغض في الله»[5]. وقال ﷺ: «أوثق عرىٰ

---

(١) سبيل النّجاة والفكاك ص: ٣١.

(٢) آل عمران: ٢٨ و١١٨.

(٣) الممتحنة: ١.

(٤) مسند أحمد: ٣٦٥/٤، سنن النّسائيّ: ١٤٨/٧، سنن البيهقي: ٣/٩.

(٥) كتاب الإيمان لابن أبي شيبة ص: ٤٥.

الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحبّ في الله، والبغض في الله»[١].

وهذه الموالاة مناطها الحقّ، فالولاء إنّما هو للحقّ وحده، بل الموالاة للمؤمن من أيّ صنف كان ويكون. والولاء نسبياً بحسب ما التّزم به المسلم من الحقّ: «من كان مؤمناً؛ وجبت موالاته من أيّ صنف كان. ومن كان كافراً؛ وجبت معاداته من أيّ صنف كان... ومن كان فيه إيمان وفيه فجور؛ أُعطي من الموالاة بحسب إيمانه، ومن البغض بحسب فجوره. ولايخرج من الإيمان بالكلية بمجرد الذّنوب والمعاصي»[٢].

ثمّ إنّ الولاء والبراء لهما حدود، فما نقص من الولاء فهو تفريط، وما زاد علىٰ حدود الولاء المشروع فهو غلوٌ مذموم... وما نقص عن حدود البراء فهو تفريط، وما زاد عن حدوده فهو مذموم...

إنّ اجتماع فئة، أو جماعة من المؤمنين علىٰ أنْ تتعاون، وتتآزر فيما بينها في الدّعوة إلىٰ الله، والأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، يُعد من أكبر أهداف الشّريعة الإسلاميّة، كما يساعد هذا الإجتماع علىٰ القوة والمنعة من المناوئين والمعادين، فهذا القرآن يصرّح بقوله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[٣]. وقال موسىٰ عليه السلام: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَٰرُونَ أَخِي * ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي...﴾[٤]. وهذا لوط لمّا أدرك أنّ للجماعة أهمية في نصرته ومساعدته فقال:

---

(١) الطّبراني: ٢١٥/١١ ح ١١٥٣٧، شرح السُّنّة للبغوي: ٤٠/١، منحة المعبود: ٢٣/١، مسند أحمد: ٢٨٦/٤، مجمع الزّوائد: ٨٩/١، السّلسلة الصّحيحة للألباني: ح ٩٩٨، صحيح الجامع: ٣٤٣/٢ ح ٢٥٣٦.

(٢) الفتاوىٰ: ٢٢٧/٢٨.

(٣) المائدة: ٢.

(٤) طه: ٢٩- ٣٤.

﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً...﴾[١]. وكذلك عيسىٰ عليه السلام بحث عن أنصار حتىٰ يكونوا عوناً له، قال تعالىٰ علىٰ لسانه: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[٢]. فإنْ كان الإجتماع علىٰ ما أمر الله به ورسوله والأئمة عليهم السلام، من غير زيادة ونقصان؛ فهم مؤمنون لهم مالهم، وعليهم ما عليهم، وإنْ زادوا أو نقصوا أو تعصبوا لمن دخل فيهم ومعهم، أو أعرضوا عمّن لم يدخل معهم، سواء كانوا علىٰ الحقّ أم علىٰ الباطل، فهذا هو التّعصب، والغلوّ الّذي يبغضه الله ورسوله والأئمة الأطهار.

مثال هذا انتساب بعض الصّحابة إلىٰ المهاجرين هو انتساب شرعي ومباح، كانتساب الرّجل إلىٰ عشيرته أو قبيلته، لكن الانتساب الّذي يؤدي إلىٰ التّعصب، أو البدعة، أو الفرقة، أو الغلوّ في جماعته؛ فهو انتساب محرم، ولذا حـذّر رسـول الله صلى الله عليه وآله منه أشد التّحذير حيث قال: «من قاتل تحت راية عَميّة يغضب لعصبية، أو يدعو إلىٰ عصبية، أو ينصر عصبته، فقُتل، فقتلته جاهلية»[٣].

ورب سائل يسأل: إذا كان التّعصب حسب هذا المفهوم إلىٰ جماعة غير محرّم فلماذا هذه الضّجة؟

الجواب: أنّ المناط في التّعصب لجماعة أو فئة هو الحـقّ مـن خـلال القـرآن والسُّنَّة، وليست الفرقة أو الجماعة هي الّتي تعين الحـقّ؛ لأنّ القرآن يـقول: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[٤].

أمّا التّعصب الّذي يؤدي بدوره إلىٰ الغلوّ في جماعة أوفئة وأتباعها علىٰ الحقّ

---

(١) هود: ٨٠.

(٢) الصّف: ١٤.

(٣) رواه مسلم (٣٦١٤٧٨) كتاب الإمارة، سنن النّسائيّ: ١٣٣/٧، كتاب تحريم الدّم.

(٤) الرّوم: ٣٢.

والباطل؛ فقد نهىٰ الله تعالىٰ عنه. ونهىٰ عن الاختلاف حيث قال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾[1]. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ...﴾[2]. وجاء في تفسير هذه الآية: «الظّاهر أنّ الآية عامة في كلّ من فارق دين الله، وكان مخالفاً له، فإنّ الله بعث رسوله بالهدىٰ ودين الحقّ ليظهره علىٰ الدّين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق؛ فمن اختلف فيه ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾[3] أيّ فرقاً، كأهل الملل والنّحل والأهواء والضّلالات؛ فإنّ الله تعالىٰ قد برّأ رسوله ﷺ مما هم فيه»[4].

---

(١) آل عمران: ١٠٣، و١٠٥.

(٢) الأنعام: ١٥٩.

(٣) الأنعام: ١٥٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١٩٦/٢.

الفرق بين الغلوّ والتّطرف

إنّ الغلوّ في الحقيقة: أعلىٰ مراتب الإفراط جملةً، والغلوّ أخصّ من التّطرف، إذ أن التّطرف هو مجاوزة الحدِّ، والبعد عن التّوسط والاعتدال، إفراطاً أو تفريطاً ـ سلباً أو إيجاباً ـ زيادة أو نقصاً، سواء كان غلواً أم لا، إذ العبرة ببلوغ طرفي الأمر. وسبق الغلوّ في قول الشّاعر:

لا تغل في شيء من الأُمور واقتصد كِلا طرفي قصد الأمُور ذميم

فالغلوّ أخصّ من التّطرف باعتبار مجاوزة الحد الطّبيعي في الزّيادة والنّقص، ففي حال النّقص يسمىٰ غلواً إذا بولغ فيه، فيقال: غلا في النّقص.

والتّطرف: الإنحياز إلىٰ طرفي الأمر، فيشمل الغلوّ، لكن الغلوّ أخصّ منه في الزّيادة والمجاوزة، ليس فقط بمجرد البعد عن الوسط إلىٰ الأطراف، وبمعنىٰ أدق: كلّ غلوّ فهو تطرف، وليس كلّ تطرف غلواً.

وهنالك فرق آخر بين الغلوّ والإلتزام بالنصوص ولا يوجد تلازم بينهما، فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ، والأئمة الأطهار، أشد النّاس تمسكاً والتزّاماً بنصوص الشّريعة الإسلاميّة مطلقاً، ومع هذا لم يحصل لهم غلوّ أو تشديد، لكن لمّا

صار الدّين غريباً وأطبق الجهل ؛ صار التّمسك بكتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ ، العاضُّ عليها بالنواجذ منبوذاً ، مُستهزأً به ، وأطلقوا عليه عبارات النّبز كالمتزمتين ، والغالين ، والمتطرفين ، والأُصوليين ، ولذا اعتبر أن التّمسك بنصوص الكتاب المجيد ، والسُّنَّة النّبوّيّة المطهرة ،عند المتهاونين بأحكام الشّريعة غلواً ، وتطرفاً .

ومن الأسباب الّتي أدت إلىٰ ذلك هو الجهل بأحكام الشّريعة الإسلاميّة ، وقلة البصيرة كما حصل لقوم نوح عليه السلام مثلاً . بالإضافة إلىٰ دخول كثير من أهل الأديان السّابقة في الإسلام بقصد الكيد له وإفساده . ثمّ الاعتماد علىٰ مصادر مغايرة لمصادر الشّريعةالإسلاميّة في التّحاكم إليها ،كالعقول المجردة ، والتّمنطق ، والتّفلسف الكلامي ، والتّعصب الأعمىٰ ، والتّقوقع علىٰ المعتقدات القديمة الّتي نقلوها معهم من الأديان الأُخرىٰ ، تعصب يكون معه رد ما عند المخالف لهم ولو كان محقاً ، وهذا أدىٰ إلىٰ وجود التّفريط في العمل بالأحكام الشّرعية ، أو فكرة معيّنة ، أو عقيدة ما . وهنالك سبب آخر ، ألا وهو الاستقلالية في استنباط الأحكام الشّرعية دون ضابط محدد ومنهج مرسوم ، من خلال الكتاب الكريم والسُّنَّة النّبوّيّة ، والّذي أدىٰ بدوره إلىٰ انعدام التّربية الحقيقية الإيمانية القائمة علىٰ مرتكزات ودعائم قوية من نصوص المرجعيّة الصّحيحة ، ألا وهي مرجعية الوحي .وقد حذّرت الشّريعة الإسلاميّة من التّفريط ، والاختلاف ، والتّطرف ، والغلوّ ، وفرّقت بين هذه المصطلحات وبين الإلتزام في النّصوص الشّرعية ، ولسنا بصدد دراسة ذلك . فمن أراد المزيد فعليه مراجعة المصادر [1] .

---

(١) صحيح البخاريّ : ٦٥/٩ ، كتاب الفتن ، صحيح مسلم :١٤٧٥/٣ ، كتاب الإمارة ، أبو داود: ح ⇔

القول في الإيحاء إلىٰ الأئمّة عليهم السلام وظهور الأعلام عليهم والمعجزات

يقول الشّيخ المفيد رحمه الله: «إنّ العقل لا يمنع من نزول الوحي إليهم، وإن كانوا أئمّة غير أنبياء[1]، فقد أوحىٰ الله عزّ وجلّ إلىٰ أُمّ موسىٰ: ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَاتَخَافِى وَلَاتَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[2]. فعرفت صحة ذلك بالوحي، وعلمت عليه، ولم تكن نبيّاً، ولا رسولاً، ولا إماماً ولكنّها كانت من عباد الله الصّالحين، وإنّما منعت من نزول الوحي عليهم، والإيحاء بالأشياء إليهم للإجماع علىٰ المنع من ذلك، والاتفاق علىٰ أنّه من يزعم: أنّ أحداً بعد نبيّنا صلى الله عليه وآله، يوحىٰ إليه، فقد أخطأ، وكفر، ولحصول العلم بذلك من دين النّبيّ صلى الله عليه وآله، كما أنّ العقل لم يمنع من بعثة نبي بعد نبيّنا صلى الله عليه وآله، ونسخ

← ٤٢٤٤، كتاب الفتن، النّسائيّ: ٩٠/٧، التّرمذيّ: ح ١٤٠٢، ابن ماجة: ح ١٥٣٤، مسند أحمد: ٣٨٢/١، الحاكم: ١١٧/١، ابن حبّان: ح ١٥٥٠، مجمع الزّوائد: ٢١٧/٥.

(١) أُنظر، شرح عقائد الصّدوق في نزول الوحي.

(٢) القصص: ٧.

شرعه كما نسخ ماقبله من شرائع الأنبياء، وإنّما منع ذلك الإجماع، والعلم[١] بأنّه خلاف دين النّبيّ ﷺ، من جهة اليقين، ومايقارب الاضطرار، والإماميّة جميعاً علىٰ ماذكرت ليس بينها فيه علىٰ ماوصفت خلاف. فأما ظهور المعجزات عليهم[٢] «علىٰ الأئمّة عليهم السلام» والأعلام فإنّه من الممكن الّذي ليس بواجب عقلاً، ولا ممتنع قياساً وقد جاءت بكونه منهم: الأخبار علىٰ التّظاهر، والانتشار، فقطعت عليه من جهة السّمع وصحيح الآثار في هذا الباب جمهور أهل الإمامة، وبنو نوبخت تخالف فيه، وتأباه وكثير من المنتمين إلى الإماميّة يوجبونه عقلاً، كما يوجبونه للأنبياء، والمعتزلة بأسرها علىٰ خلافنا جميعاً فيه، سوىٰ ابن الأخشيد ومن تبعه، يذهبون فيه إلىٰ الجواز، وأصحاب الحديث كافة تجوّزه، لكلّ صالح من أهل التّقىٰ والايمان».

إذاً نسبة الإيحاء والألهام إلىٰ الأئمة عليهم السلام كما يوحىٰ إلىٰ الأنبياء عليهم السلام فليس في الشّيعة من يقول بذلك مطلقاً؛ لأنهم ليسوا بأنبياء. وأمّا إذا أُريد به غير ذلك فلا غلو في شيء منه مطلقاً وذلك؛ لأنّ الله تعالىٰ يقول: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى﴾[٣] وقال تعالىٰ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[٤] فإذا كان كلّ إيحاء والهام غلواً باطلاً كان مانسبه الله تعالىٰ إلىٰ هؤلاء غلواً باطلاً، والقول ببطلان ذلك ضلال مبين.

---

(١) أُنظر، اللّوامع الإلهيّة في المباحث الكلاميّة البحث الثّاني (مخطوط) للفاضل السّيوري.

(٢) أُنظر، البحار: ٧/ ٣٦٤.

(٣) المائدة: ١١١.

(٤) الشّمس: ٧ـ٨.

أَسلاك التَّجسْيم!

لا تـنه عـن خـلق وتأتي مـثله　　　　عــار عـليك إذا فـعلت عـظيم

يجب تعيين الحدّ الّذي لا يجوز في الدِّين أنْ يتجاوزه الإنسان، لاستلزام الغلوّ، الكذب تارةً؛ والإغراء بالجهل تارةً أُخرىٰ؛ وبخس الحقوق الواجبة تارةً ثالثة. لا ما دأبت عليه أُمّة من الرّميّ بالغلوّ، كلّ قـائل مـالا يـروقها، تحـدوها العـصبيّة العمياء، إلىٰ التّجهم أمامَ القول بما لا يلائم ذوقها. ومن هذا الباب أكثر ماترمىٰ به الشّيعة الإماميّة من الغلوّ، لاعتقادهم، أو لرواياتهم فضائل أهل البيت عليهم السلام ومـا شرفهم الله به، من ملكات فاضلة، ونفسيّات عالية، وروحيات قدسية، وخلائق كريمة، ولذا ضلت العقول، وتاهت وحـارت الألبـاب، وتـصاغرت، وتحـيّرت الحكماء، وكلّت وعجزت الشّعراء[1]. ولذا نجد مَنْ يذكر أنّ علماء قمّ، كان يرمي بالغلوّ كلّ من روىٰ شيئاً من تلكم الأسرار، حتىٰ قال قائل منهم: إنّ أوّل مراتب الغلوّ نفي السّهو عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله، إلىٰ أنْ جاء بـعدهم المحـققون، وعـرفوا الحـقيقة. فكيف بالّذي يتعامىٰ أو يتصامّم، عن رؤية، وسماع هذه الفضائل؟! أو يقصر باعه

---

(١) راجع الغدير: ٧/ ٤٠.

عن فهم الحقائق المدعومة بالبراهين، والحججّ القويّة الدّامغة؟! وكيف بالّذي لا يرىٰ في خليفته إلّا جمع الفيء وتقسيمه؟! شأنه شأن الملوك والأمراء، فمن حقه أنْ يُشنع علىٰ الشّيعة الإماميّة... ويقذفهم بالغلوّ، والكُفر، والشّرك... لكن ينسىٰ تارةً، ويتناسىٰ تارةً أُخرىٰ، عندما يثبت لغير واحد من أوليائه الكرامات، ولكن يذكر ضعف ما عند الشّيعة من تلكم الفضائل ـ الرّذائل! المرمية بالغلوّ وينشرها في الملأ، وفي بطون الكتب ويتخذها تأريخاً صحيحاً، من دون غمز وإنكار في السّند، ومن غير مناقشه ونظرة صحيحة، كلّ ذلك حباً وكرامة، لأُولئك الرّجال ـ حبّ الشّيء يُعمي ويُصم ـ علىٰ الرّغم من أنّ فضائل أهل البيت عليهم السلام، طفحت بها الصّحاح، والمسانيد، وتدفقت بنقلها الكتب، والمؤلفات، والمصادر لما لهم من المقام الشّامخ، المستنبط من الكتاب والسُّنَّة. وفذلكة ذلك كلّه أنّ النّفوس تتفاوت حسب جبلاّتها، واستعداداتها، في تلقي الحقائق الرّاهنة:

فمنها: ماتبهظه المعضلات، والأسرار وهذه لا يسعها الرّضوخ لما لا تعلم.

ومنها: ماينبسط لها فيبسط إليها ذراعاً، ويمد لها باعاً، وهؤلاء لا تبيح لهم المعرفة أنْ يذروا ماحققوه في مدحرة البطلان، فهنالك تثور المنافرة، وتحتدم الضّغائن. ولذا قال الإمام عليّ عليه السلام: «لو جلست أحدثكم ماسمعت من فمّ أبي القاسم صلى الله عليه وآله، لخرجتم من عندي وأنتم تقولون: إنّ علياً من أكذب الكاذبين»[1] وقد تواتر عنهم عليهم السلام، أنّ أمرنا صعب مستصعب، لايتحمله إلّا نبيّ مرسل، أو ملك مقرب، أو مؤمن أمتحن الله قلبه بالإيمان[2].

---

(١) منح المنة للشعراني ص: ١٤.

(٢) نهج البلاغة: ٢٩٧/٢، بصائر الدّرجات ص: ٦، أُصول الكافيّ ص: ٢١٦، قرب الإسناد ⟺

وقال الإمام السّجادعليه السلام: «لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، ولقد آخىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله، بينهما فما ظنّكم بسائر الخلق»[1]. ولذا يشير السّجادعليه السلام:

إنّي لأكتم من علمي جواهره ... كيلا يرىٰ الحقّ ذو جهلٍ فيفتتنا

وقد تقدّم في هذا أبو حسنٍ ... إلىٰ الحسين، وأوصي قبله الحسنا

فرُبَّ جوهر علم، لو أبوح به ... لقيل لي: أنت ممن يعبد الوثنا

ولاستحلَّ رجالٌ مسلمون دمي ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا[2]

فهذه هي الاتجاهات القاصرة، الّتي لاتتحمل رؤية الحقّ، من أمثال ابن تيميّة، وابن كثير، والسّالوس، والقصيميّ، وموسىٰ جار الله، وأحمد أمين المصريّ، والشّيبيّ، والنّشّار، والقفاري، وملا عليّ القاريّ الهرويّ، وغيرهم كثير، فشنوا الغارات بالقذف، والسّباب المقذع؛ لأنّهم منعوا الفكر الأصلي بين الحين والحين، واتهامه بالتطرف، والغلوّ، والزّيغ، وجاءوا ببعض النّصوص الخادعة، المكذوبة، علىٰ الرّسول صلى الله عليه وآله، ومما لا يجد له مكاناً في التّطبيق، الشّريعة هي مصدر التّشريع، والشّريعة الإسلاميّة هي المصدر الرّئيس للتشريع، وادخلوا في هذا وذاك، مع محاولة التّعديل، والتّحريف في هذا الجانب بالبعد عن الأصيل من الآراء الفقهية، تحت أسماء كثيرة، التّحضر، التّقدم، التّحديث، وشنوا حرباً شعواء علىٰ المذاهب الإسلاميّة، محاولةً لاستئصال شأفتها، لكن حضور الحفلات،

⇔ للحميريّ ص: ٤١٦، الكافي: ٤٠١/١، وسائل الشّيعة: ٦٦/١٨، مستدرك الوسائل: ٢٩٧/١٢، مختصر بصائر الدّرجات ص: ٤١.

(١) المصادر السّابقة: ٧ آخر الباب الحادي عشر من الجزء الأوّل، الكافي: ٤٠١/١، مختصر بصائر الدّرجات ص: ١٢٤، بحار الأنوار: ٣٤٣/٢٥، الدّرجات الرّفيعة للسيد عليّ خان ص: ٢١١، طرائف المقال: ٦٠٢/٢.

(٢) أُنظر، تفسير الآلوسي: ٦/ ١٩٠.

والمناسبات، فهو مايظهر من قصرها الإسلام علىٰ المظاهر، والأشكال، دون الاهتمام بالحقيقة والجوهر مباح عند هؤلاء، وهذه السّيرة مطردة فيهم، منذ القرن الأوّل حتّىٰ اليوم[١] ولايسع لأيّ باحث رمىٰ أُولئك المؤلفين، الحفّاظ، بالضلال، والشّرك، والغلوّ، وخروجهم عما أجمعت عليه الأُمة الإسلاميّة، كما هُم رموا الشّيعة بذلك، ولذا قال الشّاعر:

وراحت إلىٰ العطار تبغي شبابها … فهل يُصلح العطار ما أفسد الدّهر؟

والمقصود بالتشبيه والتّجسيم: تشبيه ذات الله تعالىٰ بشيء من مخلوقاته. وقد نفىٰ أهل البيت عليهم السلام كلّ ذلك نفياً مطلقاً، حتىٰ أُمّ المؤمنين عائشة وجمهور الصّحابة؛ لأنّهم يعرفون أنّ التّجسيم هو: إنّ الله تبارك وتعالىٰ لا نظير له ولا شبيه، تعالىٰ عن صفة الواصفين، وجلَّ عن أوهام المتوهمين، واحتجب عن أعين النّاظرين، لا يزول مع الزّائلين، ولا يأفل مع الآفلين، ليس كمثله شيء وهو السّميع العليم[٢].

كانت الرّكائز الفكرية للتجسيم في الشّام، وسبب ذلك أنّ كعب الأحبار وجماعته اتخذوا الشّام قاعدة لهم وكانوا مقربين من معاوية، وقد أطلق يدهم ليملوا أفكارهم علىٰ المسلمين، والّتي اعتمدت عليها الدّولة الأُموية تتمثل أساساً في «الجبر» و«الإرجاء» تبرر بالأوّل مظالمها إذ تنسبها لقضاء الله وقدره، وتحاول أنْ تفلت بالثاني من الحكم علىٰ إيمانها بعد أنْ ارتكبت تلك المظالم، ومن ثمّ فإنّ نشأت المعتزلة ومن بين أُصولها الفكرية الأُولىٰ القول بالاختيار والمنزلة بين المنزلتين، وهو موقف معادٍ للدولة الأُموية يضع المعتزلة منذ نشأتها حركة من حركات المعارضة الّتي نشأت في المجتمع الإسلامي علىٰ عهد الأُمويين.

---

(١) أُنظر، كتاب الغدير: ٧/ ٧٣.

(٢) راجع توحيد الصّدوق ص: ١٧٩.

بعد هذه المقدمة نقول: إنّ المـرجئة فرقة أرجأت الأمر ـ أخرته ـ ولذا قـرئ ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾[1] أيّ مؤخّرون حتّىٰ يُنزل الله فيهم ما يريد، ومنه سُمّيت «المرجئة»[2]؛ لأنّهم يؤخرون العمل، عن النّيّة والقصد.

وقيل سُمّيت «مرجئة» بمعنىٰ إعطاء الرّجاء، لقولهم لا تضرّ مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكُفر طاعة.

وقيل كلمة ـ المرجئة ـ أُطلقت في أربعة اتجاهات: مرجئة الخوارج، ومرجئة القدريّة، ومرجئة الجبرية، والمرجئة الخالصة[3].

وقيل «الإرجاء» بمعنىٰ تأخير حكم صاحب الكبيرة، إلىٰ يـوم القـيامة، ولا يحكمون عليه بشيء في الدُّنيا، وليس هذا إلّا ردّ فعل لمّـا ذهـبت إليـه طـوائـف الوعيدية من الخوارج، الذّاهبين إلىٰ الحكم علىٰ صاحب الكبيرة بالكُفر، والتّخليد في النّار، ويشهد بذلك ماذكـره الشّهـرستانيّ: «... دخـل واحـد عـلىٰ الحسـن البصريّ فقال: يا إمام الدِّين لقد ظـهرت في زمـاننا جمـاعة يكـفرون أصـحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كُفر يخرج به عن الملة، وهم وعيدية الخوارج، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضرّ مع الإيمان... وهم مـرجـئة الأُمّة»[4].

وقيل سمّوا «مرجئة»؛ لأنّهم كانوا يؤخرون عليّاًعليه السلام، في التّفضيل من المـرتبة

---

(١) التّوبة: ١٠٦.

(٢) أُنظر، الصّحاح للجوهري: مادة (رجأ).

(٣) الملل والنّحل ص: ١٣٩.

(٤) الملل والنّحل: ١/ ٤٨، التّبصير في الدّين ص: ٦٠.

الأُولىٰ إلىٰ المرتبة الرّابعة[١].

وقد أُطلقت كلمة المرجئة علىٰ أهل السُّنَّة، وعلىٰ الأشاعرة خاصة، كما أُطلقت القدرية علىٰ المعتزلة[٢]. ولذا قال الشّاعر ثابت بن قطنة.

يا هند فاستمعي لي إنّ سيرتنا ... أنْ نعبد الله لم نشرك به أحدا
نرجو الأُمور إذا كانت مشبّهة ... ونصدق القول فيمن حار أو عندا
لانسفك الدّم إلّا أنْ يراد بنا ... سفك الدّماء طريقاً واحداً جددا
من يتّق الله في الدُّنيا فإنّ له ... أجر التّقي إذا وفّىٰ الحساب غدا
وما قضىٰ الله من أمر فليس له ... ردّ ومايقض من شيء يكون رشدا
كلّ الخوارج مخطٍ في مقالته ... ولو تعبّد فيما قال واجتهدا
أمّا عليّ وعثمان فإنّهما ... شقا العصىٰ وبعين الله ماشهدا
يجزي عليّ وعثمان بسعيهما ... ولست أدري بحق أية وردا[٣]

والمرجئة: فرقة سياسية، وليست من الفرق الكلاميّة، وجدت هذه الفرقة لتبرير أعمال معاوية بن أبي سفيان، وتوطيد دعائم الحكم الأمويّ. لذلك كانت لها حظوة ومنزلة ما دام الأُمويّون علىٰ رأس السّلطة، فلما انهارت حكومتهم، فقدوا تلك الحظوة والمنزلة، ولم تعد لهم أهميّة تذكر[٤].

وقاد هذه الفرقة، يونس بن عون النّميريّ حيث قال: «إنّ الإيمان هو المعرفة

---

(١) المصدر السّابق: ١/ ١٣٩.

(٢) فرهنك فرق إسلامي ص: ٤٠٣.

(٣) فرهنك فرق إسلامي ص: ٤٠٣.

(٤) موسوعة الأديان في العالم / الفرق الإسلاميّة ص: ٣٨.

بالله، والخضوع له، وترك الاستكبار عليه والمحبّة بالقلب، فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن، وماسوىٰ ذلك من الطّاعة فليس من الإيمان، ولا يضرّ تركها حقيقة الإيمان، ولا يعذب علىٰ ذلك إلّا إذا كان الإيمان خالصاً، واليقين صادقاً... ومن تمكن في قلبه الخضوع لله، والمحبّة له، علىٰ خلوص ويقين ـ لم يخالفه في معصيّة، وإنْ صدرت منه معصيّة فلا تضرّ بيقينه وإخلاصه، والمؤمن إنّما يدخل الجنّة بإخلاصه، ومحبّته، لا بعلمه وطاعته»[1].

امّا المجسمة أصحاب عبيد المكتئب فقد زعموا: إنّ الله تعالىٰ علىٰ صورة إنسان، وحمل عليه قوله ﷺ: «إنّ الله خلق آدم علىٰ صورة الرّحمن»[2].

ومنهم من زعم: إنّ الإيمان هو المعرفة بالله وبرسوله، والإقرار بما أنزل الله، وبما جاء به الرّسول في الجملة دون التّفصيل، والإيمان لا يزيد ولا ينقص، وهؤلاء أصحاب غسان الكوفيّ الّذي يُحكىٰ عن أبي حنيفة مثل مذهبه، ويعده من المرجئة، ولعلّه كذب كذلك عليه العُمريّ، كان يقال لأبي حنيفة وأصحابه، مرجئة السُّنّة[3].

وعد أبو الحسن الأشعريّ[4] المرجئة إلىٰ اثنتي عشرة فرقة، وكلّها تتفق علىٰ أنّ الإيمان إعتقاد ويقين، والعمل خارج عن حقيقته، ولم يخالف في ذلك، إلّا الكراميّة، فقد ذهبوا إلىٰ أنّ الإيمان هو الإقرار باللسان، دون القلب.

---

(١) الملل والنّحل: ١/ ١٤٠.

(٢) المصدر السّابق: ١/ ١٤١، الإيضاح لجبرائيل بن شاذان ص: ١٩، طرائف المقال: ٢/ ٢٣٩، تهذيب المقال: ٣/ ١٤٤، فردوس الأخبار للديلمي: ٢/ ٢٩٩.

(٣) الملل والنّحل: ١/ ١٤٢.

(٤) مقالات الإسلاميين ص: ٢٠٥.

أمّا الإسفراييني[١] فقد عدّ القائلين بالإرجاء خمس فرق، وعدّ منهم اليونسية ـ أتباع يونس بن عون ـ القائلين: إنّ الايمان بالقلب واللّسان، وحقيقته معرفة الله سبحانه، ومحبّته، والتّصديق برسله، وكتبه.

والغسانية ـ أتباع غسان المرجئي ـ القائل: بأنّ الإيمان هو الإقرار بالله والمحبّة، ولكنّه يقبل الزّيادة، والنّقصان.

والثّنويّة ـ أتباع أبي معاذ ـ القائل: بأنّ الإيمان ما وقاك من الكفر.

والثّوبانية ـ أصحاب أبي ثوبان المرجئي ـ الّذي أعتبر كلّ ما يراه العقل صحيحاً، من أركان الايمان.

والمريسية ـ أتباع بشير المريس ـ القائل: بخلق القرآن.

والإماميّة مجمعون علىٰ أنّ هؤلاء فساق، معذبون بذنوبهم، كما جاء عن الإمام الرّضاعليه السلام، أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: «صنفان من أُمتي ليس لهم في الآخرة نصيب المرجئة، والقدريّة»[٢].

---

(١) التّبصير في الدّين ص: ٧٠.

(٢) سنن ابن ماجة: ١/ ٢٤، سنن التّرمذيّ: ٣/ ٣٠٨، مجمع الزّوائد: ٧/ ٢٠٦، كنز العمّال: ١/ ١١٨، الدّر المنثور: ٦/ ١٣٨، كنز الفوائد للكراجكيّ ص: ٥١.

التّجسيم عند الكراميّة

هم من أتباع أبي عبد الله محمّد بن كرام، بن عـرّاف بـن خـزامـة، بـن بـراء السّجستانيّ، النّيسابوريّ المتوفّىٰ عام (٢٢٥ هـ)، وهم من أهل السُّنَّة، والجماعة.

والسّجستانيّ كان مجاوراً في مكّة. ثمّ رحل عنها إلىٰ نيشابور، ثم انتقل إلىٰ بيت المقدس وسكنها ومات بها. يروي عن مالك بن سليمان الهرويّ. رَوىٰ عنه محمّد بن إسماعيل بن إسحاق، وحكىٰ عنه من الزّهد، والتّقشف أشياء، وفي المذاهب أشياء من التّشبيه، والتّجسيم، وذكر في كتاب له سماه (عذاب القبر) في وصف الرّب عزَّ وجلَّ، أنّه أحدي الذّات، أحدي الجوهر، فشارك في وصـفه إيـاه بأنّـه جـسم. وشارك اليهود، والهشاميّة، والجواليقية، من مشبهة الرّوافض في وصفه إياه بأنّه جسم. وناقض أصحابه في امتناعهم عن وصفهم إياه أنّه جـوهر، مـع إطـلاقهم وصفه بأنّه جسم، إطلاق الجسم أفحش من إطلاق الجوهر. وذكر في هذا الكتاب أنّه معبود في مكان مخصوص، وأنّه مماس لعرشه من فوقه، وعندما ظفر به الطّاهر بن عبد الله سجنه، ثمّ أطلق سراحه، ورحل إلىٰ الشّام، ثمّ ظفر به محمّد بن الطّاهر، ولكن أطلق سراحه، بعد أنْ سجنه.

وعبد الله السّجستانيّ من المجسمة، وزعم أنّ لله جسماً، واعضاءً، وله حركة، يقوم بها ويقعد، وهو من المغالين في صفات الله، غلواً فاحشاً.

ووصف معبوده بأنّه جوهر، وقال: إنّ الله تعالىٰ مماس لعرشه، وإنّ العرش مكان له، ووصفه بالثقل. وقد فسر الآية: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾[1] أنّها أنفطرت من ثِقَل الرّحمن عليها.

وهذا ابن تيمية مجدد التّجسيم قال عنه ابن بطوطه: «وكان بدمشق من كبار فقهاء الحنابلة تقي الدّين بن تيمية كبير الشّام، يتكلم في الفنون إلّا أنّ في عقله شيئاً، وكنت إذ ذاك بدمشق، فحضرته يوم الجمعة، وهو يعظ النّاس علىٰ منبر الجامع، ويذكرهم فكان من جملة كلامه أنْ قال: إنّ الله ينزل إلىٰ سماء الدُّنيا كنزولي هذا، ونزل ربعة من ربع المنبر، فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزّهراء، وأنكر ما تكلم به، فقامت العامة إلىٰ هذا الفقيه وضربوه بالأيدي، والنّعال، ضرباً كثيراً، حتىٰ سقطت عمامته!»[2].

ويثبت أصحاب الحديث نزول الرّب سبحانه وتعالىٰ كلّ ليلة إلىٰ السّماء الدّنيا، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين، ولا تمثيل، ولا تكييف، بل يثبتون ما أثبته رسول الله ﷺ، وينتهون فيه إليه، ويمرون الخبر الصّحيح الوارد بذكره علىٰ ظاهره، ويوكلون علمه إلىٰ الله[3].

وروت عائشة قالت: «ينزل الله تعالىٰ في النّصف من شعبان إلىٰ السّماء الدُّنيا

---

(١) الانفطار: ١.

(٢) رحلة ابن بطوطة ص: ٩٠، وراجع أحاديث النّزول في زاد المعاد لابن قيّم الجوزية: ٣ / ٥٦٦، نهاية الإرب للنويريّ: ٧ / ٢٩٢، التّرغيب والتّرهيب للمنذريّ: ١ / ٤٣٤، الدرر الكامنة: ٢/٧١ و ٧٢، لسان الميزان: ٦/٣٠٩، ونقلها ابن عراق المصري في تذكرته كما عنه في مجالس المؤمنين: ٥٧٣ ـ ٥٧٤.

(٣) موسوعة الأديان في العالم / الفرق الإسلاميّة ص: ١١١، صحيح البخاريّ: ١ / ٤٧، صحيح مسلم: ٢ / ١٧٥، مسند أحمد: ١ / ١٢٠، التّرغيب والتّرهيب للمنذريّ: ٢ / ٤٨٩.

ليلاً إلىٰ آخر النّهار من الغد، فيعتق من النّار بعدد شعر معز بني كلب...»[١].

وروت أيضاً: «إذا مضىٰ شطر اللّيل، أو ثُلثاه ينزل الله إلىٰ السّماء الدّنيا»[٢].

وقال ابن تيمية في تفسيره: «... ولهذا صار للناس فيما ذكر الله في القرآن من الاستواء والمجيء ونحو ذلك ستة أقوال: طائفة يقولون تجري علىٰ ظاهرها ...»[٣].

وقال في رسالته التّدمرية: «إنّ الله سبحانه وتعالىٰ موصوف بالإثبات والنّفي...»[٤].

وقد مال الذّهبيّ إلىٰ التّجسيم، والمجسمة، وذلك حسب ما نقله السُّبكي[٥].

إذاً الظّاهرية الآن: هم أبناء مذهب التّجسيم، وقد أورد ذلك السّمعانيّ في الأنساب[٦]، وابن حزم الظّاهريّ في الفصل: «إنّ جهنم لا تمتلئ حتىٰ يضع ـ الله ـ فيها قدمه...»[٧].

وابدل أصحاب عبد الله السّجستانيّ لفظ المماسة، بلفظ الملاقاة منه للعرش، وقالوا بحدوث الله، وإدراكاته للمرئيّات، وإدراكاته للمسموعات، وملاقاته للصحيفة العليا من العالم.

وقالوا: إنّ النّبوة، والرّسالة صفتان حالّتان في النّبيّ، والرّسول، سوىٰ الوحي

---

(١) موسوعة الأديان في العالم / الفرق الإسلاميّة ص: ١١١، سنن ابن ماجة: ١ / ٤٤٤، مسند أحمد: ١ / ١٢٠، تهذيب التّهذيب لابن حجر: ٣ /٢٧٢، لسان الميزان: ٤ /٦٧ و٢٥٢، تهذيب الكمال للحافظ المزي: ٩ /٣٠٨.

(٢) المصادر السّابقة.

(٣) تفسير ابن تيمية: ٣٨٦/٦.

(٤) الرّسالة التّدمرية ص: ٣٩.

(٥) طبقات الشّافعية للسُّبكي: ١٣/٢.

(٦) أنساب الأشراف: ٩٩/٤.

(٧) الفصل: ١٦٧/١.

إليه، وسوىٰ معجزاته، وسوىٰ عصمته عن الذّنوب، وزعموا أنّ من فيه تلك الصّفات، وجب علىٰ الله تعالىٰ إرساله.

وقالوا: إنّ النّبيّ إذا ظهرت دعوته، فمن سمعها منه، أو بلغه خبره، لزمه تصديقه، والإقرار به، من غير توقف علىٰ معرفة دليله.

وقالوا: إنّ الله تعالىٰ لو اقتصر علىٰ رسول واحد، من أوّل زمان التّكليف، إلىٰ القيامة، وأدام شريعة الرّسول الأوّل لم يكن حكيماً.

وجوزوا قيام إمامين في وقت واحد، ووجب علىٰ أتباع كلّ واحد منهما، طاعة صاحبه، وإنّ كان أحدهما عادلاً، والآخر باغياً.

ومن آرائه الفقهيّة: قوله في صلاة المسافر، إنّه يكفيه تكبيرتان، من غير ركوع، ولا سجود، ولا قيام، ولا قعود، ولا تشهد، ولا سلام، وقوله بصحة الصّلاة في ثوب كلّه نجس، وعلىٰ أرض نجسة، ومع نجاسة ظاهر البدن، وإنّما أوجب الطّهارة علىٰ الأحداث دون الأنجاس.

واعتنق السّلطان محمود الغزنويّ، فاتح الهند، مذهب الكراميّة، فساعد ذلك علىٰ انتشارها، حيث ذكر أبو الفتح المتوفّىٰ عام (٤٠٠ ﻫ)، في بيتين من شعره، وهذا ممّا يدل علىٰ انتشار المذهب، وامتدّ به العمر، أكثر من غيره، من المذاهب الأُخرىٰ الّتي تدعو للتجسيم.

إنّ الّذين بجهلم لم يقتدوا بمحمّد بن كرم غير كرام

الرّأيُ رأيُ أبي حنيفة وحده والدّين دين محمّد بن كرام

وعجت بغداد بهذا المذهب، حتّىٰ قيل غالية معاوية بن أبي سفيان، وحيث قال قائلهم: حدّثنا فلان عن فلان عن النّبيّ ﷺ: إنّ الله يدني معاوية يوم القيامة فيجلسه إلىٰ جنبه، ويغلفه بيده، ثمّ يجلوه علىٰ الخلق كالعروس. فقيل له: بماذا؛

فقال: بمحاربته عليّاًعليه السلام! فقيل له كذبت. فقال: خـذوا هـذا الرّافـضي[١]. ومـن بدعهم: حلول الحوادث، في ذات الله سبحانه.

وقالت السّالميّة: إنّ الله عزَّ وجلّ يتجلّىٰ يوم القيامة لكلّ شيء في معناه فيراه الآدمي آدميّاً، والجني جنيّاً، وقالوا: لله سرّ لو أظهره لبطل التّدبير[٢].

وجوزت الكرامية، بعد موالاتها لمعاوية، عقد الإمامة لإمامين في قـطرين، وغرضهم أثبات إمامة معاوية في الشّام، باتفاق جماعة من المسلمين[٣].

وقال داود الظّاهريّ، وجماعة من الحنابلة: إنّ الله سبحانه وتعالىٰ جسم[٤].

وقالوا: لا نريد به كونه مركباً، مؤلفاً مـن الأعـضاء، وإنّمـا نـريد بـه كـونه موجوداً، قائماً بالنفس، غنيّاً عن المحل[٥].

وقد أنكر عليهم ابن حجر العسقلانيّ، حيث قال: ومن بدع الكرامية قولهم، في المعبود تعالىٰ: إنّه جسم لا كالأجسام[٦] لكن أحمد بن حنبل، ومالك بن أنس، ومقاتل بن سليمان، قالوا: من حرك يده عند قراءة قوله تعالىٰ: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[٧] أو أشار بأصبعية عند روايته: «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرّحمـن، وجب

(١) أُنظر، أحسن التّقاسيم للمقدسي ص: ١٢٦.

(٢) تلبيس إبليس ص: ٨٤.

(٣) الملل والنّحل: ١/ ١١٣.

(٤) نهج الحقّ للحلي: ٥٤.

(٥) أُنظر، التّفسير الكبير للرازيّ: ١/ ١٢٥.

(٦) لسان الميزان: ٥/ ٣٥٤.

(٧) سورة ص: ٧٥.

قطع يده، وقلع أصبعيه...»[١].

وذكر محمّد بن كرم: إنّ الله تعالىٰ ذات منفرد، وهو جوهر فرد[٢].

وقد اقتدىٰ برأي الفلاسفة: «لأنّهم أجازوا إطلاق لفظ جوهر، علىٰ ذات الله»[٣].

وقد ردّ الشّيخ المفيد علىٰ هؤلاء بقوله: «إنّ كلّ عرض يصح حلوله في الجوهر، ويكون الجوهر محتملاً لوجوده، فإنّه لا يخلو منه، أو ممّا يعاقبه من الاعراض، وهذا مذهب أبي القاسم البلخيّ، وأبي عليّ الجبائيّ، ومن قبلهما أكثر المتكلّمين، وخالف فيه عبد السّلام بن محمّد الجبائيّ، وأجاز خلو الجواهر من الألوان، والطّعوم، والارائيح، ونحو ذلك من الأعراض»[٤].

وقال أيضاً: «إنّ الجواهر مما يصح عليها البقاء، وإنّها توجد أوقاتاً كثيرة، ولا تغني من العالم، إلّا بأرتفاع البقاء عنها»[٥].

(١) الملل والنّحل: ١/ ١٠٤، شرح الأسماء الحسنىٰ لملا هادي السّبزواري: ٨١/١، الكافي: ٣٥٣/١.

(٢) فرهنك فرق إسلامي ص: ٣٦٤.

(٣) التّفسير الكبير لابن تيمية: ١/ ١٢٥.

(٤) أوائل المقالات: ١١٤.

(٥) المصدر السّابق ص: ١١٤ ـ ١١٥.

فرق المشبهة وأتباع الهوىٰ ومتابعة النّفس

هم أصحاب الحديث أيضاً، ويسمون بأسماء مختلفة[1] مثل الحشوية، المشبهة، أصحاب الحديث الحشوية. والمخلوقيّة، واللّفظيّة، والنّصفيّة، والفاضليّة، والصّاعديّة، والسّاويّة، والمالكيّة. ويجمعهم القول بإنّ الإيمان قول، وعمل، ومعرفة، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وإنّ خير النّاس بعد رسول الله ﷺ أبوبكر، ثمّ عمر، ثمّ عثمان، ثمّ عليّ، واختلفوا بعد ذلك.

وقف هؤلاء عند ظواهر النّصوص الدّينيّة، ومنعوا التّأويل، والقياس، والاجتهاد، وقالوا: إنّ الإيمان طريقه السّمع، دون العقل. ومن هؤلاء مقاتل بن سليمان البلخيّ، المتوفّىٰ عام (١٥٠ هـ)[2]، ومضر بن خالد، وإبراهيم بن أبي يحيىٰ الأسلميّ المتوفّىٰ عام (١٨٤ هـ)، وأحمد الهجيميّ، وداود الجواربيّ[3]، حيث قالوا:

---

(١) أُنظر، الملل والنّحل: ١/ ١٣٧، مقالات الإسلاميين: ١/ ٢١٤، الغنية للجيلي: ٨١، البدء والتّأريخ: ١٤٨/٥.

(٢) أُنظر، حياته في الطّبقات الكبرى: ٧/ ١٠٥، مفتاح السّعاده: ٣/ ٤٠٣ وفيات الأعيان: ٢/ ١٦٥.

(٣) أُنظر، حياته في غاية النّهاية في طبقات القراء لابن الجوزيّ ص: ٢٩٨ لسان الميزان: ١/ ٢٢١، ميزان

إنّ الله ـ تنزه عن ذلك ـ جسم، وأنّه جثة، علىٰ صورة إنسان، وأنّه من دمٍّ، ولحم، له أعضاء، من يدّ، ورجل، ورأس، وساق. وجوزوا عليه الانتقال، والنّزول، والصّعود والمصافحة، وإنّ المسلمين المخلصين، يعانقونه في الدُّنيا، والآخرة، وقد ورد عن مقاتل قوله: «إنّ ربّه سبعة أشبار، بشبر نفسه»، وهو القول الّذي أُلصق فيما بعد بهشام بن الحكم الشّيعيّ. وقوله: «إنّه مصمت من أسفله، مجوف من أعلاه» وهو القول الّذي أُلصق فيما بعد بهشام بن سالم الجواليقيّ.

ويروىٰ عن داود الجواربيّ قوله: «اعفوني عن الفرج، واللّحية، واسألوني عما بدا لكم»[1].

وقالوا: إنّ الرّسول صلى الله عليه وآله، خرج ولم يستخلف علىٰ دينه، من يقوم مقامه، في لم الشّعث، وجمع الكلمة، وإقامة الهدنة، وتجييش (تهيئة) الجيوش، وتأخيرها.

وقالوا: إنّ عليّاً عليه السلام، وطلحة، والزّبير، لم يكونوا مصيبين في حربهم، وإنّ المصيبين هم الّذين قعدوا عنهم، وإنّهم يتولونهم، ويتبرأون من حربهم، ويردون أمرهم إلىٰ الله، وقالوا عن التّحكيم: نحن لا نتكلم في هذا بشيء، ونرد أمرهم إلىٰ الله عزّ وجلّ، فإنْ يكن حقّاً، فالله أوْلىٰ حقاً كان، أو باطلاً. ونتولاهم جميعاً علىٰ الأمر الأوّل.

وأثبت هؤلاء لله الحركة، والانتقال، والحدّ، والجهة، والقعود، والاستعلاء، والاستقرار، فذهبوا بذلك إلىٰ التّجسيم، وصرحوا بالتشبيه، واجازوا علىٰ ربّهم الملامسة، والمصافحة.

⇔ الإعتدال: ١/ ٥٧.

(١) الملل والنّحل للشهرستاني: ١/ ١٠٥، نهج الحقّ للعلاّمة الحليّ ص: ٥٦، بحار الأنوار: ٤/ ٦٠، حكىٰ ذلك عن داود الجواربيّ. طرائف المقال: ٢/ ٢٨٥، نقلاً عن داود الظّاهريّ حكاية الكعبي من المعتزلة.

وقال بعضهم ـ والعياذ بالله ـ بنقص القرآن، مع أنّهم قضوا، بكون حروفه وكلماته، قديمة أزلية.

وقالوا: لا يعقل كلام ليس له حروف ولا كلم. واستدلوا علىٰ ذلك بأخبار وارده عن النّبيّ صلى الله عليه وآله:

منها: «ينادي الله يوم القيامة، بصوت يسمعه الأوّلون والآخرون»، ورووا أنّ موسى عليه السلام، كان يسمع كلام الله كجر السّلاسل.

وقالوا: وأجمع السّلف علىٰ أنّ كلام الله غير مخلوق، ومن قال أنّه مخلوق فهو كافر بالله، ولا نعرف من القرآن، إلّا ماهو بين أظهرنا، فنبصره، ونسمعه، نقرؤه ونكتبه»[١].

وقد غالىٰ الحنابلة جهلاً وقالوا: إنّ الجلد، والغلاف، قديمان، فضلاً عن المصحف، والقائل بالوحدة في كلامه، هم سائر أهل السُّنَّة، ونسب هذا القول إلىٰ أحمد بن حنبل[٢].

أمّا رأي الإماميّة في خلق القرآن، فقد جاء تبعاً لرأي أئمتهم عليهم السلام، وتبعاً لرأي رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ كلام الله تعالىٰ محدث، وعليه إجماع الإماميّة، كما قال الشّيخ المفيد؛ «إنّ القرآن كلام الله ووحيه، وإنّه محدَث كما وصفه الله تعالىٰ، وأمنع من إطلاق القول عليه، بإنّه مخلوق، وبهذا جاءت الآثار عن الصّادقين، وعليه كافة الإماميّة، إلّا من شذّ منهم»[٣].

وجوز بعض الحشوية ـ والعياذ بالله ـ علىٰ الأنبياء الكبائر، كالزنا، واللّواط

(١) أُنظر، الملل والنّحل: ١/ ١٠٦.
(٢) الإمام البخاريّ ص: ٦٩.
(٣) أوائل المقالات ص: ١٨ و ١٩.

ومنهم: من جوز ذلك بشرط الاستسرار دون الإعلان. ومنهم: من جوز ذلك علىٰ الأحوال كلّها. ومنهم: من قال إنّ النّبيّ ﷺ، كان كافراً قبل البعثة[١].

أمّا المخلوقية منهم: فزعموا أنّ الإيمان مخلوق.

أمّا النّصفيّة منهم: فيزعمون نصفه مخلوق.

أمّا اللّفظيّة: فإنّهم أصحاب الحسين الكرابيس، زعموا أنّ اللّفظ بالقرآن، غير مخلوق.

أمّا الفاضلية فإنّهم: يفضلون النّبيّ ﷺ، علىٰ القرآن.

أمّا الصّاعدية منّهم: أصحاب ابن صاعد، فيجيزون خروج أنبياء بعد نبيّنا ﷺ؛ لأنّه روىٰ، لا نبيّ بعدي، إلّا ما شاء الله.

والمالكيّة، والسّراوية، يقولون بكراهة الزّيادة في الوتر علىٰ الرّكعة الواحدة؛ لأنّ فيها مخالفة للسُّنَّة المطهرة. وزعموا أنّهم مؤمنون إنْ شاء الله، فيعقدون الاستثناء علىٰ المراض، ويلقب هؤلاء بالشُكّاك.

أمّا البربهاريّة فإنّهم: يجهرون بالتشبيه، والمكان، ويرون الحكم، بالخاطر ويكفِّرون من خالفهم.

أمّا الكلابيّة ـ أصحاب أبي عبدالله بن كلاب، مناظرهم، ولسانهم، وصدرهم ـ فهؤلاء يقولون: بالأبدال الّذين ينقلبون من حال إلىٰ حال، وهم طبقات الأولياء أيضاً، ويقال للواحد بديل[٢].

وممّا يذكر أنّ عدد الأبدال أربعون، استناداً إلىٰ الحديث المنسوب إلىٰ عبدالله

---

(١) أُنظر، نشأة مذهب الحشويه وتطوره.

Halkin. R.S. the hashwiyya P.A. O.S. 1943 , PP: 1 _ 28

(٢) أُنظر، البدء والتّأريخ لمطهر بن طاهر المقدسي: ٥/١٤٨.

عمر بن الخطاب، عن رسول الله ﷺ، قال: خيار أُمتي في كلّ قرن، خمسمئة والأبدال أربعون، فلا الخمسمئة ينقصون، ولا الأبدال. كلما مات رجل أبدل الله من الخمسمئة مكانه، وأدخل في الأربعين مكانهم.

وعن سفيان الثّوريّ: «ولله تعالىٰ أربعون، قلوبهم علىٰ قلب موسىٰ: وهم الأبدال».

وقال يحيىٰ بن معاذ الرّازيّ المتوفّىٰ (٢٥٨ هـ): إذا رأيت الرّجل يشير إلىٰ الآداب، والكرامات، فطريقه الأبدال، وإذا رأيته يشير إلىٰ الآلاء، والنّعماء، فطريقه، طريق أهل المحبة، وهو أعلىٰ من الّذي قبل.

ويقول ابن تيميّة: «إنّ الأبدال رجال الغيب في لبنان».

وقيل: إنّ عددهم ثلاثمئة، وحددهم الشّيخ الطّوسيّ بـ(أنصار الإمام المهديّ عليه السلام) وقال: هم ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً، عدة من شهدوا بدراً، وقال: منهم النّجباء، والأبدال الأخيار. وإنّما سموا الأبدال؛ لأنّهم بدلوا خلقاً، بعد خلق، وصفوا تصفية بعد تصفيّة، ومما ينسب إلىٰ الإمام عليّ عليه السلام، إنّه قال: «الأبدال بالشام والنّجباء بمصر، والعصائب بالعراق»، وقيل أراد بهم جماعة من الزّهاد، سماهم بالعصائب؛ لأنّه قرنهم بالأبدال[1].

أمّا بعض أهل الحديث من الحشوية، فقد صرحوا بالتشبيه، مثل مضر وكهمس بن الحسن التّميميّ المتوفّىٰ (١٣٩ هـ)، وأحمد الهجيعيّ، قالوا: بأنّ معبودهم علىٰ صورة ذات أبعاض، وأعضاء، إمّا روحانيّة، وإمّا جسمانية، ويجوز عليه

(١) أُنظر، دراسات في العقائد والفرق ص: ٢٧٠. وقد ناقشنا ذلك في تحقيقنا لكتاب فرائد فوائد الفِكر في الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالىٰ فرجه الشّريف.

الانتقال، والنّزول والصّعود، والاستقرار والتّمكن...[١].

وحكىٰ الأشعريّ عن محمّد بن عيني، إنّه حكىٰ عن مضر بن خالد، وكهمس، وأحمد بن حنبل، ويحيىٰ بن معين، إنّهم أجازوا علىٰ ربّهم الملامسة والمصافحة، وإنّ المسلمين المخلصين يعانقونه في الدُّنيا والآخرة، إذا بلغوا في الرّياضة، والاجتهاد، إلىٰ حدّ الإخلاص، والاتحاد المحض...[٢].

وقال ابن تيمية: إنّ الله ينزل إلىٰ سماء الدُّنيا، كنزولي هذا، ونزل درجة من درج المنبر[٣]. تعالىٰ الله عن ذلك علواً كبيراً؛ لأنّ هذا يدل علىٰ احتواء المكان له وزواله عنه.

روى ابن الجوزيّ في مناقب أحمد قال: حدّثني أبوبكر بن مكارم بن أبي يعلى الحربي ـ وكان شيخاً صالحاً ـ قال: كان قد جاء في بعض السّنين مطر كثير جدّاً قبل دخول رمضان بأيّام، فنمتُ ليلة في رمضان فأُريتُ في منامي كأنّي قد جئت على عادتي إلىٰ قبر الإمام أحمد بن حنبل أزوره، فرأيتُ قبره قد التّصق بالأرض (حتى بقي بينه وبين الأرض) مقدار ساف أو سافين، فقلتُ: إنّما تمّ هذا على قبر الإمام أحمد من كثرة الغيث فسمعته من القبر وهو يقول: لا بل هذا من هيبة الحقَّ عزّ وجلَّ؛ لأنّه عزّ وجلّ قد زارني، فسألته عن سرّ زيارته إيّاي في كلّ عام، فقال عزّ وجلّ: يا أحمد؛ لأنك نصرت كلامي فهو يُنشر ويُتلىٰ في المحاريب، فأقبلت على لحده أُقبّله، ثمّ قلت: يا سيّدي، ما السّرّ في أنّه لا يُقبّل قبر إلّا قبرك؟ فقال لي: يا بُنّي ليس هذا كرامة لي ولكن هذا كرامة لرسول الله؛ لأنّ معي شعرات من

---

(١) الملل والنّحل: ١/ ١٠٥.

(٢) المصدر السّابق.

(٣) رحلة ابن بطّوطة ص: ٩٥. وقد تقدم إستخراجه.

شعره ﷺ ؛ ألا ومن يحبّني (لِمَ لا) يزورني في شهر رمضان ؟ قال ذلك مرّتين[١] .

عجباً عجبا؟! يُقبّل قبر أحمد بن حنبل من أجل شعرة من شعرات رسول البشرية محمّد المُصطفىٰ في قبره ؛ ولكن لا يُقبّل نفس قبر رسول الله وهو صاحب الشّعرة الواحدة ، والّتي لا أدري ممن أخذها أحمد بن حنبل؟!

وقال داود الظّاهريّ أيضاً : «اعفوني عن الفرج ، وأسألوني عما وراء ذلك ، وإنّ معبودهم جسم ، ذو لحمٍ ، ودمٍ ، وجوارح ، واعضاء ، وإنّه بكىٰ علىٰ طوفان نوح حتّىٰ رمدت عيناه ، وعادته الملائكة ، لمّا اشتكت عيناه»[٢] .

---

(١) مناقب أحمد ص: ٦٠٧.

(٢) نهج الحقّ ص: ٥٦. أُنظر ، كتاب الرّد علىٰ الجهميّة لأبي سعيد عثمان بن سعيد الدّارميّ ص: ٣٢ و ٣٤ و ٣٥.

مفارقات غالية من قبل أتباع الهوىٰ

لقد عانىٰ الإسلام، والعلماء، ضروب الإهانات من هؤلاء الغالِية، بل سفكت علىٰ أيديهم دماء كثيرة، لتهمة بسيطة، لايحل بها دم عصفور، كما يقال، ولذا كادت حشوية بغداد، أنْ تقضي علىٰ الطّبريّ صاحب (التّأريخ)، عندما سألوه عن حديث الجلوس علىٰ العرش، فانكره وأنشد قائلاً:

سبحان من ليس له أنيس ولا له في عرشه جليس[1]

فلما سمع ذلك الحنابلة منه، وأصحاب الحديث، وثبوا عليه ورموه بمحابرهم، وقيل كانت أُلوفاً فقام أبو جعفر بنفسه ودخل داره فرموا داره بالحجارة حتىٰ صار علىٰ بابه كالتل العظيم! ولم يستطع حمايته سوىٰ نازوك صاحب الشّرطة، في عشرات من الجند[2].

وذكر الأُستاذ حسن خليفة: «إنّ الجندي المسلم في غزو الرّوم أيّام أحمد، إذا رمىٰ وذكر اسم أحمد بن حنبل أصاب، وإنّ الفارس الرّومي المتحصن بدرعه

(١) معجم الأدباء للحمويّ: ٩ / ٥٧، ترجمة الطّبريّ.

(٢) معجم الأُدباء: ١٨/ ٥٨.

وترسه، وخوذته، لايصيبه السّهم، إلّا إذا ذكر اسم أحمد بن حنبل»[١]. ولذا قال الشّاعر:

سبحان من ليس له أنيس ولا له في عرشه جليس

ولكن نازوك صاحب الشّرطة في ذلك الوقت، أمر بمحو ذلك الشّعر، وكتب بعض أصحابه شعراً آخر:

لأحمد منزل لا شك عالٍ إذا وافىٰ إلىٰ الرّحمن وافد

فيدنيه ويقعده كريماً علىٰ رغم لهم في أنف حاسد

علىٰ عرش يُغلفهُ بطيبٍ علىٰ الأكباد من باغٍ وعاند

له هذا المقام الفرد حقّاً كذلك رواه ليث عن مجاهد[٢]

أُنظر، أيّها القارئ الكريم... إلىٰ هذه المفارقات... وتمعن بها، واحكم بنفسك عليها، ثمّ لماذا كلّ هذا الهجوم الشّرس علىٰ الإماميّة الّتي ترفض الغُلاة وتكفرهم علىٰ لسان أئمتهم عليهم السلام وعلمائهم، ولكن لم ينبس هؤلاء (الدّكاترة) ولو بكلمة واحدة حول مذاهب المجسمة؟ والّتي:

منها: عرق الخيل، روى مقاتل في كتاب (الأسماء) حديث يرفعه ويسنده، قيل يا رسول الله صلى الله عليه وآله! ممّ ربّنا؟ قال صلى الله عليه وآله: «من ماء روي لا من أرض، ولا من سماء، خلق خيلاً، فأجراها فعرقت، فخلق نفسه من عرقها»[٣].

---

(١) الدّولة الأُمويّة والعباسيّة ص: ١٤٧.

(٢) أنظر، معجم الأُدباء: ١٨/ ٥٨ و ٥٩.

(٣) أُنظر، كتاب الرّد علىٰ الجهميّة لأبي سعيد عثمان الدّارميّ ص: ٢٠١، تأريخ شيعه، وفرقه هاي إسلام ص: ١١٦، الطّرائف في معرفة مذاهب الطّوائف ص: ٣٥٣.

ولا ندري كيف خلق الخيل وهو غير موجود، ثمّ خلق نفسه من عرقها ؟ !

ولا نريد التّعليق علىٰ هذا القول الشّاذ، والمنكر، والّذي يرده كلّ عاقل مسلم، ذو فهم وبصيرة، وهذا باب يطول بيانه، وسرده، وإنْ تعجب... فعجب... أمر القوم إنّهم يروون هذه المهازل، والطّامات في كتبهم... ثمّ بعد ذلك يرمون الشّيعة بها... وها هو ابن حزم لا يبيح القول، بإنّ الله نور سبحانه..؛ لأنّ النّور لا يخلو من أحد وجهين: إمّا أنْ يكون جسماً، وإمّا أنْ يكون عرضاً، وأيّهما كان فقد قام البرهان أنّه تعالىٰ ليس جسماً، ولا عرضاً. أمّا قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1] فإنّما معناه هدىٰ الله بتنوير النّفوس، إلىٰ نور الله تعالىٰ في السّماوات والأرض...[2].

ومنها: الله سبحانه وتعالىٰ، يضحك من عباده، ويستهزئ بهم.

روى الرّازيّ في كتاب (تأسيس التّقديس) وذكر أيضاً، أنّه رواه صاحب شرح السُّنَّة، وكذلك رواه الحميديّ في (الجمع بين الصّحيحين) أنّه قال: قال ﷺ، فيمن يخرجه الله من النّار: «فيسمع أصوات أهل الجنّة، فيقول: أيّ ربّ ادخلنيها» فيقول: يا ابن آدم أيرضيك أنْ أُعطيك الدُّنيا وما فيها ؟ فيقول: أيّ ربّ أتستهزئ مني وأنت ربّ العالمين ![3].

وقال عبد المحمود: ورأيت في الجمع بين الصّحيحين للحميديّ، في مسند أبي هريرة في الحديث رقم (٦٠) هذا الحديث، بلفظ آخر قال: فيقول: ياربّ لاتجعلني

---

(١) النّور: ٣٥.

(٢) أُنظر، الفصل في الأهواء والملل ص: ١١٩.

(٣) أُنظر، الطّرائف ص: ٣٥١، صحيح البخاريّ: ٢ / ٢١٠، سنن النّسائيّ: ٦ / ٣٨، مسند أحمد: ١ / ٦٨، نيل الأوطار للشوكانيّ: ٣ / ٥٧.

أشقىٰ خلقك ! فيضحك منه ، ثمّ يأذن له بدخول الجنّة .

ومنها : ماذكره الرّازيّ : «أنّهم زعموا ، أنّ نبيهم محمّدﷺ ، قال : لمّا قضىٰ الله بين خلقه ، استلقىٰ علىٰ قفاه ، ثمّ وضع إحدىٰ رجليه علىٰ الأُخرىٰ ، ثمّ قال : لا ينبغي لأحد أنْ يجلس بهذه الكيفيّة»[1] .

ومنها : ماذكره الخطيب البغداديّ ، عن عطاء قال : لمّا أُسري بالنبيّﷺ ، إلىٰ السّماء السّابعة ، قال جبريل : رويداً ! رويداً ! فإنّ ربّك يصلّي . قالﷺ ، ومايقول ؟

قال : يقول سبّوح ، قدوس ، ربّ الملائكة ، والرّوح ، سبقت رحمتي غضبي[2] .

والسّؤال الّذي يطرح نفسه لمن يصلي ؟ أُيصلي لنفسه ؟ !

وقال أبو إسماعيل الهرويّ : إنّ لله تعالىٰ جوارح كالبشر ، وإنّه عاب الأصنام فقال : ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ...﴾[3] . ثمّ أنّ ابن حزم قال بخصوص هؤلاء المثبتين لله الجوارح ، ليس مشبّهاً ، لكنّه ألحد في أسماء الله ، إذ سماه بمالم يسم به نفسه[4] .

إذن هذه أحاديث مكذوبة ، ومضطربة الطُّرق والإسناد ، والخلل واضح ، وظاهر في معانيها ، وما كان بهذه الصّورة لا إعتبار له .

---

(١) مسند أحمد : ١ / ٣٣٠ ، تأسيس التّقديس ص : ١٦٧ ، الطّرائف ص : ٣٥٢ .

(٢) تأريخ بغداد : ٣ / ٤٢٥ .

(٣) الأعراف : ١٩٥ .

(٤) أنظر ، الفصل : ٢ / ١٢٠ .

موقف أهل البيت عليهم السلام من التّشبيه والتّجسيم

هناك من الأخبار الّتي جاءت بالصحيح من الإسناد ورواها الثّقات عند أصحاب الآثار، وأطبق علىٰ نقلها الفريقان من أنّ أهل البيت عليهم السلام، أمروا اتباعهم بنفي التّشبيه، والبطلان؛ لأنّ جماعة أرادوا تنزيه الله سبحانه عن المشبّهات (مشابهة المخلوقات)، فوقعوا في البطلان، وأرادوا أنْ يصفوه بصفات حتّىٰ يعرفوه، فأثبتوا له صفات غير لائقة بذاته ولذا قال الإمام عليه السلام، هو الله الثّابت الموجود، إشارةً إلىٰ نفي البطلان وقوله عليه السلام، في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1]، إشارة إلىٰ نفي التّشبيه وقوله عليه السلام، «لاتعدوا القرآن» أيّ لا تجاوزوا ما فيه. ويتبين هذا من خلال الأحاديث المرويّة عن أهل البيت عليهم السلام، في النّهي عن الصّفة، بغير ماوصف به نفسه تعالىٰ:

عن العبّاس بن معروف، عن ابن أبي نجران، عن حمّاد ابن عثمان، عن عبد الرّحيم بن عتيك القصير قال: كتبت علىٰ يدي عبد الملك بن أعين، إلىٰ أبي عبد الله عليه السلام: أنَّ قوماً بالعراق، يصفون الله بالصورة، وبالتخطيط، فإنْ رأيت ـ جعلني

---

(١) الصّافات: ١٥٩.

الله فداك ـ أنْ تكتب إليَّ بالمذهب الصّحيح من التّوحيد؟ فكتب إليَّ: سألت رحمك الله عن التّوحيد، وما ذهب إليه من قبلك فتعالىٰ الله الّذي ليس كمثله شيء، وهو السّميع البصير، تعالىٰ عمّا يصفه الواصفون، المشبّهون الله بخلقه، المفترون علىٰ الله، فاعلم رحمك الله، أنَّ المذهب الصّحيح في التّوحيد، ما نزل به القرآن من صفات الله جلَّ وعزَّ، فانفِ عن الله تعالىٰ البطلان، والتّشبيه، فلا نفي، ولا تشبيه، هو الله الثّابت، الموجود تعالىٰ الله عمّا يصفه الواصفون، ولا تعدوا القرآن، فتضلّوا بعد البيان(١).

وعن محمّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم ابن عبد الحميد، عن أبي حمزة قال: قال لي عليّ بن الحسين عليهما السلام: يا أبا حمزة! إنَّ الله لا يوصف بمحدوديّة، عظم ربُّنا عن الصّفة، فكيف يوصف بمحدوديّة من لا يحدُّ ولا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، وهواللّطيف الخبير!(٢)

وعن محمّد بن إسماعيل، عن الحسين بن الحسن، عن بكر بن صالح، عن الحسن بن سعيد، عن إبراهيم بن محمّد الخزّاز ومحمّد بن الحسين قالا: دخلنا علىٰ أبي الحسن الرّضا عليه السلام فحكينا له أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله رأى ربّه في صورة الشّابّ الموفّق في سنّ أبناء ثلاثين سَنَة، وقلنا: يقولون: إنّه أجوف إلىٰ السّرَّة... والبقيّة صمد... فخرَّ ساجداً لله ثمَّ قال: سبحانك! ماعرفوك، ولاوحّدوك، فمن أجل ذلك وصفوك، سبحانك! لو عرفوك لوصفوك، بما وصفت به نفسك؛ سبحانك! كيف طاوعتهم أنفسهم، أنْ يشبّهوك بغيرك! اللّهمّ لا أصفك إلّا بما وصفت به نفسك، ولا أُشبّهك بخلقك، أنت أهلٌ لكلّ خير، فلا تجعلني من القوم الظّالمين؛ ثمَّ التّفت

---

(١) الكافي: ١/١٠٠، التّحفة السّنية للفيض الكاشانيّ ص: ٦.

(٢) المصدر السّابق.

إلينا فقال: ما توهّمتم من شيء فتوهّموا الله غيره، ثمّ قال: نحن آل محمّد، النّمط الأوسط، الّذي لا يدركنا الغالي، ولا يسبقنا التّالي، يامحمّد! إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله، حين نظر إلىٰ عظمة ربّه، كان في هيئة الشّابّ الموفّق، وسنّ أبناء ثلاثين سَنَة يامحمّد! عظم ربّي، عزَّ وجلَّ أنْ يكون في صفة المخلوقين؛ قال قلت: جعلت فداك من كانت رجلاه في خضرة؟ قال: ذاك محمّد صلى الله عليه وآله كان إذا نظر إلىٰ ربّه بقلبه، جعله في نور، مثل نور الحجب، حتّىٰ يستبين له ما في الحجب، إنّ نور الله منه أخضر، ومنه أحمر، ومنه أبيض، ومنه غير ذلك، يامحمّد! ماشهد له الكتاب، والسُّنَّة، فنحن القائلون به[١].

سبق وأنْ أشرنا إنّ نسبة هذا القول إلىٰ هؤلاء الثّلاثة: «هشام بن سالم، وأبوجعفر محمّد بن النّعمان الأحول المعروف بصاحب (مؤمن) الطّاق، وأحمد ابن الحسن بن إسماعيل بن ميثم بن عبد الله التّمار العروف بـ(الميثميّ)، وهم من أكابر الشّيعة، غير صحيح.

وعن سهل بن زياد، عن أحمد بن بشر البرقيّ قال: حدَّثني عبّاس بن عامر القصبانيّ، قال: أخبرني هارون بن الجهم، بن أبي حمزة، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: قال: لو اجتمع أهل السّماء والأرض، أنْ يصفوا الله بعظمته، لم يقدروا»[٢].

وعن إبراهيم بن محمّد الهمدانيّ قال: كتبت إلىٰ الرّجل عليه السلام: إنَّ من قبلنا من مواليك قد اختلفوا في التّوحيد، فمنهم من يقول: جسمٌ، ومنهم من يقول: صورة، فكتب عليه السلام، بخطّه: سبحان من لا يحدّ، ولا يوصف، ليس كمثله شيء، وهو السّميع العليم ـ أو قال: البصير[٣].

---

(١) الكافي: ١٠٢/١، توحيد الشّيخ الصّدوق ص: ١١٤، بحار الأنوار: ٤/٤ و: ١٢/٥١.

(٢) المصدر السّابق.

(٣) تفسير نور الثّقلين: ٤ / ٥٥٩، بحار الأنوار: ٣ / ٢٩٤.

وعن محمّد بن عيسىٰ، عن إبراهيم، عن محمّد بن حكيم قال: كتب أبو الحسن موسىٰ بن جعفر عليهما السلام، إلىٰ أبي: إنَّ الله أعلىٰ وأجلُّ وأعظم، من أنْ يبلغ كنه صفته، فصفوه بما وصف به نفسه، وكفّوا عمّا سوىٰ ذلك[1].

وعن السّنديّ بن الرّبيع، عن ابن أبي عمير، عن حفص أخي مرازم، عن المفضّل قال: سألت أبا الحسن عليه السلام، عن شيء من الصّفة فقال: لا تجاوز ما في القرآن[2].

وعن محمّد بن عليّ القاسانيّ قال: كتبت إليه عليه السلام: إنَّ مَنْ قبلنا، قد اختلفوا في التّوحيد قال: فكتب عليه السلام: سبحان من لا يحدُّ ولا يوصف، ليس كمثله شيء، وهو السّميع البصير[3].

وعن بشر بن بشّار النّيسابوريّ قال: كتبت إلىٰ الرَّجل عليه السلام: إنّ من قبلنا قد اختلفوا في التّوحيد، فمنهم من يقول: «هو» جسمٌ، ومنهم من يقول: «هو» صورةٌ، فكتب إليَّ: سبحان من لا يحدُّ، ولا يوصف، ولا يشبهه شيء، وليس كمثله شيء وهو السّميع البصير[4].

وعن الفضل بن شاذان، عن حمّاد بن عيسىٰ، عن ربعيّ بن عبد الله، عن الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ الله لا يوصف، وكيف يوصف! وقد قال في كتابه: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[5] فلا يوصف بقدر، إلّا كان أعظم من ذلك. قال: كتبت إلىٰ أبي محمّد عليه السلام، سَنَة خمس وخمسين ومئتين: قد

---

(١) مستدرك الوسائل: ١٢/ ٢٥٢، الكافي: ٨/ ٢٢، بحار الأنوار: ٣/ ٢٦٦.

(٢) جامع الرّواة: ٢/ ٥٥.

(٣) تفسير نور الثّقلين: ٤/ ٥٥٩.

(٤) المصدر السّابق.

(٥) الحجّ: ٧٤، والأنعام: ٩١، الزّمر: ٦٧.

اختلف يا سيّدي أصحابنا في التّوحيد، منهم من يقول: هو جسم، ومنهم من يقول: هو صورةٌ، فإنْ رأيت يا سيّدي أنْ تعلّمني من ذلك، ما أقف عليه، ولا أُجوزه فعلت متطوّلاً علىٰ عبدك، فوقّع بخطّه عليه السلام: سألت عن التّوحيد، وهذا عنكم معزول، الله واحدٌ، أحدٌ، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، خالقٌ، وليس بمخلوق، يخلق تبارك وتعالىٰ مايشاء من الأجسام، وغير ذلك، وليس بجسم، ويصوّر مايشاء وليس بصورة جلَّ ثناؤه، وتقدست أسماؤه، أنْ يكون له شبه، هو لا غيره، ليس كمثله شيء وهو السّميع البصير[١].

وعن سهل بن زياد، وعن غيره، عن محمّد بن سليمان، عن عليّ بن إبراهيم، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: إنَّ الله عظيم رفيعٌ لا يقدر العباد علىٰ صفته، ولا يبلغون كنه عظمته، لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، وهو اللّطيف الخبير، ولا يوصف بكيف، وأين، وحيث، وكيف أصفه بالكيف؟! وهو الّذي كيّف الكيف، حتّىٰ صار كيفاً، فعرفت الكيف بما كيّف لنا، من الكيف، أم كيف أصفه بأين؟! وهو الّذي أيّن الأين، حتّىٰ صار أيناً، فعرفت الأين بما أيّن لنا، من الأين، أم كيف أصفه بحيث؟! وهو الّذي حيّث الحيث، حتّىٰ صار حيثاً، فعرفت الحيث، بما حيّث لنا، من الحيث، فالله تبارك وتعالىٰ داخل في كلّ مكان، وخارج من كلّ شيء، لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، لا إله إلّا هو العليّ العظيم، وهو اللّطيف الخبير[٢].

---

(١) توحيد الشّيخ الصّدوق ص: ١٠٢، بحار الأنوار: ٣/ ٢٦١.

(٢) توحيد الشّيخ الصّدوق ص: ١١٥، بحار الأنوار: ٢٩٨/٤، الكافي: ١ / ١٠٣.

نهي الأئمة عليهم السلام عن الجسم والصّورة

لقد ورد النّهي عن تشبيه الخالق سبحانه وتعالىٰ باصورة والجسم علىٰ لسان أهل بيت العصمة والطّهارة من طرق عديدة:

عن أحمد بن إدريس، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن صفوان بن يحيىٰ، عن عليّ بن أبي حمزة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: سمعت هشام بن الحكم يروي عنكم أنّ الله جسم، صمديٌّ، نوريٌّ، معرفته ضرورة، يمنّ بها علىٰ من يشاء من خلقه، فقال عليه السلام: سبحان من لا يعلم أحدٌ كيف هو، إلّا هو، ليس كمثله شيء، وهو السّميع البصير، لا يحدُّ، ولا يحسُّ، ولا يجسُّ، ولا تدركه، «الأبصار، ولا» الحواسّ، ولا يحيط به شيء، ولا جسم ولا صورة، ولا تخطيط، ولا تحديد[1].

وعن محمّد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن حمزة بن محمّد قال: كتبت إلىٰ أبي الحسن عليه السلام، أسأله عن الجسم والصّورة فكتب: سبحان من ليس كمثله شيء لا جسم، ولا صورة؛ ورواه محمّد بن أبي عبد الله[2] إلّا أنّه لم يسمّ الرَّجل.

وعن محمّد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن إسماعيل بن بزيع، عن

---

(١) الكافي: ١٠٤/١، توحيد الشّيخ الصّدوق ص: ٩٨، بحار الأنوار: ٣٠١/٣.

(٢) علل الشّرائع: ٩/١، توحيد الشّيخ الصّدوق ص: ٩٨، بحار الأنوار: ٢٦٣/٤.

محمّد بن زيد قال: جئت إلىٰ الرّضاعليه السلام أسأله عن التّوحيد فأملىٰ عليَّ: الحمد لله فاطر الأشياء إنشاءً، ومبتدعها ابتداعاً بقدرته، وحكمته، لا من شيء فيبطل الاختراع، ولا لعلّة، فلايصحُّ الابتداع، خلق ماشاء كيف شاء، متوحّداً بذلك لإظهار حكمته، وحقيقة ربوبيّته، لاتضبطه العقول، ولا تبلغه الأوهام، ولاتدركه الأبصار، ولايحيط به مقدار، عجزت دونه العبارة، وكلّت دونه الأبصار، وضلَّ فيه تصاريف الصّفات، احتجب بغير حجاب محجوب، واستتر بغير ستر مستور، عرف بغير رؤية، ووصف بغير صورة ونعت، بغير جسم؛ لا إله إلّا الله الكبير المتعال[1].

وعن محمّد بن أبي عبد الله، عمّن ذكره، عن عليّ بن العبّاس، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن محمّد بن حكيم قال: وصفت لأبي إبراهيمعليه السلام قول هشام ابن سالم الجواليقيّ وحكيت له: قول هشام بن الحكم إنّه جسم، فقال: إنَّ الله تعالىٰ لا يشبهه. شيء، أيُّ فحش، أو خنىٰ أعظم من قول من يصف خالق الأشياء بجسم، أو صورة أو بخلقَه[2] أو بتحديد وأعضاء! تعالىٰ الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

وعن عليُّ بن محمّد رفعه، عن محمّد بن الفرج الرُّخّجيّ قال: كتبت إلىٰ أبي الحسنعليه السلام، أسأله عمّا قال هشام بن الحكم في الجسم، وهشام بن سالم في الصّورة، فكتب: دع عنك حيرة الحيران، واستعذ بالله من الشّيطان، ليس القول ما قال الهشامان[3].

وعن محمّد بن أبي عبد الله، عن محمّد بن إسماعيل، عن الحسين بن الحسن،

---

(١) توحيد الشّيخ الصّدوق ص: ٩٨، علل الشّرائع: ١ / ٩.

(٢) المصدر السّابق.

(٣) المصدر السّابق.

عن بكر بن صالح، عن الحسن بن سعيد، عن عبدالله بن المغيرة، عن محمّد بن زياد قال: سمعت يونس بن ظبيان يقول: دخلت علىٰ أبي عبدالله عليه السلام فقلت له: إنَّ هشام ابن الحكم يقول قولاً عظيماً، إلّا أنّي أختصر لك منه أحرفاً، فزعم أنّ الله جسم؛ لأنّ الأشياء شيئان: جسم، وفعل، الجسم فلا يجوز أنْ يكون الصّانع بمعنىٰ الفعل ويجوز أنْ يكون بمعنىٰ الفاعل، فقال أبو عبد الله عليه السلام: ويحه أما علم أنّ الجسم محدودٌ متناه، والصّورة محدودة متناهية؟! فإذا احتمل الحدّ احتمل الزّيادة والنّقصان، وإذا احتمل الزّيادة والنّقصان، كان مخلوقاً قال: قلت: فما أقول؟ قال: لا جسم، ولا صورة، وهو مجسّم الأجسام ومصوّر الصّور، لم يتجزّأ ولم يتناه، ولم يتزايد ولم يتناقص، لو كان كما يقولون لم يكن بين الخالق والمخلوق فرقٌ، ولا بين المنشئ والمنشأ، لكن هو المنشئ فرَّق بين من جسّمه وصوَّره، وأنشأه، إذ كان لا يشبهه شيء، ولا يشبه هو شيئاً[١].

وعن محمّد بن أبي عبد الله، عن محمّد بن إسماعيل، عن عليّ بن العبّاس، عن الحسن بن عبد الرّحمن الحمّانيّ قال: قلت لأبي الحسن موسىٰ بن جعفر عليه السلام: إنَّ هشام بن الحكم زعم أنّ الله جسم ليس كمثله شيء، عالمٌ، سميعٌ، بصيرٌ، قادرٌ، متكلّمٌ، ناطقٌ، والكلام، والقدرة، والعلم، يجري مجرىٰ واحد، ليس شيء منها مخلوقاً، فقال: قاتله الله! أما علم أنَّ الجسم محدود والكلام غير المتكلّم؟! معاذ الله! وأبرأُ إلىٰ الله من هذا القول، لا جسم، ولا صورة، ولا تحديد، وكلُّ شيء سواه مخلوقٌ، إنّما تكون الأشياء بإرادته، ومشيئته من غير كلام، ولا تردُّد في نفس ولا نطق بلسان[٢].

---

(١) الكافي: ١ / ١٠٦، الأحتجاج: ٢ / ١٧٢، بحار الأنوار: ٢ / ١٥ وج ١٠ / ٤٥٣.

(٢) الكافي: ١ / ١٠٦، الأحتجاج: ٢ / ١٥٥، بحار الأنوار: ٣ / ٢٩٥.

وعن عليٍّ بن إبراهيم، عن محمّدبن عيسىٰ، عن يونس، عن محمّد بن حكيم قال: وصفت لأبي الحسنعليه السلام قول هشام الجواليقيّ ومـايقول في الشّـابّ المـوفّق ووصفت له قول هشام بن الحكم فقال: إنّ الله لا يشبهه شيء[1].

(١) توحيد الشّيخ الصّدوق ص: ٩٧، بحار الأنوار: ٣ / ٣٠٠، الكافي: ١ / ١٠١ و ١٠٦.

نهي الأئمّة عليهم السلام عن صفات الذّات

عن عليٍّ بن إبراهيم، عن محمّد بن خالد الطّيالسيّ، عن صفوان بن يحيىٰ، عن ابن مسكان، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: لم يزل الله عزّ وجلَّ ربّنا والعلم ذاته ولا معلوم، والسّمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مُبْصَر، والقدرة ذاته ولا مقدور، فلمّا أحدث الأشياء، وكان المعلوم، وقع العلم منه علىٰ المعلوم، والسّمع علىٰ المسموع، والبصر علىٰ المُبْصَر، والقدرة علىٰ المقدور. قال: قلت: فلم يزل الله متحرّكاً؟ قال: فقال: تعالىٰ الله «عن ذلك» إنَّ الحركة صفة محدثة بالفعل، قال: قلت: فلم يزل الله متكلّماً؟ قال: فقال: إنَّ الكلام صفة محدثة ليست بأزليّة كان الله عزّ وجلّ ولا متكلّم[1].

وعن محمّد بن يحيىٰ، عن محمّد بن الحسين، عن ابن أبي عمير، عن هشام ابن سالم، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: كان الله عزَّ وجلَّ ولا شيء غيره، ولم يزل عالماً بما يكون، فعلمه به قبل كونه كعلمه به بعد كونه[2].

---

(١) الكافي: ١ / ١٠٧، تفسير نور الثّقلين: ١ / ٣٨ وج ٣ / ١٣٤، توحيد الشّيخ الصّدوق ص: ١٣٩، بحار الأنوار: ٤ / ٦٨.

(٢) الكافي: ١٠٧/١، تفسير نورالثّقلين: ٢٣٨/٥، توحيدالشّيخ الصّدوق: ١٤٥/١، بحارالأنوار: ٨٦/٤.

وعن محمّد بن يحيىٰ، عن محمّد بن الحسين، عن صفوان بن يحيىٰ، عن الكاهليّ قال: كتبت إلىٰ أبي الحسنعليه السلام في دعاء: الحمد لله منتهىٰ علمه، فكتب إليَّ لا تقولنَّ منتهىٰ علمه فليس لعلمه منتهىٰ ولكن قل، منتهىٰ رضاه[١].

وعن محمّد بن يحيىٰ، عن سعد بن عبد الله، عن محمّد بن عيسىٰ، عن أيّوب ابن نوح، أنّه كتب إلىٰ أبي الحسنعليه السلام يسأله عن الله عزَّ وجلَّ أكان يعلم الأشياء قبل أنْ خلق الأشياء وكوَّنها أو لم يعلم ذلك حتّىٰ خلقها وأراد خلقها وتكوينها فعلم ما خلق عندما خلق وماكوَّن عند ما كوَّن؟ فوقّع بخطّه: لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أنْ يخلق الأشياء كعلمه بالأشياء بعد ماخلق الأشياء[٢].

وعن عليُّ بن محمّد، عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمّد بن حمزة قال: كتبت إلى الرَّجلعليه السلام أسأله: إنَّ مواليك اختلفوا في العلم فقال بعضهم: لم يزل الله عالماً قبل فعل الأشياء، وقال بعضهم: لا نقول: لم يزل الله عالماً؛ لأنَّ معنىٰ يعلم يفعل فإنْ أثبتنا العلم فقد أثبتنا في الأزل معه شيئاً فإنْ رأيت جعلني الله فداك أنْ تعلّمني من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه... فكتبعليه السلام بخطّه: لم يزل الله عالماً تبارك وتعالىٰ ذكره[٣].

وعن محمّد بن يحيىٰ، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم ابن محمّد عن عبد الصّمد بن بشير، عن فضيل بن سكرة، قال: قلت لأبي جعفرعليه السلام: جعلت فداك إنْ رأيت أنْ تعلّمني هل كان الله جلَّ وجهه يعلم قبل أنْ

(١) المصدر السّابق.

(٢) الكافي: ١/ ١٠٨، التّبيان في تفسير القرآن للشيخ الطّوسيّ: ٣ / ٣٤٢، توحيد الشّيخ الصّدوق: ١٤٥.

(٣) الكافي: ١ / ١٠٨، علل الشّرائع: ١ / ٦٠٧، التّبيان في تفسير القرآن: ٦ / ٤٤٠.

يخلق الخلق أنّه وحده ؟ فقد اختلف مواليك فقال بعضهم : قد كان يعلم قبل أنْ يخلق شيئاً من خلقه ، وقال بعضهم : إنّما معنىٰ يعلم يفعل فهو اليوم يعلم أنّه لاغيره قبل فعل الأشياء ، فقالوا : إنْ أثبتنا أنّه لم يزل عالماً بأنّه لا غيره فقد أثبتنا معه غيره ، في أزليّته ؟ فإنْ رأيت يا سيّدي أنْ تعلّمني ما لا أعدوه إلىٰ غيره ؟ فكتب عليه السلام : مازال الله عالماً تبارك وتعالىٰ ذكره[1].

وعن عليٍّ بن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسىٰ بن عبيد ، عن حمّاد ، عن حريز ، عن محمّد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال في صفة القديم : إنّه واحدٌ صمدٌ أحديُّ المعنىٰ ليس بمعاني كثيرة مختلفة ، قال : قلت : جعلت فداك ! يزعم قومٌ من أهل العراق أنّه يسمع بغير الّذي يبصر ، ويبصر بغير الّذي يسمع ، قال : فقال : كذبوا وألحدوا ، وشبّهوا تعالىٰ الله عن ذلك ، إنّه سميع بصير يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع ، قال : قلت : يزعمون أنّه بصير علىٰ مايعقلونه ، قال : فقال : تعالىٰ الله إنّما يُعقل ما كان بصفة المخلوق وليس الله كذلك[2].

وعن عليٍّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن العبّاس بن عمرو ، عن هشام بن الحكم قال في حديث الزّنديق الّذي سأل أبا عبدالله عليه السلام : أنّه قال له : أتقول : إنّه سميعٌ بصيرٌ ؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام : هو سميعٌ بصيرٌ سميع بغير جارحة وبصير بغير آلة ، بل يسمع بنفسه ويبصر بنفسه وليس قولي : إنّه سميع بنفسه أنّه شيء والنّفس شيء آخر ، ولكنّي أردت عبارة عن نفسي إذ كنت مسؤولاً ، وإفهاماً لك إذ كنت سائلاً ، فأقول يسمع بكلّه لا أنَّ كلّه له بعض ؛ لأنَّ الكل لنا «له» بعض ، ولكن أردت إفهامك ، والتّعبير عن نفسي ، وليس مرجعي في ذلك كلّه إلّا أنّه السّميع

---

(١) توحيد الشّيخ الصّدوق ص: ١٤٥ ، الكافي : ١ / ١٠٨ و ١١٣ .

(٢) كنز الدّقائق : ١ / ٦٠٧ ، تفسير نور الثّقلين : ٣ / ١٣٥ ، الكافي : ١ / ١٠٨ .

البصير العالم الخبير بلا اختلاف الذّات ولا اختلاف معنى[١].

---

(١) الكافي: ١ / ٨٤ و١٠٩ و١٥٥، بحار الأنوار: ٤ / ٧٠، توحيد الشّيخ الصّدوق ص: ١٤٥ و٢٤٥، تفسير نور الثّقلين: ٣ / ١٣٤.

هل الإرادة من صفات الفعل؟

عن محمّد بن يحيىٰ العطّار، عن أحمد بن محمّد بن عيسىٰ الأشعريّ، عن الحسين بن سعيد الأهوازيّ، عن النّضر بن سويد، عن عاصم بن حميد، عن أبي عبد الله عليه‌السلام، قال: قلت: لم يزل الله مريداً؟ قال: إنَّ المريد لا يكون إلّا لمراد معه، لم يزل «الله» عالماً قادراً ثمَّ أراد[1].

وعن محمّد بن أبي عبد الله، عن محمّد بن إسماعيل، عن الحسين بن الحسن، عن بكر بن صالح، عن عليّ بن أسباط، عن الحسن بن الجهم عن بكير ابن أعين قال: قلت لأبي عبد الله عليه‌السلام: علم الله ومشيئته هما مختلفان أو متّفقان؟ فقال: العلم ليس هو المشيئة ألا ترىٰ أنّك تقول: سأفعل كذا إنْ شاء الله، ولا تقول: سأفعل كذا إنْ علم الله، فقولك إنْ شاء الله دليل علىٰ أنّه لم يشأ، فإذا شاء كان الّذي شاء كما شاء، وعلم الله السّابق للمشيئة[2].

وعن أحمد بن إدريس، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن صفوان بن يحيىٰ قال:

---

(١) الكافي: ١ / ١٠٩ وج ٢ / ٧٨، مستدرك الوسائل: ١٧ / ٢٥٤.

(٢) بحار الأنوار: ٤ / ١٤٤، الكافي: ١ / ١٠٩ و١٦٢.

قلت لأبي الحسن عليه السلام : أخبرني عن الإرادة من الله ومن الخلق ؟ قال : فقال : الإرادة من الخلق الضّمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل ، وأمّا من الله تعالىٰ فإرادته إحداثه لا غير ذلك ؛ لأنّه لا يروّي ولا يهمُّ ولا يتفكّر ، وهذه الصّفات منفيّة عنه وهي صفات الخلق ، فإرادة الله ، الفعل ؛ لا غير ذلك يقول له : كن فيكون بلالفظ ولا نطق بلسان ولا همّة ولا تفكّر ولا كيف لذلك ، كما أنّه لا كيف له[١] .

وعن عليٍّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عمر بن أُذينة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : خلق الله المشيئة بنفسها ثمَّ خلق الأشياء بالمشيئة[٢] .

وعن أحمد بن محمّد البرقيّ ، عن محمّد بن عيسىٰ ، عن المشرقيّ حمزة بن المرتفع عن بعض أصحابنا قال : كنت في مجلس أبي جعفر عليه السلام إذ دخل عليه عمرو بن عبيد فقال له : جعلت فداك قول الله تبارك وتعالىٰ : ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾[٣] ما ذلك الغضب ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام : هو العقاب يا عمرو ، إنّه من زعم أنَّ الله . قد زال من شيء إلىٰ شيء فقد وصفه صفة مخلوق ، وإنّ الله تعالىٰ لا يستفزّه شيء فيغيّره[٤] .

وعن عليَّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن العبّاس بن عمرو ، عن هشام بن الحكم في حديث الزّنديق الّذي سأل أبا عبدالله عليه السلام فكان من سؤاله أنْ قال له : فله رضا وسخط ؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام : نعم ولكن ليس ذلك علىٰ مايوجد من المخلوقين ،

---

(١) الكافي : ١ / ١١٠ ، تفسير نور الثّقلين : ٤ / ٣٩٧ ، توحيد الشّيخ الصّدوق ص: ١٤٧ ، بحار الأنوار : ٤ / ١٣٧ .

(٢) المصدر السّابق .

(٣) طه : ٨١ .

(٤) الكافي : ١ / ١١٠ ، تفسير نور الثّقلين : ٣ / ٣٦٨ ، توحيد الشّيخ الصّدوق ص: ١٦٨ : بحار الأنوار : ٤ / ٦٥ .

وذلك أنَّ الرّضا حال تدخل عليه فتنقله من حال إلىٰ حال ؛ لأنَّ المخلوق أجـوفٌ معتمل مركّب ، للأشياء فيه مدخلٌ ، وخالقنا لا مدخل للأشياء فيه ؛ لأنّـه واحـدٌ واحديُّ الذّات واحديُّ المعنىٰ ، فرضاه ثوابـه ، وسـخطه عـقابه مـن غـير شيء يتداخله فيهيجه ، وينقله من حال إلىٰ حال ؛ لأنَّ ذلك من صفة المخلوقين العاجزين المحتاجين[١].

عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أُذينة ، عن محمّد بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه‌السلام قال : المشيئة محدثة[٢].

(١) الكافي : ١ / ١١٠ ، تفسير نور الثّقلين : ٥ / ٤٤ ، توحيد الشّيخ الصّدوق ص: ١٦٩ .

(٢) الكافي : ١ /١٠٧ و ١١٠ و ١٣٤ و ١٣٦ .

جملة القول في صفات الذّات وصفات الفعل

إنَّ كلَّ شيئين وصفت الله بهما وكانا جميعاً في الوجود فذلك صفة فعل؛ وتفسير هذه الجملة: أنّك تثبت في الوجود مايريد ومالا يريد ومايرضاه ومايسخطه وما يحبُّ ومايبغض، فلو كانت الإرادة من صفات الذّات مثل العلم والقدرة كان ما لا يريد ناقضاً لتلك الصّفة، ولو كان مايحبُّ من صفات الذّات كان مايبغض ناقضاً لتلك الصّفة، ألا ترىٰ أنّا لا نجد في الوجود ما لا يعلم ومالا يقدر عليه، وكذلك صفات ذاته الأزلي لسنا نصفه بقدرة وعجز «وعلم، وجهل، وسفه وحكمة، وخطأ، وعزّ» وذلّة ويجوز أنْ يقال: يحبُّ من أطاعه ويبغض من عصاه، ويوالي من أطاعه ويعادي من عصاه، وإنّه يرضا ويسخط، ويقال في الدُّعاء: اللّهمَّ أرضَ عنّي ولا تسخط عليّ، وتولّني ولا تعادني، ولا يجوز أنْ يقال: يقدر أنْ يعلم ولا يقدر أنْ لا يعلم، ويقدر أنْ يملك ولا يقدر أنْ لا يملك، ويقدر أنْ يكون عزيزاً حكيماً، ولا يقدر أنْ لا يكون عزيزاً حكيماً، ويقدر أنْ يكون جواداً ولا يقدر أنْ لا يكون جواداً، ويقدر أنْ يكون غفوراً ولا يقدر أنْ لا يكون غفوراً. ولا يجوز أيضاً أنْ يقال: أراد أنْ يكون ربّاً، وقديماً، وعزيزاً وحكيماً، ومالكاً، وعالماً، وقادراً، لأنَّ

هذه من صفات الذّات والإرادة من صفات الفعل، ألا ترىٰ أنّه يقال: أراد هذا ولم يرد هذا، وصفات الذّات تنفي عنه بكلّ صفة منها ضدّها، يقال: حيٌّ، وعالمٌ، وسميعٌ، وبصيرٌ، وعزيزٌ، وحكيمٌ وغنيٌ، وملكٌ، وحليم، وعدل، وكريم، فالعلم ضدُّه الجهل، والقدرة ضدُّها العجز، والحياة ضدُّها الموت، والعزَّة ضدُّها الذّلّة، والحكمة ضدُّها الخطأ، وضدُّ الحلم العجلة، والجهل، وضدّ العدل الجور، والظّلم.

من هو المغالي؟

لمّا كان القانون في الإسلام أعلق بالدّين، أكثر منه بأذصول التّشريع علىٰ نحو ما يفهمه الأُوروبيون، فقد أخذ المسلمون يدرسون الحديث، ويدرسون في الوقت نفسه تأريخ الرّواة من المحدثين لاهتمامهم بأمر الحُدّاث وحثهم علىٰ الوثوق من صحة روايته وأمانة رواته، ولذا كانوا في حاجة إلىٰ تعرف حال هؤلاء الرّواة، ودراسة تأريخهم، وأخبارهم.

والحديث من مصادر التّشريع الإسلامي. وهو كلام يحكي ما أُثِر عن الرّسولﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير شيء رآه. يأتي في الأهمية بعد القرآن، ولذا نجد البخاريّ قد جمع نحو مايقارب (٧٢٧٥) حديثاً بما فيها الأحاديث المكررة. وكانت هذه الأحاديث موضعاً للجدل العنيف بين المسلمين؛ لانّها تأثرت بالتبديل والتّحريف والغموض من قبل مستشاري معاوية علىٰ سبيل المثال لا الحصر، وأيضاً من أمثال كعب الأحبار، وابن منبه وغيرهما من اليهود، دخلت إلىٰ التّأريخ الإسلامي أخبار يهودية، ولذا نجد في صحيح البخاريّ بإنّ عمر بن الخطاب هو المحدَّث في الإسلام وتكلمه الملائكة بلا نبوة، ولا إلهام ولا رؤية

صورة، وإليك نماذج من هذه النّصوص المروية علىٰ رسول الله ﷺ، زوراً وبهتاناً.

عن أبي هريرة قال: قال النّبي ﷺ، لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجالٌ يُكلَّمون من غير أنْ يكونوا أنبياء، فإنْ يكن من أُمّتي منهم أحدٌ فعمر. قال ابن عباس رضي الله عنه: من نبيٍّ ولا محدَّث[١].

واخرج البخاريّ أيضاً عن أبي هريرة: إنّه قد كان فيما مضىٰ قبلكم من الأُمم محدَّثون، إنْ كان في أُمتي هذه منهم، فإنّه عمر بن الخطاب[٢].

قال القسطلانيّ أيضاً: يجري علىٰ ألسنتهم الصّواب، من غير نبوة كما قال البخاريّ[٣].

قال القسطلانيّ: لم يكن قوله ﷺ، «فإنْ لم يكن» للترديد، بل للتأكيد»[٤].

قال الحافظ محبّ الدّين الطّبريّ: ومعنىٰ (محدَّثون) والله أعلم، أي يُلهمون الصّواب، ويجوز أنْ يحمل علىٰ ظاهره، وتحدِّثهم الملائكة لا بوحي، وإنّما يطلق عليه اسم حديث، وتلك فضيلة عظيمة[٥].

وأخرج مسلم عن عايشة عن النّبيّ ﷺ قد كان في الأُمم قبلكم محدَّثون فإنْ لم يكن في أُمّتي منهم أحدٌ، فإنّ عمر بن الخطاب منهم[٦].

---

(١) صحيح البخاريّ باب مناقب عمر بن الخطاب: ٣/ ١٣٤٩ ح ٣٤٨٦.

(٢) صحيح البخاريّ: ٢/ ١٧١.

(٣) إرشاد السّاريّ: ٤/ ٤٨٢ ح ٣٤٦٩.

(٤) إرشاد السّاريّ في شرح صحيح البخاريّ: ٦/٩٩.

(٥) الرّياض النّضرة: ٢/ ٢٤٥.

(٦) صحيح مسلم: باب مناقب عمر بن الخطاب، وأُنظر، صفة الصّفوة لابن الجوز: ١/ ١٠٤، مشكل

أوليس من قول الزّور، والغلوّ هذه الأذسطورة؟! قال أبو محمّد الجـوهري: سمعت أخي أبا عبد الله يقول: رأيت النّبي ﷺ في المنام فقلت: يـارسول الله أيّ المذاهب خير؟ وقال: قلت: علىٰ أيّ المذاهب أكون؟ فقال: ابن بطّة، ابن بـطّة ـ عبيد الله بن محمّد الفقيه الحنبليّ العكبري (ت ٣٨٧ هـ) ـ فخرجت مـن بـغداد إلىٰ عكبرا فصادف دخولي يوم الجمعة فقصدت الشّيخ أبا عبد الله بن بطّة إلىٰ الجامع، فلمّا رآني قال لي ابتداءاً: صدق رسول الله ﷺ[1].

↔ الآثار لأبي جعفر الطّحاوي: ٢/٢٥٧.

(١) شذرات الذّهب: ٤/٤٦٤.

نقش الوزير والوزارة

بعيداً عن التّمهيد والمقدمات، حول شخصيّة الخليفة الأوّل أبي بكر واستخلافه بعد الرّسول ﷺ، وملابسات الخلافة، بعيداً عن كلّ هذا، نود أنْ نكشف واقعه علىٰ ضوء أقوال المؤرخين، والكتاب، والصّحاح، والمسانيد الّتي يعتمدون عليها، وهل فضائله خرجت عن الحدّ المعقول في هذه الأشياء أم لا؟ وهل الغلوّ وقف علىٰ محبي الإمام عليّ عليه السلام، وأولاده أم يتعدىٰ إلىٰ منكري حقه؟ وهل حُب الإمام عليّ عليه السلام هدمٌ في الإسلام، وحب الصّديق، والفاروق، لم يكن كذلك!!

وهل ما أوردَهُ الشّيخ العبيديّ في عمدة التّحقيق في بشائر آل الصّديق ليس من قول الغُلاة، الّذين يعنيهم هو، وابن حزم وامثالهما الّذين قالوا: قد يكون في الصّالحين من هو أفضل من الأنبياء، والملائكة، وإنّ من عرف الله حقّ معرفته سقطت عنه الأعمال والشّرائع... ولماذا اُختير حبّ عليّ عليه السلام، وأولاده عليهم السلام والتّشيع دون غيرهم؟! ولماذا هذه الضّجة في نطاق التّشيع أكثر! أليس لأنّ مبدأ التّشيع يقود إلىٰ الحقيقة الجوهرية، وإنّ التّشيع هو طريق الصّواب؟ وأين نضع الخليفة

الأوّل في موضع القدم، وتنقش وزارته علىٰ وجه الشّمس:

ذكر الشّيخ إبراهيم العبيديّ المالكيّ[١]: إنّ النّبيّ ﷺ قال يوماً لعائشة: إنّ الله لمّا خلق الشّمس خلقها من لؤلؤة بيضاء بقدر الدُّنيا مئة مرة وأربعين مرة، وجعلها علىٰ عجلة، وخلق للعجلة ثمانمئة عروة وستين عروة، وجعل في كلّ عروة سلسلة من الياقوت الأحمر، وأمر ستين ألفاً من الملائكة المقربين أنْ يجروها بتلك السّلاسل مع قوتهم الّتي اختصهم الله بها، والشّمس مثل الفلك علىٰ تلك العجلة وهي تجول في القبة الخضراء وتجلو جمالها علىٰ أهل الغبراء، وفي كلّ يوم تقف علىٰ خط الاستواء فوق الكعبة؛ لأنّها مركز الأرض[٢]. وتقول يا ملائكة ربّي! إنّي لأستحيي من الله عزّ وجلّ إذا وصلت إلىٰ محاذاة الكعبة الّتي هي قبلة المسلمين أنْ أجوز عليها، والملائكة تجر الشّمس لتعبر علىٰ الكعبة. بكل قوتها فلا تقبل منهم، وتعجز الملائكة عنها، فالله تعالىٰ يوحي إلىٰ الملائكة ومن الإلهام؛ فينادون: أيّتها الشّمس! بحرمة الرّجل الّذي اسمه منقوش علىٰ وجهك المنير إلّا رجعت إلىٰ ما كنت فيه من السّير، فإذا سمعت ذلك تحركت بقدرة المالك. فقالت عائشة، يا رسول الله من الرّجل الّذي اسمه منقوش عليها؟ قال: هو أبو بكر الصّديق يا عائشة! قبل أنْ يخلق الله العالم علم بعلمه القديم أنّه يخلق الهواء، ويخلق علىٰ الهواء هذه السّماء، ويخلق بحراً من الماء، ويخلق عليه عجلة مركباً للشمس المشرقة علىٰ الدُّنيا، وإنّ الشّمس تتمرد علىٰ الملائكة إذا وصلت إلىٰ الاستواء، وإنّ الله قدر أنْ يخلق في آخر الزّمان نبيّاً مفضلاً علىٰ الأنبياء وهو بعلك يا عائشة علىٰ رغم الأعداء، ونقش علىٰ وجه الشّمس اسم وزيره أعني أبا بكر صديق المصطفىٰ فإذا أقسمت الملائكة عليها به زالت الشّمس وعادت إلىٰ سيرها بقدرة المولىٰ، وكذلك

---

(١) أُنظر، عمدة التّحقيق في بشائر آل الصّديق ص: ١٨٤.

(٢) خط الاستواء ليس فوق الكعبة.

إذا مرّ العاصي من أُمتي علىٰ نار جهنم، وأرادت النّار أنْ تهجم علىٰ المؤمن فلحرمة محبة الله في قلبه ونقش اسمه علىٰ لسانه ترجع النّار إلىٰ ورائها هاربة».

ماذا نقول بعد هذا، بل نقف موقف الطّالب للحقيقة، ولا ننبس ببنت شفة يارجال مصر! نظراء أحمد أمين، وإبراهيم الأبياريّ، ومصطفىٰ الدّمياطيّ بك، ويا رجال العقائد والملل والنّحل! يا أصحاب الطّائفية والنّعرات العصبية! الّذين يعكرون صفو السّلام، والوئام في المجتمع الإسلامي.

وروي عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «عُرج بي إلىٰ السّماء فما مررت بسماء إلّا وجدت فيها مكتوباً: محمّد رسول الله، أبوبكر الصّديق من خلفي»[١].

أُنظر، أيّها المفكر الإسلامي! إلىٰ هذه المزاعم لإغراء البسطاء من الأُمّة المسكينة وهي تصادم رأيّ الجمهور ونظريات علماء الكلام. نعم إنّما هي أهواء وشهوات، وفتاوىٰ مجرَّدة، ونحن نضع عقلك السّليم مقياساً بين هذين المقياسين.

أليس من المغالاة، والأكاذيب، والمفتريات أنّ النّبيّ ﷺ قال: ماصبَّ الله في صدري شيئاً إلّا صببته في صدر أبي بكر؟![٢]

أليس من المغالاة ما روي عنه ﷺ أنّه قال: «ما في الجنّة شجرة إلّا مكتوب علىٰ كلّ ورقه منها: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله، أبو بكر الصّديق؛ عمر الفاروق، عثمان ذو النّورين؟![٣]

أليس من المغالاة ما روي عنه ﷺ أنّه قال: «إذا كان يوم القيامة نادىٰ مناد

---

(١) اللّئالي المصنوعة للسيوطيّ: ١/ ٢٩٦.

(٢) كشف الخفاء للعجلوني: ٢/ ٤١٩.

(٣) الخطيب البغداديّ: ٥/ ٤.، ٧/ ٣٣٧، وأُنظر، ميزان الإعتدال: ٢/ ١٣٨.، ١/ ٢٥٣، ابن كثير في تأريخه: ٧/ ٢٠٥.

تحت العرش: هاتوا أصحاب محمّد فيؤتىٰ بأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ فيقال لأبي بكر: قف علىٰ باب الجنّة فأدخل فيها مَن شئت، ورد مَن شئت؛ ويقال لعمر: قف عند الميزان فثقّل مَن شئت برحمة الله، وخفف مَن شئت. ويعطىٰ لعثمان غصن شجرة من الشّجرة الّتي غرسها الله بيده فيقال ذُد بهذا عن الحوض من شئت...؟!(١)

وروىٰ هذا الحديث إبراهيم بن عبدالله المصيصي، وأحمد بن الحسن بن القاسم الكوفيّ، وكلاهما كذّاب وضّاع.

أليس من المغالاة ما رواه المؤرخون عن أبي هريره أنّ في السّماء الدّنيا ثمانين ألف ملك يستغفرون الله لمن أحبَّ أبابكر، وعمر؛ وفي السّماء الثّانية ثمانون ألف ملك يلعنون من ابغض أبابكر، وعمر؟!(٢)

أليس من المغالاة ما روي عنهﷺ كذباً وزوراً: إنّ يهودياً أتىٰ أبا بكر فقال: والّذي بعث موسىٰ، وكلّمه تكليماً إنّي لأُحبّك. فلم يرفع أبو بكر رأساً، تهاوناً باليهودي فهبط جبرئيل علىٰ النّبيّﷺ وقال يا محمّد إنّ العليّ الأعلىٰ يقرأ عليك السّلام ويقول لك: قل لليهودي: إنّ الله قد أحاد عنك النّار...(٣) وذلك بحبّ اليهوديّ للصّديق...؟!

أليس من المغالاة: إنّ الله أتخذ لأبي بكر في أعلىٰ علّيين قبةً من ياقوت بيضاء معلّقة بالقدرة تخترقها رياح الرّحمة، للقُبة أربعة آلاف باب كلّما اشتاق أبوبكر إلىٰ الله انفتح منها باب ينظر إلىٰ الله عزّ وجلّ؟!(٤)

---

(١) ميزان الإعتدال: ١/ ٢٠ و ٤٢، الرّياض النّضرة: ١/ ٣٢.

(٢) لسان الميزان: ٤/ ١٠٧.

(٣) اللّئالي المصنوعة: ١/ ١٥١.

(٤) أُنظر، الخطيب في تأريخه: ٥/ ٤٤١،: ٩/ ٤٤٥.

أليس من المغالاة ما روي عنه ﷺ قال: يا أبا بكر! أعطاك الله الرِّضوان الأكبر فقال له بعض القوم: وما الرّضوان الأكبر يا رسول الله؟ قال: يتجلىٰ الله لعباده في الآخرة عامة، ويتجلىٰ لأبي بكر خاصة؟![1]

أليس من المغالاة ما روي عنه ﷺ أنّه قال: «هبط عليَّ جبريل، وعليه طنفسةٌ هو متخلّلٌ بها فقلت: يا جبريل! مانزلت إليَّ في مثل هذا الزّيِّ... قال: إنّ الله تعالىٰ أمر الملائكة أنْ تتخلّل في السّماء لتخلّل أبي بكر في الأرض؟![2]

أليس من المغالاة أنّه قال ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً من هذه الأُمّة لاتّخذت أبابكر خليلاً؟![3]

أليس من المغالاة أنّه قال ﷺ: أوّل من يُعطي كتابه بيمينه من هذه الأُمّة عمر ابن الخطاب وله شعاع كشعاع الشّمس قيل: فأين أبو بكر؟ قال: تزفه الملائكة إلىٰ الجنان؟![4]

أليس من المغالاة أنّه قال ﷺ: «إنّ الله عزّ وجلّ يكره في السّماء أنْ يُخطأ أبو بكر الصّديق في الأرض...؟![5]

أليس من المغالاة أنّه ﷺ قال لأبي بكر: كأني أنظر، إليك علىٰ باب الجنّة تشفع لأُمتي...؟![6]

---

(١) لسان الميزان: ٢/ ٦٤ والمستدرك للحاكم النّيشابوري: ٣/ ٧٨.

(٢) تأريخ الخطيب البغداديّ: ٥/ ٤٤٢.

(٣) ميزان الإعتدال: ١/ ٤٣.

(٤) الخطيب في تأريخه: ٥/ ٤٤٢، اللّئالي المصنوعة: ١/ ١٥٦.

(٥) المصدر السّابق.

(٦) ميزان الإعتدال: ٢/ ٣٣٣.

أليس من المغالاة أنّه ﷺ قال: ماقدّمت أبابكر، وعمر، ولكن الله قدّمهما ومنَّ بهما فأطيعوهما واقتدوا بهما، ومَن أرادهما بسوء فإنّما يُريدني والإسلام...؟![١]

ويقول ﷺ خلقني الله من نوره، وخلق أبابكر من نوري، وخلق عمر من نور أبي بكر... وعمر سراج أهل الجنّة...؟![٢]

أليس من المغالاة أنّه ﷺ قال: إذا كان يوم القيامة نُصب لإبراهيم ولي منبران أمام العرش، ويُنصب لأبي بكر كرسي فيجلس عليه فينادي منادٍ: يا لك من صديق بين خليل، وحبيب...؟![٣]

أليس من المغالاة أنّه ﷺ كان إذا اشتاق إلىٰ الجنّة قبّل شيبة أبي بكر...؟![٤]

أليس من المغالاة أنّه ﷺ قال: أنا وأبو بكر كفرسَيْ رهان، وإنّ الله لمّا إختار الأرواح إختار روح أبي بكر...؟![٥]

أليس من المغالاة أنّه قال ﷺ ينزل عيسىٰ بن مريم عليه السلام فيتزوّج، ويولد له فيمكث خمساً وأربعين سَنَة، ثمّ يموت فيدفن معي في قبري، فأقوم أنا وهو من قبر واحد بين أبي بكر، وعمر...؟![٦]

أليس من الأخبار الكاذبة أنّه قال ﷺ أبوبكر مني بمنزلة هارون من موسىٰ؟! ولذا قال عنه الذّهبيّ[٧] خبر كذب.

---

(١) لسان الميزان: ١/ ٣٢٨.

(٢) لسان الميزان: ١/ ٣٢٨.

(٣) المصدر السّابق: ٥/ ٥٩.

(٤) كشف الخفاء للعجلوني: ٢/ ٤١٩.

(٥) أنظر، أسني المطالب ص: ٦٠، كشف الخفاء: ٢/ ٤١٩.

(٦) الميزان: ٢/ ١٠٥.

(٧) المصدر السّابق: ٢/ ٢٢٢.

أليس من المغالاة أنّه ﷺ قال: يطلع عليكم رجل لم يخلق الله بعدي أحداً هو خيرٌ منه، ولا أفضل، وله شفاعة مثل شفاعة النّبيين. فما برحنا حتّى طلع أبوبكر الصّديق فقام النّبيّ ﷺ فقبّله والتزمه؟![1]

أليس من المغالاة أنْ تفسر سورة التّين بهذا الشّكل الّذي يروىٰ عن أنس أنّه قال: لمّا نزلت سورة التّين علىٰ رسول الله ﷺ فرح لنا فرحاً شديداً حتّىٰ بان لنا شدّة فرحه، فسألنا ابن عباس بعد ذلك عن تفسيرها، فقال: أمّا قول الله، والتّين فبلاد الشّام، والزّيتون فبلاد فلسطين، وطور سينين، فطور سينا الّذي كلم الله عليه موسىٰ وهذا البلد الأمين فبلد مكّه. ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم محمّد ﷺ ثمّ رددناه أسفل سافلين: عباد اللات والعزىٰ، إلّا الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات أبوبكر، وعمر. فلهم أجر غير ممنون: عثمان بن عفان، فما يكذبك بعد بالدين عليّ بن أبي طالب، أليس الله باحكم الحاكمين: بعثك فيهم وجمعكم علىٰ التّقوىٰ يا محمّد؟![2]

أهكذا يفسر القرآن يا أصحاب الأقلام المأجورة بقلّة حياء من الله، وتحرفون الكلم عن مواضعه! أوهكذا العبث والهوىٰ بالكتاب، والسُّنَّة، وهل من المعقول أنّ الله يخاطب الرّسول ﷺ علىٰ لسان جبريل عليه السلام ويقول له قل لأبي بكر: أراضٍ أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟! قال: فالتفت النّبيّ ﷺ إلىٰ أبي بكر فقال: يا أبابكر هذا جبريل يقرؤك عن الله السّلام ويقول لك أراضٍ أنت عنّي في فقرك هذا أم ساخط؟ قال: فبكىٰ أبوبكر...[3].

---

(١) تأريخ بغداد: ٣/ ١٢٣.

(٢) الخطيب في تأريخه: ٢/ ٩٧، الذّهبيّ في ميزانه: ٣/ ٣٢.

(٣) المصادر السّابقة: ٢/ ١٠٦، وميزان الإعتدال: ٢/ ٢١٣، الرّياض النّضرة: ١/ ١٣٤، صفة الصّفوة:

أليس من المغالاة أنّه قالﷺ: «رأيت أنّي وضعت في كفَّة وأُمتي في كفّة فعدلتها، ثمّ وضع أبوبكر فعدل بأُمتي، ثمّ عمر فعدلها، ثمّ عثمان فعدلها، ثمّ رفع الميزان؟!»[1]

أليس من المغالاة فيما روي عنه ﷺ عن حذيفه بن اليمان: صلّىٰ بنا رسول الله صلاة الفجر فلمّا انفتل من صلاته قال: أين أبوبكر الصّديق؟ فأجابه أبوبكر من آخر الصّفوف: لبيك! لبيك! يا رسول الله! قال: أفرجوا لأبي بكر الصّديق أُدن مني يا أبابكر! لحقت معي التّكبيرة الأُولىٰ؟ قال: يا رسول الله! كنت معك في الصّف الأوّل فكبّرتَ، وكبرتُ، فاستفتحتَ بالحمد فقرأتها، فوسوس لي شيء من الطّهور فخرجت إلىٰ باب المسجد فإذا أنا بهاتف يهتف بي وهو يقول: وراءك، فالتفتُّ فإذا أنا بقدح من ذهب مملؤ ماء أبيض من الثّلج، وأعذب من الشّهد، وألين من الزّبد، عليه منديل أخضر مكتوب عليه: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله الصّديق أبوبكر، فأخذت المنديل فوضعته علىٰ منكبي وتوضأت للصلاة واسبغت الوضوء، ورددت المنديل علىٰ القدح ولحقتك، وأنت راكع الرّكعة الأُولىٰ فتممتُ صلاتي معك يا رسول الله! قال النّبيّﷺ: أبشر يا أبابكر الّذي وضّأكَ للصّلاة جبريل، والّذي مندلكَ مكائيل، والّذي مسك ركبتي حتّىٰ لحقتَ الصّلاة إسرافيل...؟!»[2]

أليس من المغالاة ما روي عنهﷺ «قلت لجبريل حين أُسري بي إلىٰ السّماء: يا جبريل! أعلىٰ أُمتي حساب؟ قال: كلّ أُمتك عليها حساب ماخلا أبابكر

↔ ١/ ٩٤.

(١) المصادر السّابقة.

(٢) أُنظر، اللّئالي المصنوعة: ١/ ١٥٠.

الصّديق، فإذا كان يوم القيامه قيل: يا أبابكر أُدخل الجنّة، قال: ما أدخل حتّىٰ أُدخل معي من كان يُحبّني في الدّنيا ؟ ![١]

أليس من المغالاة ما روي عنه عَلَيْهِ‌السَّلَامُ عن أنس بن مالك قال: جاء النّبيّ عَلَيْهِ‌السَّلَامُ فدخل إلىٰ بستان فأتىٰ آتٍ فدقّ الباب فقال: يا أنس ؟ قمّ فافتح له وبشره بالجنّة وبشره بالخلافة من بعدي، قال: قلت يا رسول الله أعلمه ؟ قال: أعلمه، فإذا أبوبكر قلت: أبشر بالجنّة، وأبشر بالخلافة من بعد رسول الله عَلَيْهِ‌السَّلَامُ... ثمّ جاء آتٍ فدقّ الباب فقال: يا أنس ! قمّ فافتح له، وبشره بالجنّة، وبشره بالخلافة من بعد أبي بكر. قلت: يا رسول الله أعلمه ! قال: أعلمه. فخرجت فإذا عمر قال قلت له أبشر بالجنّة، وأبشر بالخلافة من بعد أبي بكر... ثمّ جاء آتٍ فدقّ الباب فقال: قمّ يا أنس ! وافتح له، وبشره بالجنّة، وبالخلافة من بعد عمر...وإنّه مقتول، فقال: فخرجت فإذا عثمان، قال: قلت له: أبشر بالجنة، والخلافة من بعد عمر، وانّك مقتول. قال: فدخل إلىٰ النّبيّ عَلَيْهِ‌السَّلَامُ فقال يا رسول الله لمه ؟ والله ماتغنيت، ولا تمنيت، ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعتك قال: هو ذاك يا عثمان ؟ ![٢]

لو صحّ هذا لمّا ترك الثّلاثة الاحتجاج به يوم السّقيفة لمّا بلغ فيه من الجدال ! هذا أوّلاً.

ولو صحّ هذا لمّا جعل عمر الخلافة في أهل الشّورىٰ ؟ ! وكان يعهد إلىٰ عثمان بلا نزاع ثانياً.

---

(١) الخطيب في تأريخه: ٢/ ١١٨، ٨/ ٣٦٧، خصائص العشرة الكرام البررة للزمخشري ص: ٣٨، الرّياض النّضرة: ١/ ٣٠، الصّواعق المحرقة ص: ٥٠.

(٢) المصدر السّابق: ٩/ ٣٣٩ وميزان الإعتدال: ١/ ٤٦٧ ولسان الميزان: ٣/ ١٩٢، مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد: ٥/ ١٧٧ وج ٩/ ٥٦، كنز العمّال: ١٣/ ٢٩، البداية والنّهاية لابن الأثير: ٦/ ٢٢٩.

ما هذه المغالاة إلّا جلبةٌ وصخبٌ تجاه الحقيقة الحقة الّتي صدع بها النّبيّ الأمين ﷺ، وحياً من الله العزيز من يوم بدء الدّعوة إلىٰ آخر لحظة من حياته ﷺ تجاه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقد نصَّ ﷺ في بدء دعوته إنّ الأمر إلىٰ الله يضعه حيث يشاء؛ وذلك يوم عرض نفسه ﷺ علىٰ بني عامر بن صعصعة ودعاهم إلى الله[١].

فهل يجد الكاتب، والباحث المصريّ سبيلاً إلىٰ نجاته عن هذه المغالاة المدلهمّة؟ وهل يُرجىٰ له الفوز من تلكم السّلاسل، وقد صفَّدته من حيث لا يشعر.

أليست كتبكم مشحونة بتلكم المغالاة، والأكاذيب المفتعلة؟! وهل يشاهد القصيميّ هذه الأكاذيب المبثوثة في طيّات التّآليف، وكيف يفسر كلامه: ليس في رجال الحديث من أهل السُّنَّة من هو متهم بالوضع، والكذّابة...[٢] ثمّ يردف قائلاً ألكذّابة حقاً كثيرةٌ في رجال الشّيعة، وأصحاب الأهواء طمعاً في الدُّنيا وتزلفاً إلىٰ أصحابها، أو كيداً للحديث، والسُّنَّة، وحنقاً علىٰ أهلها...

أللهم! أشهد علىٰ هذه الدّعاوىٰ الفارغه وعدم عرفان الحقّ، وما الّذي يعرفه القصيميّ من صحيح السُّنَّة وسقيمها، وأيّ يدّ تنجيه غداً من عادية التّقول والتّزوير. والله يقول في محكم كتابه العزيز: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ * وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ * وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾[٣] هذا هو الإفك العظيم علىٰ الشّيعة

---

(١) أنظر، سيرة ابن هشام: ٢ / ٢٣، الرّوض الأنُف: ١ / ٢٦٤ السّيرة الحلبية: ٢ / ٣.

(٢) الصِّراع بين الإسلام والوثنية: ١ / ٨٥.

(٣) الحاقة: ٤٤ ـ ٤٩.

والّذي تقشعر منه الجلود، والأبدان وتكفهر منه الوجوه فأي مصدر من المصادر الشّيعية ذكر هذا يا أُستاذ أحمد أمين، ويا عبد الله القصيميّ.

ذكر اليافعي في روض الرّياحين عن أبي بكر أنّه قال: بينما نحن جلوس بالمسجد وإذا نحن برجل أعمىٰ قد دخل علينا وسلّم فرددنا عليه، واجلسناه بين يديّ النّبي صلى الله عليه وآله فقال: من يقضيني حاجة في حبّ النّبي صلى الله عليه وآله؟ فقال أبو بكر: ماحاجتك يا شيخ؟ فقال: إنّ لي أهلاً ولم يكن عندي مانقتات به، وأُريد من يدفع لنا شيئاً نقتات به في حبّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فنهض أبو بكر، وقال: نعم، أنا أُعطيك مايقوم بك في حبّ رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ قال: هل من حاجة أُخرىٰ؟ فقال: نعم إنَّ لي ابنة أُريد من يتزوج بها في حياتي حبّاً في محمّد صلى الله عليه وآله، فقال أبوبكر، أنا أتزوّج بها في حياتك حبّاً في رسول الله صلى الله عليه وآله، هل من حاجة أُخرىٰ؟ فقال: نعم أُريد أنْ أضع يدي في شيبة أبي بكر، حبّاً في محمّد صلى الله عليه وآله، فنهض أبو بكر، ووضع لحيته في يد الأعمىٰ وقال: أمسك لحيتي في حبّ محمّد صلى الله عليه وآله، قال: فقبض الأعمىٰ بلحية أبي بكر، وقال: ياربّ أسألك بحرمة شيبة أبي بكر ألاّ رددت عليَّ بصري، قال: فردَّ الله عليه بصره لوقته، فنزل جبريل عليه السلام، علىٰ النّبيّ صلى الله عليه وآله، وقال: يا محمّد! السّلام يقرؤك السّلام، ويخصك بالتحية والإكرام، ويقول لك وعزّته وجلاله لو أقسم عليَّ كلّ أعمىٰ بحرمة شيبة أبي بكر الصّديق لرددت عليه بصره، وما تركت علىٰ وجه الأرض أعمىٰ، وهذا كلّه ببركتك وعلوّ قدرك، وشأنك عند ربّك[1].

وذكر العجلوني[2] من أنّ لإبراهيم الخليل، وأبي بكر الصّديق شيبة في الجنّة.

قال ابن حجر: لن يصحّ أنّ للخليل في الجنّة لحية، ولا للصديق، ولا أعرف

---

(١) أُنظر، هامش العرائس للثعالبيّ ص: ٤٤٣، شرح المواهب للزرقانيّ: ٣/ ١٥٧.

(٢) أُنظر، كشف الخفاء: ١/ ٢٣٣.

ذلك في شيء من كتب الحديث المشهوره، ثمّ قال: وعلىٰ تقدير ثبوت وروده يظهر لي أنّ الحكمة هي أنّ الخليل مُنزل منزلة الوالدّ للمسلمين؛ لأنّه الّذي سماهم المسلمين وأُمروا باتباع ملته، وأمّا في حقّ الصّديق؛ فلأنّه كالوالدّ الثّاني، إذ هو الفاتح لهم باب الدّخول علىٰ الإسلام[١].

والجواب كما قال السّيد الأميني: إنّ الّذي سمىٰ الأُمّة المرحومة بالمسلمين هوالله سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ...﴾[٢].

وجاء ذكر إبراهيم امتناناً منه سبحانه علىٰ الأُمّة بجعل الإسلام شريعة سهلة.

قال القرطبيّ: هذا القول ـ الّذي ذكره ابن حجر ـ مخالف لقول عظماء الأُمّة، وهذا لا وجه له؛ لأنّه من المعلوم أنّ إبراهيم لم يسمّ هذه الأُمّة في القرآن المسلمين[٣].

وورد عن كعب الأحبار أنّه قال: ليس أحدٌ في الجنّة له لحية إلّا آدم، له لحية سوداء إلىٰ سرته[٤].

وجاء في حديث آخر: ليس أحدٌ يدخل الجنّة إلّا جرد مرد إلّا موسىٰ بن عمران فإنّ لحيته إلىٰ سرته[٥].

وإذا كان ولابد للأُمّة من أبٍ روحي فهو نبيّها الأقدس محمّد ﷺ وهو أوْلىٰ

---

(١) أُنظر، الغدير: ٧/ ٢٤١.

(٢) الحجّ: ٧٨.

(٣) أُنظر، تفسير القرطبيّ، البيضاوي: ٢/ ١١٢ الكشاف للزمخشري: ٢/ ٢٨٦، الرّازيّ: ٦/ ٢١٠.

(٤) أُنظر، تأريخ ابن كثير: ١/ ٩٧.

(٥) السّيرة الحلبية: ١/ ٤٢٥.

باللحية من أبيه الخليل، ومن صاحبه أبي بكر. وإذاكان ولابد أيضاً من أنّه الخليفة الأوّل للباب الّذي فتحه للإسلام فهو رسول الله ﷺ كما قال تعالىٰ ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾(١) بدعوته الكريمة هذه فهو أوْلىٰ أنْ تكون له لحية. أمّا الفتوح الإسلاميّة فعمدتها وقعت في أيّام الخليفة الثّاني فهو أوْلىٰ من الأوّل؛ وذلك فهو أجدر باللحية منه.

ولنأتي إلىٰ السّفسطة الأُخرىٰ الّتي ذكرها النّسفي: إنّ رجلاً مات بالمدينة فاراد النّبيّ ﷺ أنْ يصلّي عليه فنزل جبريل وقال: يا محمّد! لاتُصلِّ عليه. فامتنع فجاء أبوبكر فقال: يا نبيّ الله صلِّ عليه فما علمتُ منه إلّا خيراً. فنزل جبريل وقال: يا محمّد! صلِّ عليه، فإنّ شهادة أبي بكر مقدّمه علىٰ شهادتي(٢).

أُنظر، أيّها القارئ الكريم! إلىٰ هذه الرّواية المكذوبة، واسأل نفسك هل جبريل عندما نزل في المرة الأُولىٰ وأخبر الرّسول ﷺ بعدم الصّلاة علىٰ هذا الميّت كان إخباره من عند نفسه أم لأنّه أمين الله علىٰ وحيه؟ وفي المرة الثّانية هل نزل بأمرالله أم من تلقاء نفسه أيضاً وقدّم شهادة أبي بكر؟!

وروي أنّ النّبيّ ﷺ دفع خاتمه إلىٰ أبي بكر وقال: أُكتب عليه: لا آله إلّا الله، فدفعه أبو بكر إلىٰ النّقاش وقال: أُكتب عليه: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله. فكتب عليه، فلمّا جاء به أبو بكر إلىٰ النّبيّ ﷺ وجد عليه لا إله إلّا الله محمّد رسول الله، أبو بكر الصّديق. فقال: ما هذه الزّيادة يا أبا بكر؟ فقال: ما رضيت أنْ افرق اسمك عن اسم الله، وأمّا الباقي فما قلته، فنزل جبريل وقال: إنّ الله سبحانه

---

(١) النّصر: ٢.

(٢) أُنظر، مصباح الظّلام للجرداني: ٢/ ٢٥، نزهة المجالس: ٢/ ١٨٤.

وتعالىٰ يقول: إنّي كتبت اسم أبي بكر؛ لأنّه مارضي أنْ يفرق اسمك عن اسمي فإنا مارضيت أنْ افرق اسمه عن اسمك[١].

والمتسالم عليه بين المحدثين أنّ نقش خاتم رسول الله ﷺ كان محمّد رسول الله بلا أيّ زيادة[٢] وقيل فيه زيادة: بسم الله [٣]. وقيل: لا إله إلّا الله [٤].

وروي أنّ الملائكة اجتمعت تحت شجرة طوبىٰ فقال ملك: وددت أنّ الله تعالىٰ اعطاني قوة ألف ملك، وكساني ريش ألف طير، فاطير حول الجنّة حتّىٰ أبلغ طرفها، فاعطاه الله ذلك فطار ألف سَنَة ثانية حتّىٰ ذهبت قوته وتساقط ريشه، ثمّ اعطاه الله تعالىٰ قوة واجنحة فطار ألف سَنَة ثالثة حتّىٰ ذهبت قوته وتساقط ريشه، فوقع علىٰ باب قصر باكياً فاشرفت عليه حوراء فقالت: أيّها الملك مالي أراك باكياً وليست هذه بدار بكاء وحزن، وإنّما هي دار فرح وسرور؟ فقال: لأنّي عارضت الله في قدرته. ثمّ اعلمها بحديثه فقالت له: لقد خاطرت بنفسك أتدري كم طرت في هذه الثّلاثة آلاف سَنَة؟ قال: لا، قالت: وعزّة ربي ماطرت أكثر من جزء واحد من عشرة آلاف جزء ممّا اعدّه الله تعالىٰ لأبي بكر [٥].

ومن العجائب، والغرائب ما رواه أنس بن مالك قال: جاءت امرأة من الأنصار فقالت يا رسول الله، رأيت في المنام كأنّ النّخلة الّتي في داري وقعت،

---

(١) أُنظر، نزهة المجالس للصفوري: ٢/ ١٨٥، مصباح الظّلام: ٢/ ٢٥.

(٢) أُنظر، الصّحاح، والسّنن: صحيح البخاريّ: ٨/ ٣٠٩، صحيح مسلم: ٢/ ٢١٤، صحيح التّرمذيّ: ١ / ٣٢٤، سنن ابن ماجة: ٢/ ٣٨٤، سنن النّسائيّ: ٨/ ١٧٣.

(٣) شرح المواهب للزرقانيّ: ٥/ ٣٩.

(٤) أُنظر، المصادر السّابقة.

(٥) أُنظر، نزهة المجالس: ٢/ ١٨٣، مصباح الظّلام: ٢/ ٢٥.

وزوجي في السّفر. فقال ﷺ يجب عليك الصّبر فلن تجتمعي معه (به) أبداً. فخرجت المرأة باكية فرأت أبابكر فأخبرته بمنامها ولم تذكر له قول النّبيّ ﷺ فقال: اذهبي فانّك تجتمعين معه (به) هذه اللّيلة. فدخلت إلىٰ منزلها وهي متفكرة في قول النّبيّ ﷺ وقول أبي بكر، فلمّا كان اللّيل وإذا بزوجها قد أتىٰ فذهبت إلىٰ النّبيّ ﷺ، وأخبرته بزوجها. فنظر إليها طويلاً فجاءه جبريل وقال: يا محمّد الّذي قلته هو الحقّ، ولكن لمّا قال الصّديق إنّكِ تجتمعين به في هذه اللّيلة استحيا الله منه أنْ يجري علىٰ لسانه الكذب؛ لأنّه صديق فاحياه كرامة له(١).

أليس هذا من المغالاة، بل هو الكفر بعينه، بإنّ الكذب يجري علىٰ لسان نبيّه ﷺ وهو الصّادق المصدق، ولم يجر علىٰ لسان أبي بكر؟ أليس هذا من الإفك العظيم بإنّ النّبيّ ﷺ، أخبر بالنفي لما تفيده كلمة أبداً وهو النّفي المؤكد والصّديق أخبر بعكس ذلك؟!

أليس هذا من الرّجم بالغيب وهو القائل: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾(٢) والصّدّيق يتكهن وتأتيه الكرامة بإحياء الرّجل. وهل هذا من باب جواز تقديم المفضول علىٰ الفاضل الّذي يُرخَص الكذب فيه؟!

وأُنظر، أيضاً إلىٰ ما رواه ابن عساكر في تأريخه قال: روي أنّ أبابكر لمّا حضرته الوفاة قال لمن حضره: إذا أنا متُّ وفرغتم من جهازي فاحملوني حتّىٰ تقفوا بباب البيت الّذي فيه قبر النّبيّ ﷺ فقفوا بالباب وقولوا: السّلام عليك يا رسول الله! هذا أبوبكر يستأذن، فإنْ إذن لكم بأنْ يُفتح الباب وكان الباب مغلقاً بقفل فادخلوني وادفنوني، وإنْ لم يفتح الباب فاخرجوني إلىٰ البقيع وادفنوني به،

---

(١) أنظر، نزهة المجالس: ٢/ ١٨٣، مصباح الظّلام: ٢/(٢٥).

(٢) النّجم: ٣ـ٤.

فلمّا وقفوا علىٰ الباب وقالوا ماذكر سقط القفل، وانفتح الباب وإذا بهاتف يهتف من القبر: ادخلوا الحبيب إلىٰ الحبيب؛ فإنّ الحبيب إلىٰ الحبيب مشتاق(١).

«وماعشت أراك الدّهر عجبا»؟ من هذا الغلوّ في الفضائل المصنوعة والّتي ارسلوها إرسال المسلّمات. أليس من الغلوّ أنّ لأبي بكر مشيخة علىٰ جبريل عليه السلام كما حدَّث المالكيّ في عمدة التّحقيق هامش روض الرّياحين(٢) قال: كان جبريل إذا قدم أبوبكر علىٰ النّبيّ صلى الله عليه وآله وهو يحادثه يقوم أجلالاً للصدّيق دون غيره، فسأله النّبيّ صلى الله عليه وآله عن ذلك؟ فقال جبريل: أبوبكر له عليَّ مشيخة في الأزل، وما ذاك إلّا أنّ الله تعالىٰ لمّا أمر الملائكة بالسجود لآدم حدثتني نفسي بما طُرد به إبليس فحين قال الله تعالىٰ: اسجدوا. رأيت قُبّة عظيمة عليها مكتوب. أبوبكر، أبوبكر. مراراً وهو يقول: اسجد، فسجدت من هيبة أبي بكر فكان ماكان.

أليس من المغالاة شيخوخة الصّديق أم أنّها سكرة الحبّ قد أعمت الأهواء؟ أهذا هو أدب التّأليف؟! أهذا هو أدب العفة؟! أدب الدّعاية، والنّشر كما يقول صاحب الغدير(٣) قال أنس بن مالك: أقبل النّبيّ صلى الله عليه وآله إلىٰ المدينة، وأبوبكر شيخ يُعرف، والنّبيّ صلى الله عليه وآله شاب لايُعرف فيلقىٰ الرّجل فيقول: يا أبابكر! من هذا الّذي بين يديك؟ فيقول: يهديني السّبيل، فيحسب الحاسب أنّه يهديه الطّريق وإنّما يعني سبيل الخير(٤).

---

(١) أنظر، تفسير الرّازيّ: ٥/ ٣٧٨، السّيرة الحلبية: ٣/ ٣٩٤ تأريخ ابن عساكر، تأريخ الخميس للدياربكري: ٢/ ٢٦٤ أخبار الطّوال للقرماني بهامش الكامل: ١/ ٢٠٠.

(٢) أنظر، ص: ١١١.

(٣) الغدير: ٢٥٧/٧.

(٤) أنظر، إرشاد السّاريّ للقسطلانيّ: ٦/ ٢١٤، صحيح البخاريّ باب هجرة النّبيّ: ٦/ ٥٣، سيرة ابن

ونحن نسأل أصحاب الأقلام المأجورة هل كان الرّسولﷺ نكرة ؟! ألم يعرض الرّسولﷺ نفسه علىٰ القبائل في كلّ موسم ؟! ألم يكن هو الّذي لُقب بالصادق الأمين ؟! ألم يبايعه الأنصار المدنيون، وفيهم رجال الأوس والخزرج ؟! ألم يبايعوه عند العقبة الأُولىٰ مرة، وبايعوه مرة ثانية عند العقبة أيضاً وهم ثلاث وسبعون رجلاً وامرأتان ؟! ألم يكن هو الّذي أمر أصحابه بالهجرة إلىٰ المدينة ؟! ألم يعرفوه كما يعرفون أبنائهم ؟!

ألم يهزج له الصّبيان، والنّساء بقولهن:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع ؟!

ومتىٰ كان الصّديق شيخاً والنّبيّﷺ شاباً وهوﷺ أكبر منه بسنتين وعدّة أشهر[١] ؟ واين صحيح ابن عباس قال: قال أبوبكر: يا رسول الله قد شبت ؟ قال: شيبتني هود، والواقعة[٢]. وأين ذهبت دلائل النّبوة[٣]: ومتىٰ كان أبوبكر أسن من النّبيّﷺ وقد ولدﷺ في عام الفيل، وولد أبوبكر بعد عام الفيل بثلاث سنين ؟ وقال سعيد بن المسيب: استكمل أبوبكر بخلافته سنّ رسول الله ﷺ فتوفّي وهو

⇔ هشام: ٢/ ١٠٩، طبقات ابن سعد: ١/ ٢٢٢، مسند أحمد: ٣/ ٢٨٧، المعارف لابن قتيبة: ٧٥، الرّياض النّضرة: ١/ ٧٨ ـ ٨٠، المواهب اللّدنية: ١/ ٨٦، السّيرة الحلبية: ٢/ ٦٤.

(١) تأريخ الخلفاء للسيوطيّ، مع الخلفاء الرّاشدين لمحمّد زكي الدّين محمّد ص: ٤١.

(٢) أُنظر، المستدرك للحاكم النّيسابوريّ: ٢/ ٣٤٣، تفسير القرطبيّ: ٧/ ١، اللّمع لأبي النّصر: ٢٨٠، ابن كثير في تفسيره: ٢/ ٤٣٥، الخازن في تفسيره: ٢/ ٣٣٥، الدّر المنثور: ٣/ ٣١٩، كنز العمّال: ١/ ٥٧٣ و: ٢/ ٣١٣، مجمع الزّوائد: ٧/ ٣٧.

(٣) أُنظر، دلائل النّبوة لأبي نعيم: ١/ ٥٠، صفه الصّفوة لابن الجوزيّ: ١/ ٢٠، تأريخ ابن كثير: ٢/ ٢٧٩ بهجة المحافل: ١/ ٤٤.

بسنِّ النّبيّ ﷺ ابن ثلاث وستين سَنَه[١].

أليس من المغالاة ما رواه سبابة، عن فرات بن السّائب قال: قلت لميمون ابن مهران: أبوبكر أوّل إيماناً بالنبيّ ﷺ أم عليّ بن أبي طالب؟ قال: والله لقد آمن أبوبكر بالنبيّ ﷺ زمن بحيرا الرّاهب، واختلف فيما بينه وبين خديجة حتّىٰ أنكحها إيّاه، وذلك كلّه قبل أنْ يولد عليّ بن أبي طالب؟!

أليس من المغالاة فيما روي عن ربيعة بن كعب قال: كان إسلام أبي بكر شبيهاً بالوحي من السّماء وذلك أنّه كان تاجراً بالشام فرأىٰ رؤيا فقصها علىٰ بحيرا الرّاهب فقال له: من أين أنت؟ فقال: من مكّة. فقال: من أيّها؟ قال: من قريش. قال: فأي شيء أنت؟ قال: تاجر. قال: إنْ صدق الله رؤياك فإنّه سيبعث نبيٌّ من قومك تكون وزيره في حياته، وخليفته من بعد وفاته فاسرّ ذلك أبوبكر في نفسه حتّىٰ بُعث النّبيّ ﷺ فجاءه فقال يا محمّد ﷺ ما الدّليل علىٰ ماتدعي؟ قال: الرّؤيا الّتي رأيت بالشام فعانقه، وقبّل بين عينيه وقال: أشهد أنْ لا إله إلّا الله، وأشهد أنّك رسول الله؟![٢]

أليس من المغالاة ما روي عن أنس بن مالك قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ إذ أقبل إليه رجلٌ من أصحابه وساقاه تشخبان دماً فقال النّبيّ ﷺ ما هذا؟ قال: يا رسول الله! مررت بكلبة فلان المنافق فنهشتني فقال ﷺ إجلس فجلس

(١) أنظر، المعارف ص: ٧٥، صحيح التّرمذيّ: ٢/ ٢٨٨ الاستيعاب: ١/ ٣٣٥، الكامل في التّأريخ: ١/ ١٨٥، : ٢/ ١٧٦، مجمع الزّوائد: ٩/ ٦٠، عيون الأثر: ١/ ٤٣، سيرة ابن هشام: ١/ ٢٠٥، تأريخ الطّبريّ: ٢/ ١٢٥ أسد الغابة: ٣/ ٢٢٣، مرآة الجنان: ١/ ٦٥، الإصابة: ٢/ ٣٤١.

(٢) أُنظر، الرّياض النّضرة: ١/ ٥١ و ٥٤، أُسد الغابة: ١/ ١٦٨ تأريخ ابن كثير: ٩/ ٣١٩، الصّواعق المحرقه ص: ٤٥ تأريخ الخلفاء ص: ٢٤، الخصايص الكبرىٰ: ١/ ٢٩، نزهة المجالس: ٢/ ١٨٢.

بين يدي النّبيّ ﷺ فلمّا كان بعد ذلك بساعة إذ أقبل إليه رجلٌ آخر من أصحابه وساقاه تشخبان دماً مثل الأوّل فقال النّبيّ ﷺ ما هذا؟ فقال: يا رسول الله! إنّي مررت بكلبة فلان المنافق فنهشتني قال: فنهض النّبيّ ﷺ وقال لأصحابه: هلّموا بنا إلىٰ هذه الكلبة نقتلها فقاموا كلُّهم وحمل كلّ واحد منهم سيفه فلمّا أتوها وأرادوا أنْ يضربوها بالسيوف وقعت الكلبة بين يدي رسول الله ﷺ وقالت بلسان طلق ذلق: لاتقتلني يا رسول الله! فإنّي مؤمنة بالله ورسوله، فقال: ما بالك نهشت هذين الرّجلين؟ فقالت: يا رسول الله! إنّي كلبة من الجنّ مأمورة أنْ أنهش من سبّ أبابكر، وعمر ـ رضى الله عنهما ـ فقال النّبيّ ﷺ يا هذان! أمّا سمعتما ما تقول الكلبة؟ قالا: نعم يا رسول الله! إنّا تائبان إلىٰ الله عزّ وجلّ؟![١]

نعم ربّما تكون هذه الكلبة هي أُم الكلب الّذي سلط علىٰ لهب بن أبي لهب وذلك بدعاء النّبيّ ﷺ عندما أقبل لهب بن أبي لهب يسبُّ النّبيّ ﷺ فقال ﷺ اللّهمّ! سلط عليه كلبك..[٢].

أليس من المغالاة ما ذكره العبيديّ المالكيّ[٣] في قوله: بلغنا أنّ النّبيّ ﷺ لمّا كان قاب قوسين، أو أدنىٰ أخذته وحشة؛ فسمع في حضرته ـ الله تعالىٰ ـ بصوت أبي بكر، فاطمأنّ قلبه، واستأنس بصوت صاحبه؟!

ونحن نسأل أصحاب الأقلام عن معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَـئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[٤]؟ وهل يستوحش الإنسان وهو في السّاحة

---

(١) أُنظر، عمدة التّحقيق في بشائر آل الصّديق ص: ١٠٥.

(٢) أُنظر، الخصائص الكبرىٰ: ١/١٤٧.

(٣) عمدة التّحقيق ص: ١٥٤.

(٤) الفجر: ٢٧ـ٢٨.

القُدسية أم أنّه يطلب الأُنس من الإنسان المحتاج ؟ !

أليس من الغلوّ ما روي عن ابن عباس قال: كان أبوبكر مع النّبيّ صلى الله عليه وآله في الغار فعطش عطشاً شديداً فشكا إلىٰ النّبيّ صلى الله عليه وآله فقال له النّبيّ صلى الله عليه وآله إذهب إلىٰ صدر الغار فاشرب . قال أبوبكر : فانطلقت إلىٰ صدر الغار فشربت ماءً أحلىٰ من العسل ، وأبيض من اللّبن ، واذكىٰ رائحة من المسك ، ثمّ عدت إلىٰ النّبيّ صلى الله عليه وآله فقال صلى الله عليه وآله : شربت ؟ قلت : نعم . فقال : ألا أُبشرك يا أبا بكر ؟ قلت : بلىٰ يارسول الله ! قال : إنّ الله تبارك وتعالىٰ أمر الملك الموكلّ بأنهار الجنّة أنْ أفرق نهراً من جنّة الفردوس إلىٰ صدر الغار ليشرب أبوبكر ، فقلت : يا رسول الله ولي عندالله هذه المنزلة ؟ فقال صلى الله عليه وآله نعم وأفضل ، والّذي بعثني بالحقّ نبيّاً لا يدخل الجنّة مبغضك ولو كان له عمل سبعين نبيّاً ؟ ![1]

أليس من المغالاة ما روي عن عبدالله بن عمر قال : لمّا ولد أبوبكر في تلك اللّيلة اطلّع الله علىٰ جنّة عدن وقال : وعزتي وجلالي لا أدخلك إلّا من أحبّ هذا المولود ؟ ![2].

أليس من المغالاة ما روي عن أنس : أنّ لعرش الرّحمن ثلاثمئة وستين قائمة كلّ قائمة كطباق الدّنيا ستين ألف مرة ، بين كلّ قائمتين ستون ألف صخرة ، كلّ صخرة مثل الدّنيا ستون ألف مرة في كلّ صخرة ستون ألف عالم ، كلّ عالم مثل الثّقلين ستون ألف مرة قد ألهمهم الله تعالىٰ الاستغفار لمن يحبّ أبا بكر وعمر ، ويلعنون مبغضهما إلىٰ يوم القيامة ؟ ![3]

---

(١) الرّياض النّضرة : ١/ ٧١ ، مرقاة الأُصول : ١١٤ ، الصّواعق المحرقة ص: ٥٠ .

(٢) تأريخ الخطيب البغدادي : ٣/ ٣٠٩ ، مرقاة الأُصول ص: ١١٤ ، الرّياض النّضرة : ١/١١١ ، الصّواعق المحرقة ص: ٥٠ .

(٣) عمدة التّحقيق في بشائر آل الصّديق ص: ١٨٣ .

أليس من المغالاة ما روي عن أبي أروىٰ الدّوسيّ قال كنت جالساً عند النّبي ﷺ فاطّلع أبو بكر، وعمر، فقال رسول الله ﷺ الحمد لله الّذي أيدني بكما؟!(١) وفي رواية لا توجد كلمة «لله».

أليس من المغالاة ما روي عن أبي هريرة: إنّ رسول الله ﷺ قال: أبوبكر وعمر خير أهل السّماوات والأرض، وخير الأوّلين والآخرين، إلّا النّبيين والمرسلين؟!(٢)

ونسأل الرّاوي ومن يأخذ بروايته من المسلّمات ما هو سبب تفضيل الرّجلين علىٰ الملائكة المقربين المعصومين من أهل السّماوات والأرض، وفيهم جبرائيل عليه السلام؛ لأنّ عصمته ثابتة، ولا شك فيها.

أليس من المغالاة ما روي عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال سمعت رسول الله ﷺ، يقول لأبي بكر: يا أبابكر إنّ الله أعطاني ثواب من آمن به منذ خلق آدم إلىٰ أنْ بعثني، وإنّ الله أعطاك ثواب من آمن بي منذ بعثني إلىٰ أنْ تقوم السّاعة(٣).

أليس من المغالاة ما روي عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ حبّ أبي بكر، وشكره، واجب علىٰ أُمتي؟!(٤)

أليس من المغالاة ما أخرجه الحكيم التّرمذيّ عن سفينة مولىٰ أُمّ سلمة قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلىٰ الصّبح أقبل علىٰ أصحابه فقال: أيّكم رأىٰ اللّيل رؤيا؟ قال: فصلىٰ ذات يوم الصّبح ثمّ أقبل علىٰ أصحابه فقال: أيّكم رأىٰ اللّيل

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٧٤/٣، ميزان الإعتدال: ٤٣٢/١ و: ٤/٢، تهذيب التّهذيب: ٢٦٣/٤ و: ٦/٩، الصّواعق المحرقة ص: ٤٧.

(٢) الصّواعق المحرقة ص: ٤٥، الخطيب في تأريخه: ٢٥٣/٥.

(٣) الرّياض النّضرة: ١٢٩/١، تأريخ الخطيب: ٣٥/٥.

(٤) ميزان الإعتدال: ٢٤٩/٢، تأريخ الخطيب: ٤٥٣/٥.

رؤيا ؟ فقال رجل : أنا يارسول الله رأيت كأن ميزاناً أُدلي من السّماء فوضعت في كفة الميزان ، ووضع أبو بكر في كفة أُخرىٰ فرجحت بأبي بكر فرفعت ، وترك أبو بكر فجيء بعمر بن الخطاب فوضع في الكفة الأُخرىٰ فوزن بأبي بكر فرجح أبو بكر بعمر . ورفع أبو بكر ، وترك عمر مكانه فجيء بعثمان في الكفة الأُخرىٰ فرجح عمر بعثمان . ورفع عمر ، وترك عثمان مكانه فجيء بعلي فوضع في الكفة الأُخرىٰ فرجح عثمان بعلي ورفع الميزان ، فتغير وجه رسول الله ﷺ ثمّ قال : خلافة نبوّة ثلاثين عاماً ثمّ تكون ملكاً[١] .

أليس من المغالاة أنْ تفسر هذه الآية : ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[٢] بهذا التّفسير الّذي لا يليق بأنْ يقوله طالب العلم العادي فكيف بالمفسر الكبير ابن كثير الّذي يقول : «...لأنّ ذلك التّراب خلق الله تعالىٰ منه جسد أبي بكرٍ»[٣] .

أليس من المغالاة كما جاء في «روض الأفكار» قال أبو بكر : إنّ أبي قد أخذ بيدي إلىٰ بيت الأصنام وقال : هذه آلهتك ، وتركني هناك ، فدنوت من صنم ، وقلت له : إني جائع فأطْعِمْني ، فلم يجبني ، ثمّ قلت : إني ظمآن فاسْقِني ، فلم يجبني ، ثمّ قلت : إني عريان فاكْسُني ، فلم يجبني ، فأخذت حجراً وقلت : إني مُلْقٍ عليك هذا ، فإنْ كنت إلهاً فادفع عنك ، فلم يجبني ، فألقيت الحجر عليه ، فوقع علىٰ وجهه ، فلما نظر أبي إلىٰ ذلك أخبر أُمي ، فقالت : دعه فإنّه هو الّذي نجّانا من النّار ، سمعت ليلة ولادتي به قائلاً يقول : أبشري بالولد العتيق ، لمحمّد صاحب ، ورفيق ، ولقد طفت

(١) مرقاة الوصول ص : ١١٢ .

(٢) سورة طه : ١٢ .

(٣) تفسير ابن كثير : ٣/١٤٤ .

به ليلة ولادتي البيت الحرام، وقلت عند المقام: اللّهمّ هبْ لي ولدي هذا من الموت، فخرج كفٌّ أبيض، وقبض علىٰ ناصيته، وقال: قد وهبه اللّهُ لك من الموت، وجعله خليفة بعد نبيّه محمّد ﷺ[(١)].

وفي «الزّهر الفائح»: إنّها قالت: ياإله الآلهة هبْ لي ولدي هذا من الموت، فخرج كفٌّ من ذهب لا معصم له، وإذا بقائل يقول: ياأمَةَ الله علىٰ التّحقيق، قَرِّي بحمل الولد العتيق، يعرف بالتوراة بالصِّدِّق، قد وهبه الله تعالىٰ لك من الموت، وجعله وزير خير أهل الأرض، فلن يفترقا عند الله حيَّين، ولن يفترقا عند الله ميِّتين، ولن يفترقا عند الله تعالىٰ[(٢)].

---

(١) مختصر المحاسن المجتمعة للصفوري ص: ٦٤.

(٢) المصدر السّابق ص: ٦٥، وقد بحثت في مخطوط الزّهر الفائح تحت رقم (٢٢٥)، المكتبة الظّاهرية فلم أجد هذه الأكذوبة، بل هي من أكاذيب الصّفوري.

قَرْنٌ من حديد

أُبتُلي أهل السُّنَّة بمثل ما أُبتُلِي به بعض الفرق، وأهل الأديان، والمذاهب الّتي أخذت تغالي في أنبيائها، وقادتها، وأئمتها، ولكن لم نجد رسالة واحدة من أصحاب الشّهادات العالية، والألقاب الفخمة، يتناول هذه المغالاة، بل يعدها دواء للقلوب، وجلاء للألباب من الدّنس، والعيوب، وهذا الخليفة عمر بن الخطاب كما يدعون قد جمع بين العلم، والعمل، ما أدهش العلماء، والعاملين، بما أعجز به الأنبياء، والولاة، والسّلاطين، فهذا الإمام جمال الدّين أبو الفرج بن الجوزيّ يذكر في تأريخ عمر أنّ صفة عمر يخبر عنها الأسقف حسب كتب أهل الأديان بأنّه: قرن من حديد، ورأىٰ أهل نجران علىٰ فخذ عمر شامة سوداء، بعد أنْ أنكشف لهم فخذه فقالوا: هذا الّذي نجده في كتابنا أنّه يخرجنا من أرضنا[1]، وعمر هذا هو الّذي دعا فيه رسول الله ﷺ أنْ يعز به الإسلام[2]. وهو الّذي بشر به جبرائيل بقوله لرسول الله ﷺ: يامحمّد استبشر أهل السّماء بإسلام عمر، وفي

---

(١) تأريخ عمر بن الخطاب ص: ٩.

(٢) المصدر السّابق ص: ٩.

رواية فرح أهل السّماء(١).

وعمر هذا هو الّذي كان القرآن ينزل بموافقته كما في قصة أحجب نساءك يارسول الله، ونزول آية الحجاب: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾(٢). واتخاذ مقام إبراهيم مصلىٰ، بعد أنْ قال عمر بن الخطاب: يارسول الله! لو اتخذنا من مقام إبراهيم مُصلىٰ، فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِيمَ مُصَلًّى﴾(٣). والثّالثة معاتبة النّبي ﷺ بعض نسائه، ووعض عمر بن الخطاب لهنّ، فنزلت: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾(٤). وعمر هو الّذي قال فيه رسول الله ﷺ: «إنّه كان فيمن مضىٰ قبلكم من الأُمم ناس محدثون» وفي بعض ألفاظ الصّحيحين: «قد كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أنْ يكونوا أنبياء. فإنْ يكن من أُمتي أحد فعمر»(٥). وعمر هذا هو الّذي قال فيه رسول الله ﷺ: «لو كان بعدي نبي لكان عمر»(٦).

أليس من المغالاة أنْ يربط غضب الله سبحانه وتعالىٰ بغضب عمر كما ذكر البكري الرّواية المنسوبة كذباً، وزوراً لرسول الله ﷺ حيث قال: «اتّقُوا غَضَبَ عمر، فإنَّ الله تعالىٰ يغضب إذا غضب عمر»(٧).

(١) تأريخ عمر ص: ١٠.
(٢) الأحزاب: ٥٣.
(٣) البقرة: ١٢٥.
(٤) التّحريم: ٥.
(٥) تأريخ عمر لابن الجوزيّ ص: ٢١.
(٦) تأريخ عمر ص: ٢٦.
(٧) الصّلوات الهامعة بمحبة الخلفاء الجامعة ص: ٥٦. الحاكم في تأريخه، وأبو نعيم في فضائل الصّحابة.

أليس من المغالاة أنّ جبرائيل يقول للنبي ﷺ: «اقرئ عمر السّلام، وأخبره أنّ رضاه عزٌّ، وغضبه حُكْمٌ»[1].

أليس من المغالاة هذه الأكذوبة الّتي يرويها أُبيّ بن كعب، قال النّبي ﷺ: «ذاكرت جبريل في فضائل عمر، فقال: لو أقمت معك ما أقام نوح في قومه ما أتيت علىٰ فضائل عمر، ولا علىٰ ما أعدّه الله تعالىٰ له، وليبكين الإسلام بعدك ياعمر»[2]. الله أكبر كبيرا! الإسلام بعظمته تتم أحكامه خلال (٢٣) سَنَة ولم تتم فضائل عمر خلال (٩٥٠) سَنَة؟ إذاً علىٰ رأي المحب الطّبريّ عمر بن الخطاب هو أفضل من الإسلام، بل الشّريعة هي عمر؛ لأنّ جبرئيل عليه السلام عجز أنْ يبلغ فضائل عمر فبلّغ الإسلام عوضاً عن عمر، وهذا ـ والعياذ بالله ـ اشتباه من جبرائيل؛ لأنّ الواجب عليه أنْ يبلّغ فضائل عمر بمدة «٩٥٠» سَنَة، ثمّ بعد الإنتهاء من الفضائل عليه أنْ يبلّغ الإسلام؟ ولكن لا عجب من ذلك؛ لأنّ عمر هو الّذي ضرب الأرض بدرته فوقفت عن الاهتزاز خوفاً منه؟ فكيف لا يعجز جبرئيل عن فضائله، يا أصحاب الشّهادات العليا؟

أليس من المغالاة أنّ الخليفة عمر يكتب إلىٰ عمرو بن العاص بطاقة داخل كتابه، ويأمره أنْ يلقيها في النّيل بعد أنْ كتب فيها: «من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلىٰ نيل مصر أمّا بعد فإنّما كنت تجري من قبلك فلا تجري، وإنْ كان الله الواحد القهار هو الّذي يجريك فنسأل الله الواحد القهار أنْ يجريك. فألقىٰ البطاقة في النّيل قبل يوم الصّليب وقد تهيأ أهل مصر للجلاء، والخروج منها؛ لأنّه لا تقوم مصلحتهم فيها إلّا بالنيل فلما ألقىٰ البطاقة أصبحوا يوم الصّليب، وقد أجراه الله

⇐ الجامع الكبير للسيوطيّ.

(١) المصدر السّابق ص: ٥٦.

(٢) الرّياض النّضرة للمحب الطّبريّ: ٦٢/٢.

ست عشرة ذراعاً في ليلة واحدة. فقطع الله تلك السَّنَة السّوء عن أهل مصر إلىٰ اليوم؛ لأنّ عادة أهل مصر إذا كان ثنتي عشرة ليلة تخلو دخول بؤنة من أشهر العجم لا يجري النّيل إلّا علىٰ سَنَة السّوء وهي أنْ يعمدوا إلىٰ جارية بكر بين أبويها فإذا رضِي أبوها حملوها من الحلي، والثّياب أفضل ما يكون، ثمّ يلقوها في النّيل[١].

ولنسأل أصحاب الدّراسات، والعقائد هل الأُمّة الإسلاميّة رفع عنها المسخ والخسف ببركة رسول الله ﷺ، أم لا؟ وكذلك نسألكم هل هذه القصة غلوّ أم لا؟ فإذا كان الجواب بالأوّل فما عليكم إلّا أنْ تبطلوا الأحاديث الواردة بالصحاح السّتة، وخاصة صحيحي البخاريّ، ومسلم. وأمّا إذا كان الجواب بالثاني وهو رفع المسخ فماذا تفسرون هذه الحكاية والّتي نصّ عليها ابن الجوزيّ في تأريخ عمر: «عن أبي المحيا التّيمي، قال: حدثني مؤذن عليّ، أوعك قال: خرجت أنا وعمي إلىٰ مكران، وكان معنا رجل يسب أبا بكر، وعمر فنهيناه فلم ينته. فقلنا اعتزلنا فاعتزلنا، فلما دنا خروجنا تذممنا فقلنا لو صحبنا حتىٰ نرجع إلىٰ الكوفة، فلقينا غلامه فقلنا: قل لمولاك يعود إلينا. قال: إنّ مولاي قد حدث به أمر عظيم قد مسخت يداه يدي خنزير. قال: فأتيناه فقلنا أرجع إلينا. قال: إنّه قد حدث بي أمر عظيم ثمّ أخرج ذراعيه فإذا هما ذراعا خنزير. قال: فصحبنا حتىٰ انتهينا إلىٰ قرية من قرىٰ السّواد كثيرة الخنازير فلما رآها صاح صيحة، ووثب فمسخ خنزيراً وخفي علينا»[٢]. وإذا كانت هي من الغلوّ فلماذا لا تشيرون إليها ولو إشارة بسيطة؟ أمّا إذا كانت كرامة، فلماذا لا تعتبرون تلك كرامات، وأنتم حولتموها إلىٰ مغالاة،

---

(١) تأريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزيّ ص: ١٥٦.

(٢) تأريخ عمر بن الخطاب ص: ٢٢٥.

حقداً، وحسداً، وبغضاً، وكراهية، للآخرين!

وقال القرطبيّ: قال ابن عطية: وجاء عن ابن عباس، إنّه كان يقرأ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ...﴾[1] قال مسلمة بن القاسم: فوجدنا المحدَّثين معتصمين بالنبوَّة؛ لأنّهم تكلموا بأمور عالية، من أنباء الغيب خطرات، ونطقوا بالحكمة الباطنة، فاصابوا فيما تكلّموا، وعصموا فيما نطقوا كعمر ابن الخطاب في قصة سارية[2] بن زينم بن عبد الله إنّه ـ أيّ عمر بن الخطاب ـ أمره علىٰ جيش وسيره إلىٰ بلاد فارس سَنَة (٢٣ هـ). فوقع في خاطر الخليفة الثّاني وهو يخطب النّاس في يوم الجمعة، أنّ جيش سارية لاقىٰ العدو، وهم في بطن واد، وقد هموا بالهزيمة وكان بالقرب منهم جبل فقال عمر بن الخطاب في أثناء خطبته: يا سارية! يا سارية! الجبلَ الجبلَ... ورفع الخليفة صوته فأخذته ـ أيّ الصّوت ـ الرّياح، وألقاه الله في سمع سارية، فانحاز بالجيش إلىٰ الجبل، وقاتلوا العدو من جانب واحد ففتح الله عليهم[3].

قال بن حجر: وقد كثر هؤلاء المحدَّثون بعد العصر الأوّل، وحكمته زيادة شرف هذه الأُمّة بوجود أمثالهم، فيها ومضاهاة بني إسرائيل في كثرة الأنبياء، فلمّا فات هذه الأُمّة المحمّدية كثرة الأنبياء لكون نبيهم خاتم الأنبياء، عُوضوا تكثير الملهمين.

ومن الطّرائف الّتي ذكرها الغزاليّ قال: قال بعض العارفين سألت بعض الأبدال عن مسألة، من مشاهد النّفس، فالتفت إلىٰ شماله وقال: ماتقول رحمك

---

(١) الحجّ: ٥٢.

(٢) تفسير القرطبيّ: ١٢/ ٧٩.

(٣) هامش تفسير القرطبيّ: ١٢/ ٧٩، أُنظر، طرح التّثريب في شرح التّقريب: ١/ ٨، المصابيح للبغوي: ٢/ ٢٧٠، الجامع الصّغير للسيوطيّ: ٤/ ٥٠٧.

الله ؟ ثمّ إلىٰ يمينه كذلك ، ثم أطرق إلىٰ صدره فقال : ماتقول ؟ ثم أجاب فسألته عن التّفاته ؟ فقال لي : لم يكن عندي علمٌ فسألت الملكين فكلٌ قال : لا أدري فسألت قلبي فحدّثني بما أجبت ، فإذا هو أعلم منهما . قال الغزاليّ : وكأن هذا معنىٰ هذا الحديث(١) .

وذكر أحمد في مسنده عن كعب الأحبار أنّه قال لعمر : يا أمير المؤمنين ! أعهد بأنّك ميّت إلىٰ ثلاثة أيّام ، فلمّا قضىٰ ثلاثة أيّام طعنه أبو لؤلؤة ، فدخل عليه النّاس ، ودخل كعب في جملتهم ، فقال : القول ما قال كعب(٢) .

وروي إنّ عيينة بن حصن الفزاريّ قال لعمر : أحترس ، أو أخرج العجم من المدينة فإنّي لا آمن أنْ يطعنك رجلٌ منهم في هذا الموضع . ووضع يده في الموضع الّذي طعنه فيه أبو لؤلؤه . وهنالك أخبار كثيره بخصوص موت عمر بن الخطاب علماً بأنّ الطّبريّ في الرّياض يقول : أخبر عمر عن موته بسبب رؤيا رآها ، وما كان بين رؤياه وبين يوم طعن فيه إلّا جمعة(٣) .

وعن جبير بن مطعم قال : إنّا لواقفون مع عمر علىٰ الجبل بعرفه إذ سمعت رجلاً يقول يا خليفة ! فقال أعرأبي من لهب بن خلفي : ما هذا الصّوت ؟ قطع الله لهجتك والله لا يقف أمير المؤمنين بعد هذا العام أبداً . فسببته وأدّبته فلمّا رمينا الجمرة مع عمر جاءت حصاة فأصابت رأسه ففتحت عرقاً من رأسه فسال الدّم ، فقال رجلٌ : أشعر أمير المؤمنين أمّا والله لايقف بعد هذا العام ههنا أبداً . فالتفت فإذا هو ذلك اللّهبي فوالله ما حجّ عمر بعدها .

---

(١) المصدر السّابق .

(٢) أنظر ، مسند أحمد : ١/ ٤٨و ٥١ ، الطّبريّ في رياضه : ٢/ ٧٤و ٧٥ .

(٣) المصدر السّابق .

وأخرج البيهقي عن عبد الله بن عبيد الله الأنصاري قال: كنت فيمن دفْن ثابت بن قيس ـ وكان قتل باليمامة في خلافة أبي بكر الصّديق سَنَة اثنتي عشرة للهجرة ـ فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول: محمّد رسول الله، أبـوبكر الصّـديق، عـمر بن الخطاب الشّهيد، عثمان بن عفان البرّ الرّحيم. فنظرنا إليه فإذا هو ميِّت[١].

(١) سنن البيهقي ـ باب فضائل عمر بن الخطاب، وذكره القاضي في الشّفاء فصل إحياء الموتىٰ وكلامهم.

الرّياح العاصفة

ولدفع مزاعم الشّبل، وأحمد أمين المصريّ، وعبد الفتاح، وبركات والبرذونيّ والقفاري، والسّالوس، والنّمر، وغير ذلك كثير، من أصحاب الدّكتوراه والماجستير.. إلخ ننقل بعض كرامات بعض الصّحابة وليفكر القارئ، وليس الشّبل، وغيره ممن ران علىٰ قلوبهم واستحوذ عليهم الشّيطان وأنساهم ذكر الله. فهل هذا غلوّ أم لا؟

فهذا ابن أبي شيبة يروي بإسناده عن عبد العزيز بن أبي سلمة أنّ عمر بن عبد العزيز لمّا وضع عند قبره هبت ريح شديدة فسقطت صحيفة بأحسن كتاب فقرأوها فإذا فيها: بسم الله الرّحمن الرّحيم، براءة من الله لعمر بن عبد العزيز من النّار، فأدخلوها بين اكفانه[1].

وروىٰ البيهقي في السُّنَّن الكبرىٰ بإسناده عن هاشم المجاشعي قال: بينما مالك بن دينار يوماً جالس إذ جاءه رجل فقال: ياأبا يحيىٰ أدع لامرأة حبلىٰ منذ أربع سنين قد أصبحت في كرب شديد، فغضب مالك، وأطبق المصحف ثمّ قال: ما يرىٰ

---

(١) تأريخ ابن كثير: ٩/٣١٠، الرّوض الفائق للحريفيش ص: ٢٥٦.

هؤلاء القوم إلّا أنّا أنبياء، ثمّ دعا فقال: اللّـهمّ هـذه المـرأة إنْ كـان في بـطنها ريح فاخرجها عنهـا السّاعة، وإنْ كـان في بـطنها جـارية فأبـدلها بهـا غـلاماً فـإنك ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾[1]، ثمّ رفع يده ورفع النّاس أيديهم وجاء الرّسول إلىٰ الرّجل فقال: إدرك امرأتك فذهب الرّجل فما حط مـالك يـده حتىٰ طلع الرّجل من باب المسجد علىٰ رقبته غُلام جعد قطط ابن أربع سنين قـد استوت أسنانه، ما قطعت أسراره[2]. ولا ندري أيّها الدّكتور العـواجـي، يـامن تحمل لقب عضو هيئة التّدريس بالجامعة الإسلاميّة بالمدينة النّـبويّة، ويـا أيّهـا الدّكتور بركات دويدار، عضو هيئة التّدريس في جامعة طنطا، والدّكتور الزّغبيّ، والدّكتور فرغل، والدّكتور محسن عبد الحميد، والدّكتور أحمـد عـليّ عـجيبة، والدّكتور أحمد أمين المصريّ، والدّكتور أحمد شلبيّ... إلخ، هل انتهت دراساتكم إلىٰ أنّ مثل هذه المتاهات، والخرافات، واساطير العجائز هي كالمثل القائل وعين الرّضىٰ عن كلّ عيب كليلة... أم هنالك شيء أخر لا نعرفه، فاجيبونا؟ ثمّ لمـاذا تعيشون في الظّلام، أو كالأعور الّذي لا يرىٰ إلّا بعين واحدة وأنـتم تـعيشون في القرن الحـادي والعشرين، وفي عصر التّقدم العلمي الهائل، وعـصر الانـترنيت! تستعملون الدّجل، والخداع في دراساتكم مما يـؤثر عـلىٰ العـوام، ويجـذبهم إلىٰ الأحقاد المقيته ضد طائفة كبيرة من المسلمين، ولذا نجد غالبية من اتبعوكم كانوا من الرّعاع، والجهلة الّذين ضعفت عقولهم، وقلت بصائرهم، وسخفت في أُمـور الدّين آراؤهم لما جلبتم عليهم من البله، والبلادة، ولذا كشفت هذه الدّراسة عـن مدىٰ عدائكم للإسلام من بداية ظهوره، ومواصلة كيدكم في إشاعة الفـرقة بـين

---

(١) الرّعد: ٣٩.

(٢) السُّنن الكبرىٰ للبيهقي: ٧/٤٤٣.

المسلمين، وبث بذور الفتنة، قديماً، وحديثاً كما فعل أسلافكم علىٰ إبعاد المسلمين عن إسلامهم بشتىٰ السّبل، والوسائل. ثمّ نسألكم إنْ كنتم من أصحاب الضّمائر العلمية كيف تتحول عصا أُسيد بن حضير إلىٰ ضوء مصباح لتنير له الطّريق حتىٰ يبلغ منزله في تلك اللّيلة المظلمة، ولا تتحول عصا فلان وهو خير منه كما ثبت في ترجمته في كتبكم الرّجالية، هذا فيما إذا قلتم إنّها كرامة، بل لقد ثبت علىٰ بعض أصحابكم القصاص، والرّجم، ثمّ تذكرون له الكرامات[١]. فقد ذكر صاحب الرّوض الفائق، هذه الحكاية: «كان جماعة مع أيوب السّجستانيّ في سفر فأعياهم طلب الماء فقال أيوب: أتسترون عليَّ ما عشت؟ فقالوا: نعم. فدوّر دائرة فنبع الماء قال: فشربنا فلما قدموا البصرة أخبر به حماد بن زيد، قال عبد الواحد بن زيد: شهدت معه ذلك اليوم»[٢]. فأي كرامة تثبت لمثل هؤلاء، ولا تثبت لسيد العرب، والعجم، وليث بني غالب، وممزق الكتائب، عليّ بن أبي طالب، والّذي قال فيه رسول الله ﷺ: «يا عليّ طوبىٰ لمن أحبك، وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب فيك»[٣] من أمثال: «لولم أُبعث فيكم لبعث عمر بن الخطاب». و(ماطلعت الشّمس علىٰ رجل خير من عمر) و(إن الميِّت ينضح عليه الحميم ببكاء الحي) و(إنّما حرّ جهنّم علىٰ أُمّتي مثل الحمّام).

أيبعث الّذي تعلم سورة البقرة في اثنتي عشرة سَنَة فلمّا ختمها نحر جزوراً؟[٤].

---

(١) راجع البخاريّ: ٥/ ٤٤، مناقب الصّحابة، إرشاد السّاريّ: ٢/ ١٥٤، تأريخ ابن كثير: ٦/ ١٥٢.

(٢) الرّوض الفائق ص: ١٢٦.

(٣) مستدرك الحاكم: ٣/ ١٢٨، وصححه ووثق الذّهبيّ رواته.

(٤) أُنظر، الخطيب في رواة مالك، سنن البيهقي في شعب الإيمان، القرطبيّ: ١/ ١٣٤، سيرة عمر بن الخطاب

⇔

أيبعث من اعتراه النّسيان حتّى كان ينسىٰ عدد ركعات الصّلاة فجعل أمـامه رجلاً يلقّنه فإذا أومأ إليه أنْ يقوم، أو يركع فعل ؟[١]

أولم يعد قول أحمد الطّايراني هذا غلوّاً: «في وقت إرادتي، وابتداء أمري، وربما كنتُ أطلبُ حجراً أستنجي به، فتناولتُ شيئاً من الهواء، فكان جوهراً فاستنجيتُ به» ؟

أولم يعد قول سهل بن عبد الله هذا غلوّاً، ومبالغةً، وتطرفاً: «ربما كنت أتوضأ للصلاة، فيسيل الماء بين يدي قضباناً من الذّهب، والفضة» ؟

أولم يعد قول عبد القادر الكيلانيّ هذا غلوّاً، وكذباً، وترفاً: «أنّه أكلّ دجاجة فلما فرغ من أكلها وضع يده علىٰ عظامها، فقامت وعادت كما كانت» ؟

أولم يعد قول الجيلانيّ هذا غلوّاً، ومبالغة، وتـطرفاً: «إنّ الله تـعالىٰ إذا أقـام قطباً، مكّنه من الإنس والجنّ وسلّطه عليهم» ؟

أولم يعد قول الأربليّ هذا غلوّاً، ومبالغة، وتطرفاً: «صـعدت روحـي عـدّة سماوات؛ لأنظر روحه ـ روح غلام ـ مع الأرواح المنتقلة هذا اليـوم فـلم أرَهـا، فتركت السّماء ورجعت إلىٰ الأرض وذهبت إلىٰ منزل والدّه، فإذا هو حيّ مضطجع في مكان من المنزل، فحقّق الرّجلُ في الأمر فوجده كما قال الشّيخ» ؟

أولم يعد قول عبد القادر الجيلانيّ هذا غلوّاً، ومبالغة، وتطرفاً، بـل تحـجراً: «فقال الشّيخ: ياريح خذي رأس هذه الحدأة فوقعت من ساعتها في ناحية ورأسها في ناحية أُخرىٰ. فنزل الشّيخ عن الكرسي وأخذها بيده ومرّ بيده الأُخرىٰ عليها،

⇔ لابن الجوزيّ ص: ١٦٥ شرح ابن أبي الحديد ص: ١١١، الدّر المنثور: ١/ ٢١، عمدة القاري: ٢/ ٧٣٣ نقلاً عن النّهاية، فتح الباريّ: ٨/ ١٣.

(١) سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزيّ ص: ١٣٥، شرح النّهج: ٣/ ١١٠.

ثمّ قال: بسم الله الرّحمن الرّحيم، فعادت إلىٰ الحياة كما كانت، وطارت، والنّاس يشاهدون ذلك كله» ؟

أولم يعد قول يوسف العجمي الكوراني هذا غلوّاً، وتطرفاً، إنْ لم نقل كذباً :«اللّهمّ، إنْ كان هذا الطّلب حقاً وصدقاً ؛ فاقلبْ لي عين هذا النّهر لبناً حتىٰ أشرب منه بقصعتي هذه، فانقلب النَهْرُ لبناً وشربَ منه» ؟

أولم يعد قول الشّعراني هذا غلوّاً، وتطرفاً، وبهتاناً، ومبالغةً : «كان إذا خرج من الخلوة، يخرج وعيناه كأنهما قطعة جمر تتوقد، فكلُّ مَنْ وقع نظره عليه انقلبت عينه ذهباً خالصاً : ووقع بصره يوماً علىٰ كلب فانقادت إليه جميع الكلاب، إنْ وقف وقفت، وإنْ مشىٰ مشت، فأعلموا الشّيخ يوسف العجمي فأرسل في طلب الكلب، فلما جاءه، قال له : اخسأْ، فرجعت عنه الكلاب تعضُّه وتنهشه، فهرب» ؟ صار النّاس يهرعون إلىٰ الكلب في قضاء حوائجهم.

أولم يعد قول المتبولي هذا غلوّاً، وتطرفاً، ومبالغة : «وقع غلاء شديد في عهد إبراهيم المتبولي، واجتمع عنده نحو (٥٠٠) نفس من الفقراء، ودراويش الصّوفيّة، وكان يعجنُ لهم في كلّ يوم ثلاث أرادب من الطّحين، ويطعمهم منها بدون أُدْم، فطلبوا منه يوماً إداماً، فقال لخادمه : قمْ واذهب إلىٰ ذلك المكان وارفع الحصير وخذْ حاجتك من المال واشترِ لهُم إداماً. فذهب الخادمُ ورفع الحصير فوجد قناةً تجري ذهباً وفضّةً تنحدر في قناةٍ أُخرىٰ تجري فيها، فأخذ قبضةً واشترىٰ لهم بها ذلك اليوم مايريدون. فقال له الخادم : إذا كان الأمر كذلك، فلمَ لمْ توسّعْ علىٰ النّاس ؟ فقام من فوره، وذهب معه، فلم يجدوا فيه شيئاً» ؟

أولم يعد قول شمس الدّين الحنفيّ وحديث شجرة التّوت غلوّاً، إنْ لم نقل كذباً : «ياتوتة أحبّ أنْ أسمع منك الحديث. فقالت بصوتٍ جهوري : إنّهم لمّا زرعوني

سقوني الماء، فلما سقوني أسست، وفرَّعت، وأورقت، ولمّا أورقت أثمرت، وأطعمت»؟

أولم يعد قول السّريّ بن يحيىٰ غلوّاً حين قال: «كان حبيب بن محمّد العجمي البصريّ يُرىٰ يوم التّروية بالبصرة، ويوم عرفة بعرفات»[١].

أوليس ماذكره ابن كثير في حقّ الشّيخ عبد الله اليونينيّ(٦١٧هـ) يعد غلوّاً؛ لأنّه كان يحجُّ في بعض السّنين في الهواء..»[٢].

أوليس قول السُّبكي ممّا حكي من كرامات الحضرمي غلوّاً حيث قال يوماً لخادمه وهو في سفر: قل للشمس تقف حتىٰ نصل إلىٰ المنزل. وكان في مكان بعيد وقد قرب غروبها، فقال لها الخادم: قال لكِ الفقيه إسماعيل: قفي. فوقفت حتىٰ بلغ مكانه، ثمّ قال للخادم: أمّا تطلق ذلك المحبوس؟ فأمرها الخادم بالغروب فغربت، وأظلم اللّيل في الحال[٣].

أوليس يعد قول ابن تيميّة من الغلوّ في عثمان بن عفّان الأُموي: كان يختم ـ أيّ القرآن ـ في ركعة ليلاً[٤].

أمّا حكاية التّمساح، والبنت المخطوفة فهي أشبه بحكايات العجائز الأُسطورية، الخرافية: «ياتمساح، تعال، وكلّمْ الفرغليّ. ولمّا فعل ذلك، خرج التّمساح من النّيل كالمركب، ومشىٰ والنّاسُ بين يديه، يميناً وشمالاً، يمشون معه، إلىٰ أنْ وقف علىٰ باب الشّيخ الفرغليّ. فاستدعىٰ الفرغليّ الحدّاد، وأمره بأنْ يقطع

---

(١) تأريخ دمشق: ٥٦/١٢ تحت رقم «١١٩٣».

(٢) البداية والنّهاية: ١١٠/١٣.

(٣) طبقات الشّافعية الكبرىٰ: ١٣٠/٨ تحت رقم (١١١٧).

(٤) حلية الأولياء: ٥٧/١.

جميع أسنانه، ثمّ أمره بأنْ يلفظ البنت فلفظها وخرجت منه حيّةً كالمدهوشة».

أخرج الحافظ ابن عساكر في تأريخه عن أبي بكر بن أنزويه، قال: رأيتُ رسول الله ﷺ في المنام ومعه أحمد بن حنبل، فقلتُ: يا رسول الله من هذا؟ فقال: هذا أحمد وليُّ الله، ووليُّ رسول الله على الحقيقة، وأنفق على الحديث ألف دينار. ثمّ قال: من يزوره غفر الله له؛ ومن يبغض أحمد فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله[1].

وأخرج الخطيب البغداديّ عن عبد العزيز قال: سمعتُ أبا الفرج الهندبائيّ يقول: كنتُ أزور قبر أحمد بن حنبل فتركته مدّة، فرأيتُ في المنام قائلاً يقول لي: تركت زيارة قبر إمام السُّنَّة[2]؟

قال ابن الجوزيّ: وفي صفر سَنَة (٥٤٢ هـ) رأىٰ رجل في المنام قائلاً يقول له: من زار أحمد بن حنبل غُفر له. قال: فلم يبق خاصٌّ إلّا زاره، وعقدت يومئذٍ ثَمَّ مجلساً فاجتمع فيه أُلوف من النّاس[3].

أخرج ابن الجوزيّ: عن أحمد بن الحسن، عن أبيه، قال: قال الشّيخ أبو طاهر ميمون: يا بنّي رأيت رجلاً بجامع الرّصافة في شهر ربيع الأوّل من سَنَة ست وستين وأربعمئة، فسألته فقال: قد جئت من ستمئة فرسخ، فقلت: في أيّ حاجة؟ قال: رأيت وأنا ببلدي في ليلة جمعة كأنّي في صحراء، أو في فضاء عظيم والخلق قيام، وأبواب السّماء قد فُتحت، وملائكة تنزل من السّماء تلبس أقواماً ثياباً خضراً وتطير بهم في الهواء، فقلت: من هؤلاء الّذين قد اختصّوا بهذا؟ فقالوا

---

(١) تأريخ مدينة دمشق: ٣٣٤/٥.

(٢) تأريخ بغداد: ٤٢٣/٤، مناقب أحمد ص: ٦٣٩.

(٣) المنتظم لابن الجوزيّ: ٥٥/١٨، البداية والنّهاية: ٢٧٧/١٢.

لي : هؤلاء الّذين يزورون أحمد بن حنبل ، فانتبهت ولم ألبث أنْ أصلحت أمري وجئت إلى هذا البلد وزرته دفعات ، وأنا عائد إلى بلدي إنْ شاء الله[١].

أخرج ابن الجوزيّ : عن أبي يوسف بن بختان ـ وكان من خيار المسلمين ـ قال : لمّا مات أحمد بن حنبل رأىٰ رجل في منامه كأنَّ علىٰ كلّ قبر قنديلاً ، فقال ما هذا ؟ فقيل له : أمّا علمت أنّه نور لأهل القبور ، ينوّرهم بنزول هذا الرّجل بين أظهرهم ، وقد كان فيهم من يُعذّب فرحم[٢].

أليس من الغلوّ مايرويه ثابت عن أنس قال : «دخلنا علىٰ رجل من الأنصار وهو مريض يعقل فلم نبرح حتىٰ قضىٰ نحبه ، فبسطنا عليه ثوبه ، وأُمّ له عجوز كبيرة عند رأسه ، فالتفت إليها بعضنا فقال : ياهذه احتسبي مصيبتك عند الله ، فقالت : وما ذاك أمات ابني ؟ قلنا : نعم ؛ قالت : أحقّ ما تقولون ؟ قلنا : نعم ؛ فمدّت يدها إلىٰ الله فقالت : «اللّهمّ ! إنك تعلم أني أسلمتُ وهاجرت إلىٰ رسولك رجاء أنْ تغيثني عند كلّ شدة ورخاء فلا تحمل عليّ هذه المصيبة اليوم» ، قال : فكشف عن وجهه فما برحنا حتىٰ طعمنا معه»[٣].

أليس من الغلوّ ما روي عن الشّعبيّ : «أنّ قوماً من المهاجرين خرجوا متطوعين في سبيل الله ، فنفق حمار رجل منهم فأرادوا أنْ ينطلق معهم فأبىٰ ، فانطلق أصحابه مرتحلين ، وتركوه ، فقام وتوضأ وصلىٰ ثمّ رفع يديه فقال : «اللّهمّ ! إني خرجتُ من الدُّفينة ـ موضع ـ مجاهداً في سبيلك ، وابتغاء مرضاتك ، وأشهد

---

(١) مناقب أحمد ص: ٦٣٩.

(٢) مناقب أحمد ص: ٦٤٢.

(٣) البداية والنّهاية لابن كثير : ٦/١٥٤و٢٩٣ ، مجابي الدّعوة لابن أبي الدّنيا ص: ٣١، ورواه البيهقي في «دلائل النّبوة» ، وابن أبي الدّنيا في كتاب له مسمىٰ «من عاش بعد الموت».

أنّك تحيي الموتىٰ، وتبعث موتىٰ القبور، اللّهمّ! فأحيي حماري، ثمّ قام إلىٰ الحمار فضربه، فقام الحمار ينفض أُذنيه، فأسرجه وألجمه، ثمّ ركبه فأجراه حتىٰ لحق بأصحابه، فقالوا له: ما شأنك؟ قال: شأني إنّ الله بعث لي حماراً. قال الشّعبيّ: أنا رأيت الحمار بيع، أو يُباع بالكناسة»[1].

أليس من الغلوّ ما روي عن الأعمش، عن خثيمة قال: «أتىٰ خالد بن الوليد برجل معه زق خمر، فقال: اللّهمّ! أجعله عسلاً، فصار عسلاً»[2].

والسّؤال الّذي نطرحه علىٰ القفاريّ، والبرذونيّ، وعبد الفتاح، وأحمد أمين المصريّ، وبركات... إلخ لماذا تقبل هذه الفضائل، ولا تعد من الغلوّ؟ وإذا روىٰ الشّيعة الإماميّة أو غيرهم كرامة، أو فضيلة في أهل البيت عليهم السلام تجعلونها من الغلوّ فمثلاً عن العباس بن هشام بن محمّد الكوفيّ، عن أبيه، عن جده قال: كان رجل من بني دارم يقال له زرعة (بن شريك التّميميّ) شهد قتل الحسين فرمىٰ الحسين بسهم فأصاب حنكه، فجعل يتلقىٰ الدّم، ثمّ يقول هكذا إلىٰ السّماء ودعا الحسين بماء ليشرب، فلما رماه حال بينه وبين الماء (فقال): «اللّهمّ! ظمه، اللّهمّ! ظمه». قال: فحدثني من شهده وهو يموتُ، وهو يصيح من الحرّ في بطنه، والبرد من ظهره وبين يده المراوح، والثّلج، وخلفه الكانون، وهو يقول: اسقوني! أهلكني العطش، فيؤتىٰ بعُسٍّ عظيم فيه السّويق، أو الماء واللّبن، لو شربه خمسة لكفاهم، فقال: فشربه ثمّ يعود فيقول: اسقوني! أهلكني العطش، قال: فأنقد بطنه كانقداد

---

(١) البداية والنّهاية: ٦ / ١٥٣ و٢٩٢، حياة الحيوان للدميريّ: ١ / ٢١٨، جامع العلوم لابن رجب الحنبليّ ص: ٢٦٨، مجابي الدّعوة لابن أبي الدّنيا ص: ٣٣.

(٢) تأريخ الإسلام للذهبيّ: ٤٢/٢، الإصابة لابن حجر: ٤١٤/١، البداية والنّهاية لابن كثير: ٧/ ١١٤، كتاب مجابي الدّعوة ص: ٣٥.

البعير[١].

فما رأي الباحث الإعتقادي بما أورد واستشهد به، تسويغاً ونقداً لمّا نسميه «اللامعقول الإعتقادي»؟ أفهل بعد هذا لا يوجد في أحاديث الطّرف المقابل المبالغة إلىٰ حدود الغلوّ والإسراف؟[٢]

فإذا كانت كرامات للصحابة، والتّابعين فهي عند أهل السُّنَّة كما هي عند الشّيعة، وإذا كانت غلواً فهي عند أهل السُّنَّة كما هي عند الشّيعة، هذا لو سلّمنا بإنّ الأولياء، والصّلحاء، والعلماء عند كلا الطّرفين في درجة واحدة، ومنزلة واحدة، ولكن لا يمكن المقايسة فيمن نزل بحقه قرآن مدحاً... وفيمن نزل فيه قدحاً، وذماً... بل هذا ظلم، وقبح، عند أصحاب العقول السّليمة.

وبعد، فإنّ نتاج العلم، وعقيدة الإيمان، لا يكون موضوع إيمان لهذا، أو كفر لذاك، بل يكون موضع تصديق في جانب يقبل التّصديق، أو نفي يقبل النّفي بالتجربة، والتّجريب، بينما يكون نتاج السّحر في أطوار تأريخية علمية، أو شعوذات هندية، ونتاج الدّين وسحرُه المعرفي، والعلمي، والأخلاقي موضع اعتقاد، ومولّدَ عِقادة أُخرويَّة كما يقول الشّيبيّ[٣].

هذا الهوس هو من جنس هوس اليهود الّذين زعموا أنّ الله لا يعذبهم إلّا أياماً معدودة إنْ عذبهم ـ لأنّهم شعب الله المختار ـ كما يعتقدون ويتشدقون بالتمدح بذلك في التّلمود، فكذلك هوس أصحاب الشّهادات العليا، يعتقدون، ويتشدقون بأنّ أحدهم إذا كتب رسالة في ذمّ الشّيعة أصاب رضوان الله، وإذا لم يصب لم يعذبه الله إلّا أياماً معدودة؛ لأنّه من أصحاب الشّهادات العالية.

---

(١) كتاب مجابي الدّعوة ص: ٣٨، التّهذيب للحافظ: ٢ / ٣٥٤، في ترجمة حسين بن عليّ.

(٢) التّصوف والتّشيع ص: ٣٩٧.

(٣) الصّلة بين التّصوف والتّشيع ص: ٣٩٧، «بتصرف».

فهرس الآيات

الآية	رقمها	الصفحة
﴿لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً...﴾	٨٠	٣٥٩
سورة يوسف		
﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾	٤٠	٢٥٥
سورة الرّعد		
﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ﴾	١٦	٢٩٥
﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾	٣٩	١٥٤
سورة إبراهيم		
﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾	١٤	٦٦
سورة الحجر		
﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ﴾	٢٩	٢١٦
﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾	٣٠	٢٣٠
سورة النّحل		
﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾	٦٨	١٧٥
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾	٩٠	١٨٢
سورة الإسراء		
﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾	٥٠	١٨٠

فهرس الأحاديث

فهرس المصادر والمنابع

حرف الألف

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ نهج البلاغة للإمام عليّ عليه السلام، تنظيم الدّكتور صبحي الصّالح، طبعة دار الفكر، بيروت ١٤٠٨هـ

٣ ـ الآثار الباقية للبيروني، لأبي الرّيحان محمّد بن أحمد، طبع مكتبة المثنىٰ، بغداد ١٣٩٥هـ

٤ ـ الإباضية، لعليّ محيي معمّر، طبع دار العلم للملايين، بيروت ١٤٠٥ هـ.

٥ ـ الإتجاهات التّعصبية، لمعتز عبدالله، طبع المجلس الإسلامي للشؤون الثّقافيّة، وطبع دار الكتاب العربي، ١٤٠٦ هـ.

٦ ـ اتعاظ الحنفاء باخبار الخلفاء، لتقي الدّين للمقريزي، طبع القاهرة، الفجالة الجديدة ١٣٦٧ هـ.

٧ ـ أعلام الإسماعيلية، للدكتور مصطفىٰ غالب الإسماعيلي، طبع دارالفكر بيروت ١٩٦٤ م.

٨ ـ إثبات الهداة، لمحمّد بن الحسن المعروف بالحر العاملي، طبع المطبعة العلميّة، والمطبعة الحيدريّة بالنجف الأشرف.

٩ ـ أجوبة المسائل السّروية (ضمن مجموعة رسائل الشيخ المفيد)، لمحمّد بن محمّد، ابن المعلم، أبي عبد الله البغدادي العكبري المعروف بالشيخ المفيد.

١٠ ـ **أحاديث النّزول في زاد المعاد**، لشمس الدّين محمّد بن أبي بكر المعروف بابن قيمّ الجوزية، طبع دار العلم للملايين بيروت.

١١ ـ **الإحتجاج**، لأبي منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطّبرسي، طبع مطبعة النّعمان في النّجف الأشرف ١٣٦٨هـ.

١٢ ـ **أحزاب العارضة في صدر الإسلام**، ترجمة الدّكتور عبد الرّحمن بدوي، طبع وكالة المطبوعات في الكويت، الطبعة الثّالثة ١٩٧٨م.

١٣ ـ **أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم**، لأبي عبد الله محمّد بن أحمد المقدسي الحنفي، طبع القاهرة ١٣٨٥هـ.

١٤ ـ **إحياء علوم الدّين**، لأبي حامد محمّد بن محمّد الغزاليّ، مطبعة مصطفىٰ البابيّ، مصر ١٢٢١هـ.

١٥ ـ **الاختصاص**، لمحمد بن محمّد، ابن المعلم، أبي عبدالله البغدادي العكبري المعروف بالشيخ المفيد، طبع مطبعة النّعمان النّجف الأشرف.

١٦ ـ **إختيار معرفة الرّجال**، لأبي عمر محمّد بن عمرو بن عبد العزيز الكشي الطّوسي، طبع دار الكتاب العربي بيروت، ١٤٠٦هـ.

١٧ ـ **الأدب المفرد**، لمحمّد بن إسماعيل البخاري، طبع دار الكتب، الطّبعة الخامسة بيروت ١٤٠٦هـ.

١٨ ـ **أديان الهند الكبرىٰ**، العميد عبد الرّزاق محمود أسود، طبع الدّار العربية للموسوعات بيروت ١٤٠١هـ.

١٩ ـ **إرشاد السّاري بشرح صحيح البخاري**، لأبي العباس أحمد الشّافعي القسطلاني، طبع دار إحياء التّراث العربي بيروت ١٤٠٢هـ.

٢٠ ـ **الإرشاد في معرفة حججّ الله علىٰ العباد**، لمحمّد بن محمّد، أبي عبد الله البغدادي العكبري المعروف بالشيخ المفيد، نشر مكتب الإعلام الإسلامي.

٢١ ـ **الإستيعاب في معرفة الأصحاب في هامش الإصابة**، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمّد المالكي المعروف بابن عبد البر الأندلسي، طبع دار إحياء التّراث مكتبة النّهضة مصر ١٣٢٨هـ.

٢٢ ـ **أُسد الغابة في معرفة الصّحابة**، لعز الدّين أبي الحسن عليّ بن أبي الكرم الشّيباني الجـزري المعروف بابن الأثير، نشر إحياء التّراث العربي بيروت.

٢٣ ـ **إسعاف الرّاغبين في سيرة المصطفىٰ وفضائل أهل بيته الطّاهرين**، الشّيخ محمّد الصّبان، طبع بهمش نور الأبصار، طبع بيروت ١٤٠١ هـ.

٢٤ ـ **الإسلام والصّراط المستقيم**، لتقي الدّين أحمد بن عبد الحليم الحراني المعروف بابن تيمية، طبعة الريان بيروت ١٤٠٦هـ.

٢٥ ـ **أسنىٰ المطالب**، للشيخ محمّد درويش الحوت، طبعة دار الفكر الإسلامي بيروت ١٤٠٨ هـ.

٢٦ ـ **أسنىٰ المطالب**، أحمد زيني دحلان، طبع دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٥ هـ.

٢٧ ـ **أسنىٰ المطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب**، لشمس الدّين محمّد الجزري الشّافعي، طبع دار إحياء التّراث العربي ١٣٢٨ هـ.

٢٨ ـ **الإصابة في معرفة تمييز الصّحابة** لشهاب الدّين أبي الفضل أحمد بن عليّ الشّافعي المعروف بابن حجر العسقلاني، طبع دار الفكر بيروت ١٤٠٣ هـ.

٢٩ ـ **أُصول الإسماعيلية**، لبرنارد لويس، ترجمة الدّكتور مصطفىٰ غـالب، طـبعة لنـدن، وأُفست بيروت ١٤٠٨ هـ.

٣٠ ـ **أُصول الكافي** ـ لأبي جعفر ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرّازي، دارالكتب الإسلاميّة ـ تهران، الطّبعة الثّانية ١٣٨٩ هـ.

٣١ ـ **أُصول مذهب الشّيعة الإماميّة**، لناصر القفاري، مطبعة منير بغداد ١٤١٨ هـ.

٣٢ ـ **الأُصولية** ـ لجيمس بار، مطبعة نهضة مصر القاهرة ١٤١٦ هـ.

٣٣ ـ **الأُصولية** ـ لحسن حنفي، مطبعة مصطفىٰ محمّد القاهرة ١٤٠٨ هـ.

٣٤ ـ **الأُصولية في العالم العربي** ـ لهاريرد كميجان، نشره فريتش كـرنكو، المـطبعة الكـاثوليكيّة بيروت ١٤١٣ هـ.

٣٥ ـ الأعتصام، لأبي عبدالله محمّد بن عليّ بن يوسف الأنصاري الشّاطبي، طبع الرّحمانيّة مصر ١٣٢٥ هـ.

٣٦ ـ الاعتقادات في فرق المسلمين والمشركين، لأبي محمّد عبد الرّحمن بن أبي حاتم بن المنذر التّميمي الحنظلي الرّازي، طبع القاهرة، الفجالة الجديدة.

٣٧ ـ اعتقادات المسلمين والمشركين، للشيخ عليّ الدّخيل في حاشية الصّواعق المحرقة لابن حجر، طبع بيروت ١٤٠١ هـ.

٣٨ ـ الأعلاق النّفسيّة، لأبي عليّ أحمد بن عمر المعروف بابن رستة، طبع مكتبة المثنىٰ بغداد.

٣٩ ـ أعلام الورىٰ، لأبي عليّ الفضل بن الحسن الطّبرسي، دار المعرفة، الطّبعة الأُولىٰ بيروت ١٣٩٩ هـ.

٤٠ ـ الأغاني، لأبي الفرج الإصفهاني، دار الكتب المصريّة الطّبعة الأُولىٰ مصر ١٣٥٨ هـ.

٤١ ـ الإفصاح في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، لمحمّد بن محمّد، ابن المعلم، أبي عبد الله البغدادي العكبري المعروف بالشيخ المفيد، طبع بيروت.

٤٢ ـ اقتضاء الصّراط المستقيم في الرّد علىٰ أهل الجحيم، تقي الدّين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام المعروف بابن تيمية الحراني الدّمشقي الحنبلي.

٤٣ ـ الألفين، لأبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي المعروف بالعلاّمّة الحلّي، مؤسسة النّشر الإسلامي ١٤١٣ هـ.

٤٤ ـ أمالي أبن الشّيخ، لمحمّد بن محمّد، ابن المعلم، أبي عبد الله البغدادي العكبري المعروف بالشيخ المفيد، طبع بيروت.

٤٥ ـ أمالي الشّيخ المفيد، لمحمّد بن محمّد، ابن المعلم، أبي عبد الله البغدادي العكبري المعروف بالشيخ المفيد، طبع بيروت.

٤٦ ـ أمالي الصّدوق، لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصّدوق، مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت، الطّبعة الخامسة ١٤٠٠ هـ.

٤٧ ـ أمالي المرتضىٰ، عليّ بن الحسين الشّريف المرتضىٰ الموسوي، الطّبعة الأُولىٰ ـ قم.

٤٨ ـ الإمام الصّادق والمذاهب الأربعة، لأسد حيدر، طبع دار الكتاب الإسلامي بيروت ١٤٠٥ هـ.

٤٩ ـ الإمامة والسّياسة، لأبي محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوري، طبع دار الملايين للعلم، بيروت ١٤٠٢ هـ.

٥٠ ـ الإنتصار، لأبي الحسن عليّ بن يحيىٰ الخياط، طبع مؤسّسة الريان بيروت ١٤٠١ هـ.

٥١ ـ أنجيل متىٰ، طبع بولاق مصر، ١٣٥٨ هـ.

٥٢ ـ الأنساب، لأبي سعيد عبد الكريم بن محمّد بن منصور السّمعاني التّميمي، طبع المستشرق مرجليوث ليدن ١٩١٢ م، وطبع قاسم محمّد رجب ١٩٧٠ م، واعادة طبعة دار الجنان بيروت ١٤٠٨ هـ.

٥٣ ـ أنساب الأشراف، لأحمد بن يحيىٰ بن جابر البلاذري، دارالمعارف بيروت، الطّبعة الثّالثة.

٥٤ ـ أوائل الاعتقادات، لمحمّد بن محمّد، ابن المعلم، أبي عبد الله البغدادي العكبري المعروف بالشيخ المفيد، طبع بيروت.

٥٥ ـ ايران في عهد السّاسانيين، فارسي، ترجمة الشّيخ محمّد هادي اليوسفي.

٥٦ ـ الإيضاح، للفضل بن شادان، طبعة جامعة طهران، وطبع مؤسّسة الوفاء، بيروت ١٤٠٠ هـ.

٥٧ ـ إيضاح المكنون في الذّيل علىٰ كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، لإسماعيل باشا بن محمّد أمين البغدادي، طبع بيروت ١٩٤٥ م.

٥٨ ـ الإيمان، لمحمّد بن أبي شيبة الكوفي، مطبعة العلوم الشّرقية، حيدر آباد ـ الدّكن ١٣٩٠ هـ.

٥٩ ـ الإيمان، لأبي عبيد قاسم بن سلام الفقيه البغدادي، طبع دار الكتب الإسلامي مع مشكاة المصابيح.

حرف الباء

٦٠ ـ الباطنية وتياراتها التّخريبية، لعبد الحميد العلوجي، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٢ هـ.

٦١ ـ بحار الأنوار، للعلاّمة محمّد باقر بن محمّد تقي المجلسي، دار إحياء التّراث بيروت، الطّبعة الأُولىٰ ١٤١٢هـ.

٦٢ ـ البحر الزّخار، لمحمّد بن عليّ بن محمّد الشّوكاني، مطبعة السّعادة، مصر ١٤٠٥هـ.

٦٣ ـ البدء والتّأريخ، للمقدسي، طبعة باريس ١٣٦٨هـ، بإشراف المستشرق الفرنسي كليمان هوار، والمؤلف إنْ كان هو أبو زيد أحمد بن سهل البلخي.

٦٤ ـ بدائع الصّانع، لأبي الحسين أحمد بن محمّد بن جعفر بن حمدان الكاساني، دار الكتب العلمية، الطّبعة الثّانيّة بيروت ١٤١٤هـ.

٦٥ ـ بدائع الزّهور في وقائع الدّهور، ابن أياس، طبع في القاهرة ١٣١١هـ.

٦٦ ـ البداية والنّهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدّمشقي، مطبعة السّعادة مصر ١٣٥١هـ.

٦٧ ـ الرّهان في معرفة أهل الأديان، طبع وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية ١٩٤٥م.

٦٨ ـ بشارة المصطفىٰ، لأبي جعفر محمّد بن الحسن بن محمّد بن عليّ الطّبري، المطبعة الحيدريّة، النّجف الأشرف، الطّبعة الثّانيّة ١٣٨٣هـ.

٦٩ ـ بصائر الدّرجات، لأبي جعفر محمّد بن الحسن الصّفار القمي المعروف بابن فروخ، مكتبة المرعشي ـ قم، الطّبعة الأولىٰ ١٤٠٤هـ.

٧٠ ـ البصرة تستأهل شأفة الشّيخية، للشيخ محمّد مهدي الخالصي، طبعة بيروت ١٤٠٢هـ.

٧١ ـ البلدان، لأبي بكر أحمد بن محمّد الهمداني المعروف بابن الفقيه، طبعة النجف الأشرف، وطبعة ليدن.

٧٢ ـ بلغة الفقيه، للسيد محمّد بن محمّد تقي بن سيد رضا ين سيد بحر العلوم، منشورات مكتبة الصّدوق، الطّبعة الرّابعة ١٣٢٥هـ.

٧٣ ـ بهجة المحافل، عماد الدّين العامري، طبعة دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٠هـ، ونشر المكتبة العلميّة بالمدينة المنورة ـ الحجاز.

٧٤ـ **بيان الأديان**، لابي المعالي العلوي، طبعة المجلس الديني للشؤون الإسلامية بيروت ١٣٥٨هـ.

٧٥ـ **البيان في تفسير القرآن**، للسيد عليّ أكبر الخوئي، الطّبعة الثّالثة بيروت ١٤٠٥هـ.

٧٦ـ **البيان والتّبيين**، لعمرو بن بحر الجاحظ، نشر دار الجاحظ، مطبعة الاستقامة، الطّبعة الثّالثة القاهرة ١٣٦٦هـ.

حرف التّاء

٧٧ـ **تأويل الآيات الظّاهرة**، لعليّ الغروي الحسيني الأستر آبادي، مؤسسة النّشر الإسلامي ـ قم، الطّبعة الأُولىٰ ١٤٠٩هـ.

٧٨ـ **تأويل مختلف الحديث**، لأبي محمّد عبدالله بن مسلم المعروف بابن قتيبة الدّينوري، دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٢هـ.

٧٩ـ **تأريخ ابن خلدون**، لعبد الرحمن بن خلدون، طبعة القاهرة، ١٤٠٠هـ.

٨٠ـ **تأريخ أبي الفداء**، لإسماعيل بن عليّ الشّافعي، مطبعة القاهرة، مكتبة القدسي ١٤٠٨هـ.

٨١ـ **تأريخ الإلحاد في الإسلام**، لعبد الرّحمن بدوي، طبعة بيروت ١٤٠٥هـ.

٨٢ـ **تأريخ الإماميّة**، للدكتور عبدالله فياض، طبعة دار إحياء التراث العربي ١٤٠٠هـ.

٨٣ـ **تأريخ بغداد**، لأبي بكر أحمد بن عليّ الخطيب البغدادي، المكتبة السّلفيّه ـ المدينة المنوّرة.

٨٤ـ **تأريخ الخلفاء**، لجلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السّيوطي، دارالجيل بيروت، ١٤٠٨هـ.

٨٥ـ **تأريخ الخميس**، لحسين بن محمّد بن الحسن الدياربكري المالكي، طبعة بولاق القاهرة ١٣٥٨هـ.

٨٦ـ **تأريخ دمشق**، لأبي قاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر الدّمشقي، دار الفكر ـ بيروت، الطّبعة الأُولىٰ ١٤١٥هـ.

٨٧ـ **تأريخ الرّسل**، لأبي جعفر محمّد بن جرير الطّبري، طبعة دار المعارف بيروت ١٤٠٦هـ.

٨٨ـ تأريخ الطّبري، لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبري، دارالمعارف ـ بيروت.

٨٩ـ تأريخ عمر بن الخطاب، لعبد الرحمن بن أبي بكر سبط بن الجوزي، طبعة القاهرة ١٤٠٢هـ.

٩٠ـ تأريخ الفلسفة الإسلاميّة، لمصطفىٰ عبد الرّزاق، طبع الشركة المتحدة للنشر في القاهرة ١٣٩٨هـ.

٩١ـ تأريخ اليعقوبي، لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح المعروف باليعقوبي، دار صادر بيروت ١٤٠٥هـ.

٩٢ـ التّبصير في الدّين، للاسفراييني، مؤسسة الأعلمي بيروت ١٤٠٠هـ.

٩٣ـ تثبيت دلائل النّبوّة، للقاضي عبد الجبار، طبعة دار الملايين للعلم بيروت ١٤٠٢هـ.

٩٤ـ تحف العقول، لأبي محمّد الحسن بن عليّ الحراني المعروف بابن شعبة، مؤسسة النّشر الإسلامي ـ قم، الطّبعة الثّانية ١٤٠٤هـ.

٩٥ـ التّحفة السّنية، للفيض الكاشاني، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٢هـ.

٩٦ـ التّدين المنقوص، لفهمي هويدة، طبعة الشركة العامة للنشر في القاهرة ١٤٠٥هـ.

٩٧ـ تذكرة الفقهاء، للعلامة جمال الدّين الحسن بن يوسف بن مطهر الحلّي، دار الهجرة ـ قم، مؤسسة الأعلمي بيروت.

٩٨ـ تذكرة طوائف الحقّ، عليّ بن الحسين الشّريف المرتضىٰ الموسوي الطّبعة الأُولىٰ ـ قم.

٩٩ـ التّرغيب والتّرهيب، لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري الشّامي، دار إحياء التّراث ـ بيروت، الطّبعة الثّالثه ١٣٨٨هـ.

١٠٠ـ التّسهيل لعلوم القرآن، لمحمد بن محمّد بن أحمد الكلبي الجزري المعروف بابن جزي.

١٠١ـ تصحيح الاعتقاد، لمحمد بن محمّد، ابن المعلم، أبي عبد الله البغدادي العكبري المعروف بالشيخ المفيد، طبعة مكتبة تبريز.

١٠٢ـ التّطرف الدّيني وأبعاده السّلبيّة، لرجاء الغربي، طبعة مؤسسة الريان بيروت ١٤٠٥هـ.

١٠٣ ـ التّطرف وأبعاده السّلبيّة، لفهمي هويدة، طبعة دار الملايين للعلم بيروت ١٤٠٣ هـ.

١٠٤ ـ التّعرف لمذهب أهل التّصوف، لأبي بكر محمّد الكلابادي، طبعة القاهرة الفجالة الجديدة ١٤٠٠ هـ.

١٠٥ ـ تفسير روح المعاني، لأبي الفضل شهاب الدّين السّيد محمّد الآلوسي، طبعة مكتبة المثنىٰ بغداد ١٣٩٦ هـ.

١٠٦ ـ التّفسير المنسوب إلىٰ الإمام العسكري، مؤسسة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) قم، الطّبعة الأُولىٰ ١٤٠٩ هـ.

١٠٧ ـ تفسير البحر المحيط، لمحمّد بن يوسف الشّهير بأبي حيان الأندلسي، طبعة دار قريش ـ مكة المكرمة ـ ودار الكتب العلميّة بيروت.

١٠٨ ـ تفسير البرهان، لهاشم بن سليمان البحراني، مؤسسة مطبوعات إسماعيليان ـ قم، الطّبعة الثّانيّة.

١٠٩ ـ تفسير البغوي المسمىٰ بـ (معالم التّنزيل)، لأبي محمّد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشّافعي، دار الكتب العلميّة بيروت ١٤١٤ هـ.

١١٠ ـ تفسير الجامع لأحكام القرآن، لمحمّد بن أحمد بن أبي فرج الأنصاري القرطبي، مطبعة دار الكتب المصريّة القاهرة ١٩٣٨ م.

١١١ ـ تفسير الخازن، لإبراهيم بن علاء الدّين البغدادي الخازن، طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠٩ هـ.

١١٢ ـ تفسير الدّر المنثور، جلال الدين عبد الرّحمن بن أبي بكر محمّد السّيوطي، المطبعة الإسلاميّة بالأُفست ١٣٧٧ هـ.

١١٣ ـ تفسير زاد المسير، لأبي الفرج جمال الدّين عبد الرّحمن بن عليّ بن محمّد المعروف بابن الجوزي، طبعة دار الفكر، الطّبعة الأُولىٰ بيروت ١٤١٣ هـ.

١١٤ ـ تفسير فتح الرّحمن، للمقدسي، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٠ هـ.

١١٥ ـ تفسير الفتح القدير، لمحمّد بن عليّ بن محمّد الشّوكاني، طبعة دار الكتب العلميّة بيروت ١٤٠٣ هـ.

١١٦ ـ تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي الدّمشقي، طبع دار الشّعب القاهرة ١٣٥٨ هـ.

١١٧ ـ تفسير القمّي، لأبي الحسن عليّ بن إبراهيم بن هاشم القمّي، مطبعة النّجف الأشرف، وطبعة بيروت ١٣٨٧ هـ.

١١٨ ـ التّفسير الكبير، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام المعروف بابن تيمية الحراني، طبع القاهرة ـ الفجالة الجديدة ١٤٠٢ هـ.

١١٩ ـ التّفسير الكبير، لأبي عبدالله محمّد بن عمر المعروف بفخر الرّازي، دارالفكر ـ بيروت، الطّبعة الأُولىٰ ١٤١٠ هـ.

١٢٠ ـ تفسير الكشاف، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزّمخشري، دار المعرفة ـ بيروت.

١٢١ ـ تفسير كنز الدّقائق، الميرزا محمّد المشهدي، طبعة مشهد ١٤٠٦ هـ.

١٢٢ ـ تفسير نور الثّقلين، للشيخ عبد عليّ بن جمعة العروسي الحويزي، طبع مؤسسة إسماعيليان ـ قم، الطّبعة الرّابعة ١٤١٢ هـ.

١٢٣ ـ التّفكير الفلسفي في الإسلام، لعبد الحكيم محمود، طبعة الدّار المصريّة ١٩٧٧ م.

١٢٤ ـ تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، طبع دهلي ١٢٩٠ هـ.

١٢٥ ـ تلبيس أبليس، لأبي الفرج عبد الرّحمن بن الجوزي، طبعة مكتبة نينوىٰ بيروت ١٤٠٥ هـ.

١٢٦ ـ تلخيص الشّافي، لأبي جعفر محمّد بن الحسن بن عليّ بن الحسن الطّوسي طبعة دار العلم للملايين بيروت ١٤٠٢ هـ.

١٢٧ ـ التّنبية والرّدّ علىٰ أهل الأهواء والبدع، للملطي، طبعة دار إحياء التراث الإسلامي القاهرة ١٤٠٢ هـ.

١٢٨ ـ التّنبية والإشراف، للمسعودي، مطبعة محمّد علي صبيح وأولاده بالقاهرة، وطبع دار الصّاوي بمصر ١٣٥٧ هـ.

١٢٩ ـ تنقيح المقال، للشيخ عبدالله بن محمّد حسن المامقاني، المطبعه المرتضويّة ـ النّجف الأشرف.

١٣٠ ـ تهذيب التّهذيب ـ لأحمد بن حجر الهيتمي الكوفي العسقلاني، مكتبة القاهرة، الطّبعة الثّانيّة، مصر ١٣٨٥ هـ.

١٣١ ـ تهذيب المقال، سيد محمّد عليّ الموحد الأبطحي، طبعة بيروت ١٤٠٠ هـ.

١٣٢ ـ التّوحيد، لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابوية القمي المعروف بالشيخ الصّدوق، مؤسسة النّاشر الإسلامي ـ قم، الطّبعة الأُولىٰ ١٣٩٨ هـ.

١٣٣ ـ توحيد المفضل ـ المفضل بن عمر الحجفي، طبع قاسم محمّد رجب بغداد ١٣٩٨ هـ.

١٣٤ ـ تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبدالله، طبع مجلس دائرة المعارف العثمانيّة بحيدر آباد الدكن الهند ١٣٨٨ هـ.

حرف الجيم

١٣٥ ـ جامع الرّواة، للمحقق الأردبيلي، طبعة بيروت ١٤٠٥ هـ.

١٣٦ ـ الجامع الصّغير، جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السّيوطي، دار الفكر بيروت ١٤٠٥ هـ.

١٣٧ ـ جامع العلوم، لابن رجب الحنبلي، طبعة دار الانصاف بيروت ١٣٦٩ هـ.

١٣٨ ـ جامعة الجامعة، أُخذ بالواسطة.

١٣٩ ـ الجعفريات، مسند الإمام الصّادق، طبع مع قرب الإسناد في قم، وأعادة طبعه مكتبة نينوىٰ الحديثة، طهران.

١٤٠ ـ الجعفريات، لأبي الحسن محمّد بن محمّد بن الأشعث الكوفي، مكتبة نينوىٰ، طبع ضمن قرب الإسناد.

١٤١ ـ الجواهر الحسان، للثعالبي، مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي ١٣٧٤ هـ.

١٤٢ ـ جواهر الكلام، للشيخ محمّد حسن النّجفي الجواهري، طبع مؤسسة المرتضىٰ العالميّة ـ بيروت، الطّبعة الأُولىٰ ١٤١٢ هـ.

حرف الحاء

١٤٣ ـ حاشية السّندي علىٰ صحيح البخاري، مطبوع بهامش صحيح البخاري، طبع دار السلفيّة بالقاهرة ١٤٠٥ هـ.

١٤٤ ـ الحدائق النّاضرة، ليوسف بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صالح بن أحمد ابن عصفور البحراني، طبع مؤسسة النّشر الإسلامي.

١٤٥ ـ حذار من التّدين المخشوش، لمحمّد الغزالي، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيّة بحيدر آباد الدكن الهند ١٣٨٧ هـ.

١٤٦ ـ حركات الشّيعة المتطرفين، لغريد لايندر، طبع دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٥ هـ.

١٤٧ ـ حقائق التّأويل، لأبي الحسن الشّريف الرّضي محمّد بن الحسين بن موسىٰ الموسوي، طبع دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٢ هـ.

١٤٨ ـ حلية الأبرار، ليوسف البحراني، طبعة دار إحياء التراث العربي ١٤٠٥ هـ.

١٤٩ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الإصفهاني، دار التّكاب العربي، بيروت الطّبعة الثّانيّة ١٣٨٧ هـ.

١٥٠ ـ الحور العين، لنشوان الحميري، طبع مؤسسة الريان بيروت ١٤٠٠ هـ.

١٥١ ـ حياة الحيوان، لمحمّد بن موسىٰ الدّميري، طبعة الرّباط، بالغرب الأقصىٰ ١٤٠٣ هـ.

١٥٢ ـ الحيوان، عمرو بن بحر الجاحظ، دار الجاحظ القاهرة ١٤٠٩ هـ.

حرف الخاء

١٥٣ ـ **الخرائج والجرائح**، لأبي الحسين سعيد بن عبدالله الرّاوندي المعروف بقطب الدين الراوندي، طبعة مؤسسة الإمام المهدي ١٤٠٩ هـ.

١٥٤ ـ **الخصائص**، لأبي عبد الرّحمن أحمد بن شعيب النّسائي، طبعة دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٦ هـ.

١٥٥ ـ **خصائص الأئمة**، لأبي الحسن الشّريف الرّضي محمّد بن الحسين بن موسىٰ الموسوي، طبعة الحضرة الرّضوية المقدسة مشهد ١٤٠٦ هـ.

١٥٦ ـ **خصائص العشرة الكرام البررة**، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزّمخشري، طبع دار المعرفة بيروت ١٤٠٦ هـ.

١٥٧ ـ **الخصال**، لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصّدوق، مؤسّسة الأعلمي بيروت، الطّبعة الخامسة ١٤٠٠ هـ.

١٥٨ ـ **خطط المقريزي**، تقي الدّين أحمد بن عليّ المقريزي، طبعة السّاحل الجنوبي بيروت ١٤٠٦ هـ.

١٥٩ ـ **الخلاف**، لأبي جعفر محمخد بن الحسن الطّوسي، مؤسسة النّشر الإسلامي قم ١٤٠٧ هـ.

حرف الدال

١٦٠ ـ **دائره معارف القرن العشرين**، فريد وجدي، طبع الشركة العالمية للطباعة والنشر القاهرة ١٤٠٦ هـ.

١٦١ ـ **دائرة المعارف الإسلامية** نقلها إلىٰ العربية محمّد ثابت أفندي، وأحمد الشنتناوي، وإبراهيم زكي خورشيد، وعبد الحميد يونس، طبعت في مصر من سَنَة ١٩١٣ ـ ١٩٥٧ م.

١٦٢ ـ **دراسة الاناجيل الأربعة**، طبع دار الشرق بيروت ١٤٠٢ هـ.

١٦٣ ـ **الدّرجات الرّفيعة**، عليّ خان الشّيرازي المدني، منشورات العرفان، مطبعة السّاحل الجنوبي بيروت ١٤٠٩ هـ.

١٦٤ ـ **دعائم الإسلام**، لأبي حنيفة النّعمان بن محمّد بن منصور بن أحمد بن حيّون التّميمي المغربي، طبع دار المعارف مصر، الطّبعة الثّالثة ١٣٨٩ هـ.

١٦٥ ـ **الدّعوة الإسلامية**، لابي الحسن الخنيزي، طبع مطبعة النعمان النجف الأشرف ١٤٠٨ هـ.

١٦٦ ـ **دلائل النّبوّة**، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقي، طبع دار الكتب العلمية بيروت، الطّبعة الأُولىٰ ١٤١٤ هـ.

١٦٧ ـ **الدّليل لأهل العقل**، للورجلاني، طبع دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٦ هـ.

١٦٨ ـ **ديوان الحلاّج**، تحقيق ماسينيون، طبعة باريس ١٣٨٧ هـ.

١٦٩ ـ **ديوان الشّافعي**، تحقيق زهدي يكن، مطبعة دار الثقافة بيروت ١٩٦١ م.

١٧٠ ـ **ديوان المتنبي**، شرح العكبري، طبعة جامعة بغداد ١٣٦٨ هـ.

حرف الذال

١٧١ ـ **ذخائر العقبىٰ في مناقب ذوي القربىٰ**، لأبي العباس أحمد بن عبد الله محبّ الدّين الطّبري، نشره حسام الدين القدسي ـ القاهرة ١٣٥٦ هـ.

١٧٢ ـ **ذكرىٰ حافظ**، للدمياطي، طبعة القاهرة الفجالة الجديدة ١٤٠٠ هـ.

حرف الراء

١٧٣ ـ **رجال الطّوسي**، لأبي جعفر محمّد بن الحسن بن عليّ الطوسي، مؤسسة النّشر الإسلامي قم، الطّبعة الأُولىٰ ١٤١٥ هـ.

١٧٤ ـ **رجال الكشي**، لأبي جعفر محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطّوسي، مؤسسة آل البيت قم، الطّبعة الأُولىٰ ١٤٠٤ هـ.

١٧٥ ـ **الرّد علىٰ الجهمية**، لأبي سعيد عثمان بن سعيد الدّارمي، طبعة دار الأندلس ١٤٠٥ هـ.

١٧٦ ـ رسائل إخوان الصّفا، جمع، بطرس البستاني، طبعة بيروت ١٤٠٠ هـ.

١٧٧ ـ رسالة أضحوية في أمر المعاد، لابن سينا، طبعة دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٠ هـ.

١٧٨ ـ رسالة الغفران، الدّكتورة عائشة عبد الرحمن المعروفة ببنت الشّاطي، طبعة بيروت ١٤٠٠ هـ.

١٧٩ ـ الرّواشح السّماوية، للمحقق الدّاماد، طبعة دار الكتاب العربي ١٤٠٠ هـ.

١٨٠ ـ الرّوض الأُنف، لأحمد بن عليّ السّهيلي، طبع شركة الطّباعة الفنيّة المتحدة مصر العربية ١٣٩١ هـ.

١٨١ ـ روض الجنان، للشهيد الثّاني، طبع دار الكتاب الإسلامي بيروت ١٤٠٢ هـ.

١٨٢ ـ الرّوض الفائق، للحريفش، طبع دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٠ هـ.

١٨٣ ـ روضة الكافي، لأبي جعفر ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرّازي، دار الكتب الإسلامية ـ تهران، الطّبعة الثّانيّة ١٣٨٩ هـ.

١٨٤ ـ روضة المناظر، لابن شحنة، بهامش الكامل، طبع دار الأندلس ١٤٠٢ هـ.

١٨٥ ـ روضة الواعظين، لمحمّد بن الحسن بن عليّ الفتال النّيسابوري، طبع مؤسسة الأعلمي بيروت الطّبعة الأُولىٰ ١٤٠٦ هـ.

١٨٦ ـ الرّياض النّضرة، لمحمّد بن محبّ الدّين الطّبري الشّافعي، طبعة بيروت ١٤٠٣ هـ.

١٨٧ ـ الزّهر الفاتح، أُخذ بالواسطة.

١٨٨ ـ الزّيدية، للدكتور أحمد محمود صبحي، طبع مؤسسة الأعلمي بيروت ١٤٠٠ هـ.

١٨٩ ـ الزّينة، للرازي، تحقيق الدّكتور السّامرائي، طبع جامعة بغداد ١٤٠٠ هـ.

حرف السّين

١٩٠ ـ سبيل النّجاة والفكاك، أُخذ بالواسطة.

١٩١ ـ سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، لابن نباته، طبعة دار الفكر القاهرة ١٣٥٨ هـ.

١٩٢ ـ سفينة البحار، للشيخ عباس القمي، دار الأُسوة ـ طهران، الطّبعة الأُولىٰ ١٤١٤هـ.

١٩٣ ـ السّلسبيل في معرفة الدّليل، الشيخ صالح البليهي، طبع دار الكتاب العربي ١٤٠٠هـ.

١٩٤ ـ سلسلة الأحاديث الصّحيحية، لمحمّد بن ناصر الدّين الألباني، المكتب الإعلامي بيروت، الطّبعة الرّابعة ١٤٠٥هـ.

١٩٥ ـ السُّنَّة والشّيعة، السيّد رشيد رضا منشئ، مجلة المنار.

١٩٦ ـ سنن ابن ماجة، لأبي عبد الله محمّد بن يزيد بن ماجة القزويني، دار إحياء التّراث، بيروت، الطّبعة الأُولىٰ ١٣٩٥هـ.

١٩٧ ـ سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن أشعث السّجستاني الأزدي، دار إحياء التّراث العربي بيروت ١٤٠٦هـ.

١٩٨ ـ سنن البيهقي، لأحمد بن الحسيني بن عليّ البيهقي، دار الكتب العلميّة، الطّبعة الأُولىٰ بيروت ١٤١٤هـ.

١٩٩ ـ سنن الدّارمي، لعبدالله بن عبد الرّحمن بن بهرام الدّارمي، طبعة الاعتدال دمشق ـ ١٤١٩هـ، نشر دار إحياء السُّنَّة النّبويّة بدون تأريخ.

٢٠٠ ـ سنن النّسائي (بشرح جلال الدّين السّيوطي، وحاشية الإمام السّندي)، لأحمد بن شعيب النّسائي، دار المعرفة ـ بيروت، الطّبعة الثّالثة ١٤١٤هـ.

٢٠١ ـ سير أعلام النّبلاء، لأبي عبد الله الذّهبي، طبع مؤسسة الوفاء بيروت ١٤٠٠هـ.

٢٠٢ ـ السّيرة الحلبيّة (إنسان العيون)، لعليّ بن برهان الدّين الحلبي الشافعي، دار الفكر العربي بيروت ١٤٠٠هـ.

٢٠٣ ـ السّيرة النّبوّيّة، لأبي محمّد عبد الملك بن هشام، طبعة بيروت ١٤٠٢هـ.

٢٠٤ ـ السّيرة النّبوّيّة بهامش السيرة الحلبيّة، لأحمد بن زيني بن أحمد دحلان، طبعة دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٨هـ.

حرف الشين

٢٠٥ ـ الشّافي، لعليّ بن الحسين الشريف المرتضىٰ الموسوي الطّبعة الأولىٰ ـ قم.

٢٠٦ ـ شخصيات قلقة في الإسلام، ترجمة عبد الرحمن بدوي، طبعة دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٠ هـ.

٢٠٧ ـ شذرات الذّهب، لأبي الفلاح عبد الحي بن أحمد العكري المعروف بابن العماد، دار الفكر بيروت، الطّبعة الأُولىٰ ١٤١٤ هـ.

٢٠٨ ـ شرح الأسماء الحسنىٰ، لملا هادي السّبزواري، طبعة دار الأندلس ـ بيروت ١٤٠٠ هـ.

٢٠٩ ـ شرح الأُصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار، طبعة دار صادر بيروت ١٤٠٣ هـ.

٢١٠ ـ شرح السُّنَّة، البغوي، طبعة دار السلفيّة القاهرة ١٤٠٥ هـ.

٢١١ ـ شرح عقائد الصّدوق، لمحمّد بن محمّد، ابن المعلم، أبي عبد الله البغدادي العكبري المعروف بالشيخ المفيد، طبع بيروت.

٢١٢ ـ شرح العقيدة الطّحاوية ـ لابن أبي العز عبد السّلام، طبعة دار السلفيّة القاهرة ١٤٠٦ هـ.

٢١٣ ـ شرح مسند أحمد، لأحمد شاكر، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيّة بحيدر آباد الدكن الهند ١٣٦٩ هـ.

٢١٤ ـ شرح المواقف، للايجي، طبعة دار المعارف الإسلامية بيروت ١٤٠٩ هـ.

٢١٥ ـ شرح المواهب، للزرقاني، طبعة دار الملايين للعلم بيروت ١٤٠٢ هـ.

٢١٦ ـ شرح نهج البلاغة، لعزّ الدين عبد الحميد بن محمّد بن أبي الحديد المعتزلي المعروف بابن أبي الحديد، طبع دار إحياء التراث بيروت ١٣٨٧ هـ.

٢١٧ ـ شرح النّووي على صحيح مسلم، للنووي، طبعة القاهرة ١٣٦٨ هـ.

٢١٨ ـ الشّورىٰ في العصر الأُموي، لحسين عطوان، مطبعة دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٠ هـ.

٢١٩ ـ الشّيعة في التّأريخ، لمحمّد حسين الزّين، طبعة دار الكتاب العلمية بيروت ١٤١٤ هـ.

٢٢٠ ـ الشّيعة والسُّنَّة، الدكتور محمّد الزعبي، طبعة دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٨ هـ.

حرف الصّاد

٢٢١ ـ الصّحاح في اللغة، لإسماعيل بن حماد الجوهري، طبعة دار الملايين ١٤٠٤ هـ، ومطابع دار الكتاب العربي القاهرة ١٩٥٦ م.

٢٢٢ ـ صحيح البخاري، لأبى عبدالله محمّد بن اسماعيل البخاري، دار ابن كثير ـ بيروت، الطّبعة الرّابعة ١٤١٠ هـ.

٢٢٣ ـ صحيح الجامع الكبير، لأبي عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري، مطبعة الفجالة الجديدة، مصر ١٣٥٨ هـ.

٢٢٤ ـ صحيح مسلم ـ لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النّيسابوري، دار الحديث ـ القاهرة، الطّبعة الأُولىٰ ١٤١٢ هـ.

٢٢٥ ـ صحيفه الإمام الرّضا عليه السلام، المنسوبة إلىٰ الإمام الرضا، مؤسسة الإمام المهدي (عجل الله تعالىٰ فرجه) ـ قم، الطّبعة الأُولىٰ ١٤٠٨ هـ.

٢٢٦ ـ الصّحوة الإسلاميّة بين الجحود والتّطرف، الدّكتور القرضاوي، طبعة القاهرة الفجالة الجديدة ١٤٠٢ هـ.

٢٢٧ ـ الصّراع بين الإسلام والوثنية، المطبعة العامرة في القاهرة ١٤٠٠ هـ.

٢٢٨ ـ صفوة الصّفوة، لأبي الفرج جمال الدّين عبد الرّحمن بن عليّ بن محمّد المعروف بابن الجوزي، طبعة دار الفكر، الطّبعة الأُولىٰ بيروت ١٤١٣ هـ.

٢٢٩ ـ الصّلاة ـ لابن القيم الجوزية، طبعة دار الشروق بيروت ١٣٥٨ هـ.

٢٣٠ ـ الصّلة بين التّصوف والتّشيع، للدكتور الشّيبي، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٥ هـ.

٢٣١ ـ الصّلواة الهامعة بمحبّة الخلفاء الجامعة، للبكري، طبعة بيروت ١٤٠٠ هـ.

٢٣٢ ـ الصّواعق المحرقة في الرّد على أهل البدع والزّندقة، لأحمد بن حجر الهيتمي الكوفي، مكتبة القاهرة، الطّبعة الثّانيّة، مصر ١٣٨٥ هـ.

حرف الضاد

٢٣٣ ـ ضحىٰ الإسلام، الدّكتور أحمد أمين المصري، طبعة مكتبة النهضة، القاهرة مصر ١٤٠٠ هـ.

٢٣٤ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لمحمّد بن عبد الرّحمن السّخاوي، نشر دار مكتبة الحياة بيروت.

حرف الطاء

٢٣٥ ـ طبقات الشّافعيّة الكبرىٰ، لتقي الدّين أبي الحسن بن عبد الكافي السُّبكي، طبعة عيسىٰ البابي مصر ١٣٨٣ هـ.

٢٣٦ ـ الطّبقات الكبرىٰ، لمحمّد بن سعد كاتب الواقدي، دار صادر بيروت، ١٣٥٤ هـ.

٢٣٧ ـ طرائف المقال، للسيّد عليّ البروجردي، طبعة دار المعارف بيروت ١٤٠٦ هـ.

٢٣٨ ـ طرح التثريب في شرح التقريب، لزين الدّين عبد الرّحيم بن الحسيني العراقي، مطبعة جمعية النّشر والتأليف الأزهريّة في القاهرة ١٣٥٣ هـ.

حرف الغين

٢٣٩ ـ العبر، لمحمّد بن أحمد الذّهبي، طبعة دار الفكر ـ بيروت ١٣٥٦ هـ.

٢٤٠ ـ عبقرية الإمام عليّ عليه‌السلام، للعقاد، مطبعة النعمان النجف الأشرف ١٣٩٥ هـ.

٢٤١ ـ العرائس (عرائس التّيجان)، لأحمد بن محمّد بن إبراهيم الثّعالبي، مطبعة كلستان ـ كشمير، الهند، الطّبعة القديمة ١٢٨٥ هـ.

٢٤٢ ـ العقائد الباطنيّة وحكم الإسلام ـ للدكتور صابر طعيمة، طبعة الملايين للعلم بيروت ١٤٠٨ هـ.

٢٤٣ـ عقائد الشّيعة الإماميّة، لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القميّ المعروف بالشيخ الصّدوق، طبعة دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٦ هـ.

٢٤٤ ـ العقد الفريد ـ لأبي العباس أحمد بن محمّد بن عبد ربه الأندلسي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٨ م.

٢٤٥ ـ عقيدة الشّيعة ـ لرونلدسين، طبع مطبعة السعادة القاهرة ١٣٥٨ هـ.

٢٤٦ ـ العقيدة الطّحاوية مع شرحها، طبع الدار العربيّة بالقاهرة ١٣٩٩ هـ.

٢٤٧ـ علل الشّرائع ـ لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويّة القميّ المعروف بالشيخ الصّدوق، دار إحياء التّراث ـ بيروت، الطّبعة الأُولىٰ ١٤٠٨ هـ.

٢٤٨ ـ علماء ومفكرون عرفتهم، للندوي، طبعة دار السلفيّة بحيدر آباد الهند ١٣٨٥ هـ.

٢٤٩ ـ عمان تأريخ يتكلم، للسالمي، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٠ هـ.

٢٥٠ ـ عمدة التّحقيق في بشائر آل الصّديق، للعبيدي المالكي، طبعة دار المعارف مصر ١٣٨٥ هـ.

٢٥١ ـ عمدة القاري، لمحمود بن أحمد بدر الدّين العيني الحنفي، طبعة المنيريّة ـ مصر ١٤٠٢ هـ.

٢٥٢ ـ العواصم من القواصم، لأبي بكر محمّد بن عبد الله بن محمّد بن عبد الله بن أحمد المغافري بن العربي المالكي الأشبيلي، المطبعة السّلفيّة القاهرة ١٤٠٥ هـ.

٢٥٣ ـ عوالم العلوم، للشيخ يوسف بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صالح بن أحمد بن عصفور البحراني، دار الفكر بيروت ١٤٠٠ هـ.

٢٥٤ ـ عوالي الآلي، لمحمّد بن عليّ بن إبراهيم الإحسائي، المعروف بابن أبي جمهور، مطبعة سيد الشّهداء قم الطّبعة الأُولىٰ ١٤٠٣ هـ.

٢٥٥ ـ عيون أخبار الرّضا، لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويّة القميّ العروف بالشيخ الصّدوق، منشورات جهان ـ طهران.

٢٥٦ ـ العيون والمحاسن، لمحمّد بن محمّد، ابن المعلم، أبي عبد الله البغدادي العكبري المعروف بالشيخ المفيد، طبع بيروت.

حرف الغين

٢٥٧ ـ غاية النّهاية في طبقات القراء، لابن الجوزي، طبع حيد آباد الهند.

٢٥٨ ـ الغدير في الكتاب والسُّنَّة والأدب، العلاّمة الشّيخ عبد الحسين أحمد الأميني، دار الكتاب العربي بيروت الطّبعة الثّالثة ١٣٨٧ هـ.

٢٥٩ ـ الغلوّ والفرق الغاليّة، الدّكتور عبدالله سلوم السّامرائي، طبع جامعة بغداد ١٣٩٦ هـ.

٢٦٠ ـ الغنية، للجيلي، أُخذ بالواسطة.

٢٦١ ـ الغيبة، لأبي جعفر محمّد بن الحسن بن عليّ بن الحسن الطّوسي، مؤسسة المعارف الإسلاميّة ـ قم، الطّبعة الأُولىٰ ١٤١١ هـ.

٢٦٢ ـ الغيبة، لأبي عبدالله محمّد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب النّعماني، مكتبة الصّدوق ـ طهران.

٢٦٣ ـ الغيث المنسجم، للصفدي، طبعة دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٨ هـ.

حرف الفاء

٢٦٤ ـ الفتاوىٰ الحديثيّة، لأحمد بن حجر الهيتمي الكوفي، مكتبة القاهرة، الطّبعة الثّانيّة، مصر ١٣٨٥ هـ.

٢٦٥ ـ الفتح المبين، لأحمد بن حجر الهيتمي الكوفي، مكتبة القاهرة، الطّبعة الثّانيّة، مصر ١٣٨٥ هـ.

٢٦٦ ـ الفتن، لأبي عبد الرّحمن أحمد بن شعيب النّسائي، دار المعرفة بيروت، الطّبعة الثّالثة ١٤١٤ هـ.

٢٦٧ ـ الفتوح، لأبي محمّد أحمد بن أعثم الكوفي، دار الأضواء ـ بيروت، الطّبعة الأُولىٰ ١٤١١ هـ.

٢٦٨ ـ فتوح البلدان، لأحمد بن يحيىٰ البلاذريّ، بيروت ١٤١٩ هـ.

٢٦٩ ـ فجر الإسلام، الدّكتور أحمد أمين، طبع دار الثقافة العربية القاهرة ١٤٠٠ هـ.

٢٧٠ ـ فرائد الأُصول، الشّيخ مرتضىٰ بن محمّد أمين التّستري النّجفي الأنصاري، طبع عدة مرات.

٢٧١ ـ فردوس الأخبار، لأبي شجاع شيرويه بن شهردار الدّيلمي الهمداني، دار الكتب ـ بيروت، الطّبعة الأُولىٰ ١٤٠٦هـ.

٢٧٢ ـ الفرق، لعليّ الغرأبي، طبع دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٦هـ.

٢٧٣ ـ الفرق بين الفرق، لعبد القاهر بن محمّد البغدادي الإسفراييني التميمي، مطبعة محمّد علـيّ صبيح وأولاده، القاهرة.

٢٧٤ ـ فرق الشّيعة، للنوبختي، طبع دار الثقافة العربيّة القاهرة ١٤٠٢هـ.

٢٧٥ ـ الفصل، لابن حزم الظّاهري، طبع دار صادر بيروت ١٤٠٠هـ.

٢٧٦ ـ الفصل بين الأهواء والنّحل، لابن حزم الظّاهري، طبع دار الفكر العربي بيروت ١٤٠٥هـ.

٢٧٧ ـ فصل المقال، لابن رشد، أُخذ بالواسطة.

٢٧٨ ـ الفصول المختارة، لمحمّد بن محمّد، ابن المعلم، أبي عبد الله البغدادي العكبري المعروف بالشيخ المفيد، طبع بيروت.

٢٧٩ ـ الفضائح الباطنيّة، لمحمّد الغزالي، طبع مؤسسة الأعلمي بيروت ١٤٠٥هـ.

٢٨٠ ـ فضائل الصّحابة، لابي نعيم الإصبهاني، نشر حسام الدّين القدسي.

٢٨١ ـ فقه الدّعوة ملامح وآفاق، لقاءات.

٢٨٢ ـ الفكر الدّيني الإسرائيلي، الدّكتور حسن ظاظا، الناشر وكالة المطبوعات الكويت.

٢٨٣ ـ الفكر الشّيعي والنّزعات الصّوفيّة،

٢٨٤ ـ الفهرست، لمحمد بن إسحاق بن النّديم، دار قطري بن الفجاءة، الطّبعة الأُولىٰ الدّوحة ـ قطر ١٩٨٥م.

٢٨٥ ـ الفهرست، لأبي جعفر محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطّوسي، طبعة بيروت ١٤١٢هـ.

حرف القاف

٢٨٦ ـ **القرامطة**، للجويري، مطبعة قاسم رجب وأولاده بغداد ١٩٨٠ م.

٢٨٧ ـ **قرب الإسناد**، لأبي العبّاس عبدالله بن جعفر الحميري القمي، مؤسسة آل البيت ـ قم، الطّبعة الأُولىٰ ١٤١٣ هـ.

٢٨٨ ـ **القصائد السّبع العلويات مع شرحها**، لابن أبي الحديد المعتزلي، طبعة دار المعرفة بيروت ١٤٠٨ هـ.

٢٨٩ ـ **قصة الحضارة**، جون ديوي، طبعة مؤسسة الريان للطباعة والنشر.

٢٩٠ ـ **قصة الحضارة**، ديوارنت، طبعة مؤسسة الثقافة العربيّة الرياض.

حرف الكاف

٢٩١ ـ **الكامل في التّأريخ**، لأبي الحسن عليّ بن محمّد الشّيباني الموصلي العروف بابن الأثير، دار إحياء التّراث العربي ـ بيروت، الطّبعة الأُولىٰ ١٣٥٦ هـ.

٢٩٢ ـ **كتاب سليم بن قيس**، لسليم بن قيس الهلالي العامري، نشر الهادي ـ قم، الطّبعة الأُولىٰ ١٤١٥ هـ.

٢٩٣ ـ **كشف إصطلاحات الفنون**،

٢٩٤ ـ **كشف الخفاء**، لأبي الفداء إسماعيل بن محمّد العجلوني، مكتبة دار التّراث بيروت.

٢٩٥ ـ **كشف المراد**، للعلاّمة الحلي، طبعة دار الفكر ودار إحياء التراث بيروت.

٢٩٦ ـ **كليات في علم الرّجال**، جعفر السّبحاني، طبعة قم المقدسة.

٢٩٧ ـ **الكنىٰ والألقاب**، للشيخ عباس القمي، الطبعة الحيدريّة النجف الأشرف ١٣٨٥ هـ.

٢٩٨ ـ **كنز العمّال**، لعليّ المتقي بن حسام الهندي، طبع دار الوعي حلب ١٣٩٦ هـ.

حرف اللام

٢٩٩ـ لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم بن منظور المصري، دار صادر ـ بيروت، الطّبعة الأولىٰ ١٤١٠هـ.

٣٠٠ـ لسان الميزان، لأبي الفضل أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطّبعة الأُولىٰ ١٤١٦هـ.

٣٠١ـ اللئالي المصنوعة، لجلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر محمّد السّيوطي، طبعة مؤسسة الرّسالة ـ بيروت ١٤١٩هـ.

٣٠٢ـ اللمع، لابي النّصر، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٠هـ.

٣٠٣ـ اللوامع الإلهية في المباحث الكلاميّة، الفاضل السّيوري، طبعة دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٢هـ.

حرف الميم

٣٠٤ـ لماذا أعدموني، سيد قطب، طبعة دار القلم بيروت ١٤٠٠هـ.

٣٠٥ـ المبسوط، لأبي بكر محمّد بن أبي سهل شمس الدّين السّرخسي، دار المعرفة بيروت ١٤٠١هـ.

٣٠٦ـ متشابه القرآن ومختلفه، لأبي جعفر رشيدالدّين محمّد بن عليّ بن شهر آشوب المازنداراني، المطبعة العلميّة ـ قم.

٣٠٧ـ مجابي الدّعوة، لأبي بكر عبد الله بن محمّد ابن أبي الدّنيا، نشرته الدّار القيمة بمباي الهند ١٣٩١هـ.

٣٠٨ـ المجالس المؤيدية، هبة الله الشّيرازي، طبعة دار الآفاق الجديدة بيروت ١٤٠٠هـ.

٣٠٩ـ مجلة المستقبل.

٣١٠ـ مجلة المجتمع، العدد ٩١٤ و ٩١٩ و ٩٤٢ و ٩٤٨ و ٩٦٤ و ٩٧٤.

٣١١ـ **مجمع البحرين**، لفخر الدّين الطّريحي، مكتبة نشر الثّقافة الإسلاميّة ـ طهران، الطّبعة الثّانيّة ١٤٠٨ هـ.

٣١٢ـ **مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد**، لنور الدّين عليّ بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر ـ بيروت، الطّبعة الأُولىٰ ١٤١٢ هـ.

٣١٣ـ **المجموع في شرح المهذب**، لأبي زكريا محيي الدّين بن شرف النّووي، طبع دار الفكر، بيروت ١٤٠٩ هـ.

٣١٤ـ **مجموعة الرّسائل والمسائل**، لابن تيمية، منشورات المكتبة العلميّة بالمدينة المنورة ـ الحجاز.

٣١٥ـ **المحاسن**، لأبي جعفر أحمد بن محمّد بن خالد البرقي، المجمع العالمي لأهل البيت ـ قم، الطّبعة الأُولىٰ ١٤١٣ هـ.

٣١٦ـ **محاسن التّأويل**، القاسمي، طبعة حيدر آباد الدكن سَنَة ١٣٥٩ هـ.

٣١٧ـ **محاضرات في النّصرانيّة**، محمّد أبو زهرة، طبعة دار إحياء التراث الكتب العربية.

٣١٨ـ **المحصل**، للرازي، مطبعة الآداب النجف الأشرف العراق ١٣٥٨ هـ.

٣١٩ـ **مختار الصّحاح**، لأبي عبدالله محمّد بن عمر المعروف بفخر الرّازي، دار الفكر ـ بيروت، الطّبعة الأُولىٰ ١٤١٠ هـ.

٣٢٠ـ **مختصر بصائر الدّرجات**، لحسن بن سليمان الحلّيّ، انتشارات الرّسول المصطفىٰ ـ قم.

٣٢١ـ **مختصر البلدان**، المطبعة المرتضويّة بالنجف الأشرف العراق ١٣٥٨ هـ.

٣٢٢ـ **مختصر التّحفة الإثني عشرية**، عبد العزيز غلام حكيم الدّهلوي، المطبعة السّلفيّة القاهرة ١٣٧٣ هـ.

٣٢٣ـ **مختصر المحاسن المجتمعة**، الصّفوي، طبعة دار إحياء التراث العربي ١٤٠٠ هـ.

٣٢٤ـ **مختصر معجم أكسفورد**، طبع شركة الطباعة الفنية المتحدة مصر ١٤٠٠ هـ.

٣٢٥ـ **مدارج السّالكين**، لابن قيم الجوزية، طبعة بولاق القاهرة ١٣٦٩ هـ.

٣٢٦ـ مرآة الجنان، عبد الله بن سعد اليافعي، طبعة دار صادر بيروت ١٤٠٥ هـ.

٣٢٧ـ مرقاة الأُصول، الحكيم التّرمذي، طبعة دار إحياء التراث ١٤٠٢ هـ.

٣٢٨ـ مروج الذّهب ومعادن الجوهر، لعليّ بن الحسين المسعودي، مطبعة السّعادة، الطّبعة الرّابعة ـ القاهرة ١٣٨٤ هـ.

٣٢٩ـ المسائل العكبرية، لمحمّد بن محمّد، ابن المعلم، أبي عبد الله البغدادي العكبري المعروف بالشيخ المفيد، طبع بيروت.

٣٣٠ـ مستدرك الحاكم، لأبي عبدالله محمّد بن عبدالله الحاكم النّيسابوري، دار الكتب العلميّة ـ بيروت، الطّبعة الأُولىٰ ١٤١١ هـ.

٣٣١ـ مستدرك العروة الوثقىٰ، السّيد محسن الحكيم، المطبعة الحيدريّة النجف الأشرف ١٣٩٨ هـ.

٣٣٢ـ مستدرك الوسائل، للحاج الميرزا حسين النّوري، مؤسسة آل البيت ـ قم، الطّبعة الأُولىٰ ١٤٠٨ هـ.

٣٣٣ـ مسند أحمد بن حنبل، لأحمد بن محمّد بن حنبل الشّيباني، دارالفكر ـ بيروت، الطّبعة الثّانيّة ١٤١٤ هـ.

٣٣٤ـ مسند زيد بن عليّ، المنسوب إلىٰ زيد بن عليّ بن الحسين، منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت.

٣٣٥ـ المسيحيّة، الدّكتور أحمد شلبي، طبعة دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٠ هـ.

٣٣٦ـ مشكاة الأنوار، لأبي منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطّبرسي، طبع مطبعة النّعمان في النّجف الأشرف ١٣٦٨ هـ.

٣٣٧ـ مشكل الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمّد الأزدي الحجري الطّحاوي، دار صادر ـ بيروت.

٣٣٨ـ المصابيح، لأبي محمّد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشّافعي، دار الفكر العربي، بيروت ١٤٠٥ هـ.

٣٣٩ـ **مصباح المتهجد**، لأبي جعفر محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطّوسي، دار الثّقافة ـ قم، الطّبعة الأولىٰ ١٤١٤ هـ.

٣٤٠ـ **مصر تراجع نفسها**، الدّكتور سعد الدّين إبراهيم، المطبعة الهنديّة بالموسكي مصر ١٩٩٥ م.

٣٤١ـ **المضنون الصّغير**، الغزالي، طبعة دار النصر للطباعة القاهرة مصر.

٣٤٢ـ **المطالب العاليّة**، لأبي عبدالله محمّد بن عمر المعروف بفخر الرّازي، دار الفكر ـ بيروت، الطّبعة الأُولىٰ ١٤١٠ هـ.

٣٤٣ـ **معارج القدس**، أُخذ بالواسطة.

٣٤٤ـ **المعارف**، لأبي محمّد عبد الله بن مسلم المعروف بابن قتيبة الدّينوري، منشورات الشّريف الرّضي، الطّبعة الاولىٰ ١٤١٥ هـ.

٣٤٥ـ **معالم الأُصول**، لأبي عبدالله محمّد بن عمر المعروف بفخر الرّازي، دار الفكر ـ بيروت، الطّبعة الأُولىٰ ١٤١٠ هـ.

٣٤٦ـ **معالم السّنن**، الخطابي، طبعة الهيئة المصريّة العامّة للكتاب.

٣٤٧ـ **معاني الأخبار**، لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويّه القمّي المعروف بالشيخ الصّدوق، مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت، الطّبعة الخامسة ١٤٠٠ هـ.

٣٤٨ـ **معجم الأدباء**، لأبي عبد الله ياقوت الحموي البغدادي المغازي، طبعة دار المأمون، بغداد ١٣٥٥ هـ.

٣٤٩ـ **معجم رجال الحديث**، السّيد أبو القاسم عليّ أكبر الخوئي، طبعة دار إحياء التراث بيروت ١٤٠٦ هـ.

٣٥٠ـ **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث**، محمّد فؤاد عبد الباقي، نشر دار المعرفة بيروت ١٤٠٨ هـ.

٣٥١ـ **معجم مقارنة الأديان**، الدكتور أحمد شلبي، طبعة دار الفكر العربي بيروت ١٤٠٢ هـ.

٣٥٢ـ **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكريا، طبعة استانبول تركيا.

٣٥٣ ـ المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد اللخمي الطّبراني، دارالفكر ـ بيروت، الطّبعة الثّانيّة ١٤٠١ هـ.

٣٥٤ ـ المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد اللخمي الطّبراني، دارالفكر بيروت، الطّبعة الثّانية ١٤٠١ هـ.

٣٥٥ ـ المعجم الصّغير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد اللخمي الطّبراني، دارالفكر بيروت، الطّبعة الثّانيّة ١٤٠١ هـ.

٣٥٦ ـ المعجم الوسيط، مجموعة من الأساتذة، طبع شركة الطباعة الفنيّة المتحدة مصر ١٤٠٩ هـ.

٣٥٧ ـ المغني، لأبي محمّد موفق الدّين محمّد بن عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار الكتاب العربي بيروت ١٣٥٩ هـ.

٣٥٨ ـ المغني في أبواب التّوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار، طبع دار الثقافة والنشر بيروت ١٤٠٢ هـ.

٣٥٩ ـ مفاتيح العلوم، الخوارزمي، طبع دار المأمون بغداد ١٣٩٥ هـ.

٣٦٠ ـ مفتاح السّعادة، أحمد بن مصطفىٰ كبرىٰ زاده.

٣٦١ ـ مقاتل الطّالبيين، لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الإصفهاني، دارالكتب العلميّة ـ بيروت.

٣٦٢ ـ مقارنة الأديان، الدّكتور عبد السّلام الحلواني وأحمد شلبي، طبعة دار الأندلس بيروت.

٣٦٣ ـ مقالات الإسلاميين، لسعد بن عبد الله بن خلف الاشعري القمي، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٢ هـ.

٣٦٤ ـ المقالات والفرق، لسعد بن عبد الله بن خلف الأشعري القمي، طبعة دار الأندلس، القاهرة ١٤٠٦ هـ.

٣٦٥ ـ المقالات والفرق، لسعد بن عبد الله بن خلف، نشر الدّكتور محمّد جواد مشكور بيروت ١٤٠٠ هـ.

٣٦٦ ـ مقدمة ابن خلدون، لأبي الحسين بن عليّ عبد الرّحمن بن خلدون، طبعة بولاق ـ القاهرة ١٣٦٩ هـ.

٣٦٧ ـ مقدمة سيكولوجيا الأرهاب والجرائم والضّعف، فؤاد زكريا، طبع مكتبة القاهرة ١٤٠٥ هـ.

٣٦٨ ـ مقدمة كتاب الصّحوة الإسلامية، عمر عبيد حسنة، طبع شركة الطباعة الفنية المتحدة مصر ١٣٩١ هـ.

٣٦٩ ـ المقنعة، لمحمّد بن محمّد، ابن المعلم، أبي عبدالله البغدادي العكبري المعروف بالشيخ المفيد، طبع بيروت.

٣٧٠ ـ الملل والنّحل، لأبي الفتح محمّد بن عبد الكرين بن أحمد الشّهرستاني، دار المعرفة بيروت، ١٤٠٦ هـ.

٣٧١ ـ من لا يحضره الفقيه، لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصّدوق، مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت، الطّبعة الخامسة ١٤٠٠ هـ.

٣٧٢ ـ مناظرات هشام بن الحكم، عبد الله نعمة الجزائري، طبعة دار الكتاب العربي بيروت ١٣٩٥ هـ.

٣٧٣ ـ المناقب، لأبي جعفر رشيدالدّين محمّد بن عليّ بن شهر آشوب المازندراني المطبعة العلميّة ـ قم.

٣٧٤ ـ المناقب، لأبن الحسن عليّ بن محمّد بن محمّد الواسطي الشّافعي المعروف بابن المغازلي، دار الكتب الإسلاميّة ـ طهران، الطّبعة الثّانيّة ١٤٠٢ هـ.

٣٧٥ ـ مناقب أمير المؤمنين، لمحمّد بن سليمان الكوفي القاضي، مجمع إحياء الثّقلانيّة الإسلاميّة ـ قم، الطّبعة الأُولىٰ ١٤١٢ هـ.

٣٧٦ ـ منتهىٰ المطلب، العلاّمة الحلي، طبعة دار الكتاب العربي بيروت ١٣٨٧ هـ.

٣٧٧ ـ منحة القريب المجيب في الرّد علىٰ عباد الصّليب، لابن المعمر، المكتبة السلفيّة بـالمدينة المنورة.

٣٧٨ ـ منحة المعبود، أحمد بن عبد الرّحمن البناء، طبعة دار النصر للطباعة مصر.

٣٧٩ ـ منهاج السُّنَّة، تقي الدين أحمد بن عبد الحليمم بن عبد السّلام المعروف بابن تيمية الحراني، طبع بيروت ١٤٠٦ هـ.

٣٨٠ ـ منهاج الكرامة في إثبات الإمامة، أُخذ بالواسطة.

٣٨١ ـ الموافقة، لابن تيمية بهامش منهاج السُّنَّة، طبعة بولاق ـ القاهرة ١٤٠١ هـ.

٣٨٢ ـ المواهب اللدنية، لأبي العبّاس شهاب الدّين أحمد القسطلاني الشّافعي، الطّبعة الأزهريّة ـ مصر ١٣٢٥ هـ.

٣٨٣ ـ موسوعة الأديان في العالم، نشر كريبس انترناشونال، ترجمة جمال بن مدكور.

٣٨٤ ـ الموسوعة البريطانيّة، لجماعة من المستشرقين.

٣٨٥ ـ موسوعة التّأريخ الإسلامي، الدّكتور أحمد شلبي، دار الثقافة للطباعة والنشر بيروت ١٤٠٢ هـ.

٣٨٦ ـ الموطأ، مالك بن أنس، طبعة دار إحياء التّراث العربي بيروت ١٤٠٦ هـ.

٣٨٧ ـ ميزان الاعتدال، لأبي عبد الله محمّد بن أحمد الذّهبي، دار الفكر بيروت.

حرف النون

٣٨٨ ـ النّبي والفرعون، لجيز كيبل، طبعة مطبعة السعادة مصر ١٤٠٠ هـ.

٣٨٩ ـ النّجاة، لابن سينا، طبعة دار صادر بيروت ١٤٠٦ هـ.

٣٩٠ ـ ندوة المكونغرس، لجون اسبو سيتو، عن مجلة المجتمع العدد (٩١٤).

٣٩١ ـ نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، الدّكتور سامي النّشار، طبعة دار الفكر ١٤٠٠ هـ.

٣٩٢ ـ نظم الجوهر، لابن البطريق، طبعة مصطفىٰ البابي الحلبي القاهرة ١٤٠٢ هـ.

٣٩٣ـنظم درر السّمطين، لجمال الدّين محمّد بن يوسف الحافظ الزّرندي الحنفي، طبع بيروت، دار الثّقافة للكتاب العربي ١٤٠٩ هـ.

٣٩٤ـنهاية الإرب، لشهاب الدّين النّويري، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، وطبعة القاهرة ١٢٤٩هـ.

٣٩٥ـنهج الحق، للعلّامّة جمال الدّين الحسن بن يوسف بن مطهر الحلّي، دار الهجرة ـ قم، مؤسسة الأعلمي بيروت.

٣٩٦ـنهج المقال، للمحقق الأسترابادي، طبعة دار المعرفة بيروت ١٤٠٢ هـ.

٣٩٧ـنور الأبصار، للشيخ مؤمن بن حسن مؤمن الشّبلنجي، دارالكتب العلميّة ـ بيروت، الطّبعة الأُولىٰ.

٣٩٨ـنيل الأوطار، لمحمّد بن عليّ بن محمّد الشّوكاني، طبعة دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٠ هـ.

حرف الهاء

٣٩٩ـهداية الحيارىٰ في أجوبة النّصارىٰ، لابن قيم الجوزية، طبعة دار إحياء التراث للكتاب.

٤٠٠ـهل هذه النّهضة المعاصرة خاضعة لسلطان العلم، لعجاج نويهض، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٥ هـ.

حرف الواو

٤٠١ـوسائل الشّيعة، محمّد بن الحسن الحر العاملي، الطّبعة الخامسة دار إحياء التّراث العربي ـ بيروت ١٤٠٣ هـ.

٤٠٢ـوعاظ السّلاطين، لعليّ الوردي، طبع مكتبة المثنىٰ بغداد ١٣٩٨ هـ.

٤٠٣ـوفيات الأعيان، لشمس الدّين أبي العبّاس أحمد بن محمّد البرمكي المعروف بابن خلكان، دار صادر ـ بيروت.

حرف الياء

٤٠٤ ـ الياقوت، ابراهيم بن نوبخت، مطبعة النعمان بالنجف الأشرف.

٤٠٥ ـ اليواقيت والجواهر، عبد الوهاب الشّعراني، طبعة دار المسيرة بيروت ١٣٩٩ هـ.

ALJOZUROTTARIKHIYYATO VANNAFSIYAH

LELGHOLOVE VAL GHOLAT

خیابان معلم/معلم ۲۹/پلاک ۳۴۸
صندوق پستی: قم ۱۱۵۳-۳۷۱۳۵
تلفن و نمابر:۷۷۴۴۹۸۸-۷۷۳۳۴۱۳